

ذخائر العرب
١٣

شرح لزوم ما لا يلزم

لأبي العلاء المعرّي

أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي

المتوفى سنة ٤٤٩ هـ

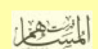
تأليف

الدكتور طه حسين

ابراهيم الأبياري

الجزء الأول

دار المعارف بمصر





مقدمة

رحم الله أبا العلاء ! لقد كان شديدَ التواضُع ، قليلَ الاُعتداد بنفسه ، شديدَ الاُزدراء لها ، يرى أن الذين دعَوْه بكُنيته هذه قد أخطئوا وأسرفوا على أنفسهم وعلى الناس . وكان الحقّ عليهم أن يدعوه « أبا النزول » :

دُعيتُ « أبا العَلاء » وذاكَ مَيْنٌ ولكنَّ الصَّحيحَ « أبو النُّزولِ »

وكان شديدَ الزُّهد فى نَباهة الذكر و بُعد الصَّوت ، يرى أنه ليس لشىء من ذلك أهلًا ، و يرى أن الرَّغبة فيه لونٌ من العَبث وفنٌّ من الغُرور ، ينبغى لذى اللُّب أن يرتفعَ بنفسه عنه .

وكان ربما أنكر ما أُتيح له من الشُّهرة ، لحمل الناسَ على زيارته والاستماع له . فالناسُ إنما يقصدون إلى ذى المال يلتمسون عنده العطاءَ ، و يسعَوْن إلى ذى العِلْم يلتمسون عنده المعرفة .

وكان أبو العلاء مقتَّراً عليه فى الرزق ، وكان يرى أنّ حظّه من العِلْم قليل لا يُرضيه هو ، فكيف بالسّاعين إليه من أقطار الأرض القريبة والبعيدة ، يبتغون عنده غِنى العُقول وذكاء القلوب . وكان يَرى بعد ذلك أنّ علمه ليس من شأنه أن يُرضِيَ الناس ، لأنه إنْ صَدقهم آذاهم ، فقال لهم ما لا يُحبون ؛ و إن أرضاهم آذى نفسه بالكذب عليهم والمُخالفة عما يُؤمن به عقلُه و يطمئنٌّ إليه ضميره . فكان مرةً يقول :

خُذِى رَأْيِى وحَسْبُكِ ذاكَ مِنِّى عَلَى ما فِىَّ مِنْ عِوَجٍ وأَمْتِ
وماذَا يَبْتغى الُجلَساءُ عِنْدى أَرادُوا مَنْطِقِى وأَردتُ صَمْتِى
و يُوجَد بيننا أمدٌ قَصِىٌّ فأَمُّوا سَمْتَهُمْ وأَممْتُ سَمْتِى

ومرةً أخرى يقول :

يزُورنى القَوْمُ هذا أرضُه يَمَنٌ ... مِنَ البِلَادِ وهذا دارُه الطَّبَسُ
قالوا سَمِعْنا حَدِيثاً عنك قُلتُ لهم ... لَا يُبْعِدُ اللهُ إلَّا مَعْشراً لَبَسُوا
يَبْغُون مِنِّىَ مَيْناً لَسْتُ أُحْسِنُه ... فإنْ صَدقْتُ عَرَتْهُم أوجُهٌ عُبُسُ
أعاننا الله كُلٌّ فى مَعيشته ... يَلْقَى العَنَاء فَدُرِّى فَوْقنا دُبَسُ
ماذا تُريدونَ لا مالٌ تَيَسَّرَ لى ... فيُسْتَماحُ ولا عِلْمٌ فيُقْتَبَسُ
أتَسْألُون جَهُولًا أنْ يُفِيدَكُمُ ... وتَحْلُبون سَفِيًّا ضَرْعُها يَبَسُ
ما يُعْجِبُ الناسَ إلَّاقَوْلُ مُخْتَدِعٍ ... كأنَّ قَوْماً إذا ما شُرِّفُوا أُبِسُوا
قَدْ أَنْفَدُوا فى ضَيَاعٍ كلَّ ما عَمِرُوا ... فكان مِثْلَ جِلَالِ البُدْنِ ما لَبِسُوا
أنا الشَّقِىُّ بأنِّى لا أُطِيقُ لكم ... مَعُونةً وصُرُوف الدَّهْر تَحْتَبِسُ

فقد كان الصوتُ يطير عن أبى العلاء بما لا يَرى فى نفسه أنه الحقُّ ، وكان الناسُ يَسمعون عنه الأحاديث فيشتاقون إلى لقائه ثم يَسعَوْن إلى هذا اللقاء ، وكان هو يَضيق بذلك أشدَّ الضيق : يرى أنَّ الذين وصفوه بسَعة العِلم وغَزارة المَعرفة قد لَبَّسُوا أمره على الناس ، وقالوا عليه غيرَ الحق ، ووصفوه بما ليس فيه . وهو على ذلك يَعرف الناسَ حقَّ المعرفة ، ويَبلو سَرائرَهم أَحسنَ البَلاء ، و يعلم أنهم يُؤثرون ما يُرضيهم ، و إن كان كذباً ، على ما يُؤذيهم و إن كان حقًّا وصدقاً . وهو لا يُحسن الكذب ولا يُحب إلّا الصدق ، وهو يَجهر بأنه لا مالَ له فيُستجدى ، ولا عِلْمَ عنده فتُبتغى عنده المَعرفة . وليس من خِصاله الكذبُ فيَخْدع الناسَ عن حقائق نُفوسهم ، وليس من خِصال الناس حُبُّ الصِّدق فيرضَوْا عما يمكن أن يَسُوق إليهم من حديث . وهو يَستعين الله لنفسه على الصِّدق ، و يَستعينه للناس على ما يألفون من خِداع ، و يَستعينه له ولهم على هذه الحياة التى يَلقى الناسُ فيها جميعاً ألوانَ المِحَن وضُروب العَناء . ور بما ضاق

أبو العلاء ببُغض الناس للحقّ وحُبّهم للباطل ، فقال فى أبياته تلك المشهورة :

إذا قُلتُ المُحالَ رفعتُ صوتى وإنْ قلتُ اليقِينَ أطلتُ هَمْسِى

ومهما يكن من شىء فقد نبُهَ ذِكْرُ أبى العلاء و بَعُد صوتُه فى حياته ، على ضِيقٍ منه بذلك وزُهد منه فيه . وقد أخذ الناسُ يسعَوْن إليه من أدنى الأرض ومن أقصاها ، يطلبُون عنده العِلْمَ ويَرْوُون عنه اللُّغةَ والأدب ، ويكتبون عنه ما كان يُنشئ من شعر ونثر حين كان يَخلو إلى نفسه .

وحُمل عنه شعرُه ونثرُه إلى أدنى الأرض وأقصاها فى حياته ، فرَضِى عنه مَنْ رَضِى وسَخط عليه مَن سَخط ، وجادله فى بعض آرائه المُجادلون ، وعارضه فى بعض آثاره المُعارضون .

وما أشكّ فى أن أبا العلاء قد اُطمأن إلى شُهرته وبُعْد صَوته ، على ضِيقه بهما وبُغضه لهما . وما أكثرَ ما كان أبو العلاء يَطمئنُّ إلى الضِّيق ويَرُوض نَفْسَه على ما تكره .

ألم يكنْ يأخذ نفسَه باُحتمال البَرْد والاُغتسال بالماء البارد حين يَقسو الشتاء ، ويقول :

أُجاهِدُ بالطِّهارة حِينَ أَشْتُو وذاكَ جِهَادُ مِثْلِي والرِّبَاطُ
مَضَى كانُون ما اُسْتَعملتُ فيه حَمِيمَ الماءِ فاقْدَمْ يا شُبَاطُ

وإذا كان يأخذ نفسَه راضياً بما لا تُحب ، فما له لا يَقبل من الأمر ما ليس له فيه اُختيار ! وهو الذى يَرى الجبر ويُؤمن بأن حظَّ الإنسان من الحرية ضئيل .

فَلْيطمئنّ إذن إلى الشهرة ، ولْيُذعن لمَا ليس له عنه مُنصَرف ، ولْيُيسِّر على الناس أمرهم بالقياس إلى ما يُحمل عنه من شعر ونثر . فهو يقول مرة :

أقرأ كلامِي إذا ضَمَّ الثَّرى جَسدى فإنّه لَكَ ممّن قاله خَلَفُ

ويقول مرةً أخرى ناصحاً لنفسه ولقُرّائه :

لا تُقَيِّدْ عَلَيَّ لَفْظِي فإنِّي   مِثلُ غَيْرِي تَكَلُّمِي بالمَجَازِ

كان أبو العلاء إذن بَعِيدَ الصَّوت فى حياته ، وظَلَّ صوتُه بَعيداً بعد وفاته عرفتْه الأجيالُ على اختلاف الأقطار والعُصور ، وتحدَّثت عنه مُثْنِيَةً عليه أو عائبةً له ، يَحْسُن فيه رأىُ قوم ويَسوء فيه رأىُ آخرين .

وقلّما كان الناسُ فى عُصورهم المُختلفة يُعْنَوْن بتحصِيل كل ما حُفظ عن أبى العلاء من آثار ، وإنما كان هذا الكتابُ أو ذاك من كُتبه يَقع إلى هذا القارئ أو ذاك ، فينظُر فيه عَجِلًا أو مُستأنياً ، ويَقضى فيه مُتثبِّتاً أو غيرَ مُتثبِّت ، حتى كان العصرُ الحديث ، أو هذا القرن الذى نَعيش فيه ، فاشتدّت العناية بأبى العلاء حين كان العِلْم بفلسفة المُتشائمين الأوربيين . كأن العرب أحسُّوا أنّ هذه الفلسفة ليستْ جديدةً ولا مُبتكرة ، وأنّ الغَرب لا يَستأثر بها من دونهم ، وأنهم قد سَبقوا إليها وشاركوا فيها مُشاركة حَسَنة .

ولأمرٍ مَا عُنى العربُ فى هذه الأعوام الأخيرة بشاعرين من شُعرائهم القُدماء ، هما أبو الطيب المُتنبى وتلميذُه فى الأدب والشِّعر أبو العلاء ، فلم يكتفُوا بتأليف الكُتب عن هذا وذاك ، وإنما رأوا الأُوربيين يذكُرون عُظماءهم ، ويَحتفلون بالأعياد المئويّة والألفيّة لهؤلاء العُظماء ، فقلّدوهم فى هذا أيضاً ، واحتفلوا فى أقطارهم المختلفة بالعيد الألفى لأبى الطيّب . ثم دَعت سوريا مُنذ عَشر سِنين إلى مؤتمر يُعقدفى دِمَشْقَ للاحتفال بالعيد الألفى لأبى العلاء ، وأرادت مصرُأن تُشارك فى هذا المؤتمر ، وأنْ تُسْهِم فى إحياءِ ذِكْرى هذا الشاعر الفيلسوف العظيم، فرأت أنّ الاحتفال بمثل هذا العيد شىء له خَطَرُه من غير شك ، ولكنه اجتماع لا يكاد ينعقد حتى يَنفضّ ، وكلام لا يكاد يُقال حتى تَمرّ به رِياح الصَّيف أو رياح الشتاء . فآثرتْ فيما آثرت أن تَنْشُر ما يَجتمع لها من آثار أبى العلاء ،

لتُتيح للقارئين عامّةً ، وللباحثين والعلماء خاصة ، أنْ يعرفُوه حقَّ معرفته ، وأن يُعاشرَه منهم مَن أحبّ عِشرته أطْولَ وقتٍ ممكن ، وأن يَفرُغَ لدَرْسه منهم مَن أحبَّ الفَراغ لدَرْسه ، وقد توفّرت له وسائلُ البحث والأُستقصاء .

ولم تكد مصرُ تتخذ هذا القرارَ حتى جدَّت فى إنفاذه ، فنشرت ما اُجتمع لها مِن أحاديث القُدماء عن أبى العلاء ، ثم نشرت « سقط الزند » وهمّت بنَشر « اللزوميّات » . ولكنّ الظروفَ وقفتْ هذا العملَ الخطير ، وخِفْنا أن تَشغل هذه الظروفُ مصرَ الرسميّة عن الرجوع إلى ما بدأت من إحياء التراث العَلائى ، فحاولنا أن نَمضى فى هذا الإحياء حسبما يُتيح لنا جهْدُنا المُتواضع الضئيل ، وأقبلنا على كتاب « اللزوميات » نحقّق نصّه ، ونَشرح ألفاظَه شرحاً لُغويًّا مفصَّلا تَفصيلا مَا ، ثم نُترجم هـذا النّص بعد ذلك أو نحُلّه إلى النثر العربى المُعاصر ، كما كان القدماء يقولون .

وقد فرغنا لذلك ، ونَرجو أن نكون قد وُفّقنا فيه إلى ما يُرضى أبا العلاء ، وإن كان إرضاؤه عسيراً .

ونرجو على كل حال ألّا نكون قد ظلمناه فآذيناه ، فهو ينهانا عن ظُلم الموتى ، ويُحذّرنا من ذلك فى بيته المشهور :

لا تَظلِموا المَوْتَى وإنْ طَالَ المَدَى ... إنّى أخافُ عليكُمُ أنْ تَلْتَقُوا

ثم نرجو بعد ذلك أن نكون قد أَتحْنا للذين يُريدون أن يَدْرسوا أبا العلاء درساً لغويًّا ما يُحبّون من تعمُّق الدرس ، وللذين يَكْتفون بقراءة فلسفة أبى العلاء ، فى غير جهد ولا مشقة ، أن يقرءوا هذه الفلسفةَ دون أن يجدوا فى قراءتها عَناءً .

ونرجو قبل كل شيء وبعد كل شيء أن يتاح لنا المُضىّ فى هذا العمل حتى لا تُقصِّر مِصْرُ فى النُّهوض بما احتملت من أعبائه .

وللصديق الزَّميل « إبراهيم الأبيارى » أعظمُ الفَضل فى هذا الجهد ، فهو الذى احتمل عَناء التَّنقيب والمُراجعات على اختلافها ، كما احتمل عَناء الشَّرح اللغوىّ . وأنا على ذلك شريكُه فى تَبعات ما بَذل من جهد ، مُستأثر بشُكره على ما لَقى من عَناء ، وما احتمل من أعباء .

طه حسين

سيكون للكتاب ، بعد أن يعين الله تعالى على تمامه ،
جزء مستقل بفهرس ينتظم قصائده ، ويجمع ألفاظه ، ويضم
أغراضه ، ويشمل الأعلام والأماكن والأسماء ، وما تردد
فى الشرح من أبيات .

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة أبى العلاء]

قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سُليمان الضرير ، رَهْن المَحْبسين ، وإنما قال بقضاءٍ لا يَشعر كيف هو :

كان من سَوالف الأَقضية أنّى أنشأتُ أَبْنِيةَ أوراق ، توخيتُ فيها صِدْقَ الكلمة ، ونزّهتها عن الكذب والمَيْط[1] ، ولا أَزْعُمها كالسِّمْط المُتَّخذ وأرجو ألاّ تُحسب من السُّمَيْط[2] ؛ فمنها ما هو تمجيد لله الذى شَرُف عن التَّمْجيد ، ووَضَع المِنَن فى كل جِيد؛ وبعضها تذكير للنّاسين ، وتنبيه للرَّقَدة الغافلين ؛ وتَحذير من الدُّنيا الكُبْرى التى عَبثت بالأوّل ، واستُجيبت فيها دعوة جَرْول[3] ؛ إذ قال لأُمِّه :

جَزَاكِ اللهُ شَرًّا مِن عَجوزٍ ... ولَقَّاكِ العُقوق من البَنيناَ

فهى لا تسمح لهم بالْحُقوق ، وهم يُبا كرونها بالعُقوق . وإنما وصفتُ أشياء من العِظَة وأفانين ، على حسب ما تسمح به الغريزة ؛

---

(١) الميط : الجور والجنف والبعد عن القصد .

(٢) السميط ، بفتح فكسر ، أو بضم ففتح ، على صورة التصغير ، وهذه عن كراع : الآجر القائم بعضه فوق بعض .

(٣) الجرول : الحجر ، وبه لقب الحطيئة ، أبو مليكة بن أوس بن مالك العبسى ، شاعر مخضرم من الهجائين . توفى حوالى سنة ثلاثين من الهجرة .

فإن جاوزتُ المُشترطَ إلى سواه ، فإنّ الذى جاوزتُ إليه قولٌ عَرِىَ من المَيْن[١] . وجمعتُ ذلك كلّه فى كتاب لقّبتُه « لزوم ما لا يلزم » .

ومعنى هذا اللقب أن القافية تَلزم لها لوازمُ لا يَفتقر إليها حَشْوُ البيت ، ولها أسماءٌ تُعرف ، وسأذكر منها شيئاً مخافةَ أن يقع هذا الكتاب إلى قليل المَعرفة بتلك الأسماء .

والذى سمَّاه المُتَقدمون من لوازم القافية[٢] خمسة أحرف وست حركات :

فالأحرف : الروىّ والرِّدْف والتأسيس والوصل والخروج[٣] .

(١) المين : الكذب . والجمع : ميون . والفعل منه : مان يمين ، فهو مائن .

(٢) القافية ، تكون من آخر البيت إلى أول متحرك قبل ساكن بينهما . وقد تكون بعض كلمة ، وشاهده قول امرئ القيس :

وقوفاً بها صحبى على مطيهم　　　يقولون لا تهلك أسى وتحمل

فالقافية من الحاء فى « تحمل » — على رواية — إلى آخر البيت . وقد تكون كلمة ، كقوله :

ففاضت دموع العين منى صبابة　　　على النحر حتى بل دمعى محملى

فالقافية « محملى » . وقد تكون كلمة و بعض أخرى ، كقول الشاعر :

دمن عفت ومحا معالمها　　　هطل أجش و بارح ترب

فالقافية من الحاء فى « بارح » إلى آخر البيت . وقد تكون كلمتين ، كقول امرئ القيس :

مكر مفر مقبل مدبر معاً　　　كجلمود صخر حطه السيل من عل

فالقافية من قوله « من » إلى آخر البيت . وقد تكون كلمتين و بعض أخرى ، كقول الشاعر :

* قد جبر الدين الإله فجبر *

فالقافية من اللام الثانية فى « الإله » . فهذا بعض كلمة ، ثم « الفاء » ثم « جبر » .

(٣) وهكذا هى عند الخليل ، إلا أنه جعل مكان « الروى » القافية . ومكان «الوصل» الصلة . وكان الخليل يسمى الكلمة التى فيها القافية الضرب والروى . (انظر كتاب تلقيب القوافى والحركات لأبى الحسن محمد بن أحمد بن كيسان . ص ٤٨ و ٥٤ طبعة ليدن ١٨٥٩) .

فأمّا الروى(١) فأَثْبَتُ حروف البيت ، وعليه تُبنى المنظومات ، وهو يكون من أى حروف المُعجم وَقَع ، إلّا حُروفاً تَضْعُف ولا تَثبُت ، كألف الترنُّم وواوه ويائه وهاء الوقف وها آت التأنيث، إذا كان ما قبلها متحرِّكا ، والألف التى تلحق للتثنية فى مثـــل « ضربا » و « ذهبا » ، والواو التى تدل على الجمع إذا كان مضموماً ما قبلها فى مثال « ضربُوا » و « قتلُوا » ، وغير ذلك من الحروف . فإن اتفق غير ما ذكرت فهو شاذّ مرفوض(٢) .

---

(١) قيل إنه من الروية ، وهى الفكرة ، لأن الشاعر يتفكر فيه ، فهو فعيل بمعنى مفعول . كما قيل إنه من الرواء ، بالكسر والمد ، وهو الحبل الذى يضم به شىء إلى شىء ، إذ هو يضم أجزاء البيت ويصل بعضها ببعض ، فهو فعيل بمعنى فاعل .

(٢) جميع حروف المعجم يصح أن تكون رويا إلا سبعة أحرف فى مواضع : الحرف الأول : الألف فى خمسة مواضع ، أولها أن تكون ضمير التثنية نحو : قاما ، واضربا ، فهى وصل لا روى ، والروى ما قبلها. وجوز بعضهم أن تكون ألف التثنية رويا . قال ابن جنى : وهو شاذ فى الاستعمال . وثانيها أن تكون لبيان حركة الكلمة ، كما فى قول الشاعر :

فقالت صدقت ولكننى أردت أعرفها من أنا

وثالثها : أن تكون للإطلاق ، وتسمى ألف الترنم وألف الإشباع ، كقول جرير :

أقلى اللوم عاذل والعتابا وقولى إن أصبت لقد أصابا

على روايته بالألف لا بالنون :

ورابعها : المبدلة من تنوين المنصوب وقفاً ، وعن نون التوكيد الخفيفة ، نحو : رأيت زيدا .

ونحو : * ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا *

وخامسها : أن تكون لاحقة لضمير الغائب ، كقول أمية بن أبى الصلت :

يوشك من فر من منيتــه فى بعض غراته يوافقها

فالألف هنا خروج والهاء وصل .

وأما الألف الأصلية وتسمى المقصورة ، كألف : إذا ومتى والعصا والرضى ورمى، والألف الزائدة للتأنيث ، نحو : ذكرى ، أو للإلحاق نحو : أرطى ، فإن شئت جعلتها وصلا ولزمت الحرف الذى قبلها رويا ، وإن شئت جعلتها رويا .

والرويّ له ثلاث منازل : يكون آخر حرف فى الشعر المُقيَّد ،

وثانى الحروف الياء ، ولها ثلاثة مواضع : أولها أن تكون للإطلاق ، وتسمى ياء الترنم والإشباع ، وحينئذ لا يكون ما قبلها إلا مكسوراً ، كقول امرئ القيس :

* كما زلت الصفواء بالمتنزل *

وثانيها أن تكون ضمير المتكلم ، أو ياء المخاطبة مكسوراً ما قبلها ، نحو : غلامى واضربى .

وثالثها أن تكون لاحقة للضمير وهو مكسور ، نحو : مررت بهى . وهى هنا خروج ، والضمير قبلها وصل .

وأما ياء النسب فإن كانت ثقيلة لم تكن إلا رويا ، وتكون بمنزلة حرف واحد ، وإن كانت خفيفة تخيرت فيها بين جعلها وصلا ولزمت ما قبلها ، و بين جعلها رويا .

وثالث الحروف الواو ، ولايصح أن تكون رويا فى ثلاثة مواضع : أولها أن تكون للإطلاق ، وتسمى واو الترنم وواو الإشباع . ولايكون ما قبلها حينئذ إلا مضموماً ، كما فى قول جرير :

* سقيت الغيث أيتها الخيامو *

فهذه الواو وصل .

وثانيها أن تكون ضمير جمع مضموماً ما قبلها ، كما فى نحو : ضربوا ، واضربوا . فهى وصل . وقال ابن السراج : قد تجعل واو نحو : « اضربوا » رويا . واستدل على ذلك بقول مروان بن الحكم :

وهل نحن إلا مثل من كان قبلنا نموت كما ماتوا ونحيا كما حيوا

وينقص منا كل يوم وليـــلة ولا بد أن نلقى من الأمر ما لقوا

وثالثها أن تكون لاحقة للضمير ، نحو : ضربتهمو ، وكلهمو . فهى وصل لا روى .

ورابع الحروف وخامسها : التنوين ونون التوكيد الخفيفة ، فهذان لا يكونان رويين بل ولا وصلين .

الحرف السادس : الهاء ، ولها ثلاثة مواضع :

أحدها أن تكون للسكت ، وهى التى تتبين بها الحركة ، نحو : ارمه ، واغزه ، وفيمه ، ولمه ، كقول الشاعر :

بالفاضلين أولى النهى فى كل أمر فاقتده

فهذه الهاء وصل .

الثانى أن تكون ضميراً متحركاً ما قبلها ، مخففاً كان أو مثقلا ، سواء تحركت أو سكنت ، كقول زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرى أفراس الصبـــا ورواحله

فهذه الهاء وصل .

والثالث أن تكون منقلبة عن تاء التأنيث محركاً ما قبلها ، ويقال لها هاء التأنيث ، كقول الشاعر :

ولا ينكسر هذا القياس فى رأى المتقدمين[١]، ويكون بينه وبين انقضاء البيت حرفٌ أو حرفان، وذلك فى الشعر المطلق.

والذى بين رويّه وبين انقضاء وزنه حرف واحد فإنما تجىء بعد رويّه الصلةُ لا غير؛ وهى تكون أحد أربعة أحرف: الألف والواو والياء والهاء[٢]، و[لا] تكون الأحرف الأخرى.

وأما الذى يقع بعد رويّه حرفان فهو ما تحرّكت هاء وصْله فلزمها الْخُروج، كقوله:

ثلاثة ليس لهـــا رابع المـــاء والبستان والخمره

فالها، هنا وصل.

وسابع الحروف همز الوقف، أى الهمز الذى يبدل فى لغة من الألف وقفاً، نحو: رأيت رجلاً. فهى ليست رويا ولا وصلا.

(١) ومنه قول طرفة:

أصحوت اليوم أم شاقتك هر ومن الحب جنون مستعـــر

(٢) فمما صلته الواو قول زهير:

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا وزودوك اشتياقاً أية سلكـــوا

فالروى الكاف والواو صلة.

ومما صلته الألف قول زهير أيضاً:

إن الخليط أجد البـــين فانفرقا وعلق القلب من أسماء ما علقا

فالروى القاف والألف صلة.

ومما صلته الياء قول عنترة:

يا دار عبلة بالجواء تكلمى وعمى صباحاً دار عبلة واسلمى

فالروى الميم والياء صلة.

ومما صلته الهاء قول لبيد:

نحن بنو أم البنين الأربعه الضاربون الهام تحت الخيضعه

فالعين روى والهاء صلة.

فى ليلة لا تَرى بها أحداً يَحْكِى علينا إلاّ كواكبُها

فالباء هى الروىّ ، والهاء وصْل ، والألف خروج .

وأما التأسيس فألف بينها وبين حرف الروىّ حرف يسمى الدَّخِيل ولا تَلزم إعادته[1] كما تلزم إعادة الروىّ . والتأسيس كقول القائل :

ألا يا ديارَ الحىِّ بالأخْضَرِ اُسْلَمِى وليس على الأيَّام والدهرِ سالِمُ

فألف « سالم » تأسيس ، واللام دخيل ، والميم روىّ .

وألف التأسيس على ضربين : أحدهما أن تكون هى والروىّ من نفس الكلمة ، كألف « عالم » و « مالك » . أو يكون الروىّ ضميراً مُتَّصلا فيجرى مجرى حرف الكلمة الأصيلة ، كالكاف فى « دارك » و « غلامك » ؛ والآخر أن تكون الألف من كلمة والروىّ من كلمة أخرى .

فإذا اختلف الروىّ والتأسيس وكانا من كلمتين، فإنّ الثانية التى فيها الروىّ لا تخلو من أحد أمرين : إما أن تكون مضمرًا منفصلا مثل : هما ، وهو ، وهى ؛ وإما أن تكون مبنية من ضمير متصل وحرف .

فالأول كقول زُهَير :

فأينَ الذين يَحضُرُون جِفَانَه إذا وُضِعتْ ألقَوْا عليها المَراسِيَا

ثم قال :

---

(١) يعنى أنه لا يكون حرفاً واحداً كالروى .

رأيتهمُ لم يدفعوا[١] بنفوسهم منيَّته لما رأوا أنها هِيَا

فألف «أنها» تأسيس ، والهاء من « هى » دخيل ، «والياء» روىّ.

والثانى كقول زهير أيضاً :

بَدَا لِيَ أنّ الله حقٌّ فزادَنى إلى الحقّ تقوى الله ما قَدْ بدَا لِيَا

وفى القصيدة : « جائيا » و « ناجيا » .

وإذا كان التأسيس منفصلا جاز أن تُجعل لَغْوًا . فلو بَنَيْتَ قصيدة قوافيها « معطيا » و « مُوليا » ثم جاء فيها « بدا ليا » لكان ذلك عند أهل العلم جائزًا ، وذلك قليل فى الاستعمال . وكذلك لو بَنَيْتَ أخرى قوافيها « منعما » و « مكرما » لجاز أن يجىء فيها « كما هما » على أن تجعل الألف فى « كما » لغواً . فإذا كانت الألف فى كلمة وبعدها كلمة ، ليست كما تقدّم ذكره ، فإنها لا تجعل تأسيساً ، كما قال العجّاج :

فهنّ يَعْكُفْن به إذا حَجا عَكْفَ النَّبِيطِ يَلْعبون الفَنْزَجا[٢]

فألف « إذا » ليست ألف تأسيس ، لأن « حجا » ليست كلمة مضمرة ولا فيها حرفُ إضمار . فهذا رأى المتقدمين . ولا يمتنع فى حكم

---

(١) فى الديوان : « لم يشركوا »

(٢) الفنزج : النزوان . قال ابن منظور : وقيل : هو اللعب الذى يقال له : الدستبند ، يعنى به رقص المجوس . وقال الجوهرى : هو رقص العجم إذا أخذ بعضهم يد بعض وهم يرقصون : وعن ابن الأعرابى : أن الفنزج هو لعب النبيط إذا بطروا .

الغريزة أن تكون الألف تأسيساً وبعدها كلمة ليس فيها إضمار، مثل: « شِمْ » و « طِرْ ».

ومن الأبيات الموضوعات للمعانى :

أقولُ لعبد الله لَما سِقاؤنا ونحن بوادِى عَبْد شَمْس وهاشِمِ

فهذا أَلْغز قولَه « وهى شِمِ » «وهى » ، من الوَهْى ؛ و« شِمِ » من شيم البرق ، عن قوله « وهاشم » إذا كان هاشم اسم رجل . فلو جاءت بعد ذلك « الخضارم » و « الأكارم » و « دائم » ونحوها لكان عندى غير قبيح . ويقوِّيه أن شين « شم » مكسورة .

والغالب على ألفات التأسيس أن يكون ما بعدها مكسورًا ، فقد أُلِف فيها هذا النوع حتى صار كأنه لازم ، وقلما توجد قصيدة مؤسسة يكون ما بعد تأسيسها مضموماً أو مفتوحًا ، إلا أن تكون قد بُنيت على المضمر ، مثل قولك « رآهما » و « أتاهما » كما قال :

أَلم تَر أَنِّى وابْنَ أَسودَ لَيْلةً لَنَسرِى إلى نارَيْن يَبْدو سَنَاهُما

ومن عاداتهم إذا بنوا القصيدة على هذا القَرِىّ[1] أن يلزموا فيها المُضْمر ، إلا أن يشذّ شىء فيجىء على غير الإضمار أو تكون القصيدة المؤسسة التى بعد تأسيسها فتحة مبنية على كاف إضمار ، مثل أن تبنى على « أصابك » و « أشابك » ونحو ذلك .

---

(١) القرى : السنن والنهج . قال ابن الأعرابى : تنح عن سنن الطريق وقريه وقرقه ، بمعنى واحد .

والتأسيس له ثلاث منازل ، فالأولى أن يكون بينه وبين انقضاء البيت حرفان ، وذلك فى الشعر المقيَّد كقوله :

نَهْنِهْ دُموعك إنّ مَن   يَبْكى من الْحَدَثانِ عاجِزْ

والثانية أن يكون بين التأسيس وبين انقضاء البيت ثلاثة أحرف ، وذلك فى الشعر المطلق الذى لا يلزمه خروج ، كقوله :

يُدِيرونَنى عن سَالمٍ وأُديرهم   وجِلْدةُ بين العَيْنِ والأَنْفِ سالِمُ[1]

فألف « سالم » تأسيس ، واللام دخيل ، والميم روىّ ، والواو التى بعد الميم وصل .

والثالثة أن يكون بين حرف التأسيس وبين انقضاء البيت أربعة أحرف ، وذلك فى الشعر الذى يلزمه الخروج كقوله :

يُوشك من فَرّ مِنْ مَنِيَّته   فى بعض غِرّاته يُوافقها[2]

وأَما الردف فألفٌ ، أو واوٌ أو ياءٌ ساكنتان تكونان قبل الروىّ ، ولا حاجز بينهن وبينه . فأما الألف فلا يكون ما قبلها إلَّا مفتوحًا . وأمّا الواو والياء فيجوز أن تختلف حركات ما قبلهما ، وهما فى ذلك رِدفان .

---

(١) البيت لعبد الله بن عمر فى ابنه سالم . ويروى : « وأرينهم » مكان « وأديرهم » . ويقال للجلدة التى بين العين والأنف « سالم » . جعل ابنه لمحبته إياه بمنزلة هذه الجلدة .

(٢) البيت لأمية بن أبى الصلت .

وللردف ثلاث منازل ، إما أن يكون بينه وبين انقضاء البيت حرف واحد ، وذلك فى الشعر المقيَّد ، كقول طرفة :

وجاملٍ خَوَّعَ من نِيبِه   زَجْرُ المعلَّى أُصُلًا والمَنِيح[1]

فالياء فى « المنيح » ردف . وكذلك الواو فى قول الراجز[2] :

هل تعرف الدار بأعلى ذى القُور   قد درستْ غيرْ رماد مَكْفُور[3]

---

(١) الجامل : الجمال . وقيل : هى قطيع من الإبل معها رعيانها وأربابها ، كالبقر والباقر . قال الحطيئة :

فإن تك ذا مال كثير فإنهم   لهم جامل ما يهدأ الليل سامره

أراد بالسامر: الرعاة لكثرتهم لا ينامون . وقيل: الجامل جماعة من الإبل تقع على الذكور والإناث ، فإذا قلت : الجمال والجمالة ، فى الذكور خاصة . وروى أبو الهيثم عن أعرابى أن الجامل الحى العظيم ، وأنكر أن يكون الجامل الجمال ، وأنشد :

* وجامل حوم يروح عكره *

ثم قال : ولم يصنع الأعرابى شيئاً فى إنكاره أن الجامل: الجمال . وقال الأزهرى ، وأما قول طرفة :

وجامل خوع (البيت)

فإنه دل على أن الجامل يجمع الجمال والنوق ، لأن النيب إناث ، واحدتها ناب .

وخوع : نقص ، لازم ومتعد ، والمراد هنا على الثانى . ويروى : « وخوف » والمعنى واحد ، كما يروى « من نبته » مكان « من نيبه » أى من نسله. والمعلى ، بفتح اللام : القدح السابع فى الميسر ، وهو أفضلها ، إذا فاز حاز سبعة أنصباء من الجزور . والمنيح : القدح المستعار ، وقيل هو الثامن من قداح الميسر . وقال اللحيانى : هو الثالث من القداح الغفل التى ليست لها فرض ولا أنصباء ولا عليها غرم ، وإنما تثقل بها القداح كراهية التهمة ، وهى أربعة : المصدر ثم المضعف ثم المنيح ثم السفيح . ويروى بيت طرفة أيضاً « بالسفيح » مكان « المنيح » . يعنى ما ينحر فى الميسر منها .

(٢) هو منظور بن مرثد الأسدى.

(٣) كذا فى اللسان « قور » . والقور : جمع قارة ، وتجمع أيضا على قار وقيران . وهى الصخرة السوداء ، وقيل : العظيمة أصغر من الجبل . كما قيل هى الجبيل الصغير الأسود المنفرد شبه الأكمة . وقوله: بأعلى ذى القور ، أى بأعلى المكان الذى بالقور . « ودرست =

فالواو فى « قور » و « مكفور » ردف ، وليس بعدهما من بناء البيت إلا حرف واحد . وكذلك يجوز أن يقع ما قبل الياء والواو الفتحةُ فى الشعر المقيَّد ، « فالواو » كقول الراجز :

ما لَكَ لا تَنبَح يا كَلْبَ الدَّوْم[1] بعد هُدوء الحىّ أصوات القَوْم

قد كُنت نبَّاحًا فما لك اليَوْم

والياء كقول الآخر :

يمنعها شيخٌ بخدَّيْه الشَّيْب لا يَحذَر الرَّيْب إذا خيف الرَّيْب

والألف فى المُقيَّد كقوله :

ما هاج حسَّانَ رُسُومُ المَقَامْ ومَظْعن الحىّ ومَبْنى الخِيامْ

وإمَّا أن يكون بين الردف وبين انقضاء البيت حرفان ، وذلك فى الشعر المُطلق الذى لا خروج له ، كقوله :

= . . إلخ » أى قد درست معالم الدار إلا رماداً مكفوراً ، وهو الذى سفت عليه الريح التراب فغطاه وكفره .

(١) الدوم : شجر المقل ، وهو من ضخام الشجر ، الواحدة دومة . وقال أبو حنيفة : الدومة تعبل وتسمو ولها خوص كخوص النخل وتخرج أقناء كأقناء النخلة . وقال أبو زياد الأعرابى : إن من العرب من يسمى النبق دوماً . وقال ابن الأعرابى : الدوم : ضخام الشجر ما كان . ومنه قول الشاعر :

زجرنا الهر تحت ظلال دوم ونقبن العوارض بالعيون

تَقُوه أيها الفِتْيانُ إنِّى رأيتُ اللهَ قد غلبَ الجُدودا[١]

وكقوله فى الواو المفتوح ما قبلها :

ومَشْيُهُنَّ بالخَبيب مَوْرُ كما تهادَى الفتياتُ الزَّوْرُ[٢]

وكقوله فى الألف :

أقلّى اللَّوم عاذِلَ والعِتَابَا[٣]

وكقوله فى الياء المكسور ما قبلها :

بَصْبَصْنَ بالأَذناب إِذْ حُدِينا[٤]

وكقوله فى الياء المفتوح ما قبلها :

---

(١) تقاه يتقيه ، مثل اتقاه يتقيه . وتقول فى الأمر : تق ، وللمرأة تقى . قال عبد الله ابن همام السلولى :

زيادتنــا نعمان لا تنسينها تق الله فينا والكتاب الذى تتلو

(٢) الخبيب : جمع خبيبة ، وهى من الرمل كهيئة الفالق والطريقة غير أنها أوسع وأشد انتشاراً وليست لها جرفة . وقيل : الخبيب والخبيبة ، واحد : بطن الوادى والخد فى الأرض . والمور : الذهاب والمجىء فى تردد . والزور : الذى يزورك ، رجل زور ، وقوم زور ، وامرأة زور ، ونساء زور ، يكون للواحد والجميع والمذكر والمؤنث بلفظ واحدا ؛ لأنه مصدر . وروى ابن منظور البيت مادة زور :

« ومشيهن بالكثيب . . . »

(٣) البيت لجرير — وعجزه : « وقولى إن أصبت لقد أصابا »

(٤) البصبصة : تحريك الذنب . قال الأصمعى : ومن أمثالهم : فى فرار الجبان وخضوعه : بصبصن إذ حدين بالأذناب .

أَيا سحابُ طَرِّقِي بخَيْرِ (١)

وإمّا أن يكون بينه وبين انقضاء البيت ثلاثة أحرف ، وذلك فى الشعر الذى له خروج ، ولا بُدَّ قبل خروجه من الهاء المتحركة ، كقول كُثيِّر :

فلم تُبْدِ لى يأساً ففى اليأس رَحْمةٌ ولم تُبْدِ لى جُوداً فَيَنفع جُودها

ويجوز أن يكون الرِّدف والرويّ من كلمة واحدة ، ويجوز أن يكونا من كلمتين ، لا اختلاف فى ذلك بين المتكلِّمين فى هذه الأشياء . فكونُهما من كلمة واحدة ، كقول الراجز :

إن القُبور تُنْكِح الأيامَى (٢) وتُثكل الأصاغِر اليتامَى

والمرء لا يبقى له سُلامَى (٣)

فالألف الأولى فى « الأَيامى » و « اليتامى » و « السلامى » ردف . والميم روى . والألف الثانية ، التى هى فى اللفظ ألف ، وبعض الكتاب

---

(١) سحاب : مرخم « سحابة » اسم امرأة . وتطريق المرأة وكل حامل : إذا خرج من الولد نصفه ثم نشب . فيقال : طرقت ثم خلصت . ومنه فى الداهية :

* قد طرقت ببكرها أم طبق *

(٢) الإنكاح : التزويج .

(٣) السلامى : جمع سلامية ، وهى الأنملة من الأصابع ، وقيل : واحده وجمعه سواء . وقيل : السلامى : كل عظم مجوف .

يصورها ياء، تكون فى هذا الشعر وصلا. ويجوز أن تجىء معها بمثل قولك: «إذا ما» و «على ما» فيكون الردف والروى من كلمتين. ولا يمتنع أن يكون معها «سلاما» و «غلاما» فتكون ألف الوصل بدلا من التنوين، والتنوين ليس من نفس البِنْيَة. قال بشر بن أبى خازم:

فَسَعْداً فسائلْهُمُ والرِّبابَ وسائلْ هوازِنَ عنّا إذامَا
لَقِيناهمُ كيف نُعْلِيهمُ بَواتِرَ يَفْرِين بِيْضاً وهامَا

وكذلك يجوز فى المرفوعات أن تجىء بقافية على قولك «يا دُو» أى يختل، وتكون الهمزة مخففة لتكون ردفا، ثم تقول: «أَلَا دُوا»، تريد: «دُوا» من الدية. ثم يجوز مع ذلك «يعاد» من العيادة، على أن تُلحقه واوَ الترنّم.

والوصل يكون واواً أو ياء أو ألفا أو هاء. فالياء والواو والألف لهن منزلة واحدة يكنّ فى آخر البيت، وطالما حُذفن فى الوقف. فالواو كقول الشاعر[1]:

أَرى كُلَّ قوم قارَبوا قَيْدَ فَحْلهم ونحن خلعنا قَيْده فهو سارِبُ[2]

---

(١) هو الأخنس بن شهاب التغلبى.

(٢) السارب: الذى اتجه للمرعى. وقال الأصمعى فى هذا البيت: هذا مثل، يريد أن الناس أقاموا فى موضع واحد لا يجترئن على النقلة إلى غيره. وقاربوا قيد فحلهم، أى حبسوا فحلهم عن أن يتقدم، فتتبعه إبلهم، خوفاً أن يغار عليها. ونحن أعزاء نقترى الأرض نذهب فيها حيث شئنا، فنحن قد خلعنا قيد فحلنا ليذهب حيث شاء، فحيثما نزع إلى غيث تبعناه.

والياء كقوله :

إذا قلتُ يا قد حَلّ دَيْنى قَضَيْتنى أَمانِىَّ عند الزَّاهِرات العَواتِم[١]

والألف كقول لَبيد :

لَعِبْتُ على أكتافهم وحُجورهم وَليداً وسَمَّوْنى مُفِيداً وعاصِما

والهاء إذا كانت ساكنةً فمَنزلتها كمنزلة هذه الحروف . وذلك كقول جرير :

لَنَا كلُّ مَشْبوبٍ يُروَّى بكفِّهِ غِرارَا سِنانٍ دَيْلمىٍّ وعامِلُه[٢]

فالهاء وصل .

وإذا كان الوصل متحركا فبينه وبين انقضاء البيت حرف ساكن ، وهو الذى يسمَّى الُخروج ، يكون واواً أو ياء أو ألفا . فالواو كقول الشاعر :

يَنْزو عليها بَحْزَجٌ لقِحتْ منه وشرُّ الخلق بحزجُه[٣]

والياء كقول أَبى النَّجم :

فانقضَّ مثلَ النَّجم من سمائِهِ رَجْمٌ به الشَّيطانُ فى ظلمائه

---

(١) الزاهرات العواتم ، هى نجوم الشتاء ، التى تظلم من الغبرة التى فى السماء ، وذلك فى الجدب . أى إنه غير موفٍ دينه إذ كان الجدب أجله .

(٢) رجل مشبوب : جميل حسن الوجه ، وقيل هو الذكى الفؤاد الشهم . وغرار السنان : حده . وفى الديوان : « جناحا سنان » . وعامل السنان : صدره .

(٣) البحزج : من الناس القصير العظيم البطن .

والألف كقول عديّ :

لم أَرَ مِثلَ الفِتيان فى غِيَرِ الْ أَيّام يَدْرُون ما عَواقِبُها

ولا يكون الخروج آخر حرف فى البيت .

فهذه خمسة أَحرف لهن اْثنتا عشرةَ منزلةً : للروى ثلاث ، وللتأسيس ثلاث ، وللرِّدف ثلاث ، وللوصل اْثنتان ، وللخروج واحدة . فإذا جاء بيت مؤسَّس وبيت غير مؤسَّس فذلك عيبٌ ، يزعمون أَنّه يسمى « السِّناد » ، وهو قليل . وقد زعموا أَنَّ العَجّاج قال :

يا دارَ سَلْمى يا اْسلمى ثُمَّ اسْلَمِى بسَمْسَمٍ أَو عن يمين سَمسَمِ (١)

وقال فيها :

خِندفُ هامةُ هذا العالم

ورووْا أَنَّ رُوْبَة كان يَعيب هذا من كلام أَبيه . وحَكَى يُونس أَنَّ العجَّاج كان يهمز « العالم » ، فإن صحَّ هذا فلا سناد فى البيت .

ويحسن مِن السناد، الذى يجىء فى المُطَلَق المؤَسَّس ،أَن تكون حركة الدخيلِ فتحة ، لأنّه يَقرُب بذلك من المجرّد . والمجرد : الذى لا يلزمُه إلّا الرَّوِىّ والوصل إذا كان مُطْلَقا ، والرّوِىّ وحدَه إذا كان مقيّدا .

(١) سمسم : اسم موضع . وخندف : امرأة إلياس بن مضر بن نزار واسمها ليلى ، وإليها نسب ولد إلياس .

وفى مجىء الفتحة بعد التأسيس ما يُخرج السامعَ عن العادة ، لأنّ أَكثر ما أُسِّس من أَشعار العرب إنّما يكون بعد أَلفه كسرة ، كـ « حامل » و « راسم » .

وفى قصيدة العجّاج :

مُكَرَّمٍ للأَنبياء خاتَمِ

فإن رُوِى بكسر التاء فهو أَشنع ، وإن رُوى بفتحها فهو أَسهل ، وإن هُمز فقد خرج من علّة السناد .

وإذا جاء بيت بردفٍ وبيت لا ردفَ فيه ، فذلك سناد أَيضاً ، مثل أَن يجىء « الصَّرْف » مع « الطَّوْف » و « القَيل » مع « القَوْل » .

وقد رُوى أَنَّ الُحطيئة قال :

إلى الرُّوم والأُحبوش حتى تناولا ... بأيديهما مالَ المرازبة الغُلْفِ[1]

وبالطَّوف نالا خيرَ ما نالَه الفتى ... وما المرء إلا بالتقلُّب والطَّوفِ[2]

فجاء بـ « الطوف » مع « الغلف » . وإنما يستعملون هذا فى الواو التى قبلها فتحة ، أَو الياء التى ما قبلها مفتوح أَيضاً . فإذا انضمَّ ما قبل الواو وانكسر ما قبل الياء كَمَل فيهما اللين . واستقبحوا أَن يجيئوا

---

(١) المرازبة ، معرب ، الواحد مرزبان ، بضم الزاى ، من الفرس ، وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك . وفى الحديث : أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم . والغلف : جمع أغلف ، وهو الذى لم تقطع غرلته ، أى لم يختتن .

(٢) الطوف : المصدر من طاف يطوف ، إذ جال وسعى .

بهما مع الحروف المُصمتة ، مثل أَن يجيئوا بـ « عود » مع « جُند » و « زَند » ، أَو بـ « عِير » مع « سِتْر » و« فِتْر » .

فأمّا الأبيات التى تُنسَب إلى الكاهنة التى لها حديث مع عبد الله بن عبد المُطلب ، أَعنى قولَها :

إنِّى رأَيتُ غَمامةً بَرَقت بيضاءَ بين حَناتم القَطْرِ[1]

وظننتُه شَرفًا لصاحبِهِ ما كلُّ قادحِ زندِه يُورِى

فإن الواو قوِيَتْ لأنّ بعد الراء ياء أَصليّة يجوز أَن تُجعل رويًّا ، ولا يمتنع أن تكون لغة الكاهنة الهمز ، على لغة من قال « مُؤْسَى » فهمز الواو لمجاورة الضمة ، كما يهمزها إذا كانت الضمة فيها موجودة .

وقد يجوز أن تكون من باب السناد . فإن صحّ فهو أشنع ما يكون .

وإذا اختلف الروى فكان مرةً دالا ، ومرة ذالا أو سينا وشينا ، أو نحو ذلك من الحروف المتقاربة ، فهو الذى يُسمى الإكفاء . قال الراجز :

قد علِمت بِيضٌ يَمِسْنَ مَيْسا ألَّا أزال قُفَّةً ورَيْشَا

حتى قتلت بالكَريم جَيْشَا

وأما الوصل فإذا اختلف ، فكان مرة واوا ومرة ياء ، فذلك الإقواء .

---

(١) الحناتم : سحائب سود ، الواحدة حنتمة .

وأمَّا هاء الوصل إذا كانت ساكنة فإنّها لا تحتمل أن تُغيَّر ، وإذا كانت متحركة فقلّما يلحقها التغيير .

وزعم أبو عُمَر الجرْمىّ أنّه لم يسمعه ، وإن جاء فهو نحو الإقواء .

وأما الخروج فتغيُّره متعلّق بتغيّر هاء الوصل ، لأنّه لا يوجد إلّا وهى متحركة ، فإن جاء فهو نحو الإقواء .

وأمّا الحركات ، فمنها « الرسّ » وهى فتحة ما قبل التأسيس ، وقد ذكرها الخليلُ وابنُ مَسْعدة . وكان الجرمىّ يقول : لا حاجة إلى ذكر الرسّ ، لأنَّ ما قبل الألف لا يكون إلّا مفتوحاً . وهذا قولٌ حسن ، إذا كانوا إنّما أوقعوا التسمية عَلَى ما تلزم إعادته ، فإذا فُقِد أخَلَّ . وهذه حركة لا يجوز عندهم أن تكون غيرَ الفتحة ، ولا حاجة إلى ذكرها فيما يلزم .

ومن الحركات « الإشباع » وهو حركة الحرف الذى بين ألف التأسيس وحرف الروىّ فى الشعر المطلق ، وذلك الحرف يسمى « الدَّخيل » . ويقال إنَّ الخليل لم يذكر الإشباع ، وإن سعيد بن مَسعدة ذَكَره ، فيجوز أن يكون اُسماً وضعه ويجوز أن يكون تلقَّاه عمّن قبله من أهل العلم .

وقد رُئِى فى القوافى كتابٌ للفرّاء ، وكتاب لَخلَف بن حيّان ، فإن لم يَخْلُوَا من ذكر الإشباع فهذا يدلُّ على أن سَعيد بن مَسعدة أخذ هذا الاُسم عن غيره ، إذ كان هذان الرجلان فى القِدم نظيرَه ، ويجب

أن يكون « خلفٌ » مات قبله بمدة طويلة ، فأمّا موتُه وموت الفراء فمُتقاربان . وهذه الأسماء الموضوعة لا يَعقِل مثلَها سُكّانُ العمَد . فإن كانت تُلقِّيت عن العرب فيجب أن يكون مَن أُخِذ عنه ذلك يَعرف حروف المُعجم ، ويقرأ الصحف . وقد كان فيهم رجال يقرءون ويكتبون ، ويعرفون مواقع الحروف .

وقد ذكر أبو عُبيد القاسم بن سلّام فى المصنَّف ، باباً للقوافى ، وأسند بعض ألقابها عن الشيوخ . فهذا يدل على أنه كان يعتقد أنها مأخوذة عن العرب كما تُؤخذ عنهم اللغة . فإن كان الأمر على ما ذهب إليه فيحق أنْ يكون المأخوذُ عنه متميِّزا من الطَّغَام ، لا يَجهل منزلةَ الميم من النون ، ولا الباء من الفاء .

وقد توسع الذين وضَعوا كتب القوافى فى الإشباع حتَّى جعلوه حركةَ ما قبل الروىّ فى الشعر المطلق ، وإن كان غير مؤسّس ، فقالوا فى قولِ الأخطل :

عفا واسطٌ من آل رَضْوى فنَبْتَل ... فمُجتَمع الحُرَّين فالصَّبرُ أجملُ[١]

فتحة التاء فى « نبتل » ، والميم فى « أجمل » إشباع . ولا يحسن أن يكون الأمر كذلك ، لأن هذه الحركة ليست لازمة ، ولا يُنكِر

---

(١) واسط : قرية بالخابور . ورضوى ونبتل : بالشام . والحران : واديان .

تغيُّرَها السمع ، وإنّما تُنكر الغريزةُ تغيُّرَ حركةِ الدخيل ، وإذا أصابها التَّغير فهو سِناد .

وأكثر ما جاءت حركة الدَّخيل كسرة ، فإذا جاءت الضمة أو الفتحة فذلك هو المكروه ، والضمة مع الكسرة أيسر ؛ لأنَّهما أختان ، والفتحة معهما أشنع . ويدُلك على ذلك أنَّ مجيئهم بالضمة مع الكسرة أكثر من مجيئهم بالفتحة مع إحدى الحركتين . وقد جاء النابغة بالضمة مع الكسرة ، فى غير موضع من شعره ، فقال فى العينيّة :

* يُرِدْن إلالًا سيرُهنَّ تدافُع *

فضمّ الفاء ، وحركةُ الدخيل مكسورة فى كل أبيات القصيدة ، سوى هذا البيت . وقال فى اللامية التى أولها

« دعاكَ الهوى واستجهلتْك المنازلُ
وكيف تَصابِى المرءِ والشيبُ شاملُ » :

سُجوداً له غَسّانُ يَرجُون فَضلَه
وتُركٌ ورهطُ الأعجمِين وكابُلُ

وقال أيضاً فى أخرى :

لقد قلتُ للنُّعمان لَمّا رأيتُه ... يُريد بنى حُنَّ بثُغرة صادرِ
تَجنَّب بنى حُنّ فإنَّ لقاءَهم ... كريهٌ وإنْ لم تُلْقَ إلَّا بصابر

ثم قال فيها :

هُمُ مَنعوها من قُضاعةَ كلِّها ومن مُضرِ الحمراءِ عند التّغاوُرِ

وقال الهُذلى :

لَعمر أبى عمرٍو لقد ساقه المَنى إلى جَدث يُوزَى له بالأهاضب[1]

وقال فيها :

فلم يَرها الفَرخانِ بعد مَسائها ولم يهدآ فى عُشِّها من تَجاوُبِ

وهو كَثير . والفتحة فى مثل هذا النحو أقل .

وقد زعموا أن ورقاءَ بنَ زُهير قال :

دعانى زُهيرٌ تحتَ كَلْكلِ خالد
فجئتُ إليه كالعَجُول أبادرُ[2]

إلى بَطَلَينِ يَنهضانِ كلاهما
يُحاوِلُ نصلَ السَّيف والنَّصْلُ نادر[3]

فشَلّت يَمينى يوم أَضرِبُ خالداً
ويَمنعُه منِّى الحديدُ المظاهَر[4]

---

(١) المنى : القدر . ويوزى : ينصب . تقول : أوزيت الشيء ، إذا أشخصته ونصبته ، والرواية فى بعض الأصول : « إلى قدر يوزى » .

(٢) الكلكل : الصدر ، وخالد ، هو ابن جعفر الذى قتل زهيراً سيد بنى عبس .

(٣) نادر : ساقط .

(٤) عنى بالحديد هنا : الدرع ، فسمى النوع الذى هو الدرع ، باسم الجنس الذى هو الحديد . والمظاهر ، من التظاهر . وهو أن يلبس إحدى الدرعين فوق الأخرى .

وقد جاءت أشياء من هذا النحو إلّا أنّها أقل من النوع الأول .

ومن الحركات : « الحذو » ، وهو حركة ما قبل الرِّدف ، فإذا كان ألفاً ، فالألف لا يكون ما قبلها إلّا مفتوحاً ، ويلزم أبا عُمَر الجرمىّ ألّا يجعل [حركة ما قبل] الألفَ حذواً ، كما لم يجعل [حركة ما قبل] التأسيس رَسّا . وإذا كان الردف واوا فأكثرُ ما استعمل ما قبلَه [مضموما . وإذا كان ياء فأكثر ما استعمل ما قبله] مكسورا . ويجوز الواو المضموم ما قبلها مع الياء المكسور ما قبلها ، ولا يجتنب ذلك أحدٌ منهم . قال عمرو بن كلثوم :

أَلَا هُبِّى بصَحْنِكِ فاصبَحينا ولا تُبقِى خُمورَ الأندرينا[1]

ثم قال فيها :

ذراعَىْ عَيْطل أدماءَ بِكرٍ تربَّعت الأجارعَ والمُتونا[2]

---

(١) الصحن : القدح لا بالكبير ولا بالصغير . والجمع أصحن وصحان . وقال ابن الأعرابى : أول الأقداح الغمر ، وهو الذى لا يروى الواحد ، ثم القعب يروى الرجل . ثم العس يروى الرفد ، ثم الصحن ، ثم التبن . واصبحينا : اسقينا الصبوح ، وهو ما يشرب بالغداة مما دون القائلة . وأندرين : قرية فى جنوبى حلب بينهما مسيرة يوم للراكب فى طرف البرية ليس بعدها عمارة . قال ياقوت : رهى الآن خرابَ ليس بها إلا بقية الجدران ، وإياها عنى عمرو بن كلثوم بقوله ، ثم ذكر البيت وقال : وهذا مما لا شك فيه . وقد سألت عنه أهل المعرفة من أهل حلب فكل وافق عليه . وقد تكلف جماعة اللغويين لما لم يعرفوا حقيقة اسم هذه القرية وألجأتهم الحيرة إلى أن شرحوا هذه اللفظة من هذا البيت بضروب من الشرح .

(٢) ذراعى ، مفعول للفعل « تريك » فى بيت سابق . والعيطل : الطويلة . يريد ظبية . وقيل هى الطويلة العنق . والأدماء : البيضاء . والبكر : التى لم تلد : ، وقيل : التى ولدت ولداً واحداً. وتربعت : رعت نبت الربيع . والأجارع : جمع أجرع وجرعاء ، وهو من الرمل ما لم يبلغ أن يكون جبلا ، والمتون : جمع متن ، وهو ما غلظ من الأرض .

وجاء بالواو فى غير موضع من القصيدة ، والياءُ عليها أغلب . وقال الُجميح الأسدى :

أمّا إذا حَرَدت حَرْدى فمُجرِية ضَبطاء تمنعُ غِيلا غيرَ مَقْروب[(١)]

وإن يكن حادثٌ يُخشَى فذو عِلَقٍ تَظَلُّ تزْبره من خَشية الذِّيبِ[(٢)]

فضمة راء « مقروب » حذو ، وكذلك كسرة ذال « ذيب » ، ومثل هذا كثير موجود لا يُهجر ولا يعاب .

وإذا انفتح ما قبل الواو حسُن عندهم أن تجىء مع الياء المفتوح ما قبلها ، ولم يرَوْا ذلك عيباً ، كما قال بعض اللُّصوص :

أقلِّى علىَّ اللَّومَ ساحِبةَ الذَّيلِ فلا بُدَّ أن تُستطرد الخيلُ بالخيلِ

ثم قال فيها :

أُصدِّق وَعدِى والوعيدَ كليهما ولا خيْرَ فيمن لا يُرى صادقَ القولِ

ولم يفرِّقوا بين المُقيَّد والمطلق فى مجىء الواو المضموم ما قبلها مع الياء المكسور ما قبلها ، والياءِ التى قبلها فتحة مع الواو التى ما قبلها مفتوح . وأنا أفرِّق بين المطلق والمقيَّد ، وأعدّه فى المقيد أشدّ ؛ لأنّ

---

(١) حردت حردى : قصدت قصدى . والمجرية : ذات الجراء ، وهو جمع جرو . والجرداء : المتساقطة الشعر . والغيل : الأجمة والشجر الملتف . شبه امرأته إذا واثبته باللبؤة التى تمنع غيلها وفيه جراؤها فلا يقرب به أحد ، وهى حين تكون ذات جراء أشرس وأقوى .

(٢) علق : جمع علقة ، بالكسر ، وهوقميص لا كمين له يتخذ للصغير ، وتزبره : تزجره .

الروىّ لا يكون بعده ما يُعتَمد عليه . قال الراجز فى الواو المضموم ما قبلها مع الياء التى قبلها كسرة :

إنْ تَشْربى اليومَ بحَوْضٍ مكسورْ فربَّ حَوْضٍ لكِ ملآنِ السُّورْ
مدوَّرٍ تدويرَ عشِّ العُصفور خيرُ حياضِ الإبل الدّعاثير(١)

فهذا عندى أقبح منه إذا استُعمل فى الشعر المطلق .

وقال الراجز فى الفتحة مع الواو والياء ، والقافيـــةُ مقيّدة ، فى صفة الحرباء :

ملعونةٍ تسلخ عن لون لونْ كأنَّها ملتفة فى بردَيْنْ

وإذا جاءوا بالضمة والكسرة مع الفتحة فذلك عندهم عيب ، وهو من السناد ، ويجب أن يكون فى المقيد أشنع . قال عمرو بن معدى كرب :

تقول ظَعينتى لمـــا رأته شريجاً بين مُبْيض وجَوْنِ(٢)
تراه كالثَّغام يُعَلّ مِسكاً يسوء الفاليات إذا فَلينِى(٣)

---

(١) الدعاثير : ما تهدم من الحياض والجوابى والمراكى ؛ الواحد دعثور . وقيل : الدعثور : يحفر حفراً ولا يبنى إنما يحفره صاحب الأول يوم ورده .

(٢) الظعية : المرأة تكون فى هودجها . ثم كثر ذلك حتى سموا زوجة الرجل ظعينة . وقيل : أكثر ما يقال، «الظعينة» للمرأة الراكبة . والهاء فى « رأته » لشعره . وشريجاً ، أى قد قسم قسمين. والجون : الأسود .

(٣) الثغام : نبت على شكل الحلى ، من مراتع أهل البادية إلا أنه أغلظ منه وأجل عوداً ، يكون فى الجبل ينبت أخضر ثم يبيض إذا يبس . وقال الأزهرى : هو نبات ذو ساق ، جماحته مثل هامة الشيخ . وقال أبو عبيد : هو نبت أبيض الثمر والزهر ، يشبه بياض الشيب به ، ويعل ، أى يطيب مرة بعد مرة ، والفاليات : النساء يبحثن الرأس عن القمل . وفلينى ، أراد « فليننى » بنونين ، فحذف إحداهن استثقالا للجمع بينهما . وقال الأخفش : حذفت النون الأخيرة لأن هذه النون وقاية للفعل وليست باسم .

فهذا لا يكره ، لأن ما قبل الياء والواو فتحة . وقال أيضاً فيها :

لَصلصلةُ اللِّجامِ برأس مُهرٍ أحبُّ إلىَّ من أن تنكحِينى

فكسرة الحاء فى «تنكحينى» سناد .

وأما الألف فلا يَشرَكها غيرُها فى المطلق ولا المقيد .

ومن الحركات « التوجيه » ، وهو حركةُ ما قبل الروىّ فى الشعر المقيّد . وكان الخليل يرى الضَّمة مع الكسرة جائزة ، وينكر معهما الفتحة . وزعموا أنَّه كان يجعله من السناد . وكان سَعيد بن مَسعدة[1] لا يرى ذلك عيباً ، لكثرة ما استعملَه الفصحاء . قال أبو ذؤيب :

عرفتُ الدِّيارَ لأمِّ الرَّهِيــــنِ بين الظُّباء فوَادِى العُشَرْ[2]

أقامت به وابتنت خَيمةً على قَصَبٍ وفُراتِ النَّهَرْ

ثم قال فيها :

فجاء وقد فَصَّلته الجنو بُ عَذْبَ المذاقة بُسراً خَصِرْ[3]

ومثل هذا كثير .

---

(١) هو الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعى البلخى . ويقال إنه هو الذى زاد فى العروض بحر الخبب ، وكان الخليل قد جعل البحور خمسة عشر فأصبحت ستة عشر . وكانت وفاته سنة ٢١٥ من الهجرة .

(٢) قال ابن منظور : « رُهين والرهين : اسمان » ثم أورد بيت أبى ذؤيب هذا . والظباء ، بالضم : واد بتهامة . وعشر : شعب لهذيل يصب من داءة ، وهو جبل يحجز بين نخلتين .

(٣) البسر ، بالضم والفتح : الماء الطرى الحديث العهد بالمطر ساعة ينزل من المزن ، والجمع بسار . والخصر : البارد من كل شىء .

ولم يفرقوا بين المقيد المجرد والمقيد المؤسس ، وهو عندى فى المؤسس أقبح ، لأنه يختلف الحرف بالحركات بين حرفين لازمين . وإذا كان المقيد مجردا لم يكن قبل التوجيه حرف لازم .

ومن المؤسس المقيد الذى اختلفت فيه الحركة قولُ الحطيئة :

هاجَتك أظعانٌ لليلى يوم ناظرةٍ بواكِرْ[1]

ثم قال فيها :

الواهب المائة الصَّفا يَافوقها وَبَر مُظاهَرْ[2]

ومن الحركات « المَجْرَى » وهى حركة حرف الروى ، فإذا اختلفت فهو الإقواء . وأكثر ما يجىء فى المرفوع والمخفوض . ويقال : إنهم اجترؤا على ذلك ، لأنهم يقفون على الروى بالسكون . وإنَّما أجازوا ذلك فى المرفوع والمخفوض ، وكرهوا الفتحة أن تجىء مع الكسرة أو الضمة . فأمَّا الخليل وابن مسعدة فلم يذكراه .

وقد جاءت أشياء فى الشعر القديم بعضُها منصوب وبعضها مرفوع أو مخفوض ، وإنما يحمل ذلك على الوقف ، لأنّه يبعد أن يقول عربىٌّ فصيح له علم بالشعر :

---

(١) ناظرة : جبل من أعلى الشقيق . وقال ابن دريد : موضع أو جبل . وبواكر : مبكرات .

(٢) الصفايا : النوق الكثيرة اللبن ؛ الواحدة صفى . قال سيبويه : ولا يجمع بالألف والتاء . لأن الهاء لم تدخله فى حد الإفراد . والوبر المظاهر : الكث ، كأنه طبقة فوق طبقة .

ألم تغتمض عيناك ليـــلةَ أرمدا وبِتَّ كما بات السليمُ مسهّدَا[١]

فيجىء بالألف ثم يجىء ببيت مرفوع أو مخفوض ، إذ كانت الألف منافية للواو والياء.

وإذا حُكم بالوقف على القافية فلا فرق بين الحركات الثلاث ، على أنّ تعاقب الحركتين الـكسرةِ والضمة أكثرُ من معاقبَة الفتحة لإحدى هاتين. وإنّما يكثر الإقواء إذا كان الوصلُ غيرَ هاء ، فأما إذا كانت الهاء بعد الروى ، وكانت متحركة أو ساكنة ، فإنهم يلزمون فى الروى حالًا واحـدة. وقد جاءت أشياء فى شعر الإسلاميين على اختلاف الروى فى الحركة وبعده الهاء ، كقول عمران الخارجى :

الحمـــد لله الذى يعفو ويشـتدّ انتقامُه

وقال فيها :

فهناك مجزأة بن ثَوْ ر كان أشجعَ من أُسَامه[٢]

---

(١) السليم : اللديغ ، فعيل من السلم ، وهو لدغ الحية. والجمع سلمى ؛ وقيل : هو من السلامة. وإنما ذلك على التفاؤل له بها ، خلافاً لما يحذر عليه منه.

(٢) هو مجزأة بن ثور بن زهير بن كعب. ذكر ابن الأثير أن البخارى ذكره فى الصحابة ، قال : ولم يثبت. وقال المبرد فى الكامل : جعل له عمر رآسة بكر ، فلما أسن فعل عثمان بن عفان ذاك مع ابنه شقيق بن مجزأة. وقتل رحمه الله على تستر هو والبراء بن مالك ، وكانا من أبطال المسلمين. وأسامة : الأسد. وحدث المبرد أن امرأة عمران بن حطان قالت له : أما حلفت أنك لا تكذب فى شعر ؟ فقال لها : أو كان ذاك ؟ قالت : نعم ، قلت ، ثم ذكرت البيت ، وقالت : أيكون رجل أشجع من أسد ؟ فقال لها : ما رأيت أسداً فتح مدينة قط ، ومجزأة بن ثور قد فتح مدينة.

وأشياء نحو هذا كَثيرة .

وروى أَن أَبا عمرو بن العلاء كان يُنشد قولَ الأعشى :

هذا النهارُ بدا لها من همّها ما بالُها بالليل زال زوالُها[1]

فيرفع اللام من « زوالها » والقصيدة معروفة ، واللام فيها كلها مفتوحة .

ومن الحركات : النّفاذ ، وهى حركة الوصل ، كقول لَبيد :

عفت الديار مَحلُّها فمقامُها[2]

وقلما يغيرون هاء الوصل ، وإن جاء من تغييرها شىء فهو نحو الإقواء . ومنازل الحركات اثنتا عشرة منزلة : للرسّ ثلاث : إحداها أَن يكون بينها وبين انقضاء البيت ثلاثة أَحرف : التأسيس ، والدخيل ، والروىّ ؛ وذلك فى الشعر المقيّد .

والثانيـة أن يكون بينها وبين انقضاء البيت أَربعة أَحرف : التأسيس ، والدخيل ، والروىّ ، والوصل ؛ وذلك فى الشعر المُطلق الذى لا تتحرك فيه هاء الصلة .

والثالثة أَن يكون بينها وبين انقضاء البيت خمسة أحرف : التأسيس ، والدخيل ، والروىّ ، وهاء الوصل ، والخروج .

---

(١) البيت من قصيدة فى مدح قيس بن معد يكرب مطلعها :

رحلت سمية غدوة أجمالها غضبى عليك فما تقول بدالها

(٢) عجزه : * بمنى تأبد غولها فرجامها *

وللحذو ثلاث منازل : إحداها أن يكون بينها وبين انقضاء البيت حرفان : الرِّدْف ، والرويّ ، وذلك فى الشعر المقيّد .

والثانية : أن يكون بينها وبين انقضائه ثلاثةُ أحرف : الرِّدف ، والرويّ ، والوصل ، وذلك فى الشعر المطلق الذى ليست فيه هاء وصل متحركة .

والثالثة : أن يكون بينها وبين انقضائه أربعة أحرف : الرِّدف ، والرويّ ، وهاء الوصل ، والخروج ، وذلك فى الشعر الذى تتحرك هاء وصله .

وللإشباع منزلتان : إحداهما أن يكون بينها وبين انقضاء البيت حرفان : الرويّ ، والوصل ، وذلك فى الشعر الذى ليس فيه وصلٌ متحرك .

والثانية : أن يكون بينها وبين انقضائه ثلاثةُ أحرف : الرويّ ، والوصل ، والخروج .

والحركة عند النحويين بعد الحرف ، فلذلك لم أذكر أنّ الدخيل فيها يحجز بينها وبين انقضاء البيت .

والتوجيه ، له منزلة واحدة ، وهى أن تكون قبل انقضاء البيت بحرف ، لأنَّها لا تكون إلَّا فى المقيَّد .

والمجرى ، لها منزلتان : إحداهما أن تكون قبل انقضاء البيت بحرف ، وذلك فى الشعر الذى ليس فيه هاء وصل متحركة .

والثانية : أن يكون بينها وبين انقضائه حرفان ، وهما هاء الوصل والخروج ، وذلك فى الشعر الذى ليس تتحرك هاء صلته .

والنفاذ ، لها منزلة واحدة ، لأنها لا يكون بعدها إلَّا خروج .

فذلك اثنتا عشرة منزلة . فإذا جاء فى الشعر شيء قد اتَّفق أن يَلزم قائلُه شيئاً غير هذه اللوازم فهو متبرِّع بذلك . كقول كثيِّر :

خليـليَّ هذا ربعُ عزَّةَ فاعقِلَا قَلُوصَيْكما ثم ابكِيا حيثُ حلَّتِ[1]

فلزم اللامَ المشددةَ قبل التاء ، إلى آخر القصيدة . وقال كثيِّرٌ أيضاً :

أدارًا لسلمى بالنِّيـاع فحُمَّـةٍ سألتُ فلمَّا استعجمت ثُمَّ صَمَّتِ[2]

فلزم الميم كما فعل باللام . وقد اختلفوا فى بيت من القصيدة الأولى ، فرُوى باللام وبالنون ، وهو قولُه :

* وجُنّ اللواتى قُلن عزَّة جُنت *

ويروى « جلت » .

وقد فعل الأعشى مثلَ ذلك فى اللام فقال :

فِدًى لبنى ذُهل بن شَيبان ناقتى وراكبُها يوم اللِّقاء وقلّت[3]

---

(١) القلوص : الفتية من الإبل ، بمنزلة الجارية الفتاة من النساء . وقيل : هى الثنية . وقيل : هى ابنة المخاض . وقيل هى كل أنثى من الإبل حين تركب وإن كانت بنت لبون أو حقبة ، إلى أن تصير بكرة أو تبزل . والرواية فى الديوان : « ثم انظرا » مكان « ثم ابكيا » . (٢) النياع : موضع . ويروى « النباع » بالباء . لم يزد على ذلك ياقوت ، وقال : وحمة : موضع أيضاً . والرواية فى الديوان : « أطلال دار بالنباع » . واستعجمت : سكتت .

(٢) صدره : * أصاب الردى من كان يهوى لك الردى *
ورواه الديوان بيتاً مفرداً ولم يلحقه بالقصيدة الملتزم فيها اللام . ورواه الأغانى بينها .

(٣) راكبها ، يعنى نفسه . وقلت : علت وسمت ، دعاء لبنى ذهل .

هُمُ ضربوا بالحِنْوِ حِنوِ قُراقِرٍ مُقدِّمةَ الهامُرْزِ حَتَّى تولَّتِ[١]

وهذا إنّما يفعله الشاعر لقوته ، ولو تركه لم يدخل عليه ضَعف .

قال الشَّنفرى الأزدى[٢] :

٭ أرى أُمَّ عمرو أزمَعَتْ فاستقلَّتِ[٣] ٭

وجاء فى قوافيها : « سربتى » و « اقشعرت » وغير ذلك .

وأكثر ما اتفق للعرب أن يلزموا حرفاً لا يلزم مع التاء التى للتأنيث ، أو الكاف التى للإضمار ، لأنهما ضعيفتان ، وكلتاهما من حروف الهمس . فأمَّا الهاء نخفيت وشابهت حروفَ اللين ، وأما التاء والكاف فمحسوبتان من الحروف الشديدة . وهما قويتان ، إلَّا أنَّهما ضارعتا الهاء ، وكذلك ضارعتا الواو التى تكون علامةَ الجمع فى قولك « ضربوا » والألف فى « ضربا » . قال عمرو بن معدى يكرب :

لمـــا رأيت الخيلَ زُورًا كأنها جداولُ زرعٍ أُرسِلت فاسبَطرَّتِ[٤]

فلزم الراء المشددة قبل التاء ، ولو جاء فيها : « شلت » . و « جمت » لم يعب عليه .

---

(١) الحنو : كل منعرج . وحنو قراقر : قرب مكة حيث كانت الواقعة بين الفرس وبكر بن وائل . والهامرز : من قادة الفرس .

(٢) الشنفرى : شاعر جاهلى من بنى الحارث بن ربيعة . والشنفرى ، اسمه ، وقيل لقب له . ومعناه : عظم الشفة . وهو ابن أخت تأبط شرا . وكان أحد الثلاثة العدائين ، هو وتأبط شرا وعمرو ابن براق .

(٣) الرواية فى المفضليات : « ألا أم عمرو أجمعت » . وأجمعت وأزمعت ، بمعنى . واستقلت : ارتحلت . وعجز البيت :

٭ وما ودعت جيرانها إذ تولت ٭

(٤) زور : جمع أزور ، من الزور ، وهو الميل . واسبطرت : استقامت .

والمحدَثون أشدُّ تحفُّظاً فى هذه الأشياء من المتقدمين ، وقلَّما يلزمون مثل هذه الحروفِ . وقد عمل الطائىُّ على قَرِىّ كلمة الشنفَرى وكلمةِ الأعشى فلم يلزم شيئاً قبل التاء .

ولو بنيت قواف على « ضربت » و « كتبت » ثم جىءَ فيها بـ« وزنت » ، لكان ذلك جائزاً بلا اختلاف ، إلَّا أن القائل إذا قوَّاها بلزوم الباء كان أحسن .

ومَن تدبَّرَ ما ذُكر ممّن له أيسر غريزةٍ علم أن « وزنت » مع « ضربت » فى القوافى أضعف من « خَبْت » مع « سَمْت » ، لأنَّ هذه التاء من السِّنخ . وربما لزموا اللام أو غيرها من الحروف فى مثل « فعالك » . و « جمالك » مع تذكير الكاف أو التأنيث ، كقول أبى الأسود :

زهير بن مسعود أحقُّ بما أتى وأنت بما تأتى حقيق بذالكا
وخبّرنى مَن كنت أرسلت أنَّما أخذتَ كتابِى مُعرِضاً بشمالكا
نظرتَ إلى عُنوانِه ونبذتَه كنَبذِك نعلًا أخلقَتْ من نِعالكا

فلزم اللام . وقد يجيئون بها على غير لزومٍ ، كما قالَ طرفة :

قِفِى قبلَ وشكِ البينِ يا بنةَ مالكِ وعُوجِى علينا من صُدورِ جِمالكِ

وقال فيها :

ظِللتُ بذاتِ الطَّلحِ عندَ مُثَقَّبٍ بكِينة سَوْءٍ هالكًا أو كهالكِ[1]

(١) ذات الطلح : موضع . ومثقب ، بتشديد القاف وفتحها : أربعة مواضع ذكرها ياقوت. ثم قال : ولا أدرى أ أحد هذه أراد طرفة أم موضعاً آخر . وكينة : فعلة التى للهيئة ، من الكون .

تلف عليَّ الرّيحُ ثوبىَ قاعـداً لدى صَدَفِىٍّ كالْحَنِيَّةِ باركِ(١)

وقد يلزمون التشديد فى الروىّ كما قال النابغة :

عرفت منازلًا بعُريتنـــاتٍ فأعلى الجزع للحىّ المُبِنِّ(٢)

فلزم التشديدَ إلى آخر القصيدة . وكذلك قول الآخر :

إنَّ بالشِّعب الذى دون سَلعٍ لَقَتيلًا دمُـــه ما يُطَلّ(٣)

شدَّد الروى فى كل الأبيات، والأكثر ألَّا يلزموه ، كما قال الحطيئة:

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنُوا البُنَى وإن وَعدوا أوْفَوْا وَإنْ عَقَدُوا شَدُّوا

فشدد فى أبياتٍ وتركه فى غيرِها . وأول القصيدة :

ألا طرقتنا بعد ما هجعوا هندُ وقد سِرْنَ خمساً واتلأَبَّ بنا نجدُ(٤)

وقال المُقنَّع الـكِندىّ ، فجَمَع بين التشديد وغيره :

وإن الذى بينى وبين بنى أبى وبين بنى عمِّى لمختلفٌ جدًا

إذا أكلوا لحمى وفَرْتُ لُحومَهم وإن هَدموا مجدِى بنيتُ لهم مجدا

وقد كان بعضُ المتأخِّرين من أهل العلم يجعل تاء التأنيث وصلا ، وكذلك كافَ الإضمار ، لِما وجده من لزوم الشعراء إيَّاهما فى بعض الأشعار ، وذلك يَنتقِض عند العلماء بأحكام القوافى . وأصحاب هذا القولِ يعتقدون فى قول الراجز :

---

(١) الصدفى : ضرب من الإبل . قال ابن سيده : أراه نسب إلى الصدف ، قبيلة من عرب اليمن . وقال ابن برى : الصدف : بطن من كندة . والنسبة إليه صدفى . والحنية : القوس .

(٢) عريتنات : واد . والجزع : منعطفه . والمبن : المقيم ، فعله : أبن .

(٣) سلع : جبل بسوق المدينة . وقيل : موضع بقرب المدينة . وطل دمه : أهدر . وهو ألا يثأر به ولا تقبل ديته .

(٤) اتلأب : امتد واستوى .

شَلَّتْ يدا فاريةٍ فَرَتها وسَخِنت عينُ التى أرتها[١]

مَسْكَ شَبوبٍ ثم وفَّرتها لو خافت النَّزع لأَصغَرَتْها

أنَّ الروى التاء ، وهى ساكنة ؛ والهاء وصل ، وهى متحركة . ولو جاء على مذهبهم فى هذه القوافى « خذها » أو « منها » لكان عيباً ، والغريزة تشهد بما زعموه .

وقياس أقوال المتقدمين يوجب أنَّ الروىَّ الهاء ، وأنَّ الراجز لو جاء فى مثل هذه القوافى بـ« عنها » و « منها » ونحو ذلك لكان ما فعله غيرَ معيب .

* * *

وقد بَنيتُ هذا الكتابَ على بِنْيَة حروفِ المعجَم المعروفة ما بين العامة ، لا التى رتَّبها العلماء بمجارِى الحروف . وَأقدِّم بين يَدَىْ ما أذكره على جهة الاعتذار ، أنَّ الناظر فى الدواوينِ ربَّما قرأ منها الشىءَ الكثير لا يجد فيها أبياتاً لُزِم فيها مالا يَلزم من الحروف ، فإنْ وَجده فهو نادر . فأمّا المتقدمون فقلَّما ينتظمون بالروىّ حروفَ المعجم ، لأنّ ما رُوى من شِعر امرئ القيس لا نَعلم فيه شيئاً على

---

(١) الفارية : القاطعة للإصلاح . تقول : فريت الشىء أفريه ، أى قطعته لأصلحه . وفرتها : عملتها . يصف مزادة . والمسك : الجلد . والشبوب : الشاب من الثيران والغنم. ورواية البيت الأخير فى اللسان : * لوكانت الساقى أصغرتها *

وفى رواية أخرى : * لو كانت النازع . . . . . *

يصف إشفى تخرز بها .

الطاء ولا الظاء ، ولا الشين ولا الخاء ، ونحو ذلك من حروف المعجم . وكذلك ديوان النابغة ، ليس فيه روى بُنى على الصاد ولا الضاد ولا الطاء ، ولا كثيرٍ من نظائرهن . وهذا شئ ليس بخفىّ . والْمُحْدَثون أكثر تحقُّقاً بالنظام ، لأنَّ فيهم قوماً مستبحِرين ، يكون ديوانُ أحدهم فى العِدَّة كدواوين كثيرة من أشعار العرب .

وهذا أبو عبادة ، وله شعر جمٌّ ، ولا أعلم — فيما رُوِىَ له — شيئاً على الخاء ولا الغين ولا الثاء ، إلَّا أن يكون شاذًّا لم يَثبُت فى أكثر النسخ .

وإذا اتفق لهم أن يجيئوا بالحرف ، وحركتُه ضمة أو غيرُها ، فَقَلَّما يستوعبون مجيئَه على كلِّ الحركات . وإن استعملوه فى حال الحركة جاز أن يُلغوه من حال الإسْكان ، مثال ذلك : أَنَّ أبا الطيِّب استعمل الهمزة المضمومة والمكسورة ، ولم يستعمل المفتوحة ولا الساكنة ، واستعمل السين المكسورة دون المفتوحة والمضمومة والساكنة . وكذلك جرى أمر الشّعراء المتقدمين والمُحدَثين ، يتْبعون الخاطرَ كأنه هادى الركبان ، أينما سلك فهم له تابعون .

* * *

وقد تكلَّفت فى هذا التأليف ثلاث كُلَف :

الأولى أنَّه ينتظم حروف المعجم عن آخرها .

والثانية أن يجىء رويّه بالحركات الثلاث وبالسكون بعد ذلك .

والثالثة أنه لَزِمَ مع كل روىٍّ فيه شىءٌ لا يَلزم ، من ياءٍ أو تاء أو غير ذلك من الحروف .

ولو أنّ قائلا نظم قوافىَ على مثل « مشوق » و « وُسوق » ولم يأت بالياء لكان قد لزم ما لا يلزم ، لأنّ العادة فى مثل هذا المبنَى أن تشترك فيه الواو والياء . وكذلك لو لزم الياء وحدَها فى مثل « قطين » و « معين » وليس فى هذا من هذا النحو إلّا شىء يسير .

وقد وجدت الذين ألَّفوا دواوينَ المحدَثين على حروف المعجم خالفوا فيما وضعوه مذهبَ الخليل وأصحابه . وما أَحمِل ذلك منهم إلّا على قلة حَفْلٍ بتلك الأشياء . فمن ذلك أَنَّهم يجعلون ما قافيته « هدية » و « بلية » فى باب الهاء . وهذا وهم ، لأن أَولَى الحروف بِأَنْ تُنسب إليه القصيدة هو الروىّ ، وهو فى هذا النحو الياء . وكذلك يجعلون ما قافيته « ثناياها » و « عطاياها » فى جملة الألف ، وإنما ينبغى أَن تكون فى باب الهاء ، لأنّها الروى . ويجعلون ما قافيته مثل « يديه » و « عليه » فى باب الياء ، وكذلك ما يبنى على « محييها » و « فيها » . وإنَّما ينبغى أَن يكون النسب فى هذا كله إلى الهاء .

ودلّ كلامُ أَبى بكرِ بن السَّرّاج[1] فى الأصول على أَنَّ الروى الياء فى قول الشاعر[2] :

---

(١) ابن السراج ، هو أبو بكر محمد بن السرى بن السهل ، أحد أئمة الأدب والعربية . ويقال : ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج . وله من الكتب : الأصول فى اللغة ، وشرح كتاب سيبويه ، وغيرهما . وكان عارفاً بالموسيقى . توفى سنة ٣١٦ هـ .

(٢) هو أبو كاهل اليشكرى .

لها أَشارير من لحمٍ تُتمِّره من الثَّعالِي ووَخْزٌ من أَرانيها[١]

وهذا يشبه مذاهب المؤلِّفين، ويجوز أن يكون مذهباً لابن السراج، أو وهماً منه ، لقلة عنايته بهذا النوع .

وقد روى أَبو الحسن العروضيّ الذى كان فى صحبة الراضى[٢] ، أَنَّ أَبا أَسحاق الزجاج[٣] سُئل عن الرويّ فى قول الشاعر :

* ميلوا إلى الدار من لَيْلى نُحيِّيها *

فزعم أَنَّه الياء ، فروجع فى ذلك فلم ينتقل عنه .

وإنَّما ذَكَرَ أَبو الحسن ذلك يعيبُه عليه ؛ لأنّ مذهب الخليل والطبقةِ الذين بعده أَنَّ الرويّ الهاء .

وقد شاهدتُ بعض المتحقِّقين بالأدب ببغداد يجعل الرويّ الياء فى قول الشاعر :

يأَيها الراكبان السائران معاً قُولا لسِنْبِس فَلْتقطف قوافيها[٤]

وما أَحسب هذا ممن قاله إلَّا وهماً ، لأنَّ الروى الساكن لا يكون بعده وصل ، وإنَّما يقع الإشكال فى الهاء والواو والياء والألف . فأما الهاء فقد مر طَرَفٌ من حكمها ، والأصل فيه أَنَّه إذا سكن ما قبلها

(١) أشارير : يجوز أن تكون جمعاً لإشرارة القديد ، أو بمعنى الخصفة أو الشقة التى يشر عليها الأقط . وتتمره : تقدده . والثعالى : الثعالب . وأرانيها ، أى أرانبها . ووخز ، أى معدودة . والأصل فى الوخز الخطيئة بعد الخطيئة والشىء بعد الشىء .

(٢) هو الراضى بالله أحمد بن جعفر بن المعتضد الخليفة العباسى . توفى سنة ٣٢٩ هـ .

(٣) الزجاج ، هو أبو إسحاق إبراهيم بن السرى بن سهل، عالم بالنحو واللغة . توفى ببغداد سنة ٣١١ هـ .

(٤) سنبس : أبو حى من طيىء .

كانت رويًّا ، ولا يُنظر مِن السِّنخ كانت أم من غيره ، وإذا كان ما قبلها متحركاً وكانت من السِّنخ ، مثل « الشَّبَه » و « المشابَه » فإنَّها تكون رويًّا ، كما قال رؤبة :

قالت أُبيْلَى لى ولم أُسَبَّه ما السنُّ إلَّا غَفْلَةُ المُدَلَّهِ

وربما بُنيت الأبيات على أن تكون موصولة بهاء الإضمار ، ثم جعلت معها الهاء الأصلية وصلاً ، أو بدِئ بالهاء الأصلية ثم دخلت عليها هاء الإضمار ، مثل أن تُبْنَى القصيدة على « المكاره »و« المداره » جمع مدره، من قولك : هو مدره القوم . ثم يجاء بعد هذا بـ « ناره » و« جداره » . أو تبنى القصيدة على مثل قولك « غلابه » و« كتابه » ، ثم يجئ فيها « التشابه » . وربما اتفق ذلك فى الساكنة والمتحركة ، وليس هو بعيبٍ ، إلَّاأنى أجعله ضعفاً فى البِنية .

وإذا تحرك ما قبل الهاء، وهى للإضمار أو للتأنيث أو للوقف ، مثل قولك « يديَه » و« غلاميَه » و« ذاكيَه » و« ضاريَه » فهى وصل لا غير ولا يجوز أن تجعل رويًّا .

وأما الواو إذا كانت من السِّنْخ مثل واو « جِرو » و« دلو » فلا مرية فى أنَّها تُجعَل رويًّا للبيت .

وإذا كانت للإضمار فى مثل « فعلوا » و« قتلوا » وكان ما قبلها مضمومًا ، ولم تكن فى مثل « عصوا » و« رموا » فإنَّها تكون وصلاً

(١) أبيلى : امرأة . والمسبه : المدله العقل .

لاغير . فإن جاء غيرُ ذلك حُسِب من عُيوب الشِّعر التى تسمى الإكفاء والإجازة ونحو ذلك .

وقد وجدتُ فى أشعار قريشٍ شعرًا منسوبًا إلى مروانَ بنِ الحكم قد جعل الواو فيه رويًّا ، فى مثل « دعُوا » و« لقُوا » فإن صح ذلك فليس بأبعَدَ مما بُنى على الألف ، وذلك قليلٌ نادر . وإنَّما معظم كلامهم أن تكون الواو فى مثل هذا وصلاً ، كما قال زُهير :

بانَ الخليط ولم يأوُوا لمن تركُوا وزوّدوكَ اشتياقاً أيةً سَلكوا

ثم جاء فى القوافى بـ « الملك » و « الحشك » وأتبعَها واو الترنم التى لا تجعل رويًّا بحال .

والأبيات المنسوبة إلى مروان بن الحكم هى قوله :

هل نحنُ إلَّا مثلُ مَن كان قبلَنا نموتُ كما ماتوا ونَحيا كما حَيُوا

وَينقُص منا كلّ يومٍ وليلةٍ ولا بدّ أن نلقى من الأمر ما لَقُوا

نؤمِّل أن نبقَى وكيف بقاؤنا فهلاّ الألَى كانُوا مَضَوا قبلَنا بَقُوا

فَنُوا وهمُ يرجونَ مثلَ رجائنا ونحنُ سنفنَى مرةً مثلَ ما فنُوا

لنا ولهم يوم القيـامةِ موعدٌ سنُدعَى له يومَ الحساب إذا دُعوا

ويُحبَس منَّا من مضى لاجتماعنا بموطنِ حقٍّ ثم نُجزَى إذا جُزُوا

فمنهم سعيد سَعدةً ليس بعـدها شقاء ومنهم بالذى قدَّموا شَقُوا

عَمُوا عن هُدَى قصدِ السبيل عَمَى الذى رآه وَقَرْنٌ قد خلا قبلهم عَمُوا

فهذا نادر قليل .

فإذا انفتح ما قبل الواو فى مثل « عصوا » و «غزوا »و « قضوا » فالجماعة يجعلونها رويًّا ولا يجيزون أن تكون وصلاً . وذلك مفقود فى أشعار الفصحاء ، إنما يجئ منه الشيء النادر ، ولعله مصنوع . ولو أن قائلًا بنى شعرًا على مثل « قضوا » لآثرت له أن يلزم الضاد ، لأن ذلك أقوى للنظم ، وإن لم يفعل فليس بأبعد من تصييرهم الألف رويًّا ، ألا ترى أنك لو بنيت الفواصل على « دُجى »و « حِجى »و «رَجا» لكان الأقوى أن تجعل الجيم رويًّا والألف وصلًا . فإن جعلت الألف رويًّا فلا بأس . غير أن ما رويّه ألف أضعف مما رويه دال أو حاء أو غيرهما من الحروف الصحاح ، ولو أن الراعى[1] جعل الروى الحاء فى قوله :

عجبت من السَّارين والريح قَرَّةٌ إلى ضوء نار بَين فَرْدة فالرَّحَى[2]

ثم أتى معها «بالضُّحى»و «اللحى» لكان أقوى للنظم . ولو أتى آت فى مثل أبيات مروان بواو مفتوح ما قبلها ، مثل « عصوا » و « رموا» ، لكان قد أخلّ ؛ إذ كانت الواو المفتوح ما قبلها لا تكون إلا رويًّا ، والواو المضموم ما قبلها فى مثل « فعلوا » لا تكون إلا وصلًا . وليس على الشذوذ تعويل . ولا أعرف لأحد من أهل الفصاحة مثلَ أبيات مروان . فأما واو « يغزو » و « يخلو » إذا كانت ساكنة فإنهم يستعملونها وصلًا ، وعلى ذلك سمعت أشعار المتقدمين ، كما قال زهير :

---

(١) الراعى : هوعبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميرى . عاصر جريرا والفرزدق . وتوفى سنة ٩٠ ﻫ .

(٢) فردة : جبل بالبادية ، وقيل : ماء بالتلبوت لبنى نعامة . والرحا : جبل بين كاظمة والسيدان عن يمين الطريق من اليمامة إلى البصرة .

صحا القلبُ عن سَلمى وقد كاد لا يسلو
وأقفر من سَلمى التعانيقُ والثِّقْلُ(١)

وقد كنتُ من سلمى سِنين ثمانياً
على صِيرِ أَمرٍ ما يَمُرّ وما يَحْلو(٢)

ففيها قواف كثيرة قد أتبعها واو الترنم التى ليست للسِّنخ، كقوله :

بلادٌ بها نادمتُهم وعرفتُهم فإن أقفرت منهم فإنهمُ بَسْل

والقياس لا يمنع أن تجعل هذه الواو روياً ، لأنها سنخ وهى قوية ، ويجوز أن تلحقها الحركَة فى حال النصب ، وهى أقوى من الواو التى للضمير فى مثل قولك « لم يألوا » و « لم يفعلوا » . وإذا خففت الواو من « عدوّ » و « غُدوّ » فى القافية فلا يمتنع أن تجعل روياً ، وكونها وصلاً أكثر . وما بنى على الواو قليل جداً ؛ لأن العرب إنما كانت تتبع أشرف الكلم فى السمع . وقلّما تجد قافية لها قوة إلا وقد عمل عليها المتقدمون .

وأما الياء ، فلا تخلو من أحد شيئين : إما أن تكون متحركة ، وإما ساكنة . فالمتحركة روىّ لا غير . والساكنة تضعفُ كضعف الواو . فإذا كانت للترنم لم يجز أن تجعل روياً ، وإذا كانت ساكنةً

---

(١) التعانيق والثقل : مكانان . ويروى « والثجل » بضم أوله : موضع فى شق العالية ، ذكره ياقوت واستشهد بالبيت .

(٢) صير أمره : منتهاه وضرورته . مصدر صار يصير صيراً وصيرورة . تقول : أنا من حاجتى على صير أمر وعلى صيرورة ، إذا كنت على شرف منها .

وقبلها ساكن فهي رويّ . وذلك أن تُبنى القافية في التقييد على مثل «عصاي» و«هواي». وإذا كان ما قبلها متحركا وهي ساكنة فإن الأحسن فيها أن تجيء وصلاً على أي الحالات وجدت من كونها في سنخ الكلمة، أو للضمير، أو مخففة من ياءي النسب . فالتي من السنخ كقول النابغة :

زعم الهُمـــــام ولم أذقه بأنَّه ... يُشْفَى ببرد لثاتها العَطِشُ الصَّدِي

فجاء بها مع « غد » ونحوها فجعلها وصلًا . وياء الإضافة كقول الآخر :

ألا أيها الركبُ المُخبُّون هل لكم ... بأُخت بني نَهد بُهَيَّةَ مِن عَهْد

أألقت عصاها واستقرّت بها النّوى ... بأرض بني قابوس أم ظَعنت بعدي

والمخففة من ياءي النسب كقول الراجز :

تقول هند والذي يُحيي أبي ... لقد سمعتُ صوت حاد عربي

ليس من النَّمْر ولا من تَغْلب

وكذلك إذا خفّفت مثل « عدي » و« شقي » فإنها تجعل وصلًا في الأكثر. وربما جعلت هذه الياءات كلها رويًّا وذلك في أشعار تضعف . وليست هـذه الياءات بأضعف من الألفات التي بنيت عليها القصائد .

وهذه الأبيات تنسب إلى غير واحد من العرب :

أشاب الصغير وأفنى الكبير ... مَرّ الليـــالي وكرُّ العَشِي

إذا ليـــلَةٌ هَرَّمت يومَها ... أتى بعد ذلك يوم فَتِي

نَرُوح ونَغدو لحاجاتنـــا ... وحاجةُ مَن عاش لا تَنْقضي

تَموت مع المرء حاجاتُه وتَبقى له حاجةٌ ما بقى

وقد رويت هذه الأبيات للصَّلَتان العَبدى ولُقسّ بن ساعدة الإيادى ولغيرهما ، ويروى للصلتان فيها :

بنجـــــدية وحرورية وأزرق يدعو إلى أَزْرَقِ

فملّتنا أننـــــا المسلمون على دين صدِّيقنا والنبى

وقال الراجز :

إذا تغديتُ وطابت نفسى فليس فى الحىّ غلامٌ مثلى

إلا غلامٌ قد تغدّى قبلى

فجعل ياء الإضافة رويًّا ، إلا أن يُحمل على مخالفة القوافى فى الذى هو عيب . وإذا كان ما قبل الياء مفتوحاً وهى ساكنة فإنها تُجعل رويًّا عند المتقدمين، وذلك قليل جدًّا . ولو بنيت قافية على « أخشى » و « أعشى » لكان لزوم الشِّين أقوى لها من أن يجىء معها مثل «أغنى» و «أحنى» .

فأما الألف ، إذا كانت للترنم أو بدلا من التنوين أو للتثنية أو مع هاء التأنيث، فلا يجوز أن تكون رويًّا . وإذا كانت من السنخ أو زائدة للتأنيث أو للإلحاق ، ما كانت من ذلك ؛ فإن كونها رويًّا جائز ، وعلى ذلك جاءت قصائد العرب المتقدمين ، لا يفرقون بين الزائد والأصلى . فيجوز أَن تُبنى القصيدة على « كرى » و« بكى»و«غضى»و«الشنفرى» و « حبوكرى » وهى التى تُسميها الناس اليوم مقصورة . وأقوى من ذلك أن تجعل الراء فى «الكرى» رويًّا وتجعل الألف وصلا . وكذلك

ألف « مغنى » أو « معزى » يجوز أن يجىء معها ألف « جلندى » و « حبركى » . إلا أن الأحسن أن تجعل الزاى فى « معزى » رويًّا ، وتكون القصيدة على الزاى .

فهذه جملة من أحكام الحروف الأربعة اللواتى يجوز أن يكن وصلا ورويًّا . ثم حروف المعجم بعد ذلك متساويات فى القوة إلا ما ذكر من التاء والكاف . فأما النون الخفيفة فلا يجوز أَن تُجعل رويًّا ؛ لأن القافية موضع وقف ، وهذه النون تصير فى الوقف ألفاً ، فإنْ أريد بها الثقيلة ، إلا أنها خُففت للقافية كما تخفف لام « أضل » ودال « أشد » فلا بأس أن تجعل رويًّا ، لأنها فى نية المثقلة .

والقوافى تنقسم ثلاثةَ أَقسام : الذُّلُل ، والنُّفُر ، والحُوش .

فالذُّلل : ما كثر على الألسن ، وهى عليه فى القديم والحديث .

والنُّفر : ما هو أقل استعمالاً من غيره ، كالجيم والزاى ونحو ذلك .

والحُوش : اللواتى تُهجر فلا تستعمل ، وذلك أن يتفق أَلَّا تخلو القافية على كل الأوزان ، كأَنا نقول إنهم استحسنوا التقييد فى الطويل الثانى فاستُعمل وكثر ، كما قال أمرؤ القيس :

لعمركَ ما قلبي إلى أهله بِحُرْ ولا مُقْصرٍ يوماً فيأتينى بِقُرْ[1]

(١) بحر ، أى بكريم ، لأنه لا يصبر ولا يكف عن هواه . والمعنى أن قلبه ينبو عن أهله ويصبو إلى غير أهله . فليس هو بكريم فى فعله . ومقصر ، أى نازع ومنته . وبقر ، أى بمستقر .

وكما قال طرفة :

لِخَوْلة بالأجزاع من إِضَم طَلَلْ وبالسَّفح من قَوٍّ مُقامٌ ومُرتَحلْ[(١)]

ولا يُعلم شيء من الشعر القديم جاء فيه الطويل الأول مقيداً إلا أن يكون شاذًّا مرفوضاً ، وذلك فى التمثيل ، كقوله :

كأَنّىَ لم أركب جوادًا للذّةٍ ولم أتبطَّن كاعباً زانها الَخلْخَلْ

ولم أسبأ الزِّق الروىَّ ولم أقُلْ لخيلىَ كُرِّى كَرَّةً بعد ما تُخْذَل

فمثل هذا لم يأت فى الشعر القديم ولا يوجد فى دواوين الفحول من أهل الإسلام ، إلا أن يجىء نادرًا أو متكلفاً . وقد جاء فى أشعار المحدثين شىء من الطويل الأول مبنيّا على الألف ، وهو الذى يسميه النـــاس المقصور ، فيقولون مقصورة فلان ، يعنون ما رويّـه ألف ، قال الشاعر :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فما نحن بالأحياء فيها ولا الموتَى

إذا ما أتانا زائر متفقّـــــد فَرِحْنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

وهذا الشعر لرجل فى السجن كان على عهد ملوك بنى العبَّاس ، أو يقال إنه لرجل من ولد صالح بن عبد القُـدُّوس . وقد بنى أبو عُبادة قصيدةً على الطويل الأول وجعل قوافيها على «أروى» و«جدوى» ونحو ذلك ، فلزم الواو إلى آخر القصيدة ولم يجعلها مقصورة ، فهذه إن جُعل رويّها الألف فقد لُزم فيها ما لا يلزم ، وإن جعل رويها الواو فالألف وصل ، وبناؤها على الواو أحسن وأقوى فى النظم .

---

(١) إضم : ماء بين مكة واليمامة . وقو : منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة .

وفى هذا الكتاب أشياء تجرى هذا المجرى، وقد بيّنتها فى مواضعها. وقد يمكن أن يلزم القائلُ حرفين وأكثر. ولو بنيت قافية على « دارهم » و«مزُدارهم» و«صدارهم» لكان القائل قد لزم فيها أربعة أحرف: الدال، والألف، والراء، والهاء، لأن الرويّ الميم، والألف ليست للتأسيس، لأن بينها وبين الروى حرفين. ولو بُنيت قافية على « ضرائرهم » و«حرائرهم» وما أشبه ذلك لكانت قد لزُمت فيها خمسة أحرف: الراء الأولى، والألف، والهمزة التى بعدها وهى فى الصورة ياء، والراء الثانية، والهاء.

وقد كنت قلت فى كلام لى قديم: إنى رفضت الشعر رفض السِّقب غِرْسه[1]، والرأْل[2] تَريكته؛ والغرضُ ما اُستُجيز فيه الكذب، واستُعين على نظامه بالشبهات.

فأما الكائنُ عظةً للسامع، وإيقاظاً للمتوسِّن، وأمرًا بالتحرز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جُبلوا على الغش والمكر، فهو إن شاء الله مما يُلتمس به الثواب.

وأُضيفُ إلى ما سلف من الاعتذار أنّ من سلك فى هذا الأسلوب ضَعُف ما ينطق به من النظام، لأنه يتوخى الصادقة ويطلب من الكلام البَرَّة؛ ولذلك ضَعُف كثير من شعر أمية بن أبى الصَّلْت الثَّقفى، ومَن أخذ فى قَريِّه من أهل الإسلام.

---

(١) السقب: ولد الناقة، وقيل: الذكر، وهو سقب ساعة تضعه أمه. والغرس: الجلدة التى تخرج على رأس الولد والفصيل ساعة يولد، فإن تركت قتلته.

(٢) الرأل: ولد النعام. وخص بعضهم به الحولى. والتريكة: بيضة النعام التى يتركها بعد خلوها مما فيها.

ويُروى عن الأصمعيّ كلام معناه : إن الشعر باب من أبواب الباطل ، فإذا أريد به غير وجهه ضَعُف .

وقد وجدنا الشعراء توصّلوا إلى تحسين المنطق بالكذب ، وهو من القبائح ، وزيّنوا ما نظموه بالغزل ، وصفةِ النساء ، ونعوتِ الخيل والإبلِ ، وأوصافِ الخمر .

وتسبَّبوا إلى الجزالة بذكر الحربِ ، واحتلبوا أخلاف الفِكَر ، وهم أهلُ مقام وخفضٍ ، فى معنى ما يدّعون أنهم يعانون من حث الرَّكائب ، وقطعِ المَفاوز ، ومِراسِ الشَّقاء .

وهذا حينَ أبدأُ بترتيبِ النظمِ ، وهو مائة وثلاثةَ عشرَ فصلا ، لكل حرفٍ أربعةُ فصولٍ ، وهى على حسبِ حالاتِ الرَّوِىّ ، من ضمّ وفتحٍ وكسرِ وسكون ، [إلا] الألف وحدَها فالها فصل واحد ، لأنها لا تكون إلا ساكنة .

وربما جئت فى الفصل بالقطعة الواحدة ، أو القطعتين ، ليكون قضاءَ حق للتأليف ، وبالله التوفيق .

فصل الهمزة

الهمزة المضمومة

اللزومية الأولى

قال الضعيف العاجز أبو العلاء أحمدُ بن عبد الله بن سليمان التنوخى الضرير ، رَهْن المَحْبسين ، فى الهمزة المضمومة مع الباء ، والطويل الثالث[(١)] :

١ (أُولُو الفَضْلِ فِى أوطانِهِم غُرَباءُ ... تَشِذُّ وتَنْأَى عَنْهُــمُ القُرَباءُ)

٢ (فما سَبَئُوا الرَّاحَ الكُمَيْتَ لِلَذَّةٍ ... ولا كانَ مِنْهم لِلْخِرادِ سِباءُ)

٣ (وحَسْبُ الفَتَى مِنْ ذِلَّةِ العَيْشِ أنَّه ... يَرُوحُ بأَدْنَى القُوتِ وَهْوَ حِباءُ)

الرّاح : الخمر ، اسم لها . وسَبأ الخمر يسبؤها سَبْأً ومَسبأً .

واستبأها : شراها . وقيل : اشتراها ليشربها ، ولا يقال ذلك إلا فى الخمر خاصة . والاسم : السباء ، على فِعال .

والكُميت : لونٌ ليس بأشقرَ ولا أدهم . وهو أيضاً من أسماء الخمر للونها .

والخريدة من النساء : الحَيِيّة الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخَفِرة المُتستّرة ، قد جاوزت الإعصار ولم تُعْنِس؛ وقيل: هى البكر التى لم تُمسس، تشبيها لها باللُّؤلؤة قبل ثَقْبها ، وتُجمع على خرائد وخُرُد وخُرَّد ، على نُدرة الأخيرة ، لأن فعيلة لا تُجمع على فُعَّل ، ولم يَرد من بين جموع « الخريدة » خِراد ، فى المعاجم .

والسباء والسَّبى بمعنى ، وهو الأسر . يقال : سباه يَسبيه ، إذا أسره ، فهو سبىٌّ ؛ وكذلك الأنثى بغير هاء . وقال الجوهرى : السَّبِيَّة : المرأة تُسبى .

---

(١) هو ذو العروض المقبوضة والضرب المحذوف .

والحباء ، بالكسر ويضم : ما يَحبو به الرجلُ صاحبَه ويُكرمه به . والاسم : الحبوة . وقيل : الحباء : العَطاء بلا مَنٍّ ولا جَزاء . وحباه يحبوه : أعطاه ؛ وما حوله : حماه ومنعه .

يقول : لله أهلُ الفضل والعلم ، ما أجدرهم بالرحمة وأَخلقَهم بالرثاء ، إنى لأراهم غُرباء مَجْفوّين من أقاربهم ، منبوذين من ذوى معرفتهم ، وإنى لأرى الفقر قد ضرب عليهم رُواقه وألقى عليهم كَلْكله ، فحرمهم لذةَ الأغنياء بسباء الخمر وسَبْى النساء ، وبالغ فى إذلالهم والغضِّ من أقدارهم ، حتى إنّ أحدهم لينال أقلّ القُوت وأدنى العيش فيحسبه عطاء موفوراً ، أو نعمة مُسْبَغة عليه .

٤ (إذا ماخَبَتْ نارُ الشَّبيبَةِ ساءَنِى ... ولَوْ نُصَّ لِى بَيْنَ النُّجومِ خِباءُ)

٥ (أُرَابِيك فى الوُدِّ الَّذى قد بَذَلْتَه ... فأُضْعِفُ إنْ أَجْدَى لَدَيْك رِباءُ)

٦ (وَمابَعْدَمَرِّ الْخَمْسَ عَشْرَةَمِن صِباً ... ولا بَعد مَرِّ الأَرْبعِينَ صَباءُ)

خبت النارُ والحرب والحدة ، تخبو خَبْواً وخُبوًّا : سكنت وطَفِئت وخَمَد لهبُها ، فهى خابية ، وأخبيتها أنا . والشبيبة والشباب : الفَتاء والحَداثة . والشباب أيضاً : جمع شاب ، وكذلك الشبان . والنص : الرفع ؛ ومنه نص العروس ، أى إقعادها على المنصة ، وهى سريرها . والخباء : البيت من بيوت العرب يكون من وبر أو صوف . وقد يستعمل فى المنازل والمساكن . وأصله الهمز ، لأنه يختبأ فيه . وأخبيت خِباء ، وخبّيته ، وتخبّيته : عملته ونصبته ؛ واستخبيته : نصبته ودخلت فيه .

ورابى فاعل ، من « ربا » بمعنى ، زاد أو علا . والمصدر منه رِباء ومُراباة .
وأجدى : أغنى ونفع .

والصِّبَا : الصِّغَر ، ومثله الصَّبْو والصُّبُوّ والصَّباء . والفعل لذلك كله صبا يصبو .

وَصَبِيَ صِبًى ، بالكسر والقصر : فَعل فِعْل الصبيان ، وصَباء بالفتح والمد : لعب معهم . وصَباء ، الثانية ، أصله القصر ، من صبا إلى اللهو والجهل والفتوة ، صَبًّا وصُبوًّا وصَبْوة : مال وحَنَّ .

يقول : وا أسفاه لنار شبيبتى حين تخبو ، فلن أجدَ عنها سَلوة ولا عزاء مهما ترتفع بى المنزلة ، ولو ُنص لى خِباء بين النجوم . ذلك أنّ الشبيبة وحدَها هى التى تُتيح لى اقتضاء لذاتى واكتساب حاجاتى ، فإذا انقضتْ فلا أمل فى لذة ولا مَطْمع فى قضاء حاجة . أليس لكل عمل قَدرٌ قُدِّر به ، ووقت أتيح فيه . فليس بعد الخامسة عشرة طفولة ولا صبى ، وليس بعد الأربعين مَرح ولا مُجون .

٧ (أَجِدَّكَ لا تَرْضَى العَباءَةَ مَلْبَسًا ولَوْ بانَ ما تُسْدِيه قِيلَ عَباءُ)

أجِدَّك ، بفتح الجيم وكسرها ، ومعناها : مالك ؟ أجدًّا منك ؟ ونَصْبهما على المصدر ولا يُتكلَّم به إلا مضافاً . وقال الأصمعى : معناه : أبجدك هذا منك ؟ ونصبهما بطَرْح الباء . وقال الليث : من قال : أجدك ، بكسر الجيم فإنه يستحلفه بجِدّه وحقيقته ، وإذا فتح الجيم استحلفه بجَده ، وهو بخته . وقال ثعلب : ما أتاك فى الشعر من قولك أجدّك ، فهو بالكسر ؛ فإذا أتاك بالواو فهو مفتوح .

والعباءة . لغة فى العباية . قال سيبويه : إنما همزت ، ولم يكن حرف العلة فيها طرفاً ، لأنهم جاءوا بالواحد على قولهم فى الجمع : عباء .

وقال ابن جنى : وقالوا : عباءة . وقد كان ينبغى، لمَّا لحقت الهاء أخيراً وجرى الإعراب عليها وقويت الياء لبعدها عن الطرف ، ألاّ تهمز ، وألا يقال إلا عباية . فيقتصر على التصحيح دون الإعلال ، وألا يجوزفيه الأمران، كما اقتصر فى «نهاية» و « غباوة » و « شقاوة » و « سعادة » على الصحيح دون الإعلال .

وأسدى ، وأولى ، وأعطى ، بمعنى . قال أبو عمرو : أزدى ، إذا اصطنع معروفاً ؛ وأسدى ، إذا أصلح بين اثنين ، وأصدى ، إذ مات . وعباء : أحمق .

يقول : أجدَّك لا يُقنعك ما يتاح لك فى هذه الدنيا من حظ ! رفِّه عليك واُقصد فى أطماعك ، ووازن بين ما تسدى وما يُسْدى إليك . فلو قد فعلت لتبيَّنت أنك لا تسدى شيئاً ، وأن الذى يُسدى إليك كثير .

٨ (وفى هَذِهِ الأَرْضِ الرَّكُودِ مَنَابِتٌ فَمِنْهَا عَلَنْدَى ساطِعٌ وكِباءُ)

الرَّكود : الثقيلة الثابتة . والعَلَنْدى : ضربٌ من شجر الرمل وليس بحَمْض ، يهيج له ودخان شديد ؛ والواحدة : علنداة ؛ ومنه : دخان العَلَنْدى دون بيتى ، أى منابت العلندى بينى وبينكم . والساطع : المنتشر من غبار ودخان وريح ونور . والكِباء ، ممدود : ضَرْب من العود والدُّخْنة . وقال أبو حنيفة : هو العود المتبخَّر به . قال امرؤ القيس :

وَبَانًا وأُلْوِيًّا من الهِنْد ذاكيًا ورَنْدًا ولُبْنَى والكِباءَ المُقَتَّرا

ومثل الكباء : الكُبَة . وكبَّى ثوبه ، بالتشديد ، أى بخَّره . وتكبّت المرأة على المِجْمَر : أكبت عليه بثوبها . واكتبى : تبخر بالعود .

يقول : إنما مثل ما يُصيب الناس من حسن الحظ وسُوئه ، مثل الأرض التى يتاح لبعضها أن يُنبت ذكى النبت ورائعه ، ولا يُتاح لبعضها الآخر إلّا أن يُنبت غليظ النَّبت وفَجّه ، ولا يُعطى منه إلا الردىء الممقوت .

٩ (تَوَاصَلَ حَبْلُ النَّسْلِ مابَيْنَ آدَمٍ وَبَيْنِي ولَمْ يُوصَلْ بلامِيَ بَاءُ)

تواصل : اتصل. والتواصل: ضدّ التصارم ، يكون فى عَفاف الحُب ودَعارته . والنَّسل: الولد والذرِّيَّة . واللام : الشخص والسهم، والمراد هنا الأول، وهى أيضاً : جمع لأمة ، وهى الدِّرع . وأصله الهمز ثم يخفّف . وأما اللام التى بمعنى الشخص والسهم فلا أَصل لهما فى الهمز .

والباء والباءة : النكاح . وقيل: البـاء الجمع ؛ والباءة الواحدة . ويجمع على البا آت أيضاً. وسُمِّى النكاح باءة و باء ؛ لأن الرجل يتبوأ من أهله ، أى يستمكن منهم ، كما يتبوأ من داره . وقيل: الأصل فى الباء المنزلة ، ثم قيل لعقد التزويج باءة ، لأن من تزوّج امرأة بوأها منزلا .

وقريب من قول أبى العلا قول أبى الطيب :

هِبْتَ النِّـكاح حِذَار نَسْل مِثلنا حتى وفرتَ على النساء بناتِها

وقولُه :

وما الدهرُ أهلٌ أن تُؤمَّل عنده حياةٌ وأن يُشتَاق فيه إلى نَسْل

يقول : تواصل حبل النسل مابين آدم وبينى ، وكان ذلك حمقاً تجنبته وغيًّا برِمت منه ، فقطعت هذا الحبل ولم أصله ، وأعرضت عن الزواج فلم أعقب فى هذه الأرض نسلا .

١٠ (تثَاءَبَ عَمْرٌو إذ تَثاءبَ خالدٌ بعَدْوَى فما أَعْدَتْنِي الثُّؤَبَاءُ)

خص «التثاؤب» لأن الإنسان إذا رأى من يتثاءب تثاءب بتثاؤبه . و يقال فى المثل : أعدى من الثؤباء . قال الشاعر :

أعدى من الثؤباء صـداقةُ السُّفهاء

ولم يُرد بعمرو وخالد شخصين بعينيهما ، ولعله قصد إلى ما يحمل أصلاهما

من التعمير والخلود ، التفاتاً منه إلى المعنى الذى هو آخذ فيه . والعدوى ، اسم من : أعدى يعدى ، أى أجاز الذى به إلى غيره ، أو أجاز ما بغيره إليه . وأصله من : عدا يعدو ، إذا جاوز الحد . وتعادى القوم ، أى أصاب هذا مثلُ داء هذا . والعدوى أيضاً : طلبك إلى وال ليُعْدِيك على من ظلمك ، أى أن ينتقم منه . والثؤباء ، من التثاؤب ، مثل المطواء من التمطى .

يقول : إن اتصال النَّسب عدوى شاعتْ فى الناس ، كما يُعدِى المُتثائب جارَه ، أمَّا أنا فقد برئتُ من هذه العدوى ، وعُصمت من آثارها ، فلم أتثاءب حين تثاءب جليسى .

١١ (وَزَهَّدَنِى فى الْخَلْقِ مَعْرِفتى بهمْ وعِلمِى بأنَّ العالَمِين هَباءُ)

زهَّده فى الأمر : رغّبه عنه . وفى حديث الزهد : وسُئل عن الزهد فى الدنيا فقال : هذا ألاَّ يغلب الحلالُ شكره ولا الحرامُ صَبْرَه . أراد ألا يعجز ويقصر شكرُه على ما رزقه الله من الحلال ، ولا صبره عن ترك الحرام .

زَهِد فى الشىء وعنه : رغب عنه . والشىءَ : عدَّه زهيدًا قليلا . وأزهد الرجل ، إذا كان لا يُرغب فى ماله لقلته . والعالَم : الخلق كله ، اسم بنى على فاعل ، كما قالوا : خاتَم وطابع ودافق . لا واحد له من لفظه؛ لأنه جمع أشياء مختلفة ، و إن جعل اسماً لواحد منها صار جمعاً لأشياء متفقة .

والهباء . ما تُطيِّره الريح فتراه على وُجوه الناس وجلودهم وثيابهم يلزق لزوقاً .

وتقول : أرى فى السماء هَباء ، ولا تقول : يومُنا ذو هباء . والهباء أيضاً : ما يظهر فى الكُوَى من ضوء الشمس ، ومن الناس من لا عُقول لهم . وأهبى الفرس وغيرُه ، إذا أثار الهباء .

يقول : إيه للناس ! لقد عرفتهم حقَّ المعرفة ، و بلوتُهم أحسن البلاء ، فرأيتهم كلهم هباء ، ورأيت أمرهم كله باطلا . أفتراني زهدتُ فيهم إلا لأنى بهم عليهم !

١٢ (وكَيْفَ تَلافِيَّ الَّذِى فَاتَ بَعْدَمَا تلفَّعَ نِيرَانَ الْحرِيقِ أباءُ)

التلافى : أفتقاد الشيء وتداركه . وأنشد ابنُ الأعرابيّ :

يُخبِّرنى أنِّى به ذو قرابة وأنبأتُه أنِّى به مُتلافِى

أى إنى لأُدرك به ثأرى . والتلفّع : الاشتمال . يقال : لَفَعَتْه النارُ ، إذا شملته من نواحيه وأصابه لهيبُها ؛ والشيبُ رأسَه : شمله. ولفّعته النار ، فتلفّعها ؛ والأهوالُ الشيبَ رأسَه ، فتلفّعه ؛ أفاده التضعيف جديد تعدية وردّته المطاوعة إلى أحد المعمولين . وشاهده قول أبى العلاء « تلفع نيران الحريق أباء » . أما التلفع بمعنى التغطية فليس له ثلاثى متعد . ور باعيُّه المضعف من ذوى المعمول الواحد ، ومطاوعه لا يصل إلى معموله إلا بالحرف . وشاهده قول جرير :

لم تتلفّع بفضـــل مِئزرها دَعْدٌ ولم تُغْذَ دَعْدٌ بالعُلَب

وتقول : لفّع رأسه ، أى غطّاه ، ولم يُسمع فيه « لَفَع » مخففاً متعدياً ، كما سُمع فى معنى الشمول ، و إن كان منه .

والأباء ، بالفتح والمد : القَصب . وقيل : هو أجمة الحلفاء والقصب خاصة . الواحدة أباءة . قال كعب بن مالك الأنصارى يوم حفر الخندق :

مَنْ سَرّه ضَرْبٌ يُرَعْبل بعضُه بعضاً كمَعْمعة الأباء المُحْرَقِ

فَلْيأْت مأسدةً تُسَنُّ سُيوفها بين المَزاد و بين جَزْع الخندق

قال ابن برّى : ور بما ذُكر هذا الحرف فى المعتلّ من الصحاح ، وأن الهمزة أصلها ياء . قال : وليس ذلك بمذهب سيبو يه ، بل يحملها على ظاهرها حتى يقوم

دليل أنها من الواو أو من الياء ، نحو الرداء ، لأنه من الرِّدْية ، والكساء ؛ لأنه من الكُسوة .

يقول : ليتنى أستطعت أن أستدرك ما مضى وأتلافى ما فات ، إذاً لأنكرت من أمرى بعض ما عرفت ، ولغيّرت من مواصلتى القديمة للناس نفوراً منهم وانقطاعاً عنهم . ولكن أين السبيلُ إلى ذلك ؛ وقد اشتعل الرأس شيباً كأنه النار تأخذ أطراف القَصب .

١٣ (إذا نَزَلَ المِقْدارُ لم يَكُ لِلْقَطَا نُهُوضٌ ولا للمُخْدِراتِ إبَاءُ)

١٤ (وقد نُطِحَتْ بالْجَيْشِ رَضْوَى فلم تُبَلْ ولُزَّ برَايَاتِ الْخَمِيسِ قُبَاءُ)

المقدار ، هنا : الموت . وقال اللَّيث : المقدار : اسم القدْر ، بمعنى المبلغ ، إذا بلغ العبد المقدار مات . وأنشد :

لو كان خلفَك أو أمامك هائباً بَشَراً سواكَ لهابك المِقْدَارُ

يعنى الموت . والقَطا : جمع قَطاة من الطُّيور ، سُمى بذلك لثقل مَشْيه ، وقيل لصوته . ومنه بيت النابغة :

تدعو قطاً وبه تُدْعى إذا نُسبت يا صِدْقَها حين تدعوها فتَنْتسبُ

وفى المثل : إنه لأدلّ من قطاة ؛ لأنها ترد الماء ليلًا من الفلاة البعيدة . وفيه : وإنه لأحذق من قطاة ؛ لأنها تقول : قطاً قطاً . وفيه أيضاً : لو تُركَ القطا ليلا لنام . يُضرب لمن يَهيج إذا هِيج . والمُخدِر ، على صيغة اسم الفاعل ، من : أخدر يُخدر ، إذا اتخذ الأجمة خدراً . ويريد بـ « المخدرات » صنوفَ الحيوان الممتنعات بالأجمات .

وأقام «القطا» و«المخدرات» مثلين للطير والحيوان . وخص « القطا » إذ أنه أهدى ، و « المخدرات » لأنها أقوى . والإباء : الامتناع ، فعله أبى يأبى ، بالفتح فيهما . وخص « القطا » بالنهوض ، وهو الطيران ، إذ هو مفزعها مع الحدثان . و « المخدرات » بالإباء ، لأن بالأجمات أخدارُها تمتنع فيها .

والنَّطح ، للكباش ونحوها ، ويَقْتاس من ذلك تناطُح الأمواج والسيول والرجال فى الحرب . ورضوى ، بفتح أوله وسكون ثانية : جبل على مسيرة يوم من ينبع ، وعلى سبع مراحل من المدينة . وهو الجبل الذى يزعم الكيسانية أن محمد ابن الحنيفة به مقيم حى يرزق . ولم تُبل : لم تكترِث ، على القصر، والأصل : لم تبالِ ؛ وقيل : حذفت الألف تخفيفاً لكثرة الاستعمال كما حذفوا الياء من قولهم : لا أدر . وكذلك يفعلون بالمصدر فيقولون: ما أباله بالة، والأصل فيه : بالية . وقال ابن بَرى : لم تحذف الألف من قولهم « لم أبل » تخفيفاً و إنما حذفت لالتقاء الساكنين . وقال الخليل : هى من باليت . ولكنهم لما أسكنوا اللام حذفوا الألف لئلا يلتقى ساكنان ، و إنما فعلوا ذلك بالجزم لأنه موضع حذف ، فلما حذفوا الياء ، التى هى من نفس الحرف بعد اللام، صارت عندهم بمنزلة نون «يكن» حيث أسكنت ؛ فإسكان اللام هنا بمنزلة حذف النون من « يكن » . و إنما فعلوا هذا بهذين حيث كثر فى كلامهم حذف النون والحركات ، وذلك نحو : مُذ ، ولدْ ، وقد علمْ . و إنما الأصل: منذ ،ولدن، وقد علمَ . وهذا من الشواذ ، وليس مما يقاس عليه و يطرد . واللاز: لزوم الشىء بالشىء . والخميس : الجيش؛ وقيل : الجرار ، أو الخشن . وقال ابن سِيده : هو الجيش يخمس ما وجده ، وسُمى بذلك لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب والمَيمنة والميسرة والساق . وقُباء بالضم ، وألفه واو ، يمد و يقصر ولا يصرف : قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة .

وقباء أيضاً : مدينة كبيرة من ناحية فرغانة قرب الشاش .

ضرب رَضْوى وقباء مثلين للجبل والسهل .

يقول : إنما هو القضاء يجب الإذعان له والرضا به . فالقضاء إذا حُم قص جناح القطا فلا تَنهض ، وقلّم أظفار السباع فلا تَصول . وأنت عن فهم هذا القضاء عاجز ، ومن الوصول إلى سرّه ممنوع . ألا تراه يكف بأس ذى البأس فيمنعه من البطش حين يريد البطش، ويحتفظ للسهل بسهولته وللحزن بحزونته ، مهما تتعاقب عليهما الأحداث . انظر إلى جبل رَضْوى ما زال قائماً على كثرة ما اختلف عليها من الرايات والأعلام . أذْعن إذنْ واستسلم ، ولا تحاول فهماً ولا تأويلا ، فإن القضاء لا يخضع لفهم ولا تأويل .

١٥ (عَلَى الْوُلْدِ يَجْنِى والدٌ ولو انّهم وُلَاةٌ عَلَى أمْصارِهم خُطَباءُ)

١٦ (وَزادَكَ بُعْدًا من بَنِيكِ وزادَهم عليك حُقُودًا أنّهم نُحَسَاءُ)

١٧ (يَرَوْنَ أَبًا أَلْقاهُم فى مُؤَرَّبٍ مِنَ العَقْد ضَلَّت حَلَّه الأُرَباءُ)

الولد ، بالضم وبفتحتين : ما وُلد أيّاً كان ، وهو يقع على الواحد والجميع والذكر والأنثى ويجوز أن يكون «الولد» بالضم ،جمع ولد ؛ والولد، بالكسر ، كالوُلد بالضم لغة، وليس بجمع ؛ لأن فَعَلَ بالتحريك ليس مما يُكسّر على فِعْل. والحقود والأحقاد: جمعاً حقد ، وهو الضغن . والعقد : نقيض الحل . وتأريب العقد : إحكامه . يقال : أرِّب عقدتك ، أى أحكمها، ومنه قول كَنّاز بن نُفيع يخاطب جريراً :

غضبْت علينا أن علاكَ ابنُ غالبٍ فهلّا على جَدّيْك فى ذاك تغضبْ

هما حين يَسعى المرء مسعاةَ جدِّه أناخا فشدّاكَ العقال المؤرَّبْ

والأُرباء : جمع أريب . وهو الداهية البصير بالأمور .

يقول : إنما الحياة شر فَلنَنْصرف عن هذا الشر ؛ وإنما الوجود بؤس فَلْنقطع أسباب هـذا البؤس ؛ وإنما الآباء جُناة على أبنائهم مهما يبلغوا من علو المنزلة وارتفاع المكانة ، أو مهما يُتح لهما من التفوق والسلطان . ويزيد جناية

الآباء على أبنائهم جدّة ، ويزيد بُعدَ الآباء من أبنائهم شدة ، أن يُتاح لهؤلاء الأبناء من الذكاء والنجابة ما يَكشف لهم عن هذا الشر العظيم الذى دفعهم آباؤهم إليه حين منحوهم الوجود ، واضطروهم إلى الحياة ، فورّطوهم فى مآزق لا مَخرج لهم منها ، ومصاعب لاسبيل إلى اجتيازها ، ومشكلات لا أمل فى حلّها.

١٨ (وما أَدَبَ الأَقْوَامَ فى كُلِّ بَلْدةٍ إِلَى المَـيْنِ إلا مَعْشَرٌ أُدَبَاءُ)

أدب يأدب ، بالكسر أدباً : دعا ، هذا أصلُه ، ثم استعمل فى الدّعوة إلى الطعام ، كما قيل لما يأدب الناسَ إلى المحامد و ينهاهم عن المقابح : أدباً . وقد يُوجَّه هنا على الأصل كما قد يوجَّه إلى هذا المعنى الأخير لنُكتة . .

والمين : الكذب . ويجمع على مُيون . والفعل منه مان يَمين . والمائن : الكاذب . و إذا أردت المبالغة قلت : مَيُون ومَيّان . وتقول : وُد فلان متماين ، وفلان متماين الود ، إذا كان غير صادق الخُلَّة. والمعشر : كل جماعة أمرهم واحد ، نحو : معشر المسلمين ، ومعشر الفقهاء .

يقول : خُذ حِذرك ولا تَسمع لكل ما يُقال ، ولا تَسْتَجِب لكل ما تُدعى إليه . أسىء ظنّك بأدب الأدباء ، فإنهم لا يدعون إلا إلى المَين ، ولا يرغبون إلا فى الباطل ، ولا يهدون إلا إلى الضلال .

١٩ (تَتَبَّعُنا فى كُلِّ نَقْبٍ ومَخْرَمٍ مَنَـايَاَ لهَا مِنْ جِنْسِها نُقَبَاءُ)

تتبعنا ، أى تتبعنا . والنَّقب ، بالفتح والضم : الطريق ؛ وقيل : هو الطريق الضيق فى الجبل. والجمع: أنقاب ونِقاب . وقال الأزهرى فى جمعه: نِقَبة .قال : ومثله: الجُرْف، وجمعه جِرَفة . والمِخرم ، بكسر الراء ، والجمع المخارم ، وهى أفواه الفِجاج

والطرق فى الغَلْظ . وقيل : الطرق فى الجبال أو الرمل . وفى حديث الهجرة : مرّا بأَوس الأسلمى فحملهما على جمل و بعث معهما دليلاً وقال : اسلك بهما حيث تعلم من مخارم الطرق . ونقباء : جمع نقيب ، وهو الضمين والكفيل .

يقول : أتريد أن تعرف الحق ؟ فاستمع إلىّ : إنما نحن صيد يطلبنا الموت حيثما اتجهنا ، و يظفر بنا حيثما اعتصمنا ، فلا تفرق ولا تجبُن ، وأقدم على ما ترى الإقدامَ عليه ؛ فلن يمنحك الفَرقُ خلوداً ، ولن يُجنّبك الجبنُ موتاً .

٢٠ (إذا خَافَت الأُسْدُ الِخماصُ من الظُّبَا
فكَيْف تعدَّى حُكْمهنّ ظِباءُ)

الخماص : جمع خمصان ، بالفتح والضم ، وهو الضامر البطن جوعاً . والأسد إذا جاع كان أشرى . ولم يجمعوه بالواو والنون ، و إن دخلت الهاء فى مؤنثة حملاً له على فَعلان ، الذى أنثاه فَعلى ؛ لأنه مثله فى العدّة والحركة والسكون . وحكى ابن الأعرابى : امرأة خمصى ، وأنشد للأصم عبد الله بن رِبْعِىّ الدُّبيرىّ :

لكنْ فتاةٌ طَفلةٌ خَمْصى الحشا عزيزة تنام نوماتِ الضُّحى

مثل المهاة خذلت عن المها

والظُّبا ، كهُدى : من جموع ظُبة ، أهمله ابن منظور وذكره الفيروزابادى : وهو حد السيف ، ومثله : ذُبابه . وتعدى ، أى تتعدّى ، حذف منه حرف المضارعة . والتعدى : التجاوز .

يقول : فكّر أىّ فَرْق بين القوى إذا أدركه الخوف ، و بين الضعيف إذا مسّه الهلع . فكرّ ما خطب الظَّبْى إن أشفق من الموت ، وفيم تُنكر عليه هذا الإشفاق ، إذا لم يكن الأسد الهصور بمأمن من الخوف والإشفاق ؟

اللزومية الثانية

وقال أيضاً فى الهمزة المضمومة مع الباء :

١ (تُكرَّمُ أَوْصَالُ الفتَى بعد مَوْته   وهُنّ إذا طال الزَّمانُ هَباءُ)

الأوصال : مجتمع العظام والمفاصل . وفى صفته صلى الله عليه وسلم : إنه كان فَعْم الأوصال ، أى ممتلىء الأعضاء . الواحد وِصل ، ووُصل ، بالكسر والضم . وقيل : الوصل : كل عظم على حدة لا يكسر ولا يخلط بغيره ولا يوصل به غيره ، وهو الكِسْر والجِدْل .

وقد مر الحديث على « الهباء[1] » .

يقول : دع ما استقر فى طباع الناس من إهمال الحق و إيثار الباطل ، اغتراراً بالظاهر الكاذب: من لفظ خادع،أو وهم شائع ، أو خرافة باطلة . فإنما حياة الناس ألوان من تلك الأباطيل المحترمة كأنها حق ، منها ما أجمع الناس عليه فى كل جيل وفى كل موطن من تكريم الجثة بعد الموت ، مع أنها صائرة إلى التغير والاستحالة وصائرة هباء بعد حين ، وحرصِهم على الحياة واغترارهم بها وانخداعهم بلذاتها واندفاعهم خلف الآمال والأمانى ، كأنهم خالدون ، مع أن الموت لا بد منه ولا مندوحة عنه .

٢ (وأَرْواحُنا كالرَّاحِ إنْ طالَ حَبْسُها   فَلاَ بُدَّ يَوْماً أَنْ يَكُونَ سِباءُ)

الراح : الخمر ، اسم له ، والسِّباء : مصدر سبى الخمر يَسْبيها ، أو سبأ الخمر يسبؤها. وهو على الأول بمعنى : حَمَلها من بلد إلى بلد وجاء بها من أرض إلى أرض . قال أبو ذؤيب :

---

(١) انظر شرح البيت ١١ من اللزومية الأولى ص ٥٨ من هذا الجزء .

فما إن رحيق سَبَتْها التِّجا رُ من أذرعات فوادى جَدَرْ

وعلى الثانى فالمعنى : اشتراها ، أو اشتراها ليشربها ، فإن لم تهمز كان المعنى فيه الجَلْب ، و إن همزت كان المعنى فيه الشراء . والمعنى على التوجيهين مستقيم ، فكلاهما يفيد الاحتياز .

يقول : وما الروح فى الجسم إلّا كالرّاح فى الدّن ، لكل منها مقتضٍ يبتغيها وطالب يرغب فيها . فطالب الراح الإنسان ، وطالب الروح الموت .

٣ (يُعيِّرنَا لَفْظَ المَعرّة أنّهـــا مِنَ العُرِّ قَوْمٌ فِى العُلَا غُرَبَاءُ)

٤ (فإنّ إباَءَ اللَّيْثِ ما حَلَّ أَنْفَه بأنّ مَحـــلّاتِ اللُّيُوثِ أَباءُ)

٥ (وهَلْ لَحِقَ التَّثْرِيبُ سُكَّانَ يَثْرِبٍ
مِنَ النَّاسِ لا بَلْ فى الرِّجالِ غِباءُ)

٦ (هُمْ ضارَبُوا أَوْلَادَ فِهْرٍ وجالَدُوا على الدِّين إذ وَشْىُ المُلوك عَباءُ)

٧ (ضِرَابًا يُطيرُ الفَرْخَ عَنْ وَكْرِ أُمِّه ويَتْرُكُ دِرْعَ المَرْءِ وَهْىَ قَبَاءُ)

٨ (وذُو نَجَبٍ إنْ كان ما قِيل صادِقًا فما فِيـــه إلّا مَعْشَرٌ نُجَبَاءُ)

التعيير : التعايب والتسابّ . والعامة تقول : عيّره بكذا . والصواب : عيّره كذا . قال النابغة :

وعيّرتنى بنو ذُبيــان خَشْيَتَه وهل علىّ بأن أخشاك مِن عارِ

والمعرّة ، هى معرة النعمان ؛ منها كان أبو العلاء . وأما معنى المعرة لغة ، فالجرب والشدة ، وتلون الوجه من الغضب ، والغُرم والدّية، وقتال الجيش دون إذن الأمير . وهى أيضاً كوكب فى السماء دون المجرة ، سميت بذلك لكثرة النجوم فيها ،

تشبيهاً بالجرب . والنعمان التى نسبت إليه هو ابن بشير ، صحابى اجتاز بها فمات له بها ولد فدفنه وأقام عليه فسميت به .

وقال ياقوت : وهذا فى رأيى سبب ضعيف لا تسمى بمثله مدينة . والذى أظنه : أنها مسمّاة بالنعمان ، وهو الملقب بالساطع بن عدىّ بن غطفان بن عمرو بن بَريح ابن خزيمة بن تَيْم الله ، وهو تنوخ بن أسد بن وَبَرَة بن تغلب بن حُلوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة ، وهى مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حِمْص بين حلب وحماة .

والعُرّ ، بالفتح والضم : الجَرَب . وقيل العَر ، بالفتح : الجدب . و بالضم : قُروح بأعناق الفُصلان .

والإباء : الامتناع : وأنْفه : أشده ؛ تقول: جاء يعدو أنف العدو ، أى أشده . وما حلّ ، أى ما نقص ونَقَض من مِرّته .

ومحلات : جمع محلّة ، و هى المنزل يُنزل فيه . والأباء : جمع أباءة ، وهى أجمة القصب . وقدمر عنها مزيد(١) . ومحل « البـاء » وما اتصلت به من « أن » ومعموليها الرفع على الفاعلية للفعل « حل » .

والتثريب : التوبيخ . وقيل: ثرّب عليه : لامه وعيّره بذنبه وذكّره به . وفى التنزيل العزيز: (قَالَ لا تَثْرِيبَ عليكم اليوم) قال الزّجاج: معناه لا إفساد عليكم . وقال ثعلب : معناه لا تذكروا ذنوبكم . وفى الحديث : « إذا زنت أمة أحدكم فليضربها الحدّ ولا يثرب » . قال الأزهرى : معناه: ولا يبكّتها ولا يقرعها بعد الضرب : وقيل : أراد : لا يقنع فى عقوبتها بالتثريب بل يضربها الحدّ ، فإن زِنَى الإماء لم يكن عندالعرب مكروهاً ولا منكراً ، فأمرهم بحدّ الإماء كما أمرهم بحد الحرائر . وثرّب عليه وعرّب عليه ، بمعنى ، إذا قَبح عليه فعله . ويثرب :

---

(١) انظر شرح البيت ١٢ من اللزومية الأولى : ص ٥٩ من هذا الجزء .

مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . سمَّاها طيبة وطابة كراهيةً للتثريب . وقيل : إن يثرب ناحية من مدينة النبي صلى الله عليه وسلم . والنسبة إليها يَثربىّ وأَثرِبى وأَثْرَبىّ ، فتحوا الرّاء استثقالًا لتوالى الكسرات . والغباء، أصله غبًا ، فمدّ للشعر . يقال: غبى الشيء،وغبى عنه،غبًا وغباوة : لم يفطن له . كما يقال : غبى الأمر عنّى ، أى خفى فلم أعرفه . وفى حديث الصوم : « فإن غَبِى عليكم » أى خفى . ورواه بعضهم « غُبِّى » بضم الغين وتشديد الباء المكسورة ، لما لم يُسمَّ فاعله .

وأما الغَباء ، بالمد ، فهو شبه الغَبَرة فى السماء ، وكذلك الخفاء من الأرض .

والمضاربة والمجالدة ، بمعنى . وفى اختياره لصيغة « فاعل » فى الفعلين إشارة لما نالوا من خصومهم ونال منهم خصومهم ، وهو أمدح .

وفهر ، أبو قبيلة ، وهى أصل قريش ، وهو فهر بن غالب بن النضر بن كنانه . وقريش كلهم ينسبون إليه .

والوشى من الثِّياب ، هو أن يكون من كل لون . وقيل : ما اُختلط فيه لَون بلَوْن والجمع : وشاء .

والعَباء : جمع عباية ، وهى ضَرْب من الأكْسية واسع فيه خيوط سود كِبار . يُشير إلى ما كانوا عليها حينذاك من بَداوة ، فى ظلها الحَمِيَّة أشد ، والحفاظ ألدّ .

والوكر : عُش الطائر وإن لم يكن فيه . وقال الأزهرى : موضع الطائر الذى يبيض فيه ويفرخ . وزاد أبو عمرو : هو العُشّ حيثما كان ، فى جبل أو شجر . والجمع القليل : أوكر ، وأوكار ؛ والكثير : وُكور ، ووُكَر .

والدّرع : لَبُوس الحديد : تذكّر وتؤنث . يقال : درع سابغة وسابغ ، والجمع فى القليل : أدرع وأدراع . وفى الكثير : دُروع . وتَصغير درع : دُريع ، بغير هاء على غير قياس ، لأن قياسه بالهاء ، وهو أحد ما شذ من هذا الضرب .

والدرع كذلك: قميص المرأة ، وهو أيضًا الثوب الصغير تلبسه الجارية الصغيرة فى بيتها ، وكلاهما يذكر ، وقد يؤنثان . وقال اللحيانى : درع المرأة مذكر لا غير . والقباء ، ممدود : من الثياب ، سمِّى بذلك لاجتماع أطرافه .

وذو نجب ، محرَّكة : واد لمحارب ، كانت فيه وقعة لبنى تميم على بنى عامر ابن صعصعة . دعت بنو عامر حسان بن مُعاوية بن آكل المرار الكندىّ ، وهو ابن كبشة ، امرأةٍ من بنى عامر بن صعصعة ، بعد وقعة جبلة بحَوْل ، إلى غزو بنى حنظلة ، وهوّنوا أمرهم عليه . فساروا إليهم فى جمع وثروة ، ووقعت الحرب ، فقتل ابن كبشة الملك ، وأُسر يزيد بن الصعق وغيره من وجوه بنى عامر ومن تبعهم . فقال سُحيم بن وُثَيل الرِّياحى :

ونحن ضربنا هامة ابن خُويلد   يَزيد وضرّجنا عُبيدة بالدَّم
بذى نجب إذ نحن دون حَريمنا   على كل جَيَّاش الأجارىّ مِرْجم

يقول : إن بعض الأدعياء ليعيروننا افظ المعرة ، يزعمون أنها مشتقة من العر ، وهو الجرب . فانظر إلى سخف الناس وما يتورّطون فيه من الانخداع بالأسماء ، والاندفاع فيما تدعو إليه من رغبة أو رهبة ، غير حافلين بالحق ، ولا ناظرين فيه . لو أن للأسماء أثراً فى الوجود والحس ، لكانت الأسود إنما تستمد إباءها من أجماتها التى تسكنها ، ولكان أهل يثرب قد أصابهم التثريب والعَيْب . مع أنهم أحقّ الناس بالمدح والمثوبة ، لما جالَدوا عن الدين وزادوا عن حوضه ، بضَرْب يطير الفرخ عن وكر أمه ، ويبطل مزيَّة الدرع فيردّها كالقميص لا تغنى غناء ، ولا تدفع بلاء . لو كان ذلك حقاً لكان اسم ذى نجب ، علة لنجابة سكانه ، وسبباً لنُبوغ أبنائه . أجل ، إن ذلك باطل ، مصدره فساد العقول ، ومرض القلوب ، وانحراف الأمزجة .

٩ (هَل الدِّينُ إلا كاعِبٌ دُونَ وَصْلِها   حِجابٌ ومَهْرٌ مُعْوِزٌ وحِباءُ)
١٠ (وما قَبِلتْ نَفْسٌ من الخيرِ لَفْظَه   وإنْ طالَ ما فاهَتْ به الْخُطَباءُ)

الكاعب : الجارية حين يبدو ثَدْيها للنُّهود ، والجمع : كواعب . قال تعالى :

(وكَوَاعِبَ أتْرَابا) . ومُعوز ، أى يُعوز صاحبَه . يقال : أعوزه هذا الأمر ، إذا اشتد عليه وعسر ، أو قلّ عنده مع حاجته إليه .

والحباء والعطاء : ما يحبو به الرجل صاحبه ويكرمه به .

يقول : وإنك لترى لفظ الدين والخير أشيع الألفاظ بين الناس ، يتخذونهما طريقاً إلى الحياة والغنى ، وجُنة من الموت والفاقة . مع أن معنى الدين عزيز لا ينال إلا بالكد ، ولا يدرك إلا بالمحاولة ، ولا يسمو إليه إلا من أعدّ له العُدة من جهاد بالنفس والقوة والمال . وما كنت لآخذ بلفظ الخير فأزعم بعد ذلك أنِّى خيِّر . وطالما ردَّد الخطباء هذا اللفظ ولاكته أفواههم ، إنما الخير معنى يؤثر فى القلوب والعقول ، وتظهر آثاره فى الأعمال ، لا لفظ تلوكه الأفواه وتذهب به الرياح .

١١ (تفزَّعُ أعرابيَّةٌ أنْ جرَتْ لها نَوَاعِبُ يَسْتَعْرِضْنَها وظِباءُ)

١٢ (وما الأُرَبى للحىِّ إلا مُسَفِّةٌ على أنَّهُمْ فى أمْرِهِم أُرَباءُ)

تفزّع ، أى تتفزع ، مع حذف تاء المضارعة . وجرت لها : وقعت وحدثت . والنواعب . الغربان تنعب . والنعيب للغراب ، ويقال لغيره على الاستعارة . وهو مما يُتطير به ، إذ لا يُرى إلا على آثار الديار بعد أن يخلفها أهلوها . ويستعرضنها ، أى يجئنها من جانبها عُرضاً ، يُشير إلى تطيّر العرب بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرها . فكانوا يُثيرونها ، فإذا مرّت شمالا فهى البارحة ، فتشاءموا بها . وإذا أتتهم عن اليمين فهى السانحة ، وتيمنوا بها . وفى الحديث : « ثلاثة لا يَسلم منها أحد : الطيرة والحَسد والظن . قيل فما نصنع ؟ قال : إذا تطيرت فامْضِ ، وإذا حَسدت فلا تبْغِ ، وإذا ظننت فلا تُصحِّح » .

والأُرَبى ، بضم الهمزة : الداهية . قال ابنُ أحمر :

فلما غَسى ليـلِى وأيقنتُ أنها هى الأُرَبى جاءت بأُم حَبَوْكَرى

قال الزَّبيدى : وهى كشُعبى رأُربى ولا رابع لها . ومُسفّة ، أى مؤذيه ضارّة تربدّ لها الوجوه وتتغير وتكمدّ . وفى الحديث : « أُتى برجل فقيل إنه سرَق » . فكأَنما أُسِفّ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى تغير وجهه واكمدّ ، كأنما ذُرَّ عليه شيء غيّره . من قولهم: أسففتُ الوشمَ ، وهو أن يُغْرز الجلد بإبرة ، ثم تحشى المغارز كحلا . أو لعلها من «الإسفاف»، وهو الدنو ، يريد أنها نازلة بهم . وأرباء : جمع أريب ، وهو البصير العاقل .

يقول : وهل رأيْت أضعف عقلا أو أسخف رأياً أو أضل حلماً أو أسفه نفساً ممن يتفزع ويتشاءم ، أو يستبشر ويتفاءل بالألفاظ الخادعة أو الأمور التى لا أثر لها فى عمل الطبيعة . تلك الأعرابية تفزّع وترتاع حين تعرض لها نواعب الغربان أو أسراب الظباء . مع أن الداهية قد تُلم بالحى البصير الحازم ، تفاءل أو تشاءم . لا يؤثر ذلك فى قدر ، ولا يدفع ذلك شيئاً من البلاء .

١٣(تَعادَتْ بنو قَيْسِ بن عَيْلانَ بالغِنَى فَثابُوا كأنّ العَسْجَدَ الثُّوَباءُ)

١٤(ولولاَ القَضاءُ الحَتْمُ أُخْبِيَ واقِدٌ ولم يُبْنَ حَوْلَ الرّاقِدينَ خِباءُ)

١٥(وعادُوا إلى ما كانَ إن جادَ عارِضٌ رَأَوْا أَنّ رَعْياً فِى البلادِ رِباءُ)

١٦(يُبِيئُون قَتْلاهُمْ بأَكْثَرَ مِنْهمُ وإنْ قَتلُوا حُرًّا فليْس يُباءُ)

تعادى القوم ، أى أصاب هذا مثل ما أصاب هذا . وعَيلان أبو قيس ، هو الياس بن مُضر بن نزار . وقيل: الصواب قيس عيلان ، مضافاً . وقال الجوهرى: وليس فى العرب « عيلان » غيره . واستدرك عليه الزّبيدى فقال : وعيلان ، بطن من باهلة . وعيلان ، هو فى الأصل اسم فرسه فأضيف إليه . وقيل : إنما عيلان

عبد مضر ،فَحَضن إلياسَ فغلب عليه ونسب إليه . وقال السهيلى فى الروض الأنف : قيس بن عيلان . هو المشهور عند أهل النسب . و بعضهم يقول : قيس هو عيلان لا أبنه . قال : وعرف قيس عيلان بفرس له يسمى عيلان ، كما عرف قيس كُبّة فى بجيلة بفرس له اسمه كبة . وكان هو وقيس عيلان متجاورين، فإذا ذكر أحدهما وقيل : أى القيسين هو ؟ قيل قيس عيلان ، أو قيس كُبة . كما قيل : إن عيلان كان اسم كلب له . وقيل : اسم جبل وُلد عنده . وقيل : كان قيس عيلان جواداً أتلف ماله فأدركته عيلة ، فسمى عيلان .

وثابوا ، أى امتلأت به أيديهم ، من ثاب الحوض ، إذا امتلأ . والعسجد : الذهب ، وقيل : هو اسم جامع للجوهر كله من الدّر والياقوت . والثؤباء ، من التثاؤب . وقد مر(١) .

والحَتْم : اللازم الواجب الذى لا بد من فعله . وخبت النار : سكنت وطفئت وخمد لهبها . وأخبيتها أنا . قال الكُميت :

ومنا ضرار وابنُماه وحاجبٌ مؤجِّجُ نيران المكارم لا المُخبِي

والواقد : المتقد المشتعل . والخباء : واحد الأخبية ، وهو ما كان من وبر أو صوف ، ولا يكون من شعر . وهو على عمودين أو ثلاثة ، وما فوق ذلك فهو بيت . وقد يستعمل فى المنازل والمساكن ، ومنه الحديث : « أتى خباء فاطمة وهى فى المدينة » . يريد منزلها . وأصله الهمز ، لأنه يختبأ فيه .

والعارض : السحاب المطل يعترض فى الأفق . والرِّبا : الزيادة والنمو . فعله : ربا يربو .

ويقال : أبأت فلاناً بفلان ، إذا قتلته به . وباء فلان بفلان ، إذا قُتل به وصار دمه بدمه .

---

(١) انظر شرح البيت ١٠ من اللزومية الأولى : ص ٥٧ من هذا الجزء .

يقول : أولئك قيس بن عيلان أعداهم الغنى والثروة ، فعادوا من أثرياء الناس وأهل الغنى منهم . ولولا أن سبق بذلك قضاء محتوم وقَدَر مكتوب لما وَرِيت لهم زَنْد ، ولا كان لهم رفدٌ ، ولعادوا إلى ما كانوا فيه من الفقر المدقع ؛ يُضنيهم رعى الكلأ ، و يضعفهم الحصول على أدنى القوت ، مختلفين فيما بينهم لا يجمعهم نظام ، ولا يُلم شعثهم قانون ، و إنما هو الغلب والقهر ، وهو السلطان والاستبداد .

اللزومية الثالثة

وقال فى الهمزة المضمومة مع الباء ، والطويل الثانى[1] :

١ (أُرائيك فَلْيَغْفِر لِىَ اللهُ زَلَّتِى   بِذاكَ وَدِينُ العالَمِينَ رِئَاءُ)

راءيتُ الرجل مُراآة ورئاء : أريته أنى على خلاف ما أنا عليه .

يقول : شيئاً من الفطنة ونفاذ البصيرة ، فإنما الأمر بينك و بينى يقوم على الرياء والنفاق ؛ إنى لأظهر لك غير ما أُضمر ، وأبدى لك غير ما أُخفى ، فليغفر الله لى هذه الزلة ، وليتجاوز لى عن هذه السيئة .

٢ (وقَدْ يُخْلِفُ الإنْسانُ ظَنَّ عَشِيرِهِ   وإنْ راقَ مِنْــهُ مَنْظَرٌ ورُوَاءُ)

الإخلاف : أن يَعِد الرجل العدةَ فلا يُنجزها ، أو أن يطلب الرجل الحاجة فلا يجد ما طلب . يقال : رُجِى فلان فأخلف . والعشير : القبيلة ، والمعاشر ، والقريب والصديق . والرُّواء ، بالضم : حُسْنُ المنظر فى البهاء والجمال . يقول : ما أكثر ما ينكر الإنسان أمرَ عشيره ! يَرى منه ما يرضيه ويخدعه ، ولو قد تكشّف له ما وراء ذلك لرأى شرًّا ونُكراً .

٣ (إذا قَوْمُنا لَمْ يَعْبُدُوا اللهَ وَحْدَه   بِنُصْحٍ فإنَّا مِنْهُمُ بُرَءَاءُ)

يقال : أنا برىء من ذلك ؛ والجمع بِرَاء ، مثل كريم وكرام ؛ وبُرءاء ، مثل فقيه وفقهاء ؛ وأَبْراء ، مثل شريف وأشراف ؛ وأبرياء . مثل نصيب وأنصباء .

يقول : برئتُ إلى الله من الذين لا يعبدونه وحده ناصحين مخلصين ، لا يشوب دينهم رياء ولا نِفاق .

---

(١) أى ذو العروض المقبوضة ، وضربها مثلها .

اللزوميـــة الرابعة

وقال فى الهمزة المضمومة مع الباء ، والطويل الثانى[1] :

١ (سَأَلْتُ رِجَالًا عَنْ مَعَدٍّ ورَهْطِه وعَنْ سَبَأٍ ما كَانَ يَسْبِي ويَسْبَأُ)

٢ (فَقَالُوا هِيَ الْأَيَّامُ لَمْ يُخْلِ صَرْفُها مَلِيكاً يُفدَّى أو تَقِيًّا يُنَبَّأُ)

معد ، هو ابن عَدْنان أبو العرب العدنانية ، والميم زائدة . أوأصلية ، لقولهم: تَمَعْدد ، لقلة « تمفعل » فى الكلام . وعن النُّحاة : أن الأغلب على معدّ وقريش وثقيف التذكير والصرف ، وقد تؤنّث ولا تُصرف. والرّهط: قوم الرجل وقبيلته وَعَشيره . وقيل : هم من الرجال ما دون العشرة . وقيل : إلى الأربعين، ولا يكون فيهم امرأة . وسبأ : لقب ابن يَشْجب بن يَعْرب بن قحطان ، واسمه عبدشمس ، يَجمع قبائل اليمن عامة . ومرّ الكلام على السبي والسّباء[2] وصرف الأيام : حَدَثانها ونوائبها . ويُنبّأ ، أى تُدَّعى له النبوة .

يقول : سألت رجالاً من أهل العلم وأصحاب الفلسفة والبصر بحقائق الأشياء عن معدٍّ أو رهطه ، ماذا أعدّوا لاتقاء الخطوب ، وماذا دبّروا لتجنب الأحداث؟ وسألتهم عن سبأ ماذا كان يَسْبي إذا حارب ، وماذا كان يَسبأ إذا فرغ للهوه ، وإلامَ صار أمره بعد هذا كله ؟ فقالوا : إنما هى الأيام قد أُنزل الناس على حُكمها ، لم يُعْفَ من صُروفها مليك يُفَدَّى بالأنفس والأموال ، ولا تقيّ يدين الناس له بالكرامة أو بالنبوة .

---

(١) أى ذو العروض المقبوضة ، وضربها مثلها .

(٢) انظر شرح البيت ٢ من اللزومية الأولى ص ٥٣ من هذا الجزء .

٣ (أَرَى فَلَكاً مازَالَ بالخَلْقِ دائِراً   له خَبَرٌ عَنَّا يُصَانُ ويُخْبَأُ)

الفلك : مدار النجوم . ويُجمع على أفلاك ، ويجوز أن يجمع على فُلْكٍ ، مثل أَسَد وأُسْد .

يقول : أرى فلكا يدور بما فيه ومن فيه ؛ وإن لهذا الفلك لسرًّا مَصوناً وخبراً مكتوماً .

٤ (فَلاَ تَطْلُبِ الدُّنْيَا وَإِنْ كُنْتَ نَاشِئاً   فإِنِّيَ عَنْهــا بالأَخلاَّءِ أَرْبَأُ)

الناشئ : فويق المحتلم . وقيل : هو الحدث الذى جاوز حد الصغر . وكذلك الأنثى ناشئ ، بغيرهاء أيضاً. والجمع نَشَأ ، مثل طالب وطلب، وكذلك النَّشْء ،مثل صاحب وصَحْب. وفى الحديث: «نشأ يتخذون القرآن مزامير».ورَبَأ به عن كذا ، أى رفعه عنه .

يقول : فأعرض عن الدنيا ولا تغررك عن نفسك ، لا فى شبيبة ولا فى شيخوخة ؛ إنما هى نصيحة أُسديها إليك مخلصاً ، لأنى أوثرك بالحب ، وأنا أربأ بالذين أحبهم عن طلب الدنيا والتورط فى آثامها .

٥ (وَمَا نُوَبُ الأَيَّامِ إِلاَّ كَتَائِبٌ   تُبَثُّ سَرَايَا أو جُيُوشٌ تُعَبَّأُ)

النُّوب: النازلات . جمع نادر لنائبة ؛ والأعرف نوائب . قال ابن جنى: مجىء فَعْلة على فُعَل يُريك كأنها إنما جاءت عندهم من فُعْلَة، فكأن نَوْبَةً نُوبة ، وإنما ذلك لأن الواو مما سبيله أن يأتى تابعاً للضمة . قال : وهذا يؤكد عندك ضعف حروف اللين الثلاثة . والكتائب : جمع كتيبة ، وهى القطعة العظيمة من الجيش . وفى حديث السقيفة : «نحن أنصار الله وكتيبة الإسلام» . وبَثّه : نشره وفرّقه .

والسرايا : جمع سريّة ، وهى طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة ؛ قيل: سمُّوا بذلك لأنهم يُنفَّذون سرًّا وخفية ، وليس بوجه ؛ لأن لام « السر » راء ، وهذه ياء . وعَبَأت الجيش وعَبّأته : رتبتهم فى مواضعهم للحرب ، وقد يترك الهمز .

يقول : اصبر نفسك على أحداث الدنيا وكوارثها ، وأقم فيها إقامة المجاهد المرابط ، فإنّ ما يُلمّ بأهلها من النوائب ليست إلا كتائب يبثها القضاء ، مفرّقة حيناً ومجمّعة حيناً آخر ، ولا مردّ لها على كل حال .

اللزومية الخامسة

وقال فى الهمزة المضمومة مع الدال ، والطويل الثانى[1] :

١ (بَنِى الدَّهْرِ مَهْلًا إِنْ ذَمَمْتُ فِعَالَكُم فإِنِّى بِنَفْسِى لا مَحَالَةَ أَبْدَأُ)

المَهْل ، بالإسكان : الرفق ؛ وبالتحريك : التقدم ، ومنه حديث علىّ لأصحابه لما لقى الشُّراة : أقلُّوا البِطْنة وأعْذبوا . وإذا سرتم إلى العدو فمَهْلا مَهْلا — أى رِفقاً رفقاً — وإذا وقعت العين على العين فمَهَلاً مَهلا ، أى تقدُّماً تقدُّما . قال ابن منظور : الساكن : الرفق . والمتحرك : التقدم ، أى إذا سرتم فتأنّوا ، وإذا لقيتم فاحْمِلوا . وقال الجوهرى : المهل ، بالتحريك : التؤدة والتباطؤ .

ولا محالة ، هى فى موضع : لا ُبد ، ولا حيلة ؛ مفعلة من الحول والقوة . وأكثر ما تستعمل بمعنى اليقين والحقيقة ، أو بمعنى لابد ، والميم زائدة .

يقول : بنى زمنى ، لا تَجِدُوا علىّ ، ولا تنقموا منى أن أنكر حالكم ، وأذم فعالكم . فإنى أنكر من نفسى مثل ما أنكر منكم ، وأعيب من فعلى مثل ما أعيب من فعلكم . أشارككم فى الحياة فأشارككم فى الإثم وفى اللوم .

٢ (مَتَى يتَقَضَّى الْوَقْتُ واللهُ قَادِرٌ فَنَسْكُنَ فِى هَذا التُّرَابِ ونَهْدَأُ)

يتقضى الوقت : يفنى وينْصرم . والسكون هنا : ضد الحركة . وأما السكون بمعنى الإقامة ، فهو من ذوات المفعول ، وقد يجوز إليه بالباء .

يقول : ما أقدر الله على أن يَرُدّنا إلى هذا التراب ، فنسكن بعد حركة ، ونهدأ بعد عناء .

---

(١) أى ذو العروض المقبوضة ، وضربها مثلها .

٣ (تَجَاوَرَ هذا الْجِسْمُ والرُّوحُ بُرْهَةً   فما بَرِحَتْ تَأْذَى بذَاكَ وتَصْدَأُ)

أذِي به يأذى أذًى وأذاة وأذيّـة ، تأذّى ، فهو أذٍ . قال الشاعر :

لقد أذُوا بك وَدُّوا لو تُفارقهم   أذى الهَرَاسة بين النعل والقدم

وصَدئت تصدأ ، أى ركبها الرَّين وعلاها الطَّبَع . ومثلها أصْدأ يُصْدِئ .

يقول : لقد جاورت نفسى هذا الجِسم النكد ، فما أصابها من جواره إلا الأذى ، والصدأ الذى يفسد مَعدنها ، ويجلب لها كدراً بعد صفاء .

اللزومية السادسة

وقال فى الهمزة المضمومة مع السين ، والبسيط الثانى [(١)] :

١ (يَأْتِى عَلَى الْخَلْقِ إِصْبَاحٌ وإِمْسَاءُ — وكُلُّنا لِصُرُوفِ الدَّهْرِ نَسَّاءُ)

الإصباح : الصباح ، وهو نقيض المساء . أما الصبح ، فهو أول النهار والفجر. والإمساء : نقيض الإصباح . وصُروف الدهر : حَدَثانه ونوائبه ؛ الواحد : صرف ، اسم للدهر ؛ لأنه يَصرف الأشياء عن وُجوهها . ونسّاء : كثير النسيان ، وفعله : نسى الشىء نسْيَانًا ؛ ونِسْياً بالفتح والكسر . ونِساوة ونِسْوة . قال الشاعر :

فلستُ بصرّامٍ ولا ذى ملالَةٍ — ولا نسوة للعهد يا أُمّ جعْفَر

يقول : ما أكثر ما يستقبل الناسُ الصّباح! وما أكثر ما يستقبلون المساء ! ولكنهم جميعاً يَنْسُون ما يكون بينهما من الأَحداث .

٢ (وكَمْ مَضَى هَجَرِىٌّ أَو مُشاكِلُه — مِنَ المَقاوِلِ سَرُّوا النَّاسَ أَمْ سَاءُوا)

هجرىّ : نسبة إلى هَجر ، بفتحتين ، مدينة ، وهى قاعدة البحرين . وقيل : ناحية بها . والنِّسبة إليها : هَجرىّ على القياس، وهاجرىّ على غير القياس. والغالب عليها التذكير والصَّرف . وربما أنثوها ولم يَصرفوها . وقد فُتحت فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم ، قيل: فى سنة ثمان ؛ وقيل: فى سنة عشر على يد العلاء بن الحَضْرمى. والمَقاول : جمع مِقول ، وهو كالقَيْل ، الملك من مُلوك حمير ، وقيل هو دون الملك الأعلى . ويُجمع على مقاولة أيضاً . دخلت الهاء فيه على حدّ دخولها فى القشاعمة .

---

(١) أى ذو العروض المخبونة ، وضربها مقطوع .

يقول : ما أكثر من يمضى من الساسة والقادة ! وقد سرُّوا الناس بسياستهم وقيادتهم ، أو ساءوهم بما دبَّروا وقدروا .

٣ (تَتْوَى المُلُوكُ ومِصْرٌ فى تغيُّرِهِمْ مِصْرٌ عَلَى العَهْدِ والأَحْسَاءُ أَحْسَاءُ)

التَّوى ، مقصور : الهلاك : وقيل هو هلاك المال خاصة . وفعله من باب فرح . والأحساء : مدينة بالبحرين . أوّل من عمّرها وحصَّنها وجعلها قصبةَ « هجر » أبو طاهر الحسن بن أبى سعيد الجَنّابى القَرْمطىّ .

يقول : إن الملوك والرؤساء ليتتابعون فيما يَرِدُون من الهُلْك ، ولكن بلادهم تبقى على عهدها لا تتغيَّر ولا تتبدَّل . فمِصْر هى مصر ، والأحساء هى الأحساء ، وما أكثر من هلك من ملوك مصر وأمراء الأحساء .

٤ (خَسِسْتِ يا أُمَّنَا الدُّنْيَا فأُفٍّ لنَا بَنُو الخَسِيسةِ أَوْبَاشٌ أَخِسَّاءُ)

٥ (وقَدْ نَطَقْتِ بأَصْنَافِ العِظَاتِ لَنَا وَأَنْتِ فيما يَظُنُّ القَوْمُ خَرْسَاءُ)

خس يخس ، من بابى فرح وضرب : صار خسيسا ، وهو الرَّذْل الدَّنِىء . وأُف : كلمة تضجر . وفيها عشرة أوجه جمعها ابن مالك فى بيت واحد وهو قولُه :

فأُفَّ ثَلِّثْ ونَوِّن إن أردتَ وقُل أُفَّى وأُفِّى وأُفْ وأُفَّةً تُصِبْ

والأوباش : الأخلاط من الناس ، مثل الأوشاب .

يقول : أى أُمَّنا الدنيا ، إنك لخسيسة حقيرة . فأُف لنا نحن أبناءك من أوباش أخساء ! ورثنا عنك الخسة وضعة القدر . إنك لتعطيننا أصناف العظات ، وتقدمين لنا ألوان النصح ، بما تتكشَّفين لنا عنه من السوء والشر ، والناس على ذلك يرَوْنك خَرْساء لا تنطقين .

٦ (وَمَنْ لِصَخْرِ بْنِ عَمْرٍو أنّ جُثَّتَه صَخْرٌ وخَنْساءُهُ فى السِّرْبِ خَنْساءُ)

صخر بن عمرو ، هو ابن الشريد السُّلمى ، أخو الخنساء الشاعرة ، طعِن يوم ذى الأثل ، طعنه رجل من بنى أسد فأَدخل جوفَه حَلقاً من الدِّرع فاندمل عليه ، حتى شُقّ عنه بعد سنين ، فكان ذلك سببَ موته . ولأخته الخنساء فيه مراث كثيرة . ويُريد بالخنساء الثانية بقرة أو ظبية ، وأصل الخنس فى البقر والظباء ، وهو قصر الأنف ولزوقه بالوجه ، ثم انتقل إلى غيرها . والسرب: القطيع .

يقول : من الصخر بن عمرو أن يكون جسمه صخراً لاحياة فيه ! ومن لأُخته الخنساء أن تكون ظبية تَرعى مع الظباء ، لاحظّ لها من عقل ! إذن لتجنبا ما أَصابهما من القتل والثُّكل والحزن .

٧ (يَمُوجُ بَحْرُكِ والأَهْواءُ غالِبَةٌ لِراكِبِيهِ فَهَلْ للسُّفْنِ إِرْساءُ)

يقول : إنّ بَحرك لهائج شديد الهياج ، مضطرب عظيم الاضطراب ، تعصف به الشهوات الجامحة ، والأهواء العنيفة ، ونحن فى سُفن يكتنفها الهَوْل من كُل وجه ، فمتى يُتَاح لها الإرساء ، ومتى تُتاح لأهلها العافية !

٨ (إذَا تَعَطَّفْتِ يَوْماً كُنْتِ قاسِيَةً وإنْ نَظَرْتِ بِعَيْنٍ فَهْىَ شَوْساءُ)

الشَّوْساء : التى تنظر بمؤخر العين تكَبُّرًا أو تغيظا ، وقيل التى تنظر بإحدى عينيها وتُميل وَجهها فى شق العين التى تنظُر بها ؛ يكون ذلك خِلقَة ، ويكون من الكِبْر والتِّيه والغضب . والفعْل منه شَوِس يَشْوَس ، من باب فرح .

يقول : إنك لتعْطفين علينا وترفقين بنا ، وما أَرى عطفك إلا قسوة ، وما أرى

رفقك إلا عُنفاً . وإنك لتنظُرِين إلينا فنرى فى نظرك إلينا رحمة وليناً ، وإنه مع ذلك للنَّظر الشَّزْر لا يُصوِّر إلا الغلظة والجفاء .

٩ (إِنْسٌ على الأَرْضِ تُدْمِى هامَها إِحَنٌ مِنْها إذا دَمِيتْ للوَحْشِ أَنْسَاءُ)

الهام: جمع هامة ، وهى الرأس. ويقال : الهامة هى مابين حرفى الرأس ؛ وقيل هى وسطه ومعظمه ، والإحن : الأحقاد ؛ الواحدة : إحنة . والحنّة ، لغة فيها . والأنسا : جمع نَسا ، بوزن العصا ، عِرْق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثمَّ يمرّ بالعُرْقوب حتى يبلغ الحاصر ؛ فإذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين ، وجرى النّسا بينهما واستبان ؛ و إذا هُزلت الدابَّة اُضطربت الفخذان وماجت الرُّكبتان وخفى النسا . والأفصح أن يقال : النسا ، لا عرق النسا . قال أبو ذؤيب :

مُتفلِّق أنساؤُها عن قانِئٍ كالقُرط صاوٍ غُبْرُه لا يُرْضَعُ

قال ابن منظور : والنسا لا يتفلّق و إنما يتفلّق موضعه .

يقول : إنما الناس على الأرض فى إحن مستمرة ومِحَن متصلة ، يذوق بعضهم بأس بعض ، يتساقون الموت كما يتعاطَوْن الشَّر ، على حين لا يُصيب الوحش على الأرض من الشر إلّا أيسره وأهونه .

١٠ (فَلا تَغُرَّنْك شُمٌّ مِنْ جِبالِهِمُ وعِزَّةٌ فى زَمانِ المُلْكِ قَعْسَاءُ)

عزة قعساء : ثابتة . ورجل أقعس : ثابت عزيز منيع . وتقاعس العز : ثبت واُمتنع ولم يطأطىء رأسه .

يقول : فلا تنخدع بما ترى من جبالهم الشمَّاء ، وعزتهم القعساء ، ومجدهم التّليد والطريف ، فإنما هذا كله باطل وغرور .

١١ (نَامُوا قَليلًا مِنَ اللَّذَّاتِ وارْتَحلُوا بِرَغْمِهِمْ فإِذَا النَّعْماءُ بَأْسَاءُ)

النَّعماء والنَّعيم والنُّعْمى والنِّعمة ، كلها الخفض والدَّعة . وهى ضد البأساء والبُؤس .

يقول : إنما أُتيح لهم حظٌّ قليل من لذة ، ونصيب ضئيل من نعمة ؛ ثم ارتحلوا فإذا اللذة ألم ، و إذا النعماء بأساء .

اللزومية السابعة

وقال فى الهمزة المضمومة مع الباء :

١ (إنّ الأعِلّاءَ إنْ كانُوا ذَوِى رَشَدٍ   بما يُعانُونَ مِنْ دَاءٍ أَطِبَّــاءُ)

الأعلّاء : جمعٌ لعليل . والرَّشد ، بفتحتين : نقيض الغَىّ . كالرُّشد بالضم ، والرَّشاد .

يقول : إنما العليل المُعنَّى طبيب إذا عرف علّته ، واستقصى حقيقة الداء الذى يعانيه . فاعرف علّتك فى هذه الحياة ، واُستَقْصِ حقيقة ما يُصيبك فيها من أذى ، وما يُلم بك من مكروه .

٢ (وَمَا شَفَاكَ مِنَ الْأَشْياءِ تَطْلُبها   إلّا الأَلِبَّاءُ لو تُلْفَى الأَلِبَّاءُ)

الألباء : جمع لبيب ، وهو العاقل ذو اللُّب . قال سيبويه : لا يكسَّر على غير ذلك . والأُنثى لبيبة . وألفى الشيء : وجده وصادفه ولقيه .

يقول : إن أصل هذا كلِّه حاجتك التى لا تنقضى ، وتتّبعك لتحقيق ما تُثير الحياة فى نفسك من رغبات . والرجل اللبيب هو الذى يَشْفى نفسه من الحاجة ، ويكفُّها عن تتبع المآرب .

٣ (نَفِرُّ مِنْ شُرْبِ كَأْسٍ وَهْىَ تَتْبعُنَا   كأَنَّنَا لِمنَايَانَا أَحِبَّــاءُ)

يقول : يا ويحَنا ! إنّا نَفِرّ من الموت ، وليس لنا ملجأ من الموت ، ونحن مع ذلك نمضى فى الفرار ، . وهو مع ذلك يُلِحّ فى اقتفاء آثارنا ؛ كأنما نحن الأحباء قد شطت بهم نوًى بعيدة ، والموت عاشق مُلحّ ، يأبى إلّا أن تتصل أسبابه بأسبابنا .

اللزومية الثامنة

وقال فى الهمزة المضمومة مع الواو :

١ (إنْ مازَتِ النَّاسَ أَخْلاقٌ يُعاشُ بِهَا فإِنَّهم عِنْدَ سُوءِ الطَّبْعِ أَسْوَاءُ)

ماز الشيء يميزه مَيزا ومِيزةً : عزله وفَرزه وفصل بعضه عن بعض ، وكذلك ميّزه تمييزاً . وقد تميّز وامّاز واستماز ، كله بمعنى ؛ إلاّ أنهم إذا قالوا : مزتُه فلم يَنْمز . لم يتكلموا بهما جميعاً إلاّ على هاتين الصِّيغتين ، كما أنهم إذا قالوا : زِلته فلم ينزل . لم يتكلّموا به إلاّ على هاتين الصيغتين . لا يقولون : ميّزته فتميّز ، ولا زيّلته فلم يتزيّل . وهذا قولُ اللحيانى . وأسواء : جمع سواء . وسواء الشى : مثلُه . قال الشاعر :

ترَى القوم أسْواءً إذا جَلسوا معاً وفى القوم زَيْفٌ مثلُ زَيْفِ الدراهِمِ

يقول : إذا تمايز الناس فى أخلاقهم وخِصالهم ، وافترقوا فى أقوالهم وأعمالهم ، فهم سواء فى فساد الطَّبع وسوء الغريزة .

٢ (أَوْ كانَ كُلُّ بَنِى حَوَّاءَ يُشْبِهُنِى فبِئْسَ ما وَلَدَتْ فى الخَلْقِ حَوَّاءُ)

بئس : كلمة ذم . ونِعم : كلمة مدح . وهما فعلان ماضِيان لا يتصرّفان ، لأنهما أُزيلا عن موضعهما . فنعم ، من قولك : نَعِم فلان ، إذا أصاب نِعمة . وبئس ، منقول من : بَئِس فلان ، إذا أصاب بؤسا . فنُقلا إلى المدح والذم ، فشابها الحروف فلم يتصرّفا .

يقول : وإذا كان كُل الذين ولدتهم حوّاء يُشبهوننى فى الطبع والخلق والسيرة ، فبئس من ولدت حواء للناس !

٣ (يُعْدِى مِنَ النَّاسِ بُرْءٌ مِنْ سَقَامِهمُ وقُرْبُهم لِلْحِجَا والدِّين أَدْوَاءُ)
٤ (كالبَيْتِ أُفْرِد لا إيطَاءَ يُدْرِكُه ولا سِنَادَ ولا فى اللَّفْظِ إقْوَاءُ)

الحِجا ، مقصور : العقل والفطنة ، والجمع أحجاء . وأدواء : جمع داء .
والإيطاء : أن تتفق فى الشعر قافيتان على كلمة واحدة معناهما واحد ، فإن اتفق اللفظ واختلف المعنى فليس بإيطاء . والسِّناد فى الشعر : هو أن تُخالف بين الحركات التى تلِي الأرداف فى الرّوى ، كقول الشاعر :

شَرِبْنا من دِماء بنى تميم بأَطراف القَنا حتى رَوِينَا

ثم قوله بعد :

ألم تَرَ أنَّ تَغْلب بيتُ عزٍّ جِبالُ مَعاقلٍ ما يُرْتَقَيْنا

فكسر ما قبل الياء فى « روينا » . وفتح ما قبلها فى « يرتقينا » .
والإقواء : اختلاف إعراب القوافى . وقال الأخفش : هو رفع بيت وجر آخر .

يقول : إنما أُوثر العزلة وأتجنَّب الناس ، لأبرأ من أدوائهم ، وأعتصم من شرورهم ، وأطَّهَّر من آثامهم . إنما أُريد أن أكون كبيت الشعر يقوله الشاعر مفرداً لا سابق له ولا لاحق ، فهو بذلك آمنٌ عيُوب القافية . إنما يأتينا السوء من الحياة الاجتماعية التى يجاور فيها بعضُنا بعضاً ، فيشقى فيها بعضنا بجوار بعض .

٥ (نُودِيتُ أَلْوَيتَ فانْزِلْ لا يُرادُ أَتى
سَيْرِى لِوَى الرَّمْلِ بَلْ للنَّبْتِ إلْوَاءُ)

٦ (وذاكَ أنّ سَوَادَ الفَوْدِ غَيَّرَه
فِى غِرّةٍ مِنْ بَياضِ الشَّيْبِ أَضْوَاءُ)

ألويت ، أى قد جفّ عودك و يبس وذُبل . وأصل هذا المعنى فى النّبْت . وألوى أيضاً ، إذا صار إلى اللّوى ، وهو مسترقّ الرمل . وهذا المعنى هو الذى دفع توهّمه بقوله : « لا يراد أتى سَيرى لوى الرمل » .

والفَوْد : معظم شعر الرأس مما يلى الأذن . وفودا الرأس : جانباه . وفى الحديث : « كان أكثر شيبه فى فودى رأسه » . والغرة ، بالكسر : الغرور .

يقول : لقد نادانى المُنادى : ألويت فانزل . فلأفهم عن المُنادى نداءه ، فهو لا يريد أنى قد بلغت اللوى ، وإنما يريد أن نبْتى قد ألوى ، وأن زهرى قد ذوى ، وأنى قد أدركت الشيب ؛ فآن لى أن أرعوى وأثوب إلى الرشد .

٧ (إذا نُجُومُ قَتِيرٍ فى الدُّجَى طَلَعَتْ فلِلْجُفونِ مِن الإشْفَاقِ أَنْواءُ)

القَتير : الشَّيب ؛ وقيل هو أول ما يظهر منه . وأصل القَتير : رُءوس مسامير حَلَق الدُّروع تلوح فيها ، شُبِّه بها الشيب إذا نقب فى سواد الشعر . وفى الحديث : «إن رجلا سأله عن امرأة أراد نكاحها . قال : و بقَدْر أى النساء هى ؟ قال : قد رأت القتير . قال : دَعْها » . والدُّجى : سواد الليل مع غَيم ، وألّا ترى نجْماً ، ولا قمراً . وقيل : هو إذا ألبس كل شىء وليس هو من الظلمة . وقالوا : ليلة دُجى ، وليال دجى ؛ لا يجمع لأنه مصدر وُصف به . وقد دجا الليل يدجو .

وذهب ابن جنّى إلى أن الدجا : الظلمة ، واحدتها دجية . قال : وليس من دجا يدجو ، لكنه فى معناه .

والإشفاق : الخوف والجزع . والإشفاق أيضاً : الدخول في الشفق ، وهو من الأضداد ، يقع على الحُمرة التى تُرى بعد مغيب الشمس ، و به أخذ الشافعىّ . وعلى البياض الباقى فى الأفق الغربى بعد الحمرة المذكورة ، و به أخذ أبو حنيفة .وعلى هـذا الوجه الثانى فالمعنى ظاهر .

والأنواء : جمع نوء ، وهو النجم إذا مال للمغيب . و يجمع أيضاً على نُوآن ، مثل عَبْد وعُبدان ، و بطن و بُطنان . قال حسان ثابت :

ويَثرِبُ تعـلم أنَّا بها إذا قَحط الغيثُ نُوآنُها

وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إليها ، فيقولون : مُطِرْنا بنوء كذا . والأنواء ثمانية وعشرون نجماً ، معروفة المطالع فى أزمنة السنة كلها ، يسقط منها فى كل ثلاث عشرة ليلة نجم فى المغرب مع طلوع الفجر ، و يطلع آخر يقابله فى المشرق من ساعته . وانقضاء هذه الثمانية والعشرين كلها مع انقضاء السنة ، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة .

يقول : إنما الشيب كهذه النجوم التى لا تكاد تظهر فى الدجى حتى يتبعها المطر الواكف ، كذلك الشيب لا تكاد تظهر نجومه فى سواد الشعر حتى تنهل العبرات حزناً وخوفاً و إشفاقاً .

اللزومية التاسعة

وقال فى الهمزة المضمومة مع الفاء ، والبسيط الأول[1] :

١ (أَكْفِئْ سَوَامَكَ فى الدُّنْيَا مُيَاسَرَةً
وأَعْرِضَنْ عَنْ قَوَافِى الشِّعْرِ تُكْفِئُهَا)

٢ (إِنَّ الشَّبِيبَةَ نَارٌ إِنْ أَرَدْتَ بِهَا
أَمْرًا فَبَادِرْهُ إِنَّ الدَّهْرَ مُطْفِئُهَا)

السَّوام والسائمة ، بمعنى، وهى كل إبل خلِّيت فى الفلوات ترعى حيث تشاء . وإكفاؤها : هو أن يُعطى نتاجَها سنةً ، لبنَها ووَبرها وأولادها . يقال : استكفأت فلاناً إبلَه ، أى سألتهُ نِتاج إبله سنةً ، فأكْفَأنيها . والإكفاء أيضاً : أن يجعل إبلَه كفأتَيْن ، أى نصفين ، يَنتَجُ كلَّ عام نصفاً ويدع نِصفاً ، كما يصنع بالأرض بالزراعة . فإذا كان العامُ المقبل أرسل الفحل فى النِّصف الذى لم يُرسله فيه من العام الفارط ؛ لأنَّ أجود الأوقات عند العرب فى نتاج الإبل أن تُترَكَ الناقة بعد نتاجها سنة لا يحمَل عليها الفَحل ، ثم تُضْرَب إذا أرادت الفحل . والمعنى على الوجهين مستقيم . والمُياسرة : المُلاينة والمساهلة . قال الشاعر :

قومٌ إذا شُومِسُوا جدَّ الشِّماسُ بهم ذاتَ العِنادِ وإن ياسَرْتهم يَسَرُوا

والإكفاء فى الشِّعر : المخالفة بين ضُروب إعراب قوافيه . وقيل هى المخالفة بين هجاء قوافيه إذا تقاربتْ مخارج الحروف أو تباعدت . وقال بعضُهم : هو المُعاقبة بين الراء واللام والنون والميم .

يقول : أَسْرع إلى ما يخلق بك من نفع الناس ، مُعْرِضاً عمَّا لا خير فيه .

---

(١) أى ذو العروض المخبونة ، وضربها مثلها .

وبادر بذلك أحسن الأوقات ، وأشدَّها ملاءمةً له ، وهو وقت الشباب ؛ فإن الشباب أوفقُ وقتٍ لأستيفاء الحاجات وأقتضاء اللذات ، وهو لا يدوم بل الدهر ماحِيه ومُخْبِي جَذْوته . وما الشباب إلا كالنار يجدُر بمن يُريد الانتفاعَ بها أن ينتهز فرصة ذكائها وتلظِّيها .

٣ (أَصَابَ جَمْرِىَ قُرٌّ فانْتَبَهْتُ لَهُ وَالنَّارُ تُدْفِئُ ضَيْفِى حِينَ أُدْفِئُهَا)

جَمْرى ، أى جذوة شَبابى . والجمر فى الأصل : النار المُتقدة ، واحدته جمرة . فإذا بَرَد فهو فحم . والقُرّ ، بالضم : البرد عامّة . وأُدفئها ، أى أُذكيها وأُهيجها .

يقول : لقد أصاب قوةَ شبابى وهنُ الشَّيب ، فلم أستطع أن أردّ ذلك الضعفَ قوةً ، ولا أن أُحوِّل هذا الخُمود أستعارا . ولئن كان الشباب كالنار ، إنّ من اليسير عليك إذكاء النار الخامدة بعد خُمودها ؛ وليس من الممكن ولا من المُتاح أن تستردّ شباباً مضى ، أو تستأنف قوةً فاتت .

٤ (أَلْقَى عَلَيْهَا جَلِيسِى فى الدُّجَى حُمَماً فَقَامَ عَنْهَا بِأَثْوابٍ يُرَفِّئُهَا)

الحُمَم : الرماد والفحم البارد وكل ما احترق من النار ، الواحدة حُمَمة . ورُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنّ رجلا أوْصى بَنيه عند موته فقال : إذا أنا مُتّ فأَحْرقونى بالنار ، حتى إذا صرتُ حمما فاسْحقونى ثم ذَرُّونى فى الريح لعلّى أضلّ » . ورفأ الثوب يرفؤه ، مهموز : لأم خَرْقه وضم بعضه إلى بعض وأصلح ما وَهَى منه ، وربما لم يُهمز . ولعله قصد بالتضعيف إلى المُبالغة .

يقول : لستُ آمنَ عليك ، حين تخبو نار شبابك فترُيد إذكاءها ، أن يعودَ عليك ما تحاول من نفعها ضرراً ، وما تطلب من خيرها شرًّا . فكل قوة يبذُلها الأَشيب أستئنافاً لحيـاة الشباب لا تزيده إلا ضعفاً ولا تُفيده إلا وهناً .

اللزومية العاشرة

وقال أيضاً فى الهمزة المضمومة مع الياء ، والبسيط السادس[1] :

١ (قد حُجِبَ النُّورُ والضِّيَاءُ وإنّمَا دِينُنَـــــا رِيَاءُ)

٢ (وَهَلْ يَجُودُ الْحَيَا أُنَاساً مُنْطَوِيَاً عَنْهُم الْحَيَــاءُ)

الحيا ، مقصور ، وقد جاء ممدوداً : المطر والخِصْب ؛ وإذا ثَنّيْته قُلت : حيَيَان ، فتُبيِّن الياء ، لأن الحركة غير لازمة . وجادهم الحيا ، أى مَطَرهم .

يقول : أجل ، قد خُتم على القلوب وأظلمت البصائر ، حين حُجب عنها نور الحق. فظَنّ الناسُ أنهم على دينٍ صادق ، و إنما هم أهلُ نفاق ور ياء ، ليس إلى إصلاحهم من سبيل . فقد فقدوا أهم شرط للإصلاح وهو الحياء . وكيف يمكن أن يميل إلى الخير من لا يستحى من الشرّ !

٣ (يا عَالَمَ السَّـــــوْءِ ما عَلِمْنَا أَنّ مُصَلِّيكَ أَتْقِيَاءُ)

السوء ، بالضم : الفجور والمنكر ؛ و بالفتح : المصدر من ساءه يسوءه ، إذا فعل به ما يكره ، نقيض سَرّه . وإذا أضفت أضفت إلى الثانى فتقول : هذا رجل سَوْء ، بالفتح ؛ ولا تقول : رجل سوء ، بالضم ؛ لأنه إنما يُضاف إلى المصدر الذى هو فعله ، كما يقال : رجل الضَّرب والطّعن ، فيقوم مقام قولك : رجل ضرّاب وطعّان . وتقول فى النكرة : رجل سَوْء . و إذا عرّفت قلت : هذا الرجل السَّوء ، ولم تضف . وتقول : هذا عمل سَوْء ، ولا تقل : السَّوء ؛ لأن « السَّوء » يكون نعتاً للرجل ولا يكون « السوء » نعتاً للعمل : لأنّ الفعل من الرجل وليس الفعل من السوء ، كما تقول : قول صدق ، والقول الصدق ،

---

(١) أى ذو العروض المجزوءة المقطوعة ، وضربها مثلها .

ورجل صدق ؛ ولا تقول : رجل الصدق ، لأن الرجل ليس من الصدق .

يقول : أبهذا العالَم السيئ والمنزل الموبوء ، لقد رأينا فيك المصلِّين ، ولكننا لم نَر فيك الأتقياء .

٤ (لا يَكْذِبَنَّ أمْرُؤٌ جهُولٌ مَا فِيكَ لِلّهِ أَوْلِيَاءُ)

يقول : ألَا لا يكذب الجاهلون ، فقد خلع الناسُ ولاية الله من أعناقهم ، فليس فيهم له ولىّ ولا صادق أمين .

٥ (وَيَا بِلَاداً مَشَى عَلَيْهَا أُولُو أفْتِقَارٍ وأَغْنِيَاءُ)

٦ (إذا قضَى اللهُ بالمَخَازِى فكُلُّ أَهلِيكِ أَشْقِيَاءُ)

٧ (كَم وَعَظَ الواعِظُون مِنَّا وقَامَ فى الأَرْضِ أَنبِيَاءُ)

٨ (فانْصَرَفُوا والبَلَاءُ بَاقٍ وَلَمْ يَزَلْ دَاؤُكِ العَيَاءُ)

٩ (حُكْمٌ جَرَى لِلْمَلِيكِ فِينَا ونَحْنُ فى الأَصْلِ أَغْبِيَاءُ)

الافتقار : الفقر . والفعل : افتقر يفتقر . وعليهما اُقتُصر دون الثلاثى . فلا يقال : فَقُر ، ولكن اُفتقر . والداء العياء : الصَّعب الذى لا دواء له ، كأنه أعيا على الأطباء . وفى حديث على كرّم الله وجهه : فِعْلُهُم الداءُ العَياء .

يقول : أيتها البلاد التى اُشتملت السعادةَ والشقاء ، واُحتوت الفقر والثراء . لقد حقَّت عليك الكلمة ، ومضى فيك القضاء المحتوم بالْخِزْى والتَّعْس . فأهلُك أشقياء ليس لهم من شقائهم مَنْفَذ ولا لهم عنه صارف ، لا ينفعهم وعظ ولا يحكمهم إرشاد . لقد طالما عَنَّينا أنفسنا بالنُّصح والهداية ، فوعظ الواعظون وقام الأنبياء . ولَمَّا نجد ذلك نَفعاً ، ولما يأت ذلك بخير . البلاء باقٍ لازوال له ، والداء عَياء لاشفاء له ، وحكم الله فينا نافذٌ لا صارفَ عنهُ ، ولكنّا بفطرتنا أغبياء لا نفهم ، وحَمْقى لا نعقل .

اللزومية الحادية عشرة

وقال أيضاً فى الهمزة المضمومة مع الياء ، والوافر الأول[1] :

١ (تَعَالَى رازِقُ الأَحْياءِ طُرًّا لَقَدْ وَهَتِ المُروءةُ والْحَيَاءِ)

٢ (وإنّ المَوْتَ راحةُ هِبْرِزِيّ أَضَرّ بلُبِّه داءٌ عَيَاءِ)

تعالى ، أى جلّ ونبا عن كل ثناء ، فهو أعظم وأجلّ وأعلى مما يثنى عليه . وطُرًّا، أى جميعاً، وهو منصوب على المصدر أو الحال . وقال سيبويه : لا تُستعمل إلا حالاً . واستعملها خَصيب النَّصرانى المتطبّب فى غير الحال ، وقيل له : كيف أنت ؟ فقال : أَحمد الله إلى طُرِّ خَلقه . وفى نوادر الأعراب : رأيت بنى فلان بطُرّ ، إذا رأيتهم بأجمعهم . ووهَت : ضعفت وفترت .

والهِبْرزىّ : الإسْوار من أساورة فارس ، وكُلُّ جَميل وَسيم عند العرب هِبّرزى ، مثل هِبْرِقى ، وكذلك كُلُّ مقدام . والداء العَيَاء : الذى أعيا الأطباء ولم ينجع فيه الدواء .

يقول : تعالى الله الذى شَمِل الناسَ بنعمته ، وعمَّهم برزقه ، لم يُفرِّق بين فاضل وعاطل ، ولا بين ناقص وكامل . لقد وهت المُروءة وأَخلق أديمها ، ومضى الحياء وعَفَت آثاره ؛ حتى بُغِّضت الحياة إلى البصير ذى اللُّب ، وكُرِّه العيش إلى الحصيف ذى العقل ، وأصبح الموت له راحة والعدم له نعيما .

٣ (ومَالِىَ لَا أَكُون وَصِىّ نَفْسِى وَلَا تَعْصِى أُمُورِى الأَوْصِيَاءِ)

الوصىّ : الذى يُوصِى ، والذى يوصَى له ، من الأضداد ، والأنثى وصى . وجمعهما جميعاً أوصياء . ومن العرب من لا يثنّى الوصى ولا يجمعه .

---

(١) أى ذو العروض المقطوفة ، وضربها مثلها .

يقول : أجل، لقد أصبح الموت خيراً من حياة مِلْؤها الشر ، وأحبَّ إلى النفس من عيش مُفْعَم بالذل والاستبداد ، فقام على الناس، ومنهم الألبّاء الأذكياء، ظَلَمَة معتدون ، يحملونهم على ما يكرهون ، و يسوسونهم بما لا يحبون . وهم بعد ذلك أولى أن يحملوا نفوسَهم على الخير ، وأجدر أن يأخذوها بالمعروف .

٤ (وَقَدْ فَتَّشْتُ عَنْ أَصْحَابِ دِينٍ   لَهُمْ نُسْكٌ وَلَيْسَ لَهُمْ رِيَاءُ)

٥ (فَأَلْفَيْتُ الْبَهَائِمَ لَا عُقُولٌ   تُقِيمُ لَهَا الدَّلِيلَ وَلَا ضِيَاءُ)

٦ (وإِخْوانَ الفَطَانَةِ فِى ٱخْتِيالٍ   كَأَنَّهُم لِقَوْمٍ أَنْبِيَاءُ)

٧ (فأَمّا هَؤُلاء فأهلُ مَكْرٍ   وأمّا الأَوَّلُونَ فَأَغْبِيَاءُ)

النسك ، بالضم و بضمتين : العبادة والطاعة وكل ما يتقرب به إلى الله تعالى . وقيل لثعلب : هل يُسَمَّى الصوم نسكا ؟ فقال : كل حق لله عز وجلّ يُسَمَّى نُسكا. والفرق بين النُّسك والورع، أنَّ النُّسك فيما أمرت به الشريعة، والورع عمّا نهت عنه.

وألفى الشيء : وجده وصادفه ولقيه. والبهائم : جمع بَهيمة . وهى كل ذات أربع قوائم من دواب البرّ والماء . وقال الزجَّاج فى قوله عز وجل (وَأُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَامِ) إنما قيل لها بَهيمة الأنعام ، لأنَّ كُلّ حى لا يُميِّز فهو بهيمة ، لأنه أُبهِم عن أن يميز .ولا ضياء ، أى ولا شعاع من عقل ، فقد سلبها العقْل طُرا .

والفطانة : ضدّ الغباوة . يقال : فَطَن لهذا الأمر ، بالفتح ، يفطُن ، بالضم ، فطنة . وفطُن ، بالضم فَطْنا وفَطَنا و فُطُنا و فُطونة وفطانة وفطانية ، فهو فاطن و فَطون و فَطِن وفَطِين وفَطْن وفطُن وفَطونة . وفَطِن ، بالكسر ، فِطنة وفطانة وفطانية . والجمع فُطْن ؛ والأنثى فَطِنة .

يقول : لقد فتّشت فى هذه الدنيا عن أهل الدِّين الصادق والاُعتقاد الصحيح . الذين لا يشوب صفاء دِينهم كدرُ الرياء ولا صَدَأُ النِّفاق ، ولا دَنَس الخديعة ؛ فإذا الناس فى الدِّين رجلان ، أما أولهما فأبله لا يعقل أو محمَّق لا يَفقه .

هو البهيمة لا يهديها إلى الحق عقل ، ولا يرشدها إلى الخير ضياء . وأما الثانى فذكىّ فطن ، ولكنه مُختال مَرح . فأنت من أهل الدِّين بين ماكر خادع ، وجاهل غبىّ .

٨ (فإنْ كانَ التُّقى بَلهاً وَعِيًّا فَأعْيارُ المَذَلَّةِ أتقِيـــاءُ)

٩ (وأرْشَدُ مِنكَ أجْرَبُ تَحتَ عِبْءٍ تَهُبُّ عَليْـــهِ رِيحٌ جِرْبِياءُ)

الأعيار : جمع عَير ، وهو الحمار أيًّا كان ، أهليًّا أو وحشيًّا . وقد غلب على الوحشى . والأنثى عَيرة . ومن أمثالهم : فلان أذل من العَير . وقال شَمِر :

لو كنتَ عيرًا كنتَ عيرَ مَذَلّة أو كنتَ عَظْماً كنت كِسْرَ قَبيحِ

وكسر القبيح : طرف عظم المِرْفق الذى لا لحم عليه .

والجربياء : الرّيح التى تهب بين الجنوب والصَّبا . وقيل : هى النكباء التى تجرى بين الشمال والدَّبور ، وهى ريح تقشع السحاب . وجعل الأَجْرب تحت عِبْء ، ليكون مشغول اليدين به لا يَستطيع بهما حِرَكَةً . وهو على هذه الحال أشغل بالاً لا يُرجَى لديه رأى .

يقول : ولعمرى لو أن الدِّين والتقى كان عيًّا وبَلَها أو غفلة وحُمقا ، لقد كانت الأعيار التى ضربت عليها الذلّة ، والحُمُر التى أخذت بالنَّزق والمسكنة ، أحقّ بالدين وأدنى إليه ، ولكان ذلك الأجرب الذى أكلّه العِبْء الثقيل ، وهبت عليه الرّيح الباردة ، فزادته تأذِّياً بدائه وتألُّماً لعلّته ، أهدى إلى الدين سبيلا وأكثر فيه رشداً .

١٠ (وَجَدْتُ النَّاسَ كُلُّهُمُ فَقِيرٌ ويُعــــدَمُ فى الأَنَامِ الأَغْنياءُ)
١١ (نُحِبُّ الْعَيْشَ بُغْضاً لِلْمَنَايَا وَنَحْنُ بِمَا هَوِينَــــا الأشْقِياءُ)

يُعدم، على ما لم يُسمَّ فاعله: يُفقد. عَدِم الشىء يَعدَمه عُدْما وعَدَمًا: فقده. وقد غلب على فقد المال وقلّته. إذا ضَممتَ أوله خفّفت، فقلت: العُدْم. وإذا فتحت أوله ثقّلْت، فقلت: العَدَم. وكذلك الجُحد والجَحد، والصُّلب والصَّلب، والرُّشد والرَّشد، والحُزن والحَزن.

وهوِى. بالكسر: أحبّ. ورجل هَوٍ: ذو هوى. وامرأة هَوِيَة. ومتى تُكلِّم بالهوى مطلقاً لم يكن إلا مذموماً حتى يُنعت بما يُخرج معناه، كقولهم: هوى حسن، وهوى موافق للصواب.

يقول: أجل، لقد عظُم الشر فى هذه الحياة، واشتد حرص الناس عليها. فليس فيهم إلا مُحب لها ومشغوف بها. حتى جعلهم الحرصُ كُلَّهم فقراء، لا يعرفون الغنى، ولا يذوقون النعمة؛ وحتى كان ما فيها من شقاء يُغْريهم بها، وما فى الموت من راحة تصْرفهم عنه.

١٢ (يَمُوتُ المَرْءُ لَيْسَ لهُ صَــفِيٌّ وَقَبْلَ الْيَوْمِ عَـــزَّ الأَصْفِيَاءُ)
١٣ (أَتَدْرِى الشَّمْسُ أَنّ لها بَهاءً فتَأْسَفَ أنْ يُفارِقَهَــا الأَيَاءُ)

الصفىّ: الخالص من كل شىء وصفى الإنسان: أخوه الذى يُصافيه الإخاء. وفى الحديث: «إن الله لايرضى لعبده المؤمن، إذا ذهب بصفيّه من أهل الأرض فَصَبر واُحتسب، بثوابٍ دون الجنة».

والبهاء: المنظر الحَسن الرائع المالىء للعين. وأياء الشمس وإياها: نورها وضوءها وحُسنها. وكذلك إياتها وأياتها. وقال الأزهرى: يقال: الأَياء، مفتوح

الأول بالمد ؛ والإيا ، مكسور الأول بالقصر ، و إياة : كله شعاع الشمس وضوءها . قال : ولم أسمع لها فعلا .

يقول : لقد عظم فى نفوسهم أثر الحرص على الحياة ، حتى ما تجد لأحد من أصحابه صفيًّا ولا صديقاً . وكذلك باعدتِ الحياةُ بين النـاس قديماً ، إنهم أعداء منذ كانوا ، وقد خلقوا ليكونوا أصدقاء . إيه أيها المحمقون ! لقد أخطأتـكم العِبرة وأضلتكم الموعظة ، فغفلتم عما كان يخلُق بكم أن تحفلوا به وتتنبّهوا إليه . علامَ تأسفون إنْ دَهمكم الموت وفارقتكم الحياة ! أفتعتقدون أن الشمس، وهى أذكى منكم ناراً وأجمل بهاء ، تُحسّ مالها من نباهة الشأن وحُسن الطلعة فتأسَف إنْ فارقها جمالها ، وتأسَى إن باعدها ضياؤُها ! أما إن فى العالم لعِبراً نافعة ، ومواعظ صالحة ، ولكن الناس أكثرهم لا يعقلون .

اللزومية الثانية عشرة

وقال أيضاً فى الهمزة المضمومة مع الظاء :

١ (أَراهُم يَضحكُونَ إلَىَّ غِشًّا وتَغْشَانِى المَشَاقِصُ والْحِظَاءُ)

تَغشاه : تزدحم عليه وتكثُر . والمَشاقص : جمع مِشقص ، بالكسر ، وهو السهم العَريض النَّصل . وقيل : المشقص : نصل السهم إذا كان طويلاً غير عريض . فإذا كان عريضاً فهو المِعْبلة . والحِظاء : جمع حَظْوة ، وهى سهم صغير قَدْر ذراع . وقيل : الحظوة من المرامى : الذى لا قُذَذ له .

يقول : جِدُّوا أيها الناس فيما أنتم بسَبيله من تقرُّب إلىَّ وتلطّف بى ، ومن رفق تُظهرونه وغِشّ تضمرونه ، ومن لفظ حُلْو تُهدونه إلىَّ ، ولَوْم مُرٍّ ترموننى به ؛ فلقد كثُر ما أظهرتم الحبَّ لى ، وأصابنى من بُعضكم طِوالُ السهام وقِصارها ، وعظام الأمور وصغارها .

٢ (فَلَسْتُ لَهُمْ وإنْ قَرُبُوا أَليفاً كما لَمْ تَأْتَلِفْ ذالٌ وظَاءُ)

الذال : حرف مجهور . والظاء : حرف مُطبق مُسْتعل . وقد حال التنافر دون اجتماعهما فى كلمة .

يقول : جِدُّوا فى ذلك كُلِّه ، فلم يكن تقرُّبكم إلىَّ ليؤلِّف بينى و بينكم ، إلاَّ إن صَحّ ائتلاف الذال والظاء .

اللزومية الثالثة عشرة

وقال أيضاً فى الهمزة المضمومة مع القاف :

١ (أَسِيتُ عَلَى الذَّوَائِبِ أنْ عَلَاهَا نَهَارِىٌّ القَمِيصِ لهُ ارْتقَاءُ)
٢ (لَعَلَّ سَوادَها دَنَسٌ عَلَيْهَا وإنْقَاءُ المُسِنِّ لهُ نَقَاءُ)

أَسِيَ يأسَى ، من باب فرح ، أسًى ، بالقصر : حَزِن ، فهو آسٍ وأَسْيان وأَسْوَان .

والذوائب : جمع ذُؤَابة . وهى منبت الناصية من الرأس .

والدَّنَس : لُطَخ الوسخ فى الثياب ونحوها ، وحتى فى الأخلاق ؛ والجمع : أَدْناس . ونقِيَ الشىء ، بالكسر يَنْقَى ، بالفتح ، نَقاوة ونَقاء ، فهو نَقىّ ، أى نظيف . وأنقاه هو إنقاء .

يقول : ويلى على تلك الذوائب السُود قد أغار عليها ذلك الشَّيب نهارىّ الثَّوب ، يمحو ظُلمتها بضيائه قليلًا قليلًا حتى يأتى عليها . أفينبغى أن آسَى على الشباب ، أم ينبغى أن أفرح بالشيب ! أفلا أستطيع أن أتلقى الشيب فرحاً مسروراً معلِّلاً نفسى بما عسى أن يكون حقًّا من الأمانىّ ! فلعلَّ هذا السواد الزائل قد كان دَنَساً أصاب تلك الذوائب ، ثم عُنى الشيب بإزالته وحَرِص على مَحْوه وإحالته إلى نقاء .

٣ (ودُنْيَانَا التى عُشِقَتْ وأَشْقَتْ كَذَاكَ العِشْقُ مَعْرُوفاً شَقَاءُ)

يقول : إيه أيتها الدنيا ، لقد عشقناك راغبين ، ثم أُشْقينا كارهين ؛ وكذلك العشق شقاء ، والحب تعس ، والهوى هوان .

٤ (سَـــأَلْنَاهَا البَقاءَ عَلَى أَذَاهَا فقالَتْ عَنْـكُمُ حُظِرَ البَقَاءُ)

الحَظْر : الحَجْر ، وهو خلاف الإباحة . حظَر الشىء يَحظُره عليه حَظْراً : منعه . وكل ما حال بينك و بين شىء ، فقد حَظَره عليك .

يقول : إيه أيتها الدنيا ! لقد سألناك البقاء ، وطلبنا إليك الخلود ، على مافيك من أذًى ، وعلى ما تشتملين من ألم . فأبيتِ ذلك علينا ، وصرفتِه عنّا ، إذ كان الفناء لنا مَقْدوراً ، والبقاء علينا محظوراً .

٥ (بِعَادٌ واقعٌ فَمَتَى التَّـــدَانِى وَبَيْنٌ شَاسِعٌ فَمَـــتَى اللِّقَاءُ)

البَيْن : الفُرقة ، و يكون الوَصْل ، فهو من الأضداد . وشاهد البين والوصل قول قيس بن ذَرِيح :

لَعَمْرك لولا البينُ لا يُقْطَع الهوى ولولا الهوى ما حَنَّ للبَيْن آلف

يقول : إيه أيها الراغب فى الدنيا الحريص عليها ، الذى كذّب فيها ظنون الحكماء ، واُتّهم فى حُبّها رأىَ الفلاسفة ! لقد خدعتك نفسُك ، وأضلّتك آمالك ، فإنما أنت وأصحابك إلى بعاد لا دُنوّ بعده ، وفراق لا لقاء معه ، إنما أنت وأصحابك عُرْضة لموت واقع غير مدفوع ، وحِمام نازل غير مردود .

٦ (وَدِرْعُكَ إنْ وَقَتْكَ سِهامَ قَوْمٍ فَمَا هِىَ مِنْ رَدَى يَوْمٍ وِقَاءُ)

الدِّرع : لَبوس الحديد . تُذَكَّر وتؤنَّث . والجمع فى القليل أدرُع وأدراع . وفى الكثير دُروع . وتصغير دِرْع دُرَيع ، بغير هاء على غير قياس ؛ لأن قياسها بالهاء . وهو أحد ما شذَّ من هذا الضرب .

ووقتك : صانتك وسَترتْك . وفى الحديث : « فوَقَى أحدُكم وجهَه النار » .

والوِقاء ، بالكسر والفتح : كل ما وقيت به شيئاً . ومثله الوِقاية ، بالكسر والفتح والضم ، والواقية . وقال اللحيانى : كل ذلك مصدر وقيتُه الشيء .
والرَّدى : الهلاك .

يقول : دونك ما شئت من دُروع ضافية وحُصون واقية ، ومعاقل وبُروج ، ومن أسلحة وقُوة ؛ فإن ذلك إن اُستطاع أن يدفع عنك شيئاً من أذاة عدوّ ، فلن يستطيع أن يَرُدَّ عنك ما تحمله إليك الأيامُ من ردًى لا بُدّ منه ولا مندوحة عنه .

٧ (وَلَسْتُ كَمَنْ يَقُولُ بغَيْرِ عِلْمٍ سَوَاءٌ مِنْكَ فَتْكٌ واُتِّقَاءُ)

الفَتْك : ركوب ما همّ من الأُمور ودَعت إليه النفس . والاتقاء : التحرّز والخشية والإحجام .

يقول : لا أُحذّرك بغير عِلْم ، ولا أنهاك عن غير بَصيرة ؛ وإنما أُصْدِر فى نصيحتى لك عن تجربة صادقة وبَحث صحيح : الموتُ واقعٌ لا شكّ فيه ، قد رَهَنَتْه الطبيعةُ لوقت معيَّن ، وجعلتْ له كتاباً ثابتاً وأَجَلًا مَحْتوماً .

٨ (فَقَدْ وَجَبَتْ عَلَيْكَ صَلَاةُ ظُهْرٍ إذَا وَافَاكَ بِالْمَاءِ السِّقَاءُ)
٩ (لقد أَفْنَتْ عَزَائِمَكَ الدَّيَاجِى وأفْرادُ الكَوَاكِبِ أرْفِقَاءُ)
١٠ (فيَاسِرْنِى لِتُدْرِكَنَا المَنَايَا ونَحْنُ عَلَى السَّجِيَّةِ أَصْدِقَاءُ)
١١ (أَرَى جُرَعَ الحَيَاةِ أَمَرَّ شَيْءٍ فشَاهِدْ صِدْقَ ذلِكَ إذْ تُقَاءُ)

وجبت عليك : لزمتْك . والواجبُ والفَرض عند الشافعىّ سواء ، وهو كل ما يُعاقَب على تركه . وفرّق بينهما أبو حنيفة ، فالفَرض عنده آكَدُ من الواجب
ووافاك : جاءك فى الميعاد .

والسِّقاء : جِلد السَّخْلة إذا أَجْذع ، ولا يكون إلاّ للماء : والجمع أسقية ، وأسقيات ؛ وأساقٍ ، جمع الجمع . وقال ابنُ السِّكّيت : السِّقاء يكون للبن والماء .

ولعله خَصّ الظُّهر ، إذ المرء فيه إلى الدَّعة أمْيل ، و إلى إطفاء غُلّته بالماء أشوق . فيكون القُعودعن الصلاة أغلب ، أو لعلّه اُلتفت إلى ما فى معنى الظهر من الزوال ، فجعلهـاصلاة مودّع أُعجل بالماء فى ميعاده .

والدَّياجى : حَنادِس الليل ؛ كأنّه جمع دَيجاة . وأرفقاء : جمع رفيق ، وهو المُرافق .

و ياسَرَه : لايَنَه وساهَلَه . والسجِّية : الطبيعةُ والُخلق . وفى الحديث : « كان خُلقه سجيّة » أى طبيعة من غير تـكلف . والُجرَع : جمع جُرْعة ، وهى مِلْءُ الفَم يُبْتلع . وقاءَ فُلان ما أَكل ، إذا ألقاه .

يقول : قد زالت الشمسُ والماء بين يديك . وأنت تَنتحل الإسلامَ ، فدُونك الظُّهر فأدِّ فريضته وأَقِم صلاتَه ؛ وقد اُنحلّ جِسْمُك ومضى أجلُك ، وأدبرت عنك الحياةُ ، وأنت إنسان ليس من طبيعتك الُخلود . فدونك الموتَ فرِدْ حوضَه واُحتسِ كأسه . أقدمْ أو أحجم فإنك ميّت من غير رَيْب . لِمَ تكره الموت ؟ ولِمَ تعافُ كأسه ؟ وأنت لم تذُقْها ، ولم تَبلُ منها حلاوة ولا مرارةً ؟ هل وجدتَ الحياة عَذْبة المَذاق لذيذة الجَنى ؟ كلاَّ ، ما أراها إلّا كأساً نحْتسيها غافلين عن مرارتها وما فيها من غضاضة ؛ فإذا أقبل الموت ، وقِئْنا ما استقر فى أمعائنا من هذه الكأس ، عَرفْنا مرارة العَلْقم والصّاب ، وتَبيّنا أنَّنا لم نكن إلّا مخدوعين .

ألَا إنك مخدوع فأَفِق من غَفْلتك ، ودَعْ ما تُجشِّمك الحياةُ من المكروه ، وما تُصيبك به من الأذى ، وما تَحْمِلك عليه من إيثار البِغْضة على المحبّة ، فكل ذلك باطل لا خير منه . دونك الحبَّ والمودَّة والإخلاص والإخاء ، فاغتنم نصيبك منها قبل أن يُدركك الموتُ فتمضى وقد خَسرتَ الحقَّ والباطل معاً .

اللزومية الرابعة عشرة

وقال أيضاً فى الهمزة المضمومة مع الراء ، والكامل الأول[1] :

١ (مَالِى غَدَوْتُ كَقَافِ رُؤْبَةَ قُيِّدَتْ فِى الدَّهْرِ لَمْ يُقْدَرْ لَهَا إِجْرَاؤُهَا)

القاف ، حرف هجاء مجهور ، يكون أصلاً ، لا بدلاً ولا زائداً . ورُؤبة : هو ابن العجّاج بن رُؤْبة بن لَبيد بن صخر ، سُمّى برُؤْبة الخَشب ، وهى القطعة يُرْأب بها الإناء ، أى يُشْعب ويُصلح وتُسدّ بها ثلمة الجفنة ، هذا على رأى من يهمز ؛ وعند من لا يهمز ، فقد جُعل من « الرُّوبة » بمعنى القطعة من الليل أو اللَّحم ، أو بمعنى الكَرْمة من الأرض الكثيرة النبات . وقاف رؤبة ، يريد أرجوزته المقيدة التى على حرف القاف وأولها :

وقاتِم الأعماق خاوى المخترق

والمُقيَّد من الشعر : الساكن ، وهو خِلاف المُطْلَق . وهو على وجهين : إمّا مقيَّد قد تمّ ، وشاهده بيت رؤبة السالف . فإن زدت فيه حركة كان فضلاً على البيت . وإما مُقيَّد قد مُدَّ على ما هو أقصر منه ، نحو « فَعُولْ » فى آخر المتقارب، مُدَّ عن « فَعَلْ » . فزيادته على « فَعُلْ » عوض له من الوصل . وإجراء القافية أن يكون لها مَجرى . والمَجْرى فى الشعر : حركة حرف الروىّ ، فَتْحَتُه وضمته وكسرته . وليس فى الروىّ المقيّد مَجرى ، لأنه لا حركة فيه فتسمَّى مجرى . وهكذا يَقصِر العروضيُّون المَجرى فى القافية على حركة حرف الروىّ دون سكونه . ولكنّ صاحب الكتاب يريد بالمجارى أحوال أواخر الكلم وأحكامها والصُّور التى تتشكل لها .

---

(١) أى ذو العروض التامة ، وضربها مثلها .

يقول : أُفٍّ لهذه الحياة ! وأُف لهذا العالم ! لقد احتبسانى فيهما أسيراً ، وارتهنانى عندهما بحيث لا أؤمّل من أسرهما فكاكاً ، ولا أرجو من سِجْنهما انطلاقاً ؛ فكأنّى ، وقد وقفتُ على حال سيئة من الحياة ليس لى عنها مَزْحل ولا مَنْدوحة ، قافُ رؤبة أرْسلها ساكنة ليس لها إلى الحركة سبيل ، ونَطق بها مقيَّدة ليس لها من الإطلاق حظّ .

٢ (أُعْلِلْتُ عِلَّةَ « قَالَ » وَهْىَ قَدِيمَةٌ أَعْيَا الأَطِبَّةَ كُلَّهُمْ إبْرَاؤُهَا)

الإعلال ، عند الصَّرفيين : كلُّ ما يمسّ حروفَ العلّة : الألف والواو والياء ، من قَلب أو حَذف أو تسكين . وساق الفعل « قال » مثلا لما كان أحدُ أُصوله حرف علة تتعاوره هذه العلل .

يقول : أُف لهذه الحياة وأُف لهذا العالم ! لقد أنهلانى الهمُوم ، وعلاّنى الخُطوب ، وأصابانى من أحداثهما بعلل ليس لها شفاء ، وأَدْواء ليس لها دواء ؛ فكأنما أصابتْنى منهما تلك العلَّة الباقية القديمة التى تُصيب الأفعال الجُوف ، يُعْيِى الأطبَّاءَ شفاؤها ، ويُعجز الحكماءَ الطبُّ لها .

٣ (طَالَ الثَّوَاءُ وَقَدْ أَنَى لِمفَاصِلِى أَنْ تَسْتَبِدَّ بِضَمِّها صَحْرَاؤُها)

الثَّواء : طُول المُقام . وأَنَى الشىء : حان وأدرك ؛ يقال : أَلَمْ يَأْن ، وألم يئن لك ، وألم يَنَلْ لك ، وألم يُنِلْ لك ، ومعناها كلها : ألم يَحِنْ لك . واستبدّ فلان بكذا : انفرد به دون غيره . ويُريد بـ« صَحرائها » : مَقبرتها ؛ إذ الناس دائما يُصْحرون بمقابرهم أنَّى وجدوا إلى ذلك سبيلا .

يقول : إيه أيها الجسم ؛ الذى فترت أوصاله ، وانحلّت قواه ، وطال عليه الأمد ؛ لقد أَنَى لك أن تستبدّ بك الصحراء وَيَتضمَّنك التراب .

٤ (فَتَرَتْ ولَمْ تَفْتُرْ لشُرْبِ مُدَامَةٍ بَلْ للخُطُوبِ يَغُولُها إسْرَاؤُها)

فترت ، أى لانت وضعفت ، يقال : فتر الشئ يفتُر ، بالضم والكسر ، فُتوراً وفُتارا : سكن بعد حدّة ، ولان بعد شدة . والمدامة والمُدام : الخمر ، لإدامتها فى الدّن زماناً . و يغولها : يُهلكها و يغتالها و يذهب بها . والإسراء : السُّرَى ليلا ، وهو بمُرور الخُطوب أوفق ؛ فهى المُدلهمّات حين تُوصف ، و بينها و بين سُود الليالى جامعة لا تَنْحلّ .

يقول : أجل ، لقد فَترت أوصالك ، وأرْتخت مفاصلك ، وما ذاك من شُرب المُدام ولا حُب النِّدام ؛ و إنما هى الخطوب المُسْرِية ، والهُموم المُدلجة ، ألحّتْ عليك فبدّلتْك من القوة ضعفاً ، ومن النشاط فُتوراً .

٥ (مُلَّ المُقَامُ فكَمْ أُعَاشِرُ أُمَّةً أَمَرَتْ بِغَيْرِ صَلَاحِها أُمَراؤُهَا)

٦ (ظَلَمُوا الرَّعيّة واُسْتَجازُوا كَيْدَها فَعدَوْا مَصَالِحَها وهُمْ أُجَراؤُها)

المقام ، بالضم : الإقامة ، وبالفتح : المَوضع . وقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة و بمعنى موضع القيام ، لأنك إذا جعلته من قام يقوم ، فمفتوح ، وإن جعلته من أقام يقيم ، فمضموم .

والاستجازة ، فى الأصل : فى السُّقيا ، تقول : اُستجزتُ فلاناً فأجازنى ، إذا سقاك ماءً لأرضك أو لماشيتك ، قال القُطامىّ :

وقالُوا فُقَيمٌ قَيِّمُ الماء فاستَجز عُبادَةَ إنَّ المُسْتَجِيز على قُتْرِ

على قتْر ، أى على ناحية إما أن يُسقى ، و إما ألاّ يُسقى . ومن المجاز : اُستجاز رجلٌ رَجُلاً : إذا طلب الإجازة ، أى الإذْن فى مَرْوِيّاته ومسموعاته . وهى ، على الحقيقة والمجازِ ، تَحمل الطلب ، وهو الغالب على هذه الصيغة ؛ فكأنهم

استجازوا أَنفسهم الكَيْدَ فأجازتْهم . وربما خرجت من قَيْد الطلب إلى لازمِه الإيجابى ، فتكون بمعنى « أجاز » .

وَعَدَوْا : جاوزوا الحد ، ومن جاوَزه فقد ظلَم . والأُجراء : جمع أجير ، وهو مَن تَستْعمله على عملك .

يقول : لقد طال بى المُقام حتى مَلِلْتُه، وطالت علىّ الحياة حتى سئمتُها ؛ فكم أنا مُعنًّى بِعشْرة أُمة قد حكمتْها الذّلة ، وسيطر عليها الظُّلم ، واستبدَّ بحُقوقها الأُمراء يظلمونها أشد الظُّلم ، ويَعْسفونها أقبح العَسْف ، ويكيدون لها شَرَّ الكَيْد ، ويَعْدُون مصالحَها ، ويتجاوزون مَنافعها ؛ وإنما هم لها أُجراء ، وعنها وُكلاء .

٧ (فِرَقًا شَعَرْتُ بأَنّها لا تَقْتَنِي خَيْرًا وأَنَّ شِرَارَهَا شُعَرَاؤُها)

أقتنَى وقَنى : كسب . والشّرار : جمع شَرِير ، قاسه على كبير وكبار ، وإن لم تَنصّ عليه المَعاجم ، فقد اقتصرت على أشرار ، جمعاً لشَرِير ؛ وشرِّيرين ، جمعاً لشرِّير .

يقول : أُمة قد طالت صُحْبتى لها واُختيارى إياها ، فما دَلّتنى التَّجربةُ ، ولا أَرشدنى الاختبار ، إلاّ إلى بَراءتها من الخير ، وإقفارها من المَعروف ، وإلا إلى أنَّ أشدَّها بالشرّ اتصالا ، وأكثرها فيه إغراقاً ، هم الشُّعراء الذين قد كانت تُعقَد بهم آمال الإصلاح ، ويُناط بهم رجاء الخير .

٨ (أَثَرَتْ أَحادِيثَ الكِرَامِ بِزَعْمِهَا وأَجَادَ حَبْسَ أَكُفِّهَا إثْرَاؤُها)

أَثَرتُ الحديث آثُره ، إذا ذكرته عن غيرك وحدّثت به عنهم . والإثراء : كثرةُ المال ؛ يُقال : ثَرَى القوم يَثْرون ، إذا كثروا ونمَوْا ؛ وأَثْروا يُثْرون ، إذا كثُرت أموالهم ؛ ومثل « أثرى » فى هذا « ثرى » .

يقول : أُمة ما أكثر قولَها وأقلَّ عملها ! ما أكثر روايتَها لأخبار الجُود وأحاديث الأجواد ! وما أشدَّ بُخلَها بالمال وضَنَّها بالثراء ! كأنّ ما ترْويه من حَمْدِ الكَرم ، وما تأثُره من مَدح الجود ، يُغْريها بالبُخْل والكَزازة ، ويُرغبها فى الضَّنّ والدَّناءة .

٩ (وإذَا النُّفُوس تَجاوَزَتْ أقْدارَهَا ... حَدَّ البَعُوضِ تغَيَّرتْ سُجَراؤُهَا)

١٠ (كَصَحِيحَةِ الأوْزَانِ زَادَتْهاالقُوَى ... حَرْفاً فبَانَ لِسَامِعٍ نُكْراؤُها)

تجاوزت أقدارها : تعدّتها وخلّفتها . والحدّ : البأس والنَّفاذ فى النَّجدة ، أنابه مُنَاب المفعول المُطلق. أراد : تجاوزت مجاوزة البعوض ونفاذه . وبالبَعوض يُضرب المثل فى كل ما هو هيِّن مَهين . وقد يكون « الحدّ » بمعنى الغاية والقَدْر . والمعنى هو المعنى . والسُّجراء : الأصدقاء والأَخِلاّء والأصفياء ؛ الواحد سَجِير . وساجَر فلانٌ فلاناً : صاحبه وصافاه . قال أبو خِرَاش :

وكنتُ إذا ساجَرْتُ منهم مُساجِراً ... صَبَحْتُ بفَضْلٍ فى المُرُوءة والعِلْمِ

والصَّحيح من الشعر : ما سَلِم من النَّقْص ؛ وقيل : كل ما يمكن فيه الزِّحاف فَسلم منه ، فهو صحيح ؛ كما قيل : هو كل آخر نصف يَسْلَم من الأشياء التى تقع عِللاً فى الأعاريض والضُّروب ولا تقع فى الحَشْو .

والقُوَى : جمع قُوَّة ، وهى الطاقة من طاقات الحَبْل أو الوَتَر . وتُجمع أيضاً على قوي ، بالكسر . وبها تُشَبَّه مقاطع الشعر ، يُجعل كل مَقْطع منها قُوة .

والزيادة فى الشعر أنواع : تذييل ، وهو زيادة حرف ساكن على ما آخره وتد مجموع . وتسبيغ ، وهو زيادة حرف ساكن على ما آخره سبب خفيف ، وترفيل ، وهو زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع .

فإن أُريد بالحرف معناه اللغوى انصرف إلى الأول والثانى من هذه الأنواع ؛ وإن أريد به معناه المجازىّ شَمِل أنواع الزِّيادة الثلاثة .

وبان : ظهر ووضح . والنُّكْراء : المُنكر ، خلاف المعروف . فكأنّ السامع يستنكرها ولا تألفها أذنه . وقد تكون « نُكَراء » جمع « نكير » اسم بمعنى الإنكار ، وهو التغيير ، نحو : كرماء وكريم . أى يدرك السامع ما جد عليها من مخالفة ومغايرة .

يقول : أُمة جنت من ثمار الحياة ما لم تكن له أهلا ، ولقيت من نَعيمها ما لم تكن به خليقة ، فأبطرتها النعمة وأفسدها الغنى . ولم أر شرًّا من نفس الإنسان ، إذا تجاوزت قدرها جناح بعوضة ، ساءت حالها ، وفسدت طبيعتها ؛ كأنها القصيدة من الشعر يزينها الوزن الصحيح المستقيم ، فإذا زيد فيها حرف ظهر للسامع نكرها ، وبان للسمع اختلالها .

١١ (كَرِيَتْ فَسُرَّتْ بالكَرَى وحَيَاتُها أَكْرَتْ فَجَرَّ نَوائِباً إِكْرَاؤُها)

كَرِي الرجل ، بالكسر ، يكرى بالفتح ، كرًى : إذا نام ، فهو كَرٍ وكرِىّ وكَرْيان . والفعل « أكرى » على وجهين ، فقد يكون مُتعدِّيًا ، بمعنى أطال وأخّر ؛ تقول : أكرينا الحديث الليلة ، أى أطلناه ؛ وقد يجوز إلى المفعول بالحرف ، ومنه حديث ابن مَسْعود : « كنّا عند النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ذاتَ ليلة فأكْرينا فى الحديث » أى أطلناه وأخّرناه .

والوجه الثانى أن يكون لازماً ، بمعنى طال وقصر ، وزاد ونقص ، من الأَضداد . قال ابنُ أَحْمر :

وتَوَاهَقَتْ أخفافُها طَبَقاً والظِّلُّ لم يَفْضُل ولم يُكْرِى

أى ولم ينقص . كما قد يكون مع اللزوم خالصاً للقلّة والنفاذ والنُّقصان ، ومنه : أكرى الرجل ، إذا قل مالُه أو نفذ زاده . وأكرى الزاد ، إذا نقص . قال لَبيد :

كذى زَادٍ متى ما يُكرِ منه فليس وراءه ثِقـةً بزَادِ

والمعنى هنا على النُّقصان . والإكراء : المَصدر من « أكرى » بمعنى نقص .

يقول : أمّة أطغَتها الثروة ، وأطمعتها الحياةُ ، فتزيّدت منهما ، وتلذّذت بهما ؛ كأنها النائم يلذّ له النوم فيستزيده ، غافلاً عن أن زيادته إنما هى تقصيرٌ من أَجَلِه ، واستعجالٌ لموته .

١٢ (سُبْحانَ خَالقكَ الّذى قرّتْ به غَبْراءُ تُوقَدُ فَوْقَها خَضْراؤُها)

١٣ (هل تَعرفُ الحسدَ الجِيادُ كغَيْرِها فالبُهْم تُحْسَد بَيْنَها غَرّاؤُها)

سبحان ، فى اللغة : تنزيه الله عزّ وجل عن السوء ، منصوب على المصدر . وقال ابن جنّى : هو اسم علم لمعنى البراءة والتّنزيه ، بمنزلة «عثمان» و «عمران» . اجتمع فى « سبحان » التعريف والألف والنون ، وكلاهما علة تمنع من الصرف . وقرّت : استقرت وثبتت . والغَبراء : الأرض ، كما أن الخضراء : السماء . يريد باستقرارها وثباتها اطمئنان الناس عليها . هذا معنى . وقد يكون « قر » من « القُرّ » بالضم ، وهو البرد عامّة ، والمقابلة فى قوله « توقد » تُزكّيه .

والحسد : أن يتمنَّى المرء زوال نعمة المَحسود إليه . والجِياد : جمع جَواد ، للفَرس السابق الجيّد ، ويجمع أيضاً على أجياد . فإذا أردت به الرجلَ السخىّ جمعته على أجواد . و «الجواد» بمعنَيَيْه مما يستوى فيه المذكّر والمؤنث . والبُهْم بالضم وبضمتين : جمع بَهيم . وهو الفرس الأسود الذى لا شِيَةَ فيه ، الذكر والأُنثى فى ذلك سواء . وقيل هو الذى لا يُخالط لونَه شىء سوى مُعْظَم لونه . أما البَهْم ، بالفتح ، فهى من جُموع بَهْمة ، وهى الصَّغيرة من أولاد الغنم والضأن

والمعز والبقر ، من الوحش وغيرها . والمعنى لا يتجه إليها هنا . والغَرّاء : الجياد فى جبهتها غُرة . وجُموع الكثرة توصف بالمفرد المؤنّث ما كانت لغير العاقل . والغُرّة : بياض فى الجبهة ، أكبر من الدّرهم قد وَسَطَت جبهته ولم تُصب واحدة من العينين ولم تَمِل على واحدة من الخدّين ولم تَسِلْ سُفْلا .

يقول : سبحانك اللهم ، لقد جلّ شأنُكَ ، وخَفِيت حِكْمتك على العُقول ، بَسطْتَ الغبراء ، ورفعت فوقها الخَضراء ، وأجريت بينهما عالَماً ما أعرف للخير فيه موضعاً ، عالَم عاقل ولكنه شِرِّير . هل تعرف رذائلَه الحيوانُ العُجْم ؟ وهل تُشاركه فيها المخلوقات البُلْه ؟ هل تَحْسد الجيادُ السُّود القاتمةُ أخواتِها الغُرَّ الواضحة ؟ كلاَّ ما أرى للحسد فيها أثراً ، وإنما هو طبيعة الإنسان قد أفسده الطَّمع والشَّره ، وغيَّره البُخل والحِرْص .

١٤ (وَوَجَدْتُ دُنْيَانَا تُشَابِهُ طامِثاً لا تَسْتَقِيم لنا كحِ أَقْرَاؤُها)

الطامث : الحائض . وقيل : إذا حاضت أولَ ما تَحيض . والفِعل : طَمِثت ، بكسر العين وفتحها ، تَطْمث . بفتحها وضمها ، على الترتيب ، طَمْساً ، مثل « ضَرْباً » . والقُرء ، بالفتح والضم : الحَيْض والطُّهر ، ضِدّ ، وذلك أنّ القُرء الوقت ، فقد يكون للحيض والطُّهر . ويجمع أيضاً على قُروء وأَقْرُؤ ، الأخيرة عن اللّحيانى فى أدنَى العدد . وشاهد الطُّهر قولُ الأعشى :

مُورِّثةً مَالاً وفى الحىّ رِفْعةً لِمَا ضاع فيها من قُروءِ نِسائكا

فالقُروء هنا الأطهار لا الحيض ، لأن النساء إنما يُؤتين فى أطهارهن لا فى حِيَضِهن . فإنما ضاع بغيبته عنهن أطهارهن . وشاهده على الحيض قولُه صلّى الله عليه وسلم : « دَعِى الصلاةَ أيام أَقرائك ، أى أيام حَيْضك . وقول أبى العلاء هنا من الأول .

يقول : أُف لك أيتها الدنيا المتقلّبة ! ما أرى أنك تثبُتين على حال :

وما أُشبّهك إلا بالحَسناء الناعمة ، ذات الدّلال والغَنْج ، وذات الجمال والبهجة ، وذات المنظر الساحر واللفظ الخادع واللحظات المُطْمِعة ؛ ثم هى مع هذا كلّه طامِث ، قد لزمها الطَّمْث ، وحَجبها الحَيْض ، فما تستقيم أَقراؤها لطالبها ، وما تَنتظم أطهارُها لمُحبّها ؛ على أنه بها كَلِفٌ مُعنًّى ، وعليها حريصٌ معذَّب .

١٥ (هُوِيَتْ ولم تُسْعِفْ وَرَاحَ غَنِيُّها تَعِبًا وَفَازَ بِرَاحةٍ فُقَرَاؤُها)

الإسعاف : المساعدة والمُواتاة والقُرْب فى حُسن مصافاة ومعاونة . قال الشاعر:

وإن شِفاء النَّفس لو تُسعِف النَّوَى أُولاتُ الثَّنايا الغرِّ والحَدَقِ النُّجْلِ

يقول : لقدهويكِ الناسُ فذَكّيتِ أهواءهم بالمُنى ، ونَمّيتِها بالآمال ، حتى إذا جاء وقت الإثابة واقتضاء اللذات ، أوقعتهم فى اليأس المُهلك والقُنوط المُميت. لقد شقى بك الأغنياء الذين هم أشدُّ عليك حِرْصاً وأكثرُ فيك رغبة ، واستراح منك الفقراء الذين هم أبعدُ منك مكاناً وأقلّ بك اتصالا .

١٦ (وتَجادَلَتْ فُقَهاؤُها مِن حُبِّها وتَقَرَّأَتْ لِتنالَها قُرّاؤُهَا)

تقرّأ : تفقّه وتنسّك . وقيل : قَرأْتُ . أى صِرْت قارئاً ناسكا . وتقرّأت تقرّؤا ، فى هذا المعنى . ولعلّ أبا العلاء يُشير إلى الحديث : « أكثر مُنافقى أمتى قُرّاؤها » .

يقول : لقد أفسدتِ عُقولا كانت خليقة أن تَصْلُح ، وعَوّجت طُرُقاً كانت جديرة أن تستقيم ؛ أولئك الفقهاء لا يتجادلون إلا فيك ، وأولئك القُرّاء لا يتقرءون إلا لك ، فأما فِقْه الدين واستظهار الكِتاب فشىء لا يَحْفِلون به ولا يلتفتون إليه .

١٧ (وإذا زَجَرْتُ النَّفْسَ عَنْ شَغَفٍ بِها فكأَنَّ زَجْرَ غَوِيِّها إغْرَاؤُها)

الزجر : المَنع والنَّهى والنّهر . والشَّغف : الولع بالشيء ؛ يقال : شُغِف فلان بالشيء ، على صيغة ما لم يُسَمَّ فاعله : أُولع به ؛ وشَغِف بالشيء ، على ما سُمّى فاعله : قَلِق . والغَوىّ : الضالّ ، ومثله: غاوٍ وغَوٍ وغَيّان . والفعل منه غوَى ، وغوِى . وقال ابن برّى : غَوٍ ، هو اسم الفاعل من « غوِى » لا من « غوَى » وكذلك غَوِىّ ، ونظيره : رَشَد فهو راشد ، ورَشِد فهو رشيد . والإغراء : الإيساد والتأريش .

يقول : لقد أضللتِ العُقول ، وأفسدت الطبائع ، حتى لم يبق للنصح إليها طريق ، وكأنما النصح بالانصراف عنك إغراء بشدة الحرص عليك .

اللزومية الخامسة عشرة

وقال أيضاً فى الهمزة المَضْمومة مع الباء ، والمُنسرح المولَّد[١] :

١ (دُنْيَاكَ ماوِيَّةٌ لها نُوَبٌ شَتَّى سَمَــاوِيَّةٌ وأَنْبَاءُ)

النسبة إلى « الماء » مائى وماوىّ ، فى قول من يقول « عطاوى » ، و « ماهىّ » كما يقول الأزهرى . لما كان الماء أصلُ الحياة به ردها إليه . أو لعله شبه الدنيا به فى مُيوعتها وأنها لا تستقر مثله على حال . والنُّوَب : جمع نائبة ، وهى ما ينوب الإنسان وينزل به من المُهمّات والحوادث . وتُجمع على نوائب أيضاً . وشَتّى . متفرقة . وفى الحديث : « يهلكون مَهلكاً واحداً . ويَصدُرون مصادرَ شَتَّى » . وقال ابن جِنّى: شتّان وشَتَّى ، كسَكْران وسَكْرى . يعنى أن « شتّى » ليس مؤنّث « شَتّان » ، كسكران وسَكْرى . وإنما هما أسمان تَوارَدَا وتقابلا فى عُرْض اللُّغة من غير قَصد ولا إيثار لتقاودهما . وفى تخصيص « النُّوب » و «الأنباء» بأنها سماويّة إشارة ، إلى ما يتردّد فى شعر أبى العلاء من أثر الأفلاك .

يقول : أيابنة الماء ، وذات النُوب والأنباء ، أنت التى لا تثبت على حالٍ ولا يستقرُّ لها أمر . أنت المضطربة الهائجة ، والمُرتبكة المائجة . أنت الفَرّارة الخدّاعة ، والمنّاحة المنّاعة .

٢ (أُفٍّ لَهَا جُلُّ ما يُفِيدُ بِهَا مَنْ فَازَ فِيها الطَّعَامُ والبَاءُ)

أُفّ : كلمة تضجّر . وقد سبق عنها مزيد[٢] . وجُل كل شىء ، بالضم : معظمه، مبتدأ ، خبره « الطعامُ » وما أنعطف عليه . وأفدتُ المالَ : أعطيتُه غيرى .

---

(١) شاهده : * من فرص اللص ضجة السوق *

(٢) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية السادسة ص ٨١ من هذا الجزء .

وأفدتُه : أستفدْته . والثانى هو المراد . والباء : النكاح والتزويج . ومضى الكلام فيه بتفصيل[١] .

يقول : أفّ لك ! لقد قلّ فيك الخير وكثر فيك الشرّ ، ولقد صغرتْ أمورك ، وهانت الآمال فيك ؛ فأعظمُ حظّ الفائز بك ، والظافر برغائبك ، طعامٌ يُسيغه ، ورَفَثٌ يناله .

٣ (جَدَّ مُقِيمٌ وخَابَ ذُو سَفَرٍ كأَنَّهُ فِى الهَجِيرِ حِرْبَاءُ)

جَدّ فلان يَجَدّ ، من باب علم : صار ذا حظّ وغِنى ، فهو جَديد ومَجدود . والهَجير : نصف النهار عند اشتداد الحر . ومثلُه الهَجيرة والهَجْر والهاجرة . والحِرْباء : ذَكَر أم حُبَين . وقيل : هى دويبّه نحو العَظاءة أو أكبر تستقبل الشمس برأسها ، وتكون منها كيف دارتْ . يقال إنما تفعل ذلك لِتَقى جسدَها برأسها . وهى تتلوّن ألواناً بحرّ الشمس . والجمع : الحرابىّ . ويقال فيها : حرباء تَنْضُب . كما يقال : ذئب غَضى . قال أبو دُواد الإيادىّ .

أَنَّى أُتِيحَ لها حِرْباءُ تَنْضُبَةٍ لا يُرْسِلُ الساقَ إلا مُمْسِكاً ساقَا

يَصف ظُعُنا ساقَها وأزعجها سائقٌ مُجِدّ ، فتَعجّب كيف أُتيح لها هذا السائق المُجد . وهــذا مثل يُضرب للرجل الحازم ، لأنّ الحرباء لا تُفارق الغُصْن الأول حتى تَثبت على الغصن الآخر .

يقول : تَسيرين على غير حِكْمة مَفْهومة ، ولا نظام مألوف ، يسعد فيك المُقيم الآمن ، ويَشقى بك المجدّ الظاعن .

---

(١) انظر شرح البيت التاسع من اللزومية الأولى ص ٥٧ من هذا الجزء

٤ (أَقْضِيَةٌ لا تَزَالُ وَارِدَةً تَحَارُ فِى كَوْنِهَا الأَلِبَّاءُ)

أقضية : جمع قضاء ، وهو الحُكم . وواردة ، أى حاضرة وآتية . والألِبّاء : العُقلاء ، الواحد : لبيب .

يقول : قضاءٌ سَبقت به الكلمة ، وجرَى به القلم ، فما يزال على الناس جارياً ، وعلى العُقول خافياً ؛ قد حيّر الألبّاء فَهمُه ، وأعيا الحكماء تَعبيرُه .

٥ (قَامَ بَنُو القَوْمِ فى أَمَاكِنِهِمْ وغُيِّبَتْ فى التُّرَابِ آباءُ)

٦ (وزالَ عِزُّ الأَمِيرِ وافترقتْ أَحْبَاؤُه عَنْهُ وَالأَحِبّاءُ)

٧ (وكُلَّ حِينٍ حُوبٌ ومَعْصِيَةٌ زَادَتْهما فى الذُّنُوبِ حَوْبَاءُ)

بنو القوم ، أى الذرارى والأعقاب . والضمير فى « أماكنهم » . إما من المضاف فى « بنو القوم » أو من المضاف إليه . وعلى الثانى ، فالمراد : حَلَّ الأبناء محل الآباء . وعلى الأول ، فالمراد : قام الأبناء حيث هم فى الحياة .

والأَحْباء : جلساء الملك وخاصّته ، الواحد : حَبأ ؛ مثل أسباب وسَبَب . ويقال : هو من حَبأ الملك ، أى من خاصّته . والأحبّاء : المُحبُّون ، الواحد حبيب .

والُحوب ، بالضم والفتح ، والحاب : الإثم . فالَحوب، بالفتح ، لأهل الحجاز . والُحوب ، بالضم ، لتميم .

وقال الزّجّاج : الُحوب : الإثم ؛ والَحوْب : فعل الرجل . وفى قوله تعالى : (إنّه كان حُوباً) قرأ الفرّاء بالضم ، وقرأ الحسن بالفتح . وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : « إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الرّبا سبعون حَوْباً . أيسرها مثلُ وُقوع الرجل على أُمِّه . وأَرْبَى الرِّبا عِرْضُ المُسلم » . قال شَمِر : قولُه : « سبعون حوباً » كأنّه سبعون ضرباً من الإثم .

والحَوْباء : النفس ، ممدودة ساكنة الواو ؛ والجمع : حوباوات . يريد استرسال النفوس فى غَيّها .

يقول : أسلاف تسلُف ، وأخلاف تخلُف ، ومُلوك يزول عنها العِزّ ويُفارقها السلطان ، ويُسْلِمها الأخْباء والأحبّاء ، وآثام ما تزال تُجدّدها الحاجة ، وسيّئات ما يزال يخلقها الفقر والبؤس ؛ ونحن لكل هذه السِّهام أغراض ، لا نُحس ولا نَشعر ، ولا تسمو عقولنا إلى عظة ولا اعتبار .

اللزومية السادسة عشرة

وقال أيضاً فى الهمزة المضمومة مع الميم ، والخفيف الأول[1] :

١ (فُقِدَتْ فى أَيّامِكَ العُلَماءُ وادْلَهَمَّتْ عَلَيْهِمُ الظَّلْماءُ)

٢ (وتَغَشَّى دَهْماءَنا الغَىُّ لَمّا عُطِّلَتْ مِنْ وُضُوحِها الدَّهْماءُ)

ادلهمت : كَثُفت وأُسودَّت . والظلماء : الليلة الشديدة الظلمة .

وتغشَّى : علَا وتجلَّل . والدَّهماء : الجماعة من الناس . يقال : دخلتُ فى خَمَر الناس ، أى فى جماعتهم وكَثْرتهم ، وفى دهماء الناس أيضاً ، مثله . قال الشاعر :

فَمَدناكَ فِقْدانَ الرَّبيع وَلَيْتَنا فديناكَ من دَهْمائنا بأُلوفِ

والغىّ : الضلالة والخيبة . والوُضوح : الظهور والانجلاء .

وفى نسخة « أوضاحها » . وهى جمع « وَضَح » بالتحريك ، وهو الغُرة والتحجيل فى القوائم ، وهو الضوء والبياض أيضاً .

وقد يراد « بالدهماء » فى آخر البيت : الغبراء ، أى الأرض ، ويكون المعنى من معنى عجز البيت السابق ومؤكداً له . جعل انجلاء الحياة بالعُلماء ، فإذا عطِّلت منهم تغشَّتها الظلمات .

كما قد يراد بها الدَّابة السوداء لاشِيَةَ فيها . جعل العلماء فى الحياة بمنزلة الأوضاح فى الدَّابة الدهماء . وهو لا يخرج عن الأول .

يقول : إيه أيها المتفكّر المُتَفهم ! والباحث المُستبصر ! لقد قُضى عليك أن تَعيش فى عصرٍ ظهر فيه الجهل ، وخَفى فيه العلم ، وعمّ دهماءه الحُمْق ، واشتمل على أهله الجُمود .

---

(١) أى ذو العروض الصحيحة ، وضربها مثلها .

٣ (لِلْمليكِ المُذَكَّراتُ عَبِيدٌ وكَذاكَ المُؤَنَّثاتُ إِمَاءُ)

٤ (فالْهِلالُ المُنِيفُ والبَدْرُ والفَرْ قَدُ والصُّبْحُ والثَّرَى والْمَاءُ)

٥ (والثُّرَيَّا والشَّمْسُ والنّارُ والنَّثْرَةُ والأَرْضُ والضُّحَى والسَّماءُ)

أراد « بالمليك » : الله تعالى ، مليك الخلق ، أى ربُّهم ومالكهم . والمذكَّرات : ما كان على صيغة التذكير من خلقه . والمؤنثات : ما كان منها على صيغة التأنيث ؛ أراد الشمول فذكَر الشيء وضده .

وقصد إلى هذين خاصة لأنهما سرُّ الوجود و بقاؤه . والإماء : جمع أَمة ، وهى المملوكة ، خلاف الُحرة . وقال الأزهرى : هى المرأة ذات العُبودة ، وقد أقرّت بالأُموّة . وتُجمع أيضًا على أَموات وآمٍ، و إمْوَان ، بالكسر والضم .

وقد شبَّه أبو العلاء « الأيام » بالعبيد ، و « الليالى » بالإماء فى غير هذا الموضع ؛ فقال :

بسبْع إماءٍ من زغَاوة زُوِّجت من الرُّوم فى نُعْمان سَبْعَةَ أَعْبُدِ

والمُنيف : المُشرف المرتفع على غيره ؛ يقال : ناف الشيء ، إذا طال وأشرف وارتفع . وكذلك أناف .

والفَرْقد : واحد الفَرْقدين ، وهما نجمان فى السماء لا يَغْرُبان ، ولكنهما يطوفان بالَجدْى . وقيل : هما كوكبان قريبان من القطب ؛ كما قيل إنهما فى بنات نَعْشٍ الصُّغرى . وحكى الكِسائىّ : لأَبْكِينَّك الفرقَدين ، أى طولَ طُلوعهما . قال : وكذلك النُّجوم ، كلها تُنصَب على الظَّرف ، كقولك : لأبكينَّك الشمسَ والقمَرَ . كل هذا يُقيمون فيه الأسماء مُقام الظروف . قال ابنُ سِيده : وعندى أنهم يريدون طول طُلوعها ، فيحذفون اختصاراً واتساعاً .

وقالوا فيها : الفراقد . كأنهم جعلوا كُلّ جزء منهما فرقداً . قال الشاعر :

لقد طالَ يا سَوْداءُ مِنْكِ المَواعدُ ودُون الجدَا المأمولِ منك الفَراقِدُ

وكذلك قالت العربُ لهما : الفَرقد . ولعلَّ عليه بيتَ أبى العلاء . ومنه قَوْلُ لَبيد :

حالَفَ الفرْقدُ شَرْباً فى الهدى خُلَّةً باقِيــةً دُونــ الخلَلْ

والثُّريا ، من الكواكب ، سُمِّيت لغزارة نَوْئها . وقيل : سُمِّيت بذلك لكثرة كواكبها مع صِغَر مَرْآتها . فكأنها كثيرة العَدَد بالإضافة إلى ضِيق المحلّ ، لا يُتكلَّم به إلا مُصغراً ، وهو تَصغير على جهة التكبير . والنَّثْرة : نَجم من نجوم الأسَد ينزلها القَمر . وقال الأزهريُّ : هى كوكب فى السماء كأنه لَطْخ سحاب حيال كوكبين تُسَمِّيه العرب نَثْرَة الأسد . أو هى من منازل القمر ، وهى من برج السَّرطان . والسَّماء ،التى تُظلُّ الأرض،مؤنّثة فى قول جُمهور النّحويين. وذكَر بعضُهم أنها تذكّر وتؤنّث، محتجِّين بقوله تعالى (والسَّماء مُنْفَطر). وقيل فى دَفع هذا : إنما جاء على معنى النسب أى ذات انفطار ، كما قالوا : اُمرأة عاشق أو عاقر، أي ذات عِشق وعُقْر . وقد يجوز أن يكون ذَكَّرها على معنى السَّقف لقوله تعالى: (وجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحفُوظاً) . ومنه بيت الفرزدق :

فلو رَفع السَّماءَ إليه سقفاً لَحِقْنا بالسَّماء مع السحابِ

وأما السماء الذى يُراد به المطر ، فقال بعضُهم إنه مذكّر ، ومنه قول الشاعر :

إذَ سقَط السماء بأرض قومٍ رَعَيْناه وإن كانوا غِضابا

ويرى الأخفش أنه مؤنَّث . ومنه بيتُ أبى العلاء ، هذا ، فقد جمع المذكرات فى بيت والمؤنَّثات فى بيته الآخر .

يقول : سبحانك اللهم! بك آمنت ، ولكَ أَذْعنت . لك العبيدُ والإماء ، من رجال ونساء ، لك الأرض والسماء . والهواء والماء . لك النجوم الطالعة ، والكواكب الساطعة .

٦ (هَــذِهِ كُلُّها لِرَبِّكَ مَا عَا بَكَ فِى قَوْلِ ذَلِكَ الْحُكَماءُ)
٧ (خلِّنى يا أُخَىَّ أَسْتَغْفِرِ اللّـــهَ فَلَمْ يَبْقَ فِىَّ إِلَّا الذَّمَاءُ)

الذّماء: بقية النَّفْس، وكذلك بقية الروح فى المذبوح. قالأبو ذؤيب يذكر القانص والحَمِير:

فَأَبَدَّهُنَّ حُتُوفَهن فهاربٌ بذَمائه أَو بارِكٌ مُتَجَعْجِعُ

يقول: قُلْ ما شئت من ذلك، لايَعِبْك بقوله حكيم، ولا ينكره عليك فيلسوف؛ ثم دَعْنى أستغفر الله وأتضرَّع إليه، فقد أُنقضت عنِّى مُدّتى، وأَسْلَمَتْنى أيامى إلى الحيْن.

٨ (ويُقَالُ الكِرَامُ قَوْلًا وَمَا فِى الْـــعَصْرِ إلّا الشُّخُوصُ والأَسْماءُ)
٩ (وأَحَادِيثُ حَبَّرَتْهـــا غُوَاةٌ وافْتَرَتْها للمَــكْسَبِ القُدَمَاءُ)

العصر: الدهر، وهو المراد هنا. وقال أبن عبّاس: هو ما يلى المَغرب من النهار. وقال قَتادة: هو ساعة من ساعات النهار. والعصران: الليل والنهار، والغداة. والعشى. وفى العصر لغات، الفتح والكسر والضم و بضمتين. و يجمع على أعصار وعُصور، وعصرٌ، بضمتين أيضاً. والشخوص: جمع شخص، وهوكل جسم له أرتفاع وظُهور.

والتحبير التَّجويد والتَّحسين. والغُواة: الضالُّون، الواحد غاوٍ. وأُفترى: كذب وأُختلق. وفى حديث بيعة النِّساء: «وَلَا يأْتين ببهُتان يَفترينه» هو افتعال من الكذب.

يقول: دعنى أَفرُغ لما أنا فيه من خَلوة إلى نفسى وعناية بأمرى، فإنما نحن فى أيام كثرت فيها الأسماء، وقلَّ فيها الغَناء. يذكُرون الكرم والُجود، والحقَّ

والفضيلة ، والخير والبرّ ؛ وإنما هى ألفاظ تلفظها الأفواه ، وتتلقّفها الرياح .
يَرْوُون الحكمة والعظة ، ويأثرون النصيحة والهُدى ، ويدرسون العلم والشريعة ؛
وإنما هى أحاديث الغُواة ، وأفانين من التجارة اُخترعها القُدماء ، يكسبون بها
عيشهم ، ويشترون بها ثمناً قليلا . دَعنى أفرُغ لما أنا فيه ، فقد كذبتنى الأمانى ،
وتكشّفت لى الآمال عن باطلها ، وظهرت لى الحقائق واضحة ، ولكنها بَشعة
المنظر مُرّة المذاق .

١٠ (هَذهِ الشُّهْبُ خِلْتُها شَبَكَ الدَّهْـــرِ لها فَوْقَ أَهْلِها إلْمَاءُ)
١١ (عَجَباً للقضَاءِ تَمَّ عَلَى الْخَلْـقِ فَهَمَّت أن تُبْسِلَ الْعُلَمَاءُ)
١٢ (أَوَمَا يُبْصِرُون فِعْلَ الرَّدَى كَيْـفَ يَبِيدُ الأَصْهَارُ والأَحْمَاءُ)

الشُّهب : النجوم السبعة المعروفة بالدَّرارِى ، الواحد شِهاب . وظاهر أنه يريد النجوم عامة .

والإلماء : الاحتواء والاشتمال . يقال ألمأ على الشىء ، إذا احتوى عليه .

والإبسال : الإسلام للتهلكة . قال تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بما كسبوا) أى أُسْلموا بجرائرهم . وقيل : اُرْتُهنوا . وقيل : أُهلكوا . وقال مُجاهد : فُضحوا . وقال قتادة : حُبسوا . وقال أبو منصور فى تفسير قوله تعالى : (وأنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بما كَسَبَت) أى لئلاّ تُسْلَم نفس إلى العذاب بعملِها . وقال النابغة الجعدىّ :

وَنَحْن رَهَنَّا بالأُفَاقة عامِراً بما كان فى الدَّرْداء رَهْناً فأُبْسلا

وإبسال العلماء ، أن يؤخذوا بعملهم . وكثيراً ما يَنعى أبو العلاء عليهم .
وجاء فى بعض النُّسخ « الُحزماء » مكان « العلماء » .

وَالرَّدَى : الهلاك . والأصهار : أهل بيت المرأة ، وأما أهل بيت الرجل فيقال لهم : الأختان . والأحماء للمرأة : إخوة زوجها ، وكذلك مَن كان من قِبَله ؛

وكل من ولىَ الزوجَ من ذى قرابته ، فهم أحماء لها . وأم زوجها : حماتها . وكذلك الأحماء للرجل ، من كان من قِبَل امرأته : أب أو أخ أو عم . وقيل : الأحماء، مِن قِبَل المرأة خاصَّة ، الواحد حَمُو . وفيه لغات أربع : حماً ، مثل قفاً ؛ وحَمُو ، مثل أبو ؛ وحمٌ مثل ، أب ؛ وحمْء ، ساكنة الميم مهموزة .

يقول : هل ترى هذه الشُّهب اللامعة إلاّ شِباكا قد أعدها الدَّهر يلقيها على العالَم فيصطاد بها فرائسه ! أوما تُبصر كم ترك الرّدى فى الناس من الأفاعيل ! كيف فرَّق بين الأصهار والأحماء ! وكيف باعد بين الآباء والأبناء !

١٣ (غَلَبَ الْمَيْنُ مُنْذُ كَانَ عَلَى الْخَلْقِ   وَمَاتَتْ بِغَيْظِهَا الْحُكَمَاءُ)

المَين : الكذب ، والجمع مُيُون . وجاء فى بعض الأصول « الحزماء » مكان « الحكماء » .

يقول : عجباً للقضاء المحتوم والقدر المكتوب ! لقد قضيا على الخلق لا يردُّهما رادٌّ ولا يدفعهما دافع ، حتى أصبح الأمل معهما حمقاً ، واليأس بين يديهما حزما.

١٤ (فَارْقُبِي يَا عَصْمَاءُ يَوْماً وَلَوْ أَنَّكِ فِي رَأْسِ شَاهِقٍ عَصْمَاءُ)

« عصماء » الأولى ، من أسماء النّساء ؛ وهى من الوُعُول : البيضاء اليدين ، أو اليد وسائرها أسود أو أحمر . وهى المُرادة « بعصماء » الثانية . وبها سُمّيت المرأة ، لامتناعها عمّن يرومها امتناع الأُرْويّة بالجبل . قال الشاعر :

إنّ عَصْمَاءَ إنْ تَرُمْهَا كَعَصْمَا   ءَ سَمَتْ فى الذُّرَا فليس تُنالُ

وقد يكون للتَّسْمية وجه آخرُ يُفسره الحديثُ فى النّساء : « لا يدخُل الجنة منهنّ إلا مِثْل الغُراب الأعْصم » ، وهو الأبيض الجناحين ، أو الأبيض الرجلين .

أراد قلة من يدخل الجنة من النساء ، ويكون الجامع فى الشبه العزّة والنُّدرة . إلا أن القُنن بالوعول أنسب ، والوصف هنا مُخصِّص .

والكلام فى البيت على الحذف ، تقديره : فارقبى يا عصماء يوماً تهلكين فيه . فحذفه للعلم به .

يقول : أيتها العَصْماء المكنونة ، والحسناء المصونة ، لا يخدعنّك جمالُك الخلّاب للعُقول ، الفتّان للألباب . لا يخدعنك لحظك الفاتر ، ولفظك الساحر . لا يخدعنّك خدّكِ الأَسِيل ، وخَصرك النَّحيل . لا يخدعنّك وجهُك الذى تُباهين به ضَوءَ النهار ، وشَعرك الذى تبارين به فحمة اللَّيل . فكُل ذلك إلى زوال . إنما بَدْرك إلى أُفول ، وزهرك إلى ذُبول ، وجمالك الفاتن إلى فناء . أُرقبى ذلك اليوم الذى سيُصوِّب إليك من الحِمام سهماً لا يطيش ، ونَصْلا لا يُخطئ ، ورَمْية لا يحميك منها معقل ولا حِصْن . خُذى مكان العَصْماءَ من رأس الجبل ؛ فإن الموت لا حقك لا محالة ، ونازلٌ بك من غير رَيْب .

١٥ (وأرَى ٱلأَرْبعَ الغَرائِزَ فِينَا وهِىَ فى جُثَّةِ الفَتَى خُصماءُ)

١٦ (إنْ تَوافقْنَ صَحَّ أَوْ لَا فمَا يَنْـ فَكُّ عَنْها الإمْرَاضُ والإغْماءُ)

يريد بالغرائز الأربع : العناصر التى يتكون منها الكون ، والإنسان منه . وهى : المائية والترابية والهوائية والنارية . وهى بعض لبعض خصم . وخُصماء : مخاصمون ، الواحد خَصيم . والخصيم غير الخَصِم ، إذ الخَصِم : العالم بالخصومة وإن لم يخاصم ، والخَصيم : الذى يخاصم غيره .

والتوافق : الاتفاق . والإمراض : وُقوع العاهات ، من قولك : أمرض الرجل ، إذا وقع فى ماله العاهة . والإغماء ، بكسر الهمزة ، المصدر من أُغمى عليه ، إذا غُشى عليه ثم أفاق . وقيل : إذا ظُن أنه مات ثم يرجع حيًّا . وأما الإغماء ،

بفتح الهمزة ، فهو جمع غَمًى عند بعضهم ، وهو المغشىّ عليه . ويجعل بعضهم « غَمًى » للواحد والواحدة والاثنين والجميع ، دون تغيير ، لأنه مصدر .

يقول : أنَّى يكون الخلود أو يقدَّر البقاء لجسم ! ما أرى حياته وصحته إلاّ رَهْناً باتفاق غرائزه ، ووقفاً على التئام طبائعه . فهو صحيح إن استوين ، وعليلٌ إن الْتوين .

١٧ (وَوَجَدْتُ الزَّمَانَ أَعْجَمَ فَظًّا وجُبَارٌ فى حُـكْمِها العَجْماءِ)

الأعجم : العجمىّ ، وهو غير العربى . يريد أنه لا يعى عنك ولا تَعِى عنه . رجل أعجم ، وقوم أعجم . قال الراجز :

سَلُّوم لو أصبحتِ وسط الأعجم فى الرُّوم أو فارسَ أو فى الدَّيلم

إذاً لزرناكِ ولو بسُلَّم

والفظُّ : الخشن الكلام ، أو الجافى الغليظ فى منطقه ، والجمع أَفظاظ . ويقال : إنه لفظٌّ بَظّ ؛ على الإتباع . وجُبار : هَدَر لا قَوَد فيه ولا دِية . وفى الحديث « المَعْدِن جُبَار ، والبئر جُبار ، والعَجْماء جُبار » والمعنى : أن تَنفلت البَهيمة العَجْماء فتُصيب فى انفلاتها إنساناً أو شيئاً فجُرحُها هَدَر . وكذلك البئر العاديّة يَسقُط فيها إنسان فيهلك فدمه هَدر . والمعْدن إذا انهار على من يَعمل فيه فهلك لم يُؤخذ به مُستأجره . وحكمها ، أى فيما يُحكم به فى أمرهما ويُقضى .

يقول : أذْعن أيها الإنسان لحكم الزَّمان لا تُناقشه حساباً ، ولا تسأله ثواباً ، ولا تطلب منه لشىء علّة ، ولا ترجُ منه لسؤال جواباً ؛ إنما الزمان أحمق لا يعقل ، وأعجم لا ينطق . ألاَ وإنَّ حُـكْم العَجْماوات أنَّ جناياتها مُهدرة ، وجرائمها مُغْتفرة .

١٨ (إنّ دُنياكَ مِنْ نَهارٍ ولَيْلٍ وَهْيَ فى ذاكَ حَيَّةٌ عَرْماءُ)

الحية العرماء : التى فيها نُقط سُود و بيض . والعرَم والعُرْمة : لون مُختلط بسواد و بياض فى أى شىء كان . وقيل : تنقيط بهما من غير أن يتّسع ؛ الذّكر أعرم ، والأنثى عَرماء . وقد غلبت العرماء على الحية الرّقشاء .

يقول : ألا و إن دُنياك نهار ولَيل ، لا تثبُت على حال ، فهى كالحيّة الرّقطا ، ربما تُعجبك ألوانُها ، ولكن فى نابها السُّم الزُّعاف .

١٩ (والبَرَايَا حَازُوا دُيُونَ مَنَايَا سَوْفَ تُقْضَى ويَحْضُر الغُرَمَاءُ)

البرايا : جمع البرّية ، وهى الخلق . أصلُه الهمز ، و يُجمع على البرّيات أيضاً . قال ابن بَرِّى : والدليل على أن أصل البرّيّة الهمز قولُهم « البريئة » بتحقيق الهمزة ، حكاه سيبويه وغيرُه لغةً فيها .

وقيل إنها بلا همز ، إن أُخذت من « البَرَى » وهو التراب ، والفعل منه : بَراه يَبْروه بَرْواً . ومن ذهب إلى أن أصلها الهمز أخذها من « برأ الله الخلق يبرؤهم » ثم تُرك الهمز تخفيفاً . قال ابن الأثير : ولم تستعمل مهموزة .

والحَوز : الجمع ، وكل مَن ضَمّ شيئاً إلى نفسه مِن مال أو غير ذلك ، فقد حازه حَوْزاً وحيازة . والمنايا : جمع المنيّة ، وهو الموت ؛ لأنها مُقدّرة بوقت مخصوص ، ومثلها المَنَى . وقال الشرقىّ بن القُطامى : المنايا : الأحداث . والحِمام : الأجل . والحَتْف : القدر . والمَنون : الزمان . وقال ابن برِّى : المنيّة : قدَر الموتَ . ألا ترى إلى قول أبى ذُؤيب :

مَنايا يُقرِّبن الحُتوفَ لأهلها جهاراً ويَسْتمتعنَ بالأَنَس الجِبْلِ

فجعل المنايا تقرّب الموت ولم يجعلها الموت . و تُقْضَى : تؤدَّى . والغُرماء :

أصحاب الدَّين ، الواحد : غَريم، ويُجمع على غُرَّام أيضاً . في حديث جابر : فاشتد عليه بعض غُرَّامه في التقاضي .

يقول : أَلاَ و إنَّ الناس بالموت مَدينون ، ولا بُدَّ لهذا الدَّين من وَفاء ، ولهذا القَرْضَ من قضاء . والموت غريم لا يُهمل ردَّه ، ولا يُمكن الإلواء عليه .

٢٠ (وَرَدَ القَوْمُ بَعْدَ ما مَاتَ كَعْبٌ وأرتَوَى بالنَّميرِ وَفْدٌ ظِمَاءُ)

الورُود للماء : ضد الصُّدور ، وهو أن تَحْضرَه لتشرب . وكعب، هو ابن مامة الإيادىّ ، وكان أحد أجواد العرب ، فخرج في بعض أسفاره ، ومعه رجل من النَّمِر بن قاسط يقال له شَمِر بن مالك . وقيل : حُنَيف ، وقيل هِنْب بن قاسط . فقلّ ما كان معهما من الماء ، فتصافَنَاه .

والتصافُن : أن يُطْرح في الإناء حَجَر ، يقال له المَقْلة ، ثم يُصبّ عليه من الماء ما يَغْمره ، لئلا يتغابنوا ، ثم يُرفع إلى واحد من المُتصافنين حظُّه منه .

فكان النَّمرُ يَشرب نَصيبه ، فإذا أخذ كعبٌ نَصيبه ليشربه قال هِنْب : أسقِ أخا النَّمر . فيُؤثره على نفسه ، حتى جَهِد كعب . ورُفعت له أعلام الماء فقيل له : رِدْ كَعْب — ولا وُرود به — فمات عطشًا . ففى ذلك يقول أبو دُواد الإيادىّ :

أَوْفَى على الماء كَعْبٌ ثم قيل له رِدْ كَعْب إنك ورَّادٌ فما وَرَدَا

والنَّمير : الماء الناجع في الرِّىّ . وظِماء : عِطاش ، الواحد : ظمآن ، والأُنثى ظمأى .

يقول : ألا و إنّ الزمان قد قَسم الحظوظ بين الناس فأساء القِسْمة ، لم يُراعِ في ذلك عَدْلاً ، ولم يَتَّبع قاعدةً ، فأمات بالظمأ كعب بن مامة ، وروّى بنمير الماء بعدَه الكثيرين .

٢١ (حَيَوانٌ وجَامِدٌ غَيْرُ نامٍ ونَباتٌ له بسُقْيا نَماءُ)

النَّماء : الزيادة والكثرة ، والفعل منه : نَمَى يَنْمِي نَمْياً . وربما قالوا : نَما ينمو نموّاً .

يقول : لا تلتمس لشيء علّة ، ولا تطلُب لموجود سبباً ؛ فذلك شيء قد خَفِي عليك أمرُه ، وحُجب عنك سِرُّه . وانقسم العالَم منذ كان إلى حيوان نامٍ حسَّاس ، ونبات ينمو ولا يُحسّ ، وجماد قد حُرِم الحسّ والنموّ معاً . وما أعرف لهذا الجسم الذى رُزق القُوَّتين ، وظَفِر بالفضيلتين ، نافلة من فضل تُؤثره بالحياة والحركة ، وتختصّه بالحسّ والنموّ دون الآخرين .

٢٢ (ولَوَ أنّ الأَنامَ خافُوا مِنَ العُقْبَى لما جَارَتِ الْحَيَاةَ الدِّماءُ)

الأنام : ما ظهر على الأرض من جميع الخلق ؛ ويريد الناس . ويجوز فى الشعر : الأَنيم . والعُقبى : جزاء الأمر ، كالعاقبة ، والعُقْبان . وجاراه مجاراة وجِراء : جرى معه . يشير إلى كثرة ما يسفح من دماء البشر .

يقول : ما أجهل الناسَ ، وما أضلّ عقولهم ، وما أغفلهم عن العواقب ، وألْهاهم عن مستقبل الأمور ! لو أنهم عرفوا حياتهم حقَّ المعرفة ، وبَلَوْها حق البلاء ، لهانت عليهم ولصغُرت فى عيونهم ، فلم يقتل فيها بعضهم بعضاً . ولو أنهم إذ كبّروا منها صغيراً ، وعظّموا من أمرها حقيراً ، وفرضوا لأنفسهم حساباً تظهر فيه سيئاتهم وحسناتهم ، وتبدو فيه نقائصهم وفضائلهم ، ويَلْقى بعده كُلُّ امرئ نتيجة عمله خيراً أو شرًّا ؛ لو أنهم إذ فعلوا هذا كلّه خافوا الحساب الذى فرضوه ، والميعاد الذى انتظروه ، لما سَفكوا بينهم من الدِّماء ما يجارِى الماء ، ولكنها طبائع بَلْهاء ، لا تعرف للحق طريقاً ، ولا تسلُك إلى الهُدى سبيلاً .

٢٣ (أَجْدَرُ النَّاسِ فى العَوَاقِبِ بالرَّحْـــمَةِ قَوْمٌ فِى بَدْئِهِم رُحَمَاءُ)

أجدر : أخلق وأحق وأولى . ويريد « بالعواقب » و « البدء » : الآخرة والدنيا . أو هما على ظاهرهما .

يقول : سَلْنى عن أحقّ الناس بالرحمة وأولاهم بالرِّفق والرأفة ، أُجِبْك بأنهم أُولئك الذين نشئوا راحمين للضعيف ، عاطفين على البائسين ، ثم تنكرت لهم الأيام وأرهقتهم من أمرهم عسراً .

٢٤ (وَغَضِبْنَا مِنْ قَوْلِ زَاعِمٍ حَقٍّ إنّنَا فِى أُصُولِنَا لُؤَمَاءُ)

لعله يشير « بالأصول » إلى أصل الخلقة ، وأننا خلقنا من نطفة قذرة ، تضمنتها أرحام وضرة .

وفى هذا قول علىّ عليه السلام : « وما لابن آدم والفخر ، وإنما أوله مُضْغة وآخره جيفة ، لا يَرزق نفسه ولا يدفع حتفه » . وفى هذا يقول أبو العتاهية :

ما بالُ من أوله نُطفة وجِيفة آخره يَفخَرُ

يقول : هذه أخلاقنا وتلك خِلالنا ، ما أحمد فيها خُلُقا ولا أَرضى منها خُلَّة . ونحن بعد ذلك بأنفسنا مُعجبون ، وبأخلاقنا مفتونون . أنغضب من مقالة الحقّ ، ونَحقد على صادقٍ رمانا بِخِسَّة الأصل ولؤم الطبع . نعم أخسّاء لُؤَماء .

٢٥ (أَنْتَ يا آدَ آدَمَ السِّرْبِ حَوًّا وُلْـدُ فِيـــهِ حَوَّاءُ أَوْ أَدْمَاءُ)

يا آدَ ، أراد « يا آدم » فرخم للنداء ، فَحذف الميم . ويجوز لك فى الدَّال الفتح ، على لغة من ينظر إلى المحذوف؛ والضم ، على لغة من لا ينظر إليه . والآدم من الناس: الأسمر . قال الزجّاج : يقول أهل اللغة : إن اشتقاقه من أديم الأرض، لأنه خُلق من تُراب . وقال الجوهرى : آدم، أصله بهمزتين لأنه أفعل ، إلا أنهم

لينّوا الثانية، فإذا احتجت إلى تحريكها جعلتها واواً ، وقلت : أوادم، فى الجمع ، لأنه ليس لها أصل فى الياء معروف ، فجعل الغالب عليها الواو . والسِّرب ، القطيع من الظباء والنساء . وحوّاؤك ، أى زوجك حوّاء ، وهى من الحُوَّة ، اسوداد إلى خُضْرة ، أو حُمرة تضرب إلى سواد .

يقول : وأنت أيها الأب الذى سَمَّته التواريخ آدم فغلَّبت على لونك السواد ، وسمّت زوجك حوّاء ، فجعلت لونها مَشوباً بحمرة ، لقد أُئتلف منكما مِزاج جمع فيه الخير والشر ، ولكن الشر عليه غالب ، والسوء فيه مَوْفور .

٢٦ (قَرَمَتْنَا الأَيَّامُ هَلْ رَثَتِ النَّحّامَ لمّا ثَوَى بهـــــا قَرْمَاءُ)

٢٧ (عَالَمٌ حَائِرٌ كَطَيْرٍ هَوَاءٍ وهَوَافٍ تَضُمُّهـــا الدَّأْمَاءُ)

القَرْم : الأكل الضعيف ، وذلك فى أول ما تأكل ، وهو أدنى التناول . والقَشْر أيضاً ، والفعلُ منه من باب ضرب . واستخدامه « القرم » دون غيره من نظائره فى المعنى مع « الأيام » أدق فى تصوير نَيْل الأيام منّا . ورثى فلان فلاناً ، يرثيه رَثياً ومَرثية ، إذا بكاه بعد موته . فإنْ مدحه بعد موته ، قيل : رثّاه يُرثِّيه تَرْثية . وقيل هما بمعنى .

والنّحام: فرس السُّليك بن السُّلَكة السَّعْدى،كان قد مات بقرماء . ويقال بل نحره لأصحابه ، فقال يرثيه :

كَأنَّ قَوائم النَّحّام لمّا تَرحَّل صُحْبتى أُصُلا مَحارُ
على قَرْمَاءَ عاليةً شَواه كأنّ بياض غُرَّته خِمار

وقرماء : باليمامة. وثوى بها : هلك بها . ومنه قولُ كعب بن زُهير :

فَمَنْ لِلقوافِى شانَها مَنْ يَحُوكُها إذا ما ثوى كَعْبٌ وفَوَّز جَرْوَلُ

وكذلك يقال للمقتول : قد ثَوى . قال أبو كَبير الهذلىّ :

نَغْدو فنترك فى المزاحف مَن ثَوى ... ونُقِرّ فى العرَقات من لم يُقْتَلِ

وحائر : لم يتَّجه لشئ ولم يهتد لسبيله . وفى بعض النسخ « جائر » من الجور، وهو الميل عن القَصْد . وهواء : خال لا فؤاد له . وفى حديث عاتكة :

فهن هواء والحُلوم عَوازبُ

والهوافى : الإبل الضوالّ . ويقال للطائر إذا طار : هَفا ، وكذلك الظَّبي والرِّيح ، وقد أراد بها هنا الأسماك . أراد ما على ظَهْر الأرض بسمائها ، وما انطوت عليه بحارُها .

والدأماء : البحر . قال الأفوه الأَوْدى :

والليـلُ كالدَّأْماء مُسْتَشْعِر ... من دُونه لَوْناً كلون السَّدُوس

يقول : كفّوا أيها النَّاس من غُلوائكم ، وخَفِّفوا من غُروركم ، فإنما أنتم للأيام أَغْراضٌ غير مَوموقة ، وأهداف غير مرحومة ، ولعمرى لن تشفق عليكم الأيام إلا إذا أشفقت الرحى على ما تطحن من حَبٍّ ، ولن تَرْثى لكم السُّنون إلا إذا رثتْ الأرض لمـا تَضُم من الأَشْلاء . ولكنى ما أرى لكم من الذَّكاء حَظًّا ، وما أعرف بين عقلائكم و بين بُلْه الحيوان فرقاً ، سواء منكم ذو العقل الراجح ، والرأى الصائب . ما أَجِد رُجحان أحلامكم وصواب آرائكم يَزِن خِفَّة أحلام الطَّير فى الهواء ، والسمك فى المـاء .

٢٨ (وَكَأَنّ الهُمَامَ عَمْرَو بنَ دَرْمَا ... ءَ فَلْتَهُ مِنْ أُمّه دَرْمَاءُ)

عمرو بن درماء ، رجل من بنى ثُعل . قال ابن الكَلْبىّ : هو عمرو بن عدىّ بن ذُبيان بن ثَعلبة . ودرماء أُمه ، بنت حنَة بن عمرو بن أَفْصى بن دُعْمِى .

وكان أمرؤ القيس بن حُجر نَزَل عليه عند طلب المُنذر بن ماء السماء إيَّاه وأُستجار به ، فأجاره عمرو وأكرمه . وفى ذلك يقول أمرؤ القيس :

ألا حَبَّذا قومٌ يحلُّون بالجَبَل ... وأُثعلاً وأين منِّى بنو ثُعَل

فيا كَرَمَ ما جارٍ ويا حَسْنَ مافعل ... نزلتُ على عمرو بن دَرْماء بُلْطةً

وقال فيه أيضاً :

وعمرو بن دَرْماء الهُمامَ إذا غدا ... بذِى شُطَب عَضْبٍ كمشْيةِ قَسْوَرا

وفَلَتَهْ، أى فطمته عن الرَّضاع . ومثل « فلا » فى ذلك « أفتلى » . والدَّرماء : الأرنب ، سُمِّيت بذلك لمقاربتها الخطو إذا مشت . يقال : درمت تَدْرم . وبالأرنب يُضرب المثل بالضَّعف . قال الأعشى :

أَرانى لَدُنْ أَنْ غاب رَهْطِى كأنَّما ... يَرَانِىَ فيكم طالبُ الضَّيْم أَرْنبَا

وقال أبو الطَّيب المُتنبى :

أرانب غير أنهمُ مُلوكٌ ... مُفتَّحةٌ عيونُهمُ نِيامُ

وخصَّ الأرنب الدَّرماء بالذِّكْر ، وإن كان غيرُها أضعفَ منها ، طَلباً لصنعة الجناس .

يقول : أَفيقُوا أيُّها الناس وأُستبصروا ، إنما أنتم للأيام هُزْأة ، وللزمان ضُحْكة ، وللحوادث مُستذلون . أرأيتم إلى ذلك الملك العزيز قد احتدَّت شوكته ، واشتدَّت سطوته ، وعظم سلطانُه ، كيف أغارت عليه الأيّام زارِيةً عليه ، مُحْتقرةً له ، تستذلُّه استذلالَ الأرنب .

٢٩ (والبَهارُ الشَّمِيمُ تَحْمِيهِ مِنْ وَطْ ... ءٍ مُعادِيكَ أَرْنَبٌ شَمَّاءُ)

البهار : نبت طَيِّب الريح ، وقال الجوهرىّ : البَهار : العَرار الذى يقال له

عين البقر ، وهو بَهار البرّ ، وهو نبت جَعْد له قُقَّاحة صفراء . والشَّميم : المرتفع، يريد المرتفع المَنْبت. وقد يكون الشَّميم بمعنى المَشموم، فعيل بمعنى مفعول.

والوطء ، بالقـدم ، ويستعمل فى الإذلال والقَهر ، ومنه الحديث : « اللهم أشدُدا وطأتك على مُضَر ». وأَرنَب: جمع أرنبة ، وهى طرف الأنف. والأرنب أيضاً : الأكمة والهضبة ، على التشبيه .

وشَمَّاء : مرتفعة . ولعله أراد «بالأرنب الشمَّاء» منابت البهار المرتفعة فلا تصل إليها مواطىء الأقدام ، وقد يكون على الأصل ، إذ المشمومُ ما دام مَوْصولا بعِرْنين أنفك فهو أبعد عن أن يوطأ . والأرنب ، على التوجيهين، مَثَلٌ للسبب الواهى الضعيف ، أو المُطَّرح المتروك .

أو لعله أراد « بالأرنب الشماء » العزة والكبر ، يشير إلى استبداد السادة بنضرة العيش .

يقول : أجل إنكم لتفاضلون فى الحياة نِعمة و بؤساً ، و إنّ أقداركم لتختلف رفعةً وضعة ، ولكنكم جميعاً إلى فَناء ، قد اختلفت إليه الطرق وتشعّبت إليه المسالك ، فلئن كان الفقر لا يُميت الملوك وأصحاب النِّعمة والثَّراء ، لقد جعل لها الدهر من غِناها رَصَدًا مُهلكاً ، ومن ثروتها عِلّةً مُميتة ، فهم كالزَّهْرة النضرة ، لا يُذبلها وَقعُ الأقدام ، ولكن يُذْبلها شَمُّ الأنوف .

٣٠ (وَعَرانَا عَلَى الْحُطَامِ ضِرابٌ وطِعَانٌ فى بَاطِلٍ ورِمَاءُ)

عَرانا : غَشينا . والحُطام : ما تكسَّر من النَّبت وتحطَّم ، يُشَبَّه به ما لا طائل تحته من الأمور .

والضِّراب : المجالدة ، فِعال من ضارب ، إذ جالده ، وكذا الطِّعان والرِّماء ، فِعال ، من طاعَن بالرمح ، وراَمَى بالسهم والنَّبل .

يقول : فِيمَ الطِّعان والضِّراب ؟ وفيم الرِّماء والجِلاد ؟ إنما تقتلون أنفسكم في باطل ، وتسفكون دماءكم في زُور ، ولكنْ هل ينفعكم النُّصح ، أم هل تُفيدكم الموعظة ؟ لقد اُسودّت قلوب ، وضلَّت عقول ، ولقد أصْغَى الحكيم إلى نداء الحق ، وصَمّ عنه الجاهل المغرور .

٣١ (أَسْوَدُ القَلْبِ أَسودٌ ومَتَى مَا تُصْغِ أُذْنِي فَأُذْنُه صَمَّاءُ)
٣٢ (قَدْ رَمَى نابِلٌ فَأَنْمَى وأَصْمَى وَلَيَالِيكَ ما لَهَا إنْمَاءُ)

« أسود » الأولى : حبة القلب ، وقيل : دمه ، وهي سَواده وسوداؤه وسَوادِيّه .

و « أسود » الثانية . ضرب من الحيّات عظيم يقال له : أسود سالخ ، لأنه يُسلخ جلده في كل عام، ويقال للأنثى: أسودة . ولا تُوصف بسالخة ، أقامه مُقام العَلَم ، ففُقدت الوصفية ، واستحقت أن تصرف .
والصمّاء من الحيّات : التي لا تُجيب الرّاقي . جَعل إباء قلبه الموعظةَ من إباء الحيّة رُقية الراقي .

والنابل : الذي معه النّبل ، ومثله النبّال . فإن كان يعملها لا غير ، فهو نابل لا غير . ويقال : رمى الصيد فأَصْمَى ، إذا أصاب مقتلَه فمات في موضعه ؛ ورمى فأنْمى ، إذا لم يُصب مقتلَه فنَهض بالسّهم . وفي الحديث : « كُلْ ما أَصْمَيْتَ ودَعْ ما أَنْمَيْت » .

يقول : ما الذي أعجبكم من الأيّام فتهالكتُم عليه ؟ وما الذي راقكم من الحياة فتفانيتم فيه ؟ إنّ الأيام لتسلُك سبيلَها إلى الفناء صُمًّا ، حتى ليكاد المُقامر أن يكون أوثق منها بالرِّبْح ، وأضْمَن منها لإصابة الخير .

٣٣ (إنّ ربّ الحصن المشيد بتيما ءَ تولّى وخُلِّفتْ تيماءُ)
٣٤ (أومأتْ للحذّاء كفُّ الثريّا ثم صُدَّ الحديثُ والإيماءُ)
٣٥ (شهدتْ بالمليك أنجمها السـتّـةُ ثم الخضيبُ والجذماءُ)
٣٦ (فهِمَ النّاسُ كالجهول وما يظْـفَر إلا بالحسرة الفهماءُ)

يريد « بالحصن المشيد » : الأبلق ؛ وربُّه : السموأل بن عاديا اليهودى ، وكان له حِصْنان، يقال لأحدهما : الأبلق ، وللآخر: مارد . وسُمّى « أبلق » لأنه بُنى من حجارة بيض وسُود . وفيه يقول الأعشى :

كُن كالسَّموْأل إذ سار الهُمامُ له في جَحْفَل كسواد الليل جرّارِ
بالأبلق الفرْد من تيماء منزلُه حِصْنٌ حَصِين وجارٌ غير غدّار

والمَشيد : المبنىّ بالشِّيد ، وهو الجِصّ . وتيماء : بلد فى أطراف الشام .

وأومأ : أشار إلى قُدّامه و إلى خلفه ، ومثله : أو بأ . وقيل: الإيماء إلى قدام، والإيباء إلى خلف. والحذّاء : الكثير الاحتذاء. والعرب تُسمى «الدَّبُران» الحاذى والحذّاء ، لأنّه يتبع الثريّا ومعه قِلاص يَحْذوها ، وهى الفتيّة من الإبل ، واحدتها قلوص . وتزعم العرب أن الدَّبران خَطب الثريّا وساق إليها عشرين كوكباً مَهْراً لها ، وأنّ العَيُّوق عاقها عن نكاحه ، فسمّوه العيّوق . فهو يتبعها وهى لا تُقبل عليه . والثريّا : من الكواكب . سُمِّيت لغزارة نَوْئها ، وقيل : لكثرة كواكبها مع صِغَر مرْآتها . فكأنها كثيرة العدّ بالإضافة إلى ضيق المحلّ. لا يُتكلم به إلى مصغَّراً ، وهو تصغير على جهة التكبير .

وفى بعض النسخ : « السبعة » مكان « الستة » . وروى عن ابن سِيرين أن امرأة قالت له : رأيت البارحة فيما يرى النائم القمر قد دخل فى الثريّا ، وسمعت قائلًا يقول لى : إيتى ابنَ سيرين فقُصِّى عليه . فقال ابنُ سيرين : إنى

سأموت إلى سبعة أيام . فكان كذلك . وللثريّا كفّان يقال لأحدهما : الخضيب ، وتُسمى أيضاً : المبسوطة ، وهى آخذة نحو الشمال، وتسمى أيضاً : سَنام الناقة. والكف الثانية تسمى: الجذماء ، وهى آخذة نحو الجنوب . قال أبو حنيفة : سُمِّيت جَذْماء لِقصرها ، وذلك أنها لا امتدادَ لها . وقال غيره : سُمِّيت جذماء لبعدها عن الثريّا فكأنها مُنقطعة عنها ، و إلى هذا المعنى الثانى أشار المعرّى فى قوله يصف الثريا :

كأنّ يمينَهـا سرقتْك شيئاً ومَقْطوعٌ على السَّرَق البَنانُ

يقول : لقد مضى صاحب تيماء و بقيت تيماء بعد ذلك ناطقة بالعبرة والموعظة لو تسمعون أو تعقلون . لقد أومأت إليكم الثريا واعظةً وأشارت إليكم ناصحة ، ثم انقطع إيماؤها وسكنت إشارتها . لقد أعجزت سرعتُها سرعتَكم ، وأَعْيا جدُّها جدَّكم ، وشهدت نجومُها الستة بما أغفلتم عنه من آية بيّنة . فعلت كلَّ ذلك فلم يفهم عنها إلا الحكيمُ ، على أنه لم يَعُدْ من فهمه وفقهه إلا بالحسرة والأسى .

٣٧ (تَلْتَقِى فِى الصَّعيدِ أُمٌّ وبِنْتٌ وتَساوَى القَرْناءُ والجَمّاءُ)

٣٨ (وأَنيقُ الرَّبيعِ يُدْرِكُهُ القَيْظُ وفِيهِ البَيْضاءُ والسَّحْماءُ)

٣٩ (وطَريقٌ إلى الْحِمَامِ كَرِيهٌ لم تُهَبْ عند هَوْلِهِ اليَهْماءُ)

٤٠ (ولو أنّ البَيْداءَ صارِمُ حَرْبٍ وَهْيَ مِنْ كُلِّ جانبٍ صَرْماءُ)

٤١ (كَيْفَ لا يُشْرِكُ المُضِيقِينَ فى النِّعْمةِ قومٌ عَلَيْهِمُ النَّعْمَاءُ)

الصعيد : القبر . قال الشاعر :

أَضحتْ أُمَيمةُ مَعْمورًا بها الرَّجمُ لفى صَعيد عليه التُّرب مُرْتكِمُ

والصعيد أيضاً : وجه الأرض . والقَرْناء : الشاة التى لها قرنان . والجمّاء : التى لا قَرْنين لها . ضَرَب « القرناء » مثلًا لمن يدفع عن نفسه ، و« الجمّاء » مثلًا لمن لادفاع عنده .

والأنيق : الذى يُعجب مَن نظر إليه : والقيظ . أشد الحرّ . والسّحماء : السوداء . أقام البياض والسواد مثلَيْن للشيب والشباب .

واليهماء من الفلوات : التى لا ماء فيها . والبيداء : الفلاة التى تُبيد مَنْ سَلَكها . وصَرْماء: غابت مياهها. وشبّه البيداء بما فيها من لمعان السراب بصارم قد سُلّ فيها . والمُضيق : الذى ضاقت حاله .

يقول : أسهلوا أيها الناس فقد أحزنتم ، و ياسِروا فقد عاسرتُم . واُعلموا أنكم فى حُكم الموت سواء ، ليس لغَنِيّكم على فقيركم فضيلة ، ولا لأميركم مِن حَقيركم مزيّة ، إنما هى طريق مسْلوكة إلى الفناء ، أشد وَحْشة من البيداء ، وأكثر ظلمة من غُبر الفلا . ألا فليؤاس بعضُكم بعضاً . لقد استويتُم فى الموت فلِمَ لاتستوُون فى الحياة ؟ لِمَ أَجِد منكم فى الحياة مُوسراً ومُعسراً، ومُنعماً و بائساً؟ ألا فلتقتسموا تعب الحياة الفانية ، كما اقتسمتُم راحةَ الفناء المُقيم .

الهمزة المفتوحة

اللزومية السابعة عشرة

وقال أيضاً فى الهمزة المفتوحة مع السين :

١ (رُوَيْدَكَ قَدْ غُرِرْتَ وَأَنْتَ حُرٌّ بِصَاحِبِ حِيـلَةٍ يَعِظ النِّسَاءَ)

رويداً ، بدل من قولهم « إرْواداً » التى بمعنى « أرود » فكأنه تصغير التَّرخيم بطَرْح جميع الزوائد . وهذا حُكْم هذا الضَّرب من التّحقير . والكاف فى « رويدك » لا موضعَ لها وإنما هى للخطاب . قال ابن سِيدَه : ومن العرب من يقول : رويد زيد . كقوله غَذْر الحىّ ، وضَرْب الرِّقاب .

وتَقع « رويد » على أربعة أوجه : اسم فعل ، نحو : رويداً عمراً ، أى أَمْهِل عمراً . وصِفة، نحو: ساروا سيراً رويداً . وحال، نحو: سار القومُ رويداً. ومصدر ، نحو : رويدَ عمْرٍو ، بالإضافة .

وقال أبنُ كيسان : كأن « رويداً » من الأضداد ، تقول : رويداً ، إذا أرادوا : دَعْه وخَلِّه ، وإذا أرادوا : ارْفُق به وأَمسكه ، قالوا : رويداً زيداً ، أيضاً .

وأراد بهذا القيد « وأنت حر » مزيد معنى ، إذ الحرُّ فوق إبائه ما يَضير ، أقوى على أن يَثُور .

يقول : يا لَه من فَقيهٍ قد أكثر فيكم الوعظَ ، وأثقل عليكم النُّصح ، وتردّد على نسائكم مُرْشداً هادياً، ومذكِّراً داعياً، وأنتم له مُصْغُون، وحوله مُحتشدون ؛ تذرفون لمقالته الدُّموع ، وتفطرون لألفاظه القلوب ، أُنْتَبِهوا فقد غَفِلْتم .

٢ (يُحَرِّمُ فِيكُمُ الصَّهْباءَ صُبْحًا وَيَشْرَبُها على عَمْدٍ مَساءَ)

٣ (تحَسَّاهَا فَمِنْ مَزْجٍ وَصِرْفٍ يُعَلُّ كأنَّماَ وَرَدَ الْحِساءَ)

٤ (يَقولُ لَكُمْ غَدَوْتُ بِلاَ كِساءٍ وَفِي لَذَّاتِها رَهَنَ الكِساءَ)

الصَّهباء : الخمر ، سُمِّيت بذلك للونها . وقيل: هى التى عُصرتْ من عِنب أبيض . وقيل: هى التى تكون منه ومن غيره ، وذلك إذا ضربت إلى البياض . والصهباء : اسمٌ لها كالعَلَم ، وقد جاءت بغير ألف ولام ؛ لأنها فى الأصل صِفة . قال الأعْشى :

وصَهْباءَ طاف يَهُودِيُّها وأَبْرزها وعَلَيها خَتَمْ

والعَمْد : الجِدّ واليقين ، والمَسموع الوارد فى ذلك : فعلت ذلك عمداً على عين ، وعَمْد عَين ، أى بجِدٍّ ويقين . فمن الأول قولُ خُفَاف بن نُدْبَة :

إن تك خَيْلِى قد أُصِيب صَمِيمُها فَعَمْدًا على عَيْنٍ تيمَّمت مالِكاَ

ومن الثانى قول عُمر بن أبى ربيعة :

ثم صَدَّتْ بوَجْهِها عَمْدَ عَيْنٍ زينبٌ للقضاء أُمُّ الحُبابِ

والتَّحسِّى : الشُّرب فى مُهلة ، ومثله الحسْو ، والأصل فيه للطائر . يُقال : حسا الطائرُ الماءَ وتحسّاه . ولا يقال : شَرب . والمَزْج ، بالفتح : الخلط ، والشَّرابُ الممزوج . وكلُّ نوعين امتزجا فكلٌّ واحد منهما لصاحبه مِزْج ، بالكسر . وقد سَمَّى أبو ذُؤَيب الماءَ الذى تُمزج به الخمر مِزْجا ؛ لأن كل واحد من الخمر والماء يُمازج صاحبَه ، فقال :

بِمزْجٍ من العَذْب عَذْبِ السَّراهْ يُزَعْزعه الريح بعدَ المَطَرْ

والصِّرف ، بالكسر : الخالص من كلّ شىء . وشراب صِرْف ، أى بَحْت لم يُمزج . ويُعلّ ، على ما لم يُسمَّ فاعله : يُسقى ثانية . يقال : عَلّه يَعُله ، بضم

العين وكسرها فى المضارع ، إذا سقاه الثانية . ويَصحّ أن يكون « يعلّ » فى البيت على ما سُمِّى فاعلُه . إذ هو يتعدَّى ولا يتعدّى . تقول : عَلَّ ، إذا شرب الشربةَ الثانية . والمراد تكرار الشُّرب . والِحساء ، بالكسر : جَمْع حِسْى ، بالكسر أيضاً ، وهو سهل من الأرض يُستنقع فيه الماء ، أو هو غَلْظ فوقه رمل يجتمع فيه ماء السماء ، فكلما نَزحتَ دَلْواً جَمَّت أُخرى . وقيل : هو الرمل المتراكم ، أسفلَه جبلٌ صَلْد ، فإذا مُطر الرملُ نَشِف ماء المطر ، فإذا انتهى إلى الجبل الذى أسفله أمسك الماءَ ومَنع الرملُ حرَّ الشمس أن يُنشِّف الماءَ . فإذا اشتد الحرُّ نُبِث وجه الرمل عن ذلك الماء فَنَبع بارداً عَذْباً . وفى حديث أبى التَّيِّهان: « ذَهب يَسْتعذب لنا الماءَ من حِسى بنى حارثة ». ووَرَدها : جاءها ليشرب .

يقول : ألا إن صاحبَكم مُحتال كاذب ، وغرّار خادع ، يُظهر لكم النُّسْك ، ويُخفى عنكم الإفك ، يَنهاكم عن الخمر وهو لها مُدْمن ، ويُظهر لكم الفقر وإنما أفقرتْه معصيتُه . سَلُوه عن كسائه أين أضلّه وفيم فَقَده ، يَشْكُ لكم صَرْفَ الأيام وتتابُع الأحداث ؛ ثم سلوا الخمّار عن هذا الكِساء تجدوه عنده رَهيناً بدنٍّ مِن راح أو زِقٍّ من عُقَار .

٥ (إذا فَعَلَ الفَتَى ما عَنْهُ يَنْهَى فَمِنْ جِهَتَيْنِ لا جِهَةٍ أَسَاءَ)

يقول : ألاَ إن شَرَّ الناس المُقترفون لما يُنْهون عنه ، إنهم يُسيئون من جهتين: يُسيئون لاقتراف الآثام ، ويُسيئون لغشِّ الناس وتَضْليل العقول .

اللزومية الثامنة عشرة

وقال أيضاً فى الهمزة المفتوحة مع الجيم :

١ (نَرْجُو الْحَياةَ فإِنْ هَمَّتْ هَواجِسُنَا بِالْخَيْرِ قَالَ رَجَاءُ النَّفْسِ إرْجَاءَ)

٢ (وما نُفِيقُ مِنَ السُّكْرِ المُحِيطِ بِنَا إلَّا إذا قِيلَ هذا المَوْتُ قَدْ جَاءَ)

الهواجس : الخواطر وما يقع فى الخلَد ، الواحد : هاجس ، صفة غالبة غلبةَ الأسماء . وهو ممّا يطّرد فيه هذا الجمع ما لم يكن وصفاً لمذكر عاقل .

والرجاء : من الأمل ، نقيض اليأس ، ويكون بمعنى الخوف أيضاً . وقال الفرّاء : « الرجاء » فى معنى الخوف لا يكون إلا مع الجحد. تقول : ما رجوتك ، أى ما خِفْتك . ولا تقول : رجوتك ، فى معنى خِفتك . وأنشد لأبى ذُؤيب :

إذا لَسَعتْه النحلُ لم يَرْجُ لَسْعَها وخالَفها فى بَيْت نُوبٍ عَواسِلِ

والمعنى هنا فى بيت المَعرّى على الأول ، إلا إذا قيل إنه خوف النفس من أن يلفتها هاجس الخير عن الحياة. والإرجاء : التأخير ؛ أرجأتُ الأمرَ وأرجيتُه ، إذا أخّرتَه ، يُهمز ولا يُهمز .

يقول : ما أشدَّ أغترارَنا بالحياة واُسترسالَنا فى الأمل ؛ نرجو العيشَ راغبين فيه ، ونُرْجئُ الخيرَ مُتبرّمين به ؛ مُغْرقين فى سُكْر عميق ، لا يُنبِّهنا إلا صَيْحةُ الموت ودعوة الحِمَام .

اللزومية التاسعة عشرة

وقال أيضاً فى الهمزة المفتوحة مع الباء وواو الرِّدْف :

١ (قَدْ نَالَ خَيْرًا فِى الْمَعَاشِرِ ظَاهِرًا   مَنْ كَانَ تَحْتَ لِسَانِهِ مَخْبُوءَا)

٢ (بَاءَ الكَلاَمُ بِمَأْثَمٍ والصَّمْتُ لَمْ   يَكُ فى الأَعَمِّ بِمَأْثَمٍ لِيبُوءَا)

« ظاهراً » : وصف لـ « خيراً » . واللسان ، بمعنى الجارحة والمِقْول ، يذكّر ويؤنّث ، والجمع ألسنة وألسُن ، لأنّ ذلك قياس ما جاء على « فِعال » من المذكّر والمؤنّث . أما اللسان بمعنى اللغة فمؤنث لاغير . وقال اللحيانى : اللسان فى الكلام ، يذكر ويؤنث .

وباء بالإثم أو الذّنب ، إذا أحتمله، وقيل: أعترف به . وفى قوله تعالى : (إنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بإثْمِي وإثمك) . قال ثعلب : معناه : إن عزمت على قتْلى كان الإثم بك لا بِى. وقال الأخفش: (بَاءوا بغَضَبٍ مِنَ الله) : رجعوا به . وبكلٍّ يَستقيم المعنى .

والمأثم : الذّنب، كالإثم. يقال : أَثِم فلان يَأْثَم إثْماً ومأثماً، إذا وقع فى الإثم، وأثمه الله يأثمه : عاقبه بالإثم . والأَثَام والإِثَام : عُقوبة الإثم .

« ولم يك » الأصل فيها « لم يكن » . فحذفت نون المضارع المجزوم جوازاً ، هذا بشرط أَلّا يَليهاَ ساكن ولا ضميرُ متّصل ، وإلا فلا يصحّ الحذف . والأَعمّ : الجماعة . قال أبو زيد : وليس فى الكلام أفعل يدلّ على الجمع غير هذا ، إلا أن يكون اسمَ جِنْس ، كالأَرْوَى، والأَمَرِّ ، الذى هو الأمعاء ، وأنشد :

ثم رَمانِى لا أكونَنْ ذَبِيحةً   وقد كَثُرت بين الأَعَمِّ المَضائضُ

وفى الأعم ، أى عند جُمهور الناس وجماعتهم . وتوجيه العبارة : والصَّمتُ لم يك ليبوء بمأثم فى الأعمّ . أى وما عرف جُمهور الناس أن الصمت جَرّ إلى مأثم .

وقد يكون « أعم » أفعل من « عم » بمعنى شمل ، والمعنى به غير بعيد عن سابقه .

يقول : الصَّمْتَ الصمتَ ، احتفظ به واُحرِصْ عليه ، فإنه مأمن لك من الشرِّ ومنجاةٌ من الزَّلل . اُخْبأ نفسك تحت لِسانك ، لا تُحرِّكه فيظهر ما يَعيبها من نَقيصة ، وما يَشينها من رَذيلة . ما أرى كالكلام مَصدراً للإثم ، ولا كالصَّمت مُبرِّئاً منه .

٣ (إنْ يَرْتَفِعْ بَشَرٌ عَلَيْكَ فَكُم غَدَا عَلَمٌ بتَابِعِ فِتْنَةٍ مَرْبُوءَا)

ارتفع ، بمعنى علا و بمعنى تقدَّم . وكلا المعنيين جائز ، فهو يُريد الظهور ؛ وما علا أو تقدم فقد ظهر . و إذا وصلت الكلام بما قبله كان الظهور بفضل الحديث ، و إلَّا فالأمر على العُموم .

والعَلَم : الجبل الطويل . وقال اللِّحْيانى : العلم : الجبل ، فلم يَخُصَّ الطويلَ . ويُجمع على أعلام وعِلاَم . و « تابع فتنة » ، أى لُزَمة لها ، من خُدّامها والمُعينين عليها .

ومربوء : مفعول، من : ربأ القومَ ولهم ، إذا اطّلع لهم على شَرَفٍ ليرقُب ويَعْتان . و «ربأ» أيضاً : بمعنى أشرف ؛ والشيء : علاه . وعلى هذا المعنى الثانى فصيغة المَفعول على وجهها ، إذ الجبل معتلًى ومكانَ إشراف . وعلى الأول ، فاسم المفعول مُضمَّن معنى اسم المكان بتقدير جارّ ومجرور محذوف ، والتأويل :

مربوء عليه ، إذ المربوء القوم ؛ والمربأ : المكان يربأ عليه . ولعلّ فى البيت إشارة إلى ابن نُوح عليه السلام حين تَبِع الفِتْنة والضَّلالة وعصى عن أمر ربه وعلا الجبلَ لِيَعْصمه .

يقول : الأناةَ الأناةَ ، والحَزْمَ الحَزْمَ ، لا يُغضبنّك فَوْقُ النـاس عليك ، وسَبْقُهم لك ، وإن أحسست من نفسك الفَضِيلة ، وعرفتَ لهـا التقدم ؛ فإن الجَبلَ الشاهق لا يتأذّى حين يعلوه الرقيبُ صاحبُ الفِتْنة ، ويتسنّمه الشرِّير حليفُ السيِّئة .

٤ (مَهْلًا أَمِنْ وَبأٍ فَرَرْتَ وهَلْ تَرَى فى الدَّهْرِ إلَّا مَنْزِلًا مَوْبُوءَا)

مهلا ، أى رفْقاً وسكوناً لا تعجل . وقال الليثُ : المَهل ، هو السَّكينة والوَقار . وهى موحَّدة ، للواحد والاثنين والجمع والمؤنث. وإذا قيل لك : مهلاً ، قلت : لا مهلَ والله ؛ ولا تَقُل : لا مهلاً والله . وتقول : ما مهلٌ والله بمُغْنية عنك شيئاً

والوباء : الطاعون ، بالقصر ، والمد والهمز. وقيل: هو كل مَرض عام. وجَمْع الممدود : أوبية؛ وجمع المقصور : أوباء . وفى الحديث : « إنّ هذا الوباء رِجْز ». والموبوء : الكثير الوباء ، ومثله الوبىء ، والوبِئُ ، والمُوبِئ .

يقول : ممّ تهرب ؟ وإلى أين تفرّ ؟ الرَّيْثَ الرَّيْث ، لقد أزعجك الوباء الذى ألمّ ببلدك ، فهل تعرف بلداً غير مَوْبوء ؛ تفرّ من رذائل أصحابك ، فهل تعرف أصحاباً خلَوْا من الرذائل ؟ الْبَسْ العالَم على عِلاّته ، واصْحَبه على ما فيه من سوء .

٥ (تُسْبَى الكَرَائِمُ والكُمَيْتُ شَرَابُهَا يُلْفَى لأَلأَمِ شَارِبٍ مَسْبُوءَا)

٦ (حِلْفُ العَبَاءَةِ سَوْفَ يُصْبِحُ مِثْلَهُ مَلِكٌ وَيَتْرُكُ طِيبَهُ المَعْبُوءَا)

السَّبْي : الأسر . والسَّبأ ، بالهمز : شِراء الخمر لشُربها . ويا كُثْر ما يلعب أبو العلاء بهذين اللفظين . وقد مَرّ عنهما شرح مُفصَّل[١] . والكرائم : جمع لكريمة وكريم ، وصْفين للمؤنث ؛ وبهما وُصفت المرأة العزيزة الجامعة لكل ما يُحمد . وشاهد الكريم وصفاً للمرأة حديثُ أُم زَرْع : « كَرِيم الخِلِّ لا تُخادِن أحداً فى السِّر » . فأَطلقت كريماً على المرأة، ولم تَقُل : كريمة الخل ، ذهاباً به إلى الشخص . وتُطلق « الكريمة » على الرجل الحَسِيب فيقال : هو كريمة قومه ، الهاء فيه للمُبالغة . وفى الحديث : إنَّه أَكرمَ جَرِيرَ بن عبد الله لمَّا وَرَدَ عليه فبَسَط له رِداءه وعَمَّمه بيده ، وقال : « إذا أَتاكم كريمةُ قوم فأَكْرِموه » . وقال صَخْر :

أَبَى الفَخْرَ أَنِّى قد أَصابوا كَرِيمَتِى وأَنْ ليس إِهداءُ الخَنَى مِنْ شِمَالِيَا

يعنى بقوله « كريمتى » أخاه مُعاوية بن عمرو . والكُمَيت : الخمر . وقد مرَّ شَرْحها[٢] . ويُلْفَى : يوجد . تقول : ألفيت الشىء أُلْفيه إلفاء ، إذا وجدتَه وصادفتَه ولقيتَه . وفى حديث عائشة رضى الله عنها : « ما أَلفاه السَّحَرُ عندى إلا نائماً » . أى ما أتى عليه السَّحَر إلا وهو نائم . تعنى بعد صلاة الليل ، والفعل فيه للسَّحر

والحِلْف : الحَليف . والعَباءة : ضرب من الأكسية واسع فيه خُطوط سُود كِبَار ، وهو لغة فى العباية . قال سيبويه : إنما هُمِزت ، وإن لم يكن حرفُ العلَّة فيها طَرَفاً ، لأنهم جاءوا بالواحد على قولهم فى الجمع : عَبَاء . وقال

(١) انظر البيت الثانى من اللزومية الأولى ص ٥٣ من هذا الجزء

(٢) انظر البيت الثانى من اللزومية الأولى ص ٥٣ من هذا الجزء

أبنُ جِنّي : وقد كان ينبغى لمّا لحقت الهاء آخراً ، وجَرى الإعراب عليها ، وقويتْ الياء لبُعدها عن الطرف ، ألّا تُهمز ، وألا يقال: إلا عَباية ، فيقتصر على التَّصحيح دون الإعلال ، وألّا يجوز فيه الأمران . إلا أنّ الخليل قد عَلَّل ذلك ، فقال : إنهم إنما بَنَوْا الواحد على الجمع ، فلما كانوا يقولون « عباء » فيلزمهم إعلال الياء لوقوعها طرفاً ، أدخلوا الهاء ، وقد أُنقلبت الياء حينئذ همزة ، فبقيتْ اللام معتلَّة بعد الهاء ، كما كانت مُعتلَّة قبلها .

والطِّيب : ما يُتطيَّب به . والمَعبوء : المَصْنوع المخلوط . عَبَأ فلان الطيبَ يَعْبؤُه عَبْأً : صنعه وخَلطه . قال أبو زُبَيد يصف أسداً :

كأنّ بنَحْره وبمَنْكِبَيْه عَبِيراً بات يَعْبؤُه عَرُوسُ

يقول : القناعةَ ، القناعةَ ؛ أرِحْ نفسك من طَمَعٍ لا يُفيد ، وشَرَهٍ لاينفع ؛ ولا تَلُم الحظَّ ولا تُنكر المُصادفة ، فكذلك طبيعةُ الزَّمان . انظُر إلى الحسناء الفاتنة يَسْبِيها القَبيحُ الشِّرِّير ؛ وانظُر إلى العُقَار ذات الجوهر النَّقىّ يَسْبؤُها أَلأَم الناس طَبْعا وأَكْدرهم خُلقا . أرِحْ نَفْسك من هذا العَناء ، فإن الغايةَ واحدة ، وإن المَلِك والفقير فى حُكمهما سواء .

اللزومية المُتِمَّة العشرين

وقال أيضاً فى الهمزة المفتوحة مع الراء :

١ (عَلِّمُوهُنَّ الغزْلَ والنَّسْجَ والرَّدْ ... نَ وخَلُّوا كِتَابَةً وقِرَاءَهْ)
٢ (فَصَلَاةُ الفَتَاةِ بِالْحَمْدِ والإِخْ ... لَاصِ تُجْزِى عَنْ يُونُسٍ وبَرَاءَهْ)

الرَّدْن، بالفتح : تَنْضيد المتاع . يقال : ردَنْت المتاع رَدْناً ، إذا نَضَّدته . أما « الرَّدَن » بالتحريك، فهو الغزْل يُفتل إلى قُدَّام ، وقيل: هو الغزْل المنكوس، وليس مُراداً هنا .

والحمد والإخلاص ، أى سُورتا الحمد والإخلاص . وهما مكّيتان ، أولاهما سَبع آيات ، وثانيتهما أربع . و « تُجْزى » ، مسهّل من « تُجزئ » بمعنى تَكفى وتُعين . والأصل فى معنى « الجزْء » الاستغناء بالأقل عن الأكثر ، إذ هو راجع إلى معنى الجزء .

ويونس وبراءة : سورتان ، أولاهما ، وتُسمى التوبة أيضاً ، مدنية ، وعدد آياتها مائة وتِسْع وعشرون آية . وثانيتهما مكّية ، وعدد آياتها مائة وتسع آيات . وقد جاءتا فى ترتيب المُصْحف متتاليتَيْن . ضَرَب الأُولَيين مثلًا للسُّور القِصار ، والثانيتين للطّوال .

يقول : أُحجُبوا عن نسائكم وبناتِكم من العِلْم مالا يَنفعهنّ ولا يُجدى عليهن . دَعُوا ذلك إلى ما يُفيد المرأةَ من حيث هى أُمّ وصاحبة بَيْت . علّموها النَّسْج والغَزْل والرَّدْن ، ودَعُوا القراءة والكتابة . أَقْرِئُوها الحمد والإخلاص ، فهما تُجزِئان عنها فى الصلاة ما تُجزِئ عنها يُونس وبَراءة .

٣ (تَهْتِكُ السِّتْرَ بالْجُلُوسِ أَمَامَ السِّتْرِ إنْ غَنَّتْ القِيَانُ وَرَاءَهْ)

الهَتْك : خَرْق السِّتْر عمّا وراءه . وقيل : هو أن تجذب سِتْراً فتقطعه من موضعه ، أو تشُقّ منه طائفةً يُرَى منها ما وراءه : والمُراد لازم المعنى لا الفِعْل ، فمن اُستشفّ ما وراء الأَستار وتعرّف ما تحجُب ، فكأنه خَرقها وقطعها . والقِيان : جمع قَيْنة ، وهى الأمة المُغنِّية ؛ تكون من التزيّن ، لأنها كانت تُزيّن . وربما قالوا للمتزيّن باللّباس من الرجال : قَيْنة . وهى كلمة هُذليّة . وقيل : القينُ : الأَمة ، مُغَنِّيةً كانت أو غيرَ مغنّية . قال اللّيث : عَوامّ الناس يقولون : القَيْنة، المُغنّية . قال أبو مَنْصور : إنما قبل المغنّية قَيْنة، إذ كان الغِناء صناعةً لها ، وذلك من عمل الإماء دُون الحرائر ؛ والقَيْنة : الجارية تَخْدُم فَحَسْبُ .

يقول : اُحجُبوا أصواتهنّ عن الآذان ، كما تَحجبون أشخاصهنّ عن الأبصار . إنكم لتهتِكون السِّتْر حين تَستمعون من خَلفه غِناءَ القِيان .

الهمزة المكسورة

اللزومية الواحدة والعشرون

وقال أيضاً فى الهمزة المكسورة مع السّين :

١ (تَوَحَّدْ فإِنّ اللهَ رَبَّكَ واحِدٌ ولا تَرْغَبَنْ فى عِشْرَةِ الرُّؤَساءِ)

تَوحَّدَ : بَقِى وحدَه . قال الشَّيبانى : ويَطَّرد إلى العشرة . وفى حديث ابن الحنظليّة : « وكان رجلًا مُتوحِّداً » أى مُنفرداً : لا يخالط الناس ولا يجالسهم .

يقول : آثِرْ نفسَك بالعُزلة ، وزَيِّنها بالوُحدة ؛ فإنك إن تكن راغباً فى الكمال طامعاً فيه ، لم تجد أدْنَى إليه من الوُحدة التى هى أخصّ صفات الله . وإن تكُن راغباً بنفسك عن الشرّ ضانّاً بها على الأذى ، فان تجد أوقَى لك ولا أجدى عليك من الرَّغبة عن عشرة الناس ، ملوكِهم وسُوقتهم ، سَراتهم وصَعاليكهم .

٢ (يُقِلُّ الأذَى والعيْبَ فِى سَاحَةِ الفتَى — وإنْ هُوَ أَكْدَى — قِلَّةُ الجُلَساءِ)

الساحة : النّاحية ، وهى أيضاً فضاء يكون بين دُور الحىّ . وساحةُ الدار : باحتُها . والجمع : ساحٌ وسُوح وساحات . وأكدى الرّجل : قلَّ خيرُه . وقيل : المُكْدِى من الرجال : الذى لا يَثوب له مال ولا يَنْمى . وأكدى الرجل أيضاً : إذا قَلّل عَطاءه ؛ وقيل: بَخِل . وفى التنزيل العزيز : (وأعْطَى قَلِيلًا وأكْدَى) قيل : أى وقَطع القليل . وقيل : أمسك عن العطية .

وإن كان البخل والإمساك عن عَوز فهو لازم المعنى السابق ، والكلام يستقيم به ، وإلا فلا

وأكدى الرجل كذلك ؛ إذا انقطع . وهو من الأول أو قريب منه . أى سواء أصابك ذلك فى مال أو رِفاق .

يقول : أجل ، إنك لن تَجد أحفظَ لك من العَيب ، وأضنَّ بك على الرَّيب ، وأنزه لنفسك من الأَذى ، وأعصم لقَدْرك من الضَّعة ، كالعُزلة واجتناب الناس ، وإن جرَّا عليك الفقر والضيق . العُزْلة مَكْمن عُيوبك ، وسِتْر لما أنت فيه من رذيلة ، فاحذر أن تهتك هذا السِّتر فيظهرَ الناسُ على ما خَلْفه ؛ والعزلة جُنَّة لك من شُرور الناس وأذاتهم ، فاحذر أن تدع هذه الُجنة فينالَك من ضَررهم مالا تُطيق .

٣ (فأُفٍّ لِعَصْرَيْهِم نَهارٍ وحِنْدِسٍ وجِنْسَىْ رِجالٍ مِنْهُمُ ونساءِ)

أف ، اسم فعل مضارع بمعنى : أتضجّر. وقد سبق عنها مزيد[1] .والعصران : الليل والنهار . والعصر : الليلة . والعصر : اليوم . قال حُميد بن ثَوْر :

ولن يَلْبثَ العَصْران يومٌ وليلةٌ إذا طَلبا أن يُدرِكا ما تيمَّما

ويُطلق « العصران » على الغَداة والعشىّ أيضا . قال الشاعر :

وأَمْطُلُه العصرَيْن حتى يَملَّنى ويرضَى بنِصْف الدَّين والأنفُ راغمُ

وفى الحديث : « حافظ على العَصْرين . قيل : وما العصران ؟ قال : صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها » .

وفى كلام لعلىّ رضى الله عنه :« ذكِّرهم بأيّام الله وأجلس لهم العصرين» أى بُكرةً وعَشيًّا. وأراد أبو العلاء الأولَ ، فذكر النهار والِحنْدس.

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية السادسة ص ٨١ من هذا الجزء

والِخنْدس : الظلمة . وقال الجوهرىّ : الليل الشديد الظلمة .

يقول : أُفٍّ للناس رجالًا كانوا أو نساء ! فإنهم أهل شرٍّ وأذى . يمقتُهم الحكيم ويذمُّهم العاقل ، لا يحمد منهم خُلّة ولا يرضى لهم خُلقاً . هم فى الليل وفى النهار جُناةُ أشْرَار ، لا يعصمك منهم إلّا اجتنابُك لهم .

٤ (وَلَيْتَ وَلِيداً مَاتَ سَاعَةَ وَضْعِهِ ولَمْ يَرْتَضِعْ مِنْ أُمِّهِ النُّفَسَاءِ)

٥ (يَقُولُ لهَا مِنْ قَبْلِ نُطْقِ لِسَانِهِ تُفِيدِينَ بِى أَنْ تُنْكَبِى وتُسَائِى)

أرتضع ، كرَضِع . قال ابن أحمر :

إنِّى رأيتُ بنى سَهْم وعزَّهمُ كالعَنْز تَعطفُ رَوْقيها فتَرتضِع

يريد : ترضع نفسها . يصفُها باللُّؤم : والعَنز تفعل ذلك . تقول منه : ارتضعتِ العَنز ، أى شربت لبن نفسها . والنُّفساء : الوالدة والحامل والحائض . والمُراد هنا المعنى الأول وأفاد : استفاد ، وأعطى غيرَه أيضاً . والمُراد هنا الأول ، ومنه قولُ القتّال :

ناقتُه ترمُل فى النِّقال مُهْلِكُ مالٍ ومُفِيدُ مالِ

ونُكِب فلان ، على ما لم يُسمّ فاعلُه : أصابتْه نكْبة .

يقول : إنِّى لأعظك بالعُزْلة حين قُدِّرت عليك الحياةُ فلم تجد عنها مَزْحلا ، وإنى لأكره الحياةَ لمن لم يَبْلُها ، وأَمْقُت العيش لمن لم يذُقْه ، وأتمنّى للوليد الذى لمّا يعرف من الحياة حُلْواً ولا مُرًّا ، ولمّا يرَ من العيش خَيراً ولا شرًّا . موتاً يُريحه من مُسقبل أيّامه ، ومُستأنف زمانه . موتاً يَصرفه عن ثَدْى أُمه قبل أن يرتضع منها قُوتاً يشُو به الشرّ وغذاء يُخالطه السُّوء . موتاً يقطع ما يَنْطق به لسانُ حاله من عبارات الشكّ فى مُستقبل أمره : أيكون خيراً أم شرًّا ، وعُرفاً أم نُكراً ؟ أيكون إلى أهله مُحسِناً أم مُسيئاً ، ولهم نافعاً أم ضارًّا ؟

اللزومية الثانية والعشرون

وقال أيضاً فى الهمزة المكسورة مع الميم :

١ (إِذَا كانَ عِلْمُ النَّاسِ لَيْسَ بِنَافِعٍ وَلَا دَافِعٍ فالْخُسْرُ لِلْعُلَمَاءِ)

الخُسر : الضلال .

يقول : الويل كل الويل للعلماء ، والخُسر كل الخسر للحكماء ، إذا لم يُقدَّر لِعلْمهم أن يَنْفع الناس شيئًا ، ولم يُتح لِحكْمتهم أن تكُفّ عنهم سُوءا .

٢ (قَضَى اللهُ فِينَا بالَّذِى هُوَ كَائِنٌ فَتَمَّ وضَاعَتْ حِكْمَةُ الْحُكَمَاءِ)

٣ (وَهَلْ يَأْبَقَ الإِنْسَانُ مِنْ مُلْكِ رَبِّهِ فَيُخْرَجَ مِنْ أَرْضٍ لَهُ وسَمَاءِ)

أَبَق : هرب واستخفى ، وبابُه ضرب ونَصر ، أَبْقًا و إباقا ، فهو آبق . وجمعه أُبَّاق . وقيل : الإباق : هَربُ العبد من سيده .

يقول : لقد تَمَّ فى الناس قضاء الله بما هو كائن من خير وشر ، فهو يُمضى لا مُعقِّب لحُكْمه ولا رادَّ لأمره . وعبثاً يحاول المُصلحون أن يغيِّروا منه قليلاً أو كثيراً . أجلْ ، لقد أَمضَى اللهُ القضاءَ بما شاء ، فليس لك منه مَفرٌّ ولا مُعْتَصَم . دونك الأرضَ فاتّخذ فيها نَفقاً ، ودونك السماءَ فاتخذ إليها سُلَّماً ، فإن أعجزك ذلك ، وهو معجزك من غير شك ، فأَذْعن لما قَضى الله عليك ، فإنّك لن تستطيعَ من مُلْكه خُروجاً ، ولن تَملك من قُدْرته إباقا .

٤ (سَنَتْبَعُ آثَارَ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا عَلَى سَاقَةٍ مِنْ أَعْبُدٍ وإِمَاءِ)

تحمّل القوم : ذهبوا وارتحلوا . والساقة من الجَيْش : مؤخّره ، وهى أيضاً جمع سائق ، وهم الذين يسُوقون جَيْشَ الغُزاة ويكونون من ورائه يحفظونه. ومنه : ساقة الحاجّ . و«على ساقة » حال من الواو فى « تحمّلوا » ، أى مسبوقين بغيرهم فى إثر من يَقْدُمهم ، كالمؤخّرة من الجيش تقفو السابقة . و«من أعبد وإماء». فى موضع البيان « لساقة » ، أى عبيداً وإماء، يريد رجالا ونساء . وهو ملتفت فيه إلى ما ذكره فى البيت السابق من ذكر الإباق الذى هو من صفة الأرقاء .

يقول : سِرْ فى آثار مَن مَضى قبلك ، فإنّك لهم تابِع ، ولخُطاهم مُترسّم . عاشُوا عَبيداً أذلّاء ، فعِشْ مثلهم عَبْداً ذليلا .

٥ (لَقَدْ طَالَ فى هٰذَا الأَنَامِ تَعَجُّبِى فَيَالَرِوَاءٍ قُوبِلُوا بِظِمَاءِ)

الرِّواء ، بالكسر : جَمع رَيّان وريًّا . والصِّيغة للتعجب ، وهى كالمستغاث به فى أحواله ، فتقول : يا لَلرجل ، ويا رَجُلا ، ويا رجلُ . كل هذا إذا تَعجَّبت منه .

يقول : لقد ملكنى العُجب من هذا العالم ، فما أنفكّ مُغرِقاً فيه ، مُطيلًا له ، أرى فيه السعيدَ والشقيَّ ، والفقير والغنىّ ، وأجد فيه الرّيّان يكاد يقتله الرِّى ، والصَّديان يكاد يَخْترمه الصَّدَى .

٦ (أُرَامِى فَتُشْوِى مَنْ أُعَادِيهِ أَسْهُمِى وَمَا صَافَ عَنِّى سَهْمُهُ بِرِمَاءِ)

رامى : رمى بالسهام عن القِسىّ ، ورماه غيرُه ؛ فالفعل على المُشاركة . والإشْواء : أن يَرْمِىَ الرَّامى فيُصيب الأطراف ولا يُصيب المقتل . وصاف

السهمُ عن الهَدَف ، يَصيف صيفاً وصَيْفوفة ومَصيفاً . عَـدَل : قال أبو زُبيد :

كلَّ يَوْم تَرْمِيه مِنْهـا بِرَشْقٍ فَمَصِيفٌ أوْصافَ غيرَ بعيـدِ

وكذلك كل شيء قد عَدل عن شيء فقد صاف عنه . وفى حديث أنس : إن النبي صلّى الله عليه وسلم شاور أبا بكر رضى الله عنه يوم بَدْر فى الأسْرى . فتكلّم أبو بكر فصاف عنه . أى عَدل صلى الله عليه وسلّم بوجهه عنه ليشاور غيره .

والرِّماء . المُراماة ، والفِعْل منهما رامَى .

يقول : الدهر على الناس مُسيطر ، قد عظُم سُلطانه ، واْشتدّت سَطوته ، ينالُونه بما شاءوا من عَيْب له وطَعن عليه ، فلا يُصيبه منهم شيء ، ويَرْميهم بسهامه المُتَّصلة ونِصاله المُتتابعة ، فلا يُخطئُهم منها سَهم .

٧ (وهَلْ أَعظُمٌ إلَّا غُصُونٌ وَرِيقَةٌ وهَـلْ ماؤُهَا إلَّا جَنِيٌّ دِمَاءِ)

الأعظم والعِظام والعِظامة ، كلها جُموع لعَظْم ، وهو الذى عليه اللّحم من قَصب الحيوان . والهاء فى هـذه الأخيرة لتأنيث الجمع . وقيل : العِظامة ، واحد العظام . والوَريقة : الحَسَنة الوَرق . والجَنِىّ : الغَضُّ من الثمار المُجتناة . أراد دِماءً طرية غَضَّة . وقد تكون أيضاً فعيلًا بمعنى مفعول ، من جَنى الذنب يَجنيه ، إذا جرّه . قال أبو حية النُّميرىّ :

وإنّ دَماً لو تَعلمين جَنَيْتِه على الحىِّ جانِى مثلِه غيرُ سالِم

ويريد بـ« جنىّ دماء » : المَسفوكَ المُهراق ، وهو أشبه بالماء فى الأندفاق .

يقول : جِدُّوا ما شئتم فى عناد الدّهر وخِصامه ، وفى ذمِّه والزِّراية عليه ، فليس ذلـكم برادٍّ عنكم حُـكْمه ، ولا بقابضٍ عنكم يدَه ، إنّه عليكم لمُسيطر .

يُميتكم ويُحيل أجسامكم إلى ما شاء من مادّة ، ويمنحها ما أحبّ من صُورة .
انظروا إلى هـذه الغُصون النضْرة والأشجار الخضرة ، هل هى إلا عظامكم بعد
البِلَى ، وهل ماؤها إلّا دماؤكم بعد الفَناء .

٨ (وَقَدْ بَانَ أَنَّ النَّحْسَ لَيْسَ بِغَافِلٍ لَهُ عَمَلٌ فى أَنْجُمِ الفُهَمَاءِ)

النّحس : الجَهد والضُّرّ، وخلاف السّعد من النُّجوم وغيرها . والجمع : أَنْحس
ونُحوس . وفهماء : جمعٌ لفاهمٍ ، وهو ينْقاس . ولما كان النَّحس للنُّجوم ،
جعل أفهام الفهماء أنجماً .

يقول : أَلَا إنّ الشّر فى هذه الحياة واقع ، ليس له دافع . وهو نَقّاد لا يغفُل ،
و باحث لا يُخطىء . أَلَا و إنّ أكْثر الناس منه حظًّا وأعظَمهم منه نَصيباً، أشدهم
له فهماً وأكثرُهم منه احتياطًا .

٩ (وَمَنْ كانَ ذَا جُودٍ وَلَيْسَ بِمُكْثِرٍ فَلَيْسَ بِمَحْسُوبٍ مِنَ الكُرَمَاء)

أكثر : ذات معان ، يقال : أكثَرَ الرجلُ ، إذا كثُر مالُه ؛ وليس
المَذهوبَ إليه هنا . وأكثَرَ : أتَى بكثير . وهو بالمراد أَلْصق . وأكثَرَ من
الشىء : رغب فى الكثير منه ؛ وهى كالثانية ، على تأويل جارٍ ومجرور محذوف ،
تقديره « منه » . ومحسوب : معدود .

يقول : أنفقوا بينكم الثّروة وأشِيعوا فيكم المَعروف ، فلن ينفعكم حِرْص ،
ولن يُفيدكم اقتصاد ، ولن يكون مُنفقكم جواداً ، ولا باذلكم كريماً ، حتى يُكثر
الإنفاق ويُوسع البَذْل .

١٠ (نَهَابُ أُمُوراً ثُمَّ نَرْكَبُ هَوْلَهَا عَلَى عَنَتٍ مِنْ صَاغِرِينَ قِمَاءِ)

الهَوْل : الأمر الشديد ، والمخافةُ من الأمر لا يَدرى ما يهجم عليه منه ؛ كَهَوْل اللَّيْل ، وهَوْل البحر . والجمع : أهوال وهُوُل . والعَنَت : دُخول المشقّة عَلَى الإنسان ولِقاء الشدّة . وقال ابنُ الأثير : العنت : المشقّة والفَساد والهلاك والإثم والغَلط والخطأ والزِّنا ، كل ذلك قد جاء ، وأُطلق العنتُ عليه . والصاغر : الذى يرضى بالضَّيْم ويَقَرُّبه . قال تعالى : (حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وهُمْ صَاغِرُون) أى أذلّاء . والفعل منه : صَغِر يصْغَر ، من باب فرح ، صَغَراً وصَغاراً ، والفعل من الصِّغَر ، الذى هو ضدّ الكِبَر ، هو الفعل ، وزاد ابن الأعرابىّ : صَغُر ، بضم الغين ، فهو صغير وصُغار . و قِماء : جمعُ لقمىء ، وهو الذليل الصغير.

يقول أَقْدِموا ولا تُحْجموا ، دعُوا التردُّدَ جانباً ، وانبِذُوه ناحيةً ، فإنكم صائرون إلى ما تكرهون طائعين أو راغمين . أقدموا أعزَّاءَ قبل أن تُكرَهوا أذلّاءَ صاغرين .

١١ (أَفِيقُوا أَفِيقُوا يا غُوَاةُ فإِنَّمَا دِيَانَتُكُمْ مَكْرٌ مِنَ القُدَمَاءِ)

١٢ (أَرَادُوا بِهَا جَمْعَ الحُطَامِ فَأَدْرَكُوا وَبَادُوا وماتَتْ سُنَّةُ اللُّؤَمَاءِ)

الغُواة : الضالّون . والحُطام : ما تكسّر من اليَبيس .

يقول : لقد آن لكم أن تَستبصروا ، وحان لكم أن تنتبهوا ، وحَقّ عليكم أن تُفيقوا . أَلَا إنّ ما أنتم فيه من سُنّة وسِيرة ، ومن شَريعة ودين ، ليس إلا مَكر الأقدمين ، اتّخذوه سَبيلاً إلى جمع الحُطام ، وإحراز الثَّروة ؛ فأدركوا ما أمّلوا ، وبلغوا ما أرادوا . ثم مَضَت أيّامهم ، وانقضت مُدّتهم ؛ فَلْتَبِدْ معهم سُنَنُهم السيئة ، وأُصولُهم الضارّة .

١٣ (يَقولُونَ إنَّ الدَّهرَ قَدْ حَانَ مَوْتُه ولَمْ يَبْقَ فى الأَيَّامِ غَيْرُ ذَمَاءِ)

١٤ (وَقَدْ كَذَبُوا،مايَعْرِفُونَ انْقِضَاءه فلاَ تَسْمَعُوا مِنْ كاذِبِ الزُّعَماءِ)

١٥ (وكَيْفَ أُقَضِّى سَاعَةً بِمَسَرَّةٍ وأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مِنْ غُرَمائِى)

الذَّماء : الحركة ، و بقيّة النَّفس ، و بقيّة الروح فى المَذبوح . وقد مرّ (١) .
والغُرماء : جمع غَريم ، وهو الذى له الدَّين ، والذى عليه الدَّين ، جميعاً ؛ والمُراد هنا الأول . و إنما سُمِّى غريماً ، لأنه يطلب حقَّه ويُلحّ حتى يَقْبِضَه . وفى هذا ما يصور ما كان يعرض لأبى العلاء من شك فى البعث وقيام الساعة .

يقول : لقد خَدعكم الخادعون ؛ وعَبث بألبابكم العابثون ، فمنَّوْكم الحياة الثانية ، وزعموا لـكم انقضاء الدهر وانتهاء أجله . وأنه عنكم مُرتحل ولكم تارك ، وأنّ الأيام لم يَبق فيها إلّا بقيّة الرُّوح فى جسم المَذبوح . لقد كذبوا ، ما يعرفون للدهر أَجلاً ، وما يعلمون له انقضاء ؛ و إنما هى ظُنون مُرَجَّمة ، وأنباء مُتوهَّمة . ألا فأَعرضوا عن مقالة الزُّعماء الكاذبين ، والأَغوياء المُضلِّين . لا تيأسوا من الدّهر ولا تَطمعوا فيه ، ولكنّ القصدَ بين الخَلّتين ، والاعتدال بين الخَصْلتين ؛ فإنّ اليأس من الدهر هُلك ، والاطمئنان إليه غُرور . وكيف يُسَرُّ ساعة فى الدهر مَن يعلم أنّ له من الموت غريماً لا يُرَدُّ ، وطالباً لا يُدْفع .

١٦ (خُذُوا حِذْرَكُمْ مِنْ أَقْرَبِينَ وجَانِبٍ ولا تَذْهَلُوا عَنْ سِيرَةِ الْحُزَماءِ)

الحذَر : الخيفة والتحرُّز ؛ ومثلُه : الحِذْر . والجانب : الغريب . وقد يُفْرد فى الجميع ولا يؤنَّث ، ومثله فى ذلك : الجُنُب والأَجنبىّ والأجنب ؛ وفى الحديث : « الجانِب المُسْتَغْزِر يُثاب مِن هِبَته » ، أى إنّ الغريب الطالبَ إذا أهـدى

(١) انظر شرح البيت السابع من اللزومية السادسة عشرة ص ١٢٢ من هذا الجزء .

هديّة ليطلب أكثر منها فأَعْطِه فى مُقابلة هديّته . والمُستغزر : الذى يطلب أكثر مما أعطى .

والذَّهْل والذُّهول : تَرْكُك الشىء تَتناساه على عَمْد ، أو يشغلك عنه شُغل . والفِعْل منه بفتح العين وكسرها فى الماضى ، مع فتحها فى المضارع .

يقول : إنكم لتُخْدعون عن أنفسكم بأواصر القُربَى و روابط المحبّة ، و إنما هى الشرُّ كل الشرّ ، والخطر كل الخطر . فالحذرَ الحذرَ من أضرارها ، والتَّقِيةَ التَّقيّة من آثامها ؛ فما آذاك مثلُ قريب ، ولا ضَرّك مثل حَبيب .

اللزومية الثالثة والعشرون

وقال أيضاً فى الهمزة المكسورة مع الخاء :

١ (إِذَا صَاحَبْتَ فى أَيَّامِ بُؤْسٍ فَلاَ تَنْسَ الْمَوَدَّةَ فى الرَّخَاءِ)

الرخاء : سعة العيش ، بالفتح . فإذا ضَمَمْت فهو للريح اللّيّنة . وفى الحديث : « اذكر الله فى الرّخاء يَذْكُرك فى الشدة » .

يقول : لِتعرِفْ فى يُسرك صديقَك فى عُسرك ؛ فإنّ مِن سوء النّيّة وقُبح الخلّة أن تتّخذ الأصدقاء تَدفع بهم عن نَفْسك الأذى ، وتَقيها بهم المكروه أيامَ بُؤسك ، حتى إذا أيسرت وأعسروا ، ضربتَ عنهم صَفْحاً ، وطَوَيْت عنهم كَشْحاً . هذه خُلّة من الأثَرة سيّئة ، وخَصْلة من حُبّ النفس مَذْمومة ؛ وإنما الحقّ عليك أن تُخلص للأصدقاء ، فى النَّعماء والبأساء .

٢ (وَمَنْ يُعْدِمْ أَخُوهُ عَلَى غِنَاهُ فَمَا أَدَّى الْحَقِيقَةَ فِى الإِخَاءِ)

هذه رواية . و « الإعدام » عليها بمعنى الافتقار ، يقال : أعدم الرجل ، إذا افتقر . وفى رواية أخرى : « ومن يُعْدِم أخاه » . و « أعدم » هنا بمعنى منع ، وقيل : إذا منعه طَلِبَته .

يقول : وإن امرأ قد أمدّته الحياة بالنَّعمة والثروة ، فهو من العيش فى دَعة وخفض ، يقضى حاجته من اللذّات على اختلافها ، ثم يترك إخوانه فريسةً للعُدم ودَريئةً للبؤس ، لجاهلٌ حقَّ الأخوّة ، وجاحد واجبَ المودّة .

٣ (وَمَنْ جَعَلَ السَّخَاءَ لِأَقْرَبِيهِ فَلَيْسَ بِعَارِفٍ طُرُقَ السَّخَاءِ)

السخاء : الجُود ، ومثله : السَّخاوة . ويقال إنه مأخوذ من « السَّخْو » وهو الموضع الذى يُوسَّع تحت القدر ليتمكَّن الوقودُ ، لأن الصَّدر أيضاً يتَّسع للعطية . والأقرب : أدْنَى من القريب ، يكون مثله لقُرب المكان ، وقرب النسب . والمعنى هنا يجوز بهما . وطرق ، بضمتين : جمع طريق ، ومثلها : أطرقة .

يقول : ليس من الحزم ، ولا من صِدْق الرأى، للسخىّ الجواد أن يُشِيع السخاء ويُذيع الجود فى أهله وأقاربه ، قابضاً يَدَه عن غيره من الناس ؛ فإنّ لأهله ولأقاربه عليه حقًّا هو قاضيه ، ودَيناً هو مؤدّيه . فأمّا الأبعدون فالتكرُّم عليهم فضيلة ، والإحسان إليهم نافلة ، والتعهّد لهم معرفة بمواضع الأمور .

اللزومية الرابعة والعشرون

وقال أيضاً فى الهمزة المكسورة مع السين :

١ (يَا مُلُوكَ البِلَادِ فُزْتُمْ بِنَسْءِ الْـ ... عُمْرِ والْجَوْرُ شَأْنُـكُمْ فى النَّسَاءِ)

يقال : نسأ اللهُ فى عمره ، ينسؤه نَسْئا : أخّره ومدّ له فيه . وفى الحديث : « مَنْ أَحَبَّ أنْ يُبْسط له فى رِزْقه ويُنسأ فى أجله فَلْيصِلْ رَحِمَه » . والجَوْر : نقيض العَدْل وضِدّ القَصْد . والنَّساء ، بالفتح والمد : تأخير الدَّين . قال ابنُ الأثير : نسأتُ عنه دَينه : أخَّرته ، نَساء، بالمد ، وكذلك « النَّساء » فى العمر ممدود . وليس هناك أجلٌ ممدود للمُلوك دون غيرهم ، ولكنّهم لمّا مكّن اللهُ لهم فى الحياة كانوا أقوى على ما يَقْتضى أمداً طويلا فى فترة وجيزة ، فعدَّ ذلك لهم أبو العلاء فسحة فى الآجال. والحديث المتقدِّم من ذاك، إذ المراد أزدحام العُمر بالخيرات، واتساع اليوم لما تتّسع له الأيام ، فكأنّ العمر أضعاف .

يقول : أيها الملوك الأقوياء ، والأقيال المُترفون ، لقد فُزْتم بما تُحبّون من طول الحياة وتأخّر الأجل ، فما لكم لا تَبتدِرون الخير ولا تَستبقون إلى الحَسنة ! ما لكم تُرجئون تَشْييد المكرمات ، و بناء الصالحات ، إلى مُسْتقبل من الأيّام قد لا تُدركونه ، ومُسْتأنَف من الدهر قد لا تَبلغُونه ! مغترِّين بإملاء الأيّام لكم ، و إبْقائها عليكم .

٢ (مَا لَكُمْ لا تَرَوْنَ طُرْقَ المَعَالِى ... قَدْ يَزُورُ الهَيْجَاءَ زِيرُ نِسَاءِ)

الطُّرُق ، بضمتين : جمع طريق ، وسُكِّن للشِّعر . والهيجاء ، بالمدّ

والقَصر : الحرب ، لأنها موطن غَضب . وزِير النِّساء ، الذى يُخالطهنّ ويريد حديثَهنّ لغير شرٍّ ، سمى بذلك لكثرة زيارته لهن . وأصله من الواو والجمع : أزوار ، وأزيار ، وزِيرة .

وقيل : هو المخالط لهنّ فى الباطل . وفى الحديث : « لا يزال أحدُكم كاسراً وسادَهُ يتّكئُ عليه ويأخذ فى الحديث فِعْلَ الزير » . وقال مُهَلهل :

فلو نُبش المقابرُ عن كُليب فيُخبَر بالذّنائب أىّ زِيرِ

يقول : ما لكم لا تَدَعون ما أنتم فيه من خُمول ، ولا تَتركون ما أنتم عليه من ضَعف ؛ مُحْجمين لا تُقْدِمون ، ومُبطئين لا تُسْرعون ؛ مُسْتنيمين إلى اللذّة لا تَطمح نفوسكم إلى المَجْد ، ولا تَسْمو إلى المآثر الباقية ! أَقْدِموا فرُبّ مُتْرَفٍ شَهِد الهيجاء ، ورُبّ عاشق للنساء كلفٍ بهن صريعٍ بجمالهن ، قد ترك اللهو والباطل ، ورَغِب فى الجِدّ فأَبْلَى فيه البلاءَ الحسن .

٣ (يَرْتَجِى النَّاسُ أَنْ يَقُومَ إمَامٌ ناطِقٌ فى الْكَتِيبَةِ الْخَرْسَاءِ)

الإمام الناطق ، هو المَهدىّ المُنتظَر . وسُمى ناطقاً ، لأن الشِّيعة يزعمون أنّه سوف يدعو إلى نفسه ، فسمَّوه ناطقاً لذلك . وقد اختلفت الشِّيعة فيه ، فزعمت السَّبئيّة أنّه علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام . وزعموا أنه حىٌّ لم يمت . ومنهم مَن يرى أنه فى السحاب . ويُروى أن عبد الله بن سَبأ ، وهو أصل هذه المَقالة ، لما أُخْبِر بموت علىّ عليه السلام ، قال : كذبتُم ، والله لو جئتمونا بدماغه مَصْروراً فى سَبْعين صُرّة ما صدَّقْنا بموته ، ولا يَموت حتى يملأ الأرضَ عدلاً كما مُلِئت جَوْرا .

وزعمت الواقفة والمَمْطورة من الشّيعة أنه موسى بن جعفر . وقالت الإسماعيليّة

منهم : هو محمد بن إسماعيل بن جعفر . وزعمت الكَيْسانية أنّه محمد بن الحنفيّة . وزعموا أنه لما خاف على نفسه دخل شِعْب رَضْوى بين مكّة والمدينة ، فهو هناك حيٌّ لم يَمُت ، أسدٌ عن يمينه ونَمِر عن يَساره حتى يخرج . وفى ذلك يقول كُثيِّر :

أَلَا إنّ الأَئمةَ من قُريش ... وُلاة الحقّ أربعةٌ سواء

علىٌ والثلاثةُ من بَنيه ... همُ الأسْباطُ ليس بهم خَفاء

فسِبْط سِبْط إيمان وبرٍّ ... وسِبْط غَيَّبَتْه كَرْبِلاء

وسِبْط لا يَذُوق الموتَ حتّى ... يقُود الخيلَ يَقْدُمها اللِّواء

تَغيّبَ لا يُرى فينا زماناً ... بِرَضوى عنده عَسَل وماء

والكتيبة : الجيش ، والقطعة العظيمة منه . والخرساء : التى صَمتت من كثرة الدُّروع ، أى لم يكن لها قَعاقع . وقيل: التى احتزمت بالسّلاح وأجادت شدَّه فلا يُسمع له صَوت . وقيل : هى التى لا تَسمع لها صَوْتاً ، من وقارهم فى الحرب . وقال الأصمعىّ : إنما قيل لها خَرْساء لقلّة كلامهم . وقال بُنْدار : إنما قيل لها خَرْساء ، لأنّ الصوت لا يُفْهم فيها لكثرة الأصوات ، فكأن كلام المتكلّم فيها تُسمع حركاتُه كحركات لسان الأخرس ولا تُفْهم . وأراد بـ « الكتيبة الخرساء » جماعةَ أئمّة الشيعة ؛ إذ الشيعةُ يسمّونهم صُمْتاً ، لصَمْتهم عن إقامة الدعوة حتى يَظهر الإمام الأعظم .

يقول : أيها الناس ، أنتم مصدر ما تَلقون مِن ظُلم ، وأصل ما تُقاسون من عَسف . فَنِيتمُ فى الملوك وأذللتم لهم أنفسَكم ، تَشْقَوْن لِيَسْعَدوا ، وتَخافون ليأمنوا ، وتأْرقون ليناموا . غلوتُم فى ذلك وأسْرفتم فيه ، فقدَّستْهم طائفةٌ منكم

عن الخطأ ، ووصفتهم بالعِصْمة ، وزعمت أنهم الناطقون والعالم صامت ، والمُهتدون والحياة جائرة .

انتظَرُوا الإمامَ المعصوم ، ورجوا الناطق المُرشد ، والهادى الذى لا يُخطئ .

٤ (كَذَبَ الظَّنُّ لا إمامَ سِوَى الْعَقْـــلِ مُشيراً فى صُبْحِه والْمَسَاءِ)

٥ (فإِذَا ما أَطَعْتَه جَلَبَ الرَّحْـــمَةَ عِنْدَ المَسيرِ والإِرْسَاءِ)

الإرساء : الثبات والاُستقرار ، يُستعمل لازماً ومتعدِّياً ، يقال : أرسى الشىء ، إذا ثبت واستقرّ ، وأرسيتُه أنا .

يقول : لقد كذبتْ ظُنونُهم ، وساءت آراؤُهم ، وأخطئوا قَصْد السبيل . إن هـــذا الإمام الذى ينتظرونه ، والهادىَ الذى يرجُونه ، لبين ظَهْرانَيْهم ، يأمرهم بالمعروف فلا يأتمرون ، ويَنْهاهم عن الجهل فلا يَنْتهون ؛ يُرغِّبهم فى الخير فيصدُّون عنه ، ويُرهِّبهم الشرَّ فيَرْغبون فيه ؛ ذلك هو العقل ، يُخلص لهم فيستغشُّونه ، ويَجِدُّ فى نُصحهم فيختانونه . أطيعوه أيها الناس تهتدوا ، واُتبعوه ترشُدوا . إنما هو مصدر الرَّحمة ، ومنشأ النّعمة فى السفر والحضر ، وفى الظّعن والإقامة .

٦ (إِنَّما هٰـذِه المَذَاهِبُ أَسْبَا بٌ لِجَذْبِ الدُّنْيَا إِلَى الرُّؤَسَاءِ)

٧ (غَرَضُ القَوْمِ مُتْعَةٌ لا يرِقُّو نَ لِدَمْعِ الشَّمَّــاءِ والْخَنْسَاءِ)

٨ (كالَّذِى قامَ يَجْمَعُ الزَّنْجَ بالبَصْـــرَةِ والقَرْمَطِىِّ بالأَحْسَاءِ)

الشمّاء من النساء : التى استوت قَصبةُ أَنفها وأشرفت أَرْنَبته ، وَصْفٌ مستحبّ فيهن . والَخنساء : التى تأخّر أنفُها وقصُر ، وهو مكروه فيهن . يُشير بـ « الشّماء » إلى الشريفة الرَّفيعة ، وبـ « الخنساء » إلى الخسيسة الوضيعة .

وكانت العرب تزعُم أن هذا الخَنَس وذاك الفَطَس إنما حدثا فيهم لمُداخلتهم السُّودان وغيرهم من العجم فى أنسابهم ومناكحهم .

وأراد بجامع الزَّنج : علىَّ بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علىّ بن الُحسين بن علىّ بن أبى طالب . وكان دَعيًّا فى نسبه . زعم أولًا أنه علىّ بن محمد بن أحمد بن عيسى ، على ما ذكر ، ثم رجع عن هذا النسب وزعم أنه علىّ بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب بن يحيى المقتول بخُراسان ، ابن زيد بن على . ولم يكن ليحيى ولدُ يقال له رحيب ولا غيره ، لأنه قتل وهو ابن ثمان عشرة سنة ، وكان لا وَلَد له . وكان هذا المُدَّعى ، فيما ذكروا ، رجلًا من عبد القيس ، وأُمه امرأة من بنى أسد يقال لها فروة ، وكان مولده بالرىّ . واتصل فى أول أمره بآل المُستنصر ، وانتجعهم بشعره ، ثم ادّعى أنه من ولد علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، ثم علا أمرُه وكثر عدده وغلب على البصرة ، وقَتل مُعظم أهلها ، إلى أن حَصَره الموفَّق فى مدينته التى كان سمّاها المُختارة ، حتى أكل الزنج دوابهم . واستأمن آلَ الموفّق جُلُّ مَن كان معه ، وأُتى إليه برأسه . وكان يزعم أن النبوّة عُرِضت عليه فأباها . وقال : إنما أبيتُها لأن لها أعباء خِفْتُ ألّا أُطِيقها . وهو القائل :

لَهْفَ نَفسِى على قُصورٍ ببَغْدا دوَمَن قد حوتْه من كُلِّ عاصِى

وخُمُور هُناكَ تُشرب جَهْراً ورِجالٍ على المَعاصى حِراص

لستُ بابن الفَواطم الزُّهر إن لم أُجِلِ الخيلَ بين تلك العِرَاص

وأراد بـ « القرمطىّ » : أبا القاسم بن ذكرويه صاحب الشامة ، وكان ينتمى إلى علىّ بن أبى طالب عليه السلام . وخرج فى أيام المكتفى بجهة السماوة سنة تسع وثمانين ومائتين ، فقوى أمره واشتدت شوكته ، ثم قُتل قريباً من

دمشق . ثم خرج أخٌ له يكنى أبا الحسين وابن عم له يُعرف بالمدّثر ، لادّعائه أنه المُراد بقوله تعالى : (يأَيُّها المُدَّثِر) فقُتِلا جميعا .

وقيل لهم القرامطة ، لأنهم نُسبوا إلى قَرمط بن الأشعث . وكان الذى أصَّل لهم مقالتهم . ويقال إن اسم قرمط : حَمدان ، وإنه لُقِّبَ قَرْمَطاً ؛ لأنه كان يُقرمط خطّه ، وقيل : بل كان يُقرمط مشيه ، أى يقارب خَطْوه . وكان أخذ أصلَ مقالته من رجل يقال له الفرج بن عثمان النَّصرانى . وكان يزعم أنه داعيةُ المَسيح ، وأنه الكلمة ، وأنه الدابّة المذكورة فى القرآن ، والناقة ، ورُوح القُدس ، ويحيى بن زكريّا ، والمَهدىّ المُنتظر . وزَعم أنّ الصلاة أربع ركعات ، ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غُروبها ، وأنّ القبلة إلى بيت المقدس والحجّ إليه ، والصوم يومان : المِهْرجان والنَّيروز ، والجمعة يوم الاثنين لا يُعمل فيه شُغل ، وأن النَّبيذ حرام والخمر حلال ، ولا غُسل من جنابة ، ولا وضوء للصلاة . وكُلّ من حاربه قتله ، ومن لم يحاربْه أُخذت منه الجزية . وكان أذانُه للصلاة : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلّا الله ؛ أشهد أن آدم رسول الله ، أشهد أن نوحاً رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول الله ، أشهد أن موسى رسول الله ، أشهد أن عيسى رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمد بن الحنفيّة رسول الله . وكان يقرأ فى كل ركعة الاستفتاح .

والأحساء : مدينة بالبَحْرين ، كان أولَ من عَمرها وحصَّنها وجَعلها قصبة هَجَر ، أبو طاهر الحسن بن أبى سعيد الجنَّابى القَرْمطى .

يقول : أيها الناس ، إنكم لا تنتظرون إماماً مَعصوماً ، ولا تَرْجون هادياً موفَّقاً ، وإنما هى بِدَع مُنتحلة ، ومذاهب مُخترعة ، اتّخذتمُوها أسباباً تَصِلون بها بين رؤسائكم وبين الدنيا ، وجعلتموها طرقاً تُرْضُون بها تلك النفوس التى

لا تَرْضَى ، والأهواء التى لا تَقنع ، لا يصدّكم عن ذلك رَحمة ولا تعوقكم عنه رأفة . لا تبالُون أظلمتم قويًّا أم ضعيفاً ، ولا تحفِلون أعَسَفْتم رجلاً أم امرأة . كل ذلكم عندكم سواء فى مَرْضاة الرؤساء ، ذلك شأن زعيمكم الذى جمع الزَّنج بالبصرة ، فأفسدوا فيها ولم يُصلحوا ، وأساءوا ولم يُحسنوا ، روَّعوا العَذْراء فى خِدرها ، وأزعجوا الآمن فى سِرْبه . وذلك شأن زعيمكم القرْمطىّ بالأحساء ، جمع أَوشاب الناس وقُمَامتهم ، فأزعج الحاجّ ، وانتهك حُرمة البيت ، وأهدر دماء مَعْصومة ، وأزْهق نُفوساً محرمة ، كل ذلك ليُرْضى نفساً زاهدةً إلا فى الشر ، راغبةً إلا فى المُنْكر .

٩ (فانفَرِدْ ما استَطَعْتَ فالقَائِلُ الصَّا دِقُ يُضْحِي ثِقْلاً عَلَى الجُلَسَاءِ)

الثِّقل ، بالكسر : الحمل . و بفَتح القاف : نقيض الخفَّة .

يقول : ولكن هل يُجدى النصح ؟ وهل تَنفع الموعظة ؟ وهل يُحتمل قولُ الحق ؟ إلاّ أنّى أعظك أيها المُصْلح الحكيم أنْ تعتزل الناس وتُخلّى بينهم و بين ما يَشتهون . فما أعرف أثقَل عليهم من كلمة حق ، ولا أبْغض إليهم من دعوةٍ إلى خَير .

اللزومية الخامسة والعشرون

وقال أيضاً فى الهمزة المكسورة مع الصاد :

١ (أَوْصَيْتُ نَفْسِي وَعَنْ وُدٍّ نَصَحْتُ لَهَا فَمَا أَجَابَتْ إِلَى نُصْحِي وإِيصَائِي)

٢ (والرَّمْلُ يُشْبِهُ فى أَعْدَادِهِ خَطِئِي فَمَا أَهُمُّ له يَوْمًا بِإِحْصَاءِ)

٣ (والرِّزْقُ يأْتِي ولَمْ تُبْسَطْ إليه يَدِي سِيَّانِ فى ذَاكَ إِدْنائِي وإقْصَائِي)

٤ (لو أَنَّهُ فى الثُّرَيَّا والسِّماكِ أَوِ الـ ـشِّعْرَى العَبُورِ أَوِ الشِّعْرَى الغُمَيْصَاءِ)

سيان ، بمعنى سواء . يقال : هما سيّان وهم أسواء . وقد يقال : هم سِىّ ، كما يقال : هم سواء . قال الشاعر :

وَهُمْ سِىٌّ إذا ما نُسِبوا فى سَناء المَجْد من عبد مَنافْ

قال ابن سِيده : السيّان ، المِثْلان : الواحد : سِىّ . قال الحُطيئة :

فإيّاكم وحَيَّةَ بَطْنِ وادٍ هَمُوزَ النَّابِ ليس لكم بِسِىٍّ

والثريّا : نجم . وقد مر[1] . والسِّماك : أحد سماكين . نجمين نيّرين ، أحدهما السماك الأعزل ، والآخر السماك الرامح . ويقال : إنهما رِجْلا الأسد . والذى هو من منازل القمر : الأعْزل ، وبه ينزل القمر ، وهو شآمٍ ، وسُمِّى أعزل ، لأنه لاشىء بين يديه من الكواكب ، كالأعزل الذى لا رُمح معه . وقيل : سُمِّى أعْزل ، لأنه إذا طلع لا يكون فى أيّامه ريح ولا برد ، وهو أعزل منها . وهو من كواكب الأنْواء ، وطُلوعه مع الفجر ، يكون فى تشرين الأول . والرّامح ليس من منازل القمر ، لا نَوْء له ، وهو إلى جهة الشمال . والشِّعْرى : كوكب نيِّر يقال له

(١) انظر شرح البيت الخامس من اللزومية ١٦ ص ١٢١ من هذا الجزء .

المِرْزَم ، يطلُع بعد الجوزاء . وطلوعه فى شدّة الحر . وهما شِعْرَيان : العَبُور التى فى الجوزاء؛ والغُمَيْصاء التى فى الذّراع ، تزعُم العرب أنهما أُختا سُهَيل . وسُمِّيت العَبور ، لأنه يقال إنها عَبرت السماء عَرْضاً ، ولم يعبرُها عرضاً غيرُها . وسُمِّيت الأُخرى الغُمَيصاء ، لأن العرَب قالت فى أحاديثها : إنها بكت على إثر العبور حتى غَمِصت .

يقول : ما أشدَّ بغضَ النَّفس للنَّصيحة ؛ وامتناعها على الإرشاد ! لقد نصحت لها مُخلصاً ، وأوصيتها صادقاً ، فما سمعتْ لى ، وما أصغتْ إلىّ . وهى بعد ذلك كثيرة الخطأ ، جمة الزلل ، لا يبلغ الإحصاء أغلاطَها ، ولا ينال العدُّ زلاّتِها . غافلةٌ عن الحق ، بصيرةٌ بالباطل ، زاهدة فى القَصْد ، حريصةٌ على الإسراف . تكدّ وتَشْقى ، وتتكلّف السعى والمشقّة ، فى سبيل الرِّزق . ولو أنها وَدُعَت واُطمأنّت لجاءها رِزْقُها المَقْدور ، ونصيبُها المَقْسوم ؛ سواء نأى عنها مكانُه أم دنا ، وسواء قَرُب أم بَعُد . ولكنّ العناد مطيّة الألم ، وسبيل العَناء .

اللزومية السادسة والعشرون

وقال أيضاً فى الهمزة المكسورة مع الميم :

١ (القَلْبُ كالْماءِ والأَهْواءُ طَافِيَةٌ   عَلَيْهِ مِثْلَ حَبَابِ المَاءِ فى المْاءِ)

٢ (مِنْهُ تَنَمَّتْ وَيَأْتِى ما يُغَيِّرُهَا   فَيُخْلِقُ العَهْدُ مِنْ هِنْدٍ وأَسْمَاءِ)

الأهواء ، واحدها هَوى ، مقصور . وإذا أضفته إليك قلت : هواى . قال ابن بَرِّى : وجاء «هوى النفس» ممدود فى الشعر . قال الشاعر :

وهان على أسماءَ إن شَطَّت النَّوى   يَحِنُّ إليهـــا والهواءُ يتُوقُ

قال ابن سِيده : الهوى : العشق ، يكون فى مداخل الخير والشر . وقال الأزهرىّ : هو محبَّة الإنسان وغَلبته على قلبه . ومتى تُكلّم بالهوى مطلقاً لم يكن إلا مَذْموماً ، حتى يُنْعت بما يُخْرِج معناه .

وقد انتصب « مثل » على الحال . ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف تقديره « طفواً مثل طفو حباب » فأقام الصفة مقام الموصوف والمضاف إليه مقام المضاف . والحباب : معظم الماء ، وفَقاقيعه: التى تَطْفو عليه ، وطرائقه ، وأمواجه . وتنمَّت : زادت وربت . وأخلق : بَلِى . وهند وأسماء ، من الأسماء التى شبّب بها الشُّعراء . يريد أن صُروف الدهر وخُطوبه تُذهل المُحبَّ عن محبوبه ، كما قد يُريد أن الإنسان إذا جرّب الأيام وعَلم تصاريفها أقلع عن غيِّه وضَلاله . وهذا بمَنْحى أبى العلاء ألصق .

يقول : مثل النفس الإنسانية — ثبتت طبيعتُها لا تتغيّر ، واستقرّت أصولها لا تتبدل ، ثم عرضت لها من الحياة مظاهر أثّرت فيها فغيّرت أهواءها ، وبدّلت شهواتها ، تغييراً لايلبث أن يزول — مثل البُحيرةالهادئة والغَدير الساكن عَصَفت

بهما الريح فهاجت أمواجهما ، وأنشأت على سَطْحيهما من الحباب كُرَاتٍ لا تلبث أن تزول بسكون الريح .

ذلك مثَلٌ صادق لنفس الإنسان الثابتة وأهوائه المتغيّرة ، عنها صَدرت تلك الأهواء ، فَخُيِّل إليك أنها باقية بقاءها ، ثابتة ثباتها . ولكنك لا تلبث أن ترى حالاً طارئة ، وهوًى جديداً . لقد كنت تُحب أسماء وتكلَف بها ، وتعتقد أنّ غرامك بها باقٍ بقاء الدهر خالدٌ خلود الزمان . فإذا طُول الأمد واُختلاف ألوان الحياة قد عَبَث بهذا الغرام فغيّره ، وأخذ يمحوه من قلبك قليلا قليلا ، ويُحل مكانه غراماً طريفاً . ثم أصبحتَ وقد نَسيتَ أسماءَ وأصبحت بهذا كَلِفاً مَشْغوفاً . وما أراك إلا سالكاً بهذا الُحب الجديد سَبِيلَك فى ذلك الُحبّ التَّليد .

٣ (والْقَوْلُ كالْخَلْقِ مِنْ سَيْءٍ ومِنْ حَسَنٍ   والنَّاسُ كالدَّهْرِ مِنْ نُورٍ وظَلْماءِ)

من، ها هنا : بمعنى بين . تقول العرب : جاء القوم من فارس وراجل ، أى بين فارس وراجل . وأصل « سَيْء » . سيِّئ، بالتشديد ، ثم خُفف ، كما يقال فى « هيّن » هَيْن .

يقول : أجل ، ليس فى العالم طريف ولا فى الحياة جديد ، وإنما العالم والحياة مظاهر يماثل بعضها بعضاً . فالأقوال مرآة الناس ، منها السيئ والحسن ؛ والناس مرآة الأيام ، ثابتة فى نفسها متغيّرة فى شكلها ، منها الظلمة والنور ، ومنها الليل والنهار ؛ ظاهر متغيّر ، وطبيعة ثابتة دائمة . ضياء يملأ النُّفوس انشراحاً ، وظُلمة تملؤها اُنقباضاً ، والحقيقة واحدة . فَلَك يدور بالخير والشر ، ويجرى بالسَّعد والنَّحس .

٤ (يُقَالُ إِنَّ زَمَانًا يَسْتَقِيدُ لَهُمْ حَتَّى يُبدَّلَ مِنْ بُؤْسٍ بنَعْمَاءِ)
٥ (ويُوجَدالصَّقْرُفى الدَّرْمَاءِمُعْتَقِداً رَأْىَ أُمْرِئِ القَيْسِ فى عَمْرِو بْنِ دَرْمَاءِ)

يستقيد : يتأتّى وينْقاد ، كما يستقيد البعير إذا قيد . والدّرماء : الأرنب . وعمرو بن درماء : رجل من ثُعل، نزل عليه أمرؤ القيس عند طلبه المنذر بن ماء السماء . وقد مرّ حديث ذلك[1] . يشير أبو العلاء إلى ما يقوله الشّيعة من أن إمامهم المُنتظر إذا ظهر ملأ الأرض عَدْلاً كما مُلئتْ جَوْراً ، وأبدلهم من البُؤس بالنَّعماء ، وذَهَبَ بما فى الصدور من الحقد والشَّحناء؛ حتى تأمن الأرنب من سَطوة الصَّقْر ، كما أَمِنَ امرؤ القيس حين استجار بَعمرو بن دَرماء .

وكان السياق يقتضى: رأى عمرو فى امرئ القيس ؛ فعمرو، هو المشبَّه بالصقَر ، وامرؤ القيس ، هو المشبَّه بالأرنب ، فقَلَب إذ مراده مَفْهوم .

يقول : لم أَرَ أشدَّ حُمقاً ولا أكثر بَلَها من قوم ظنُّوا تغيُّر الزمان وتبدُّل الأيام ، وانتظروا أن تُطيعهم حركه الفَلَك فتَسْتحيل من شَرّ إلى خير ، ومن بُؤس إلى نعيم ، إذ ذاك تصلح النفوس الفاسدة ، وتَصحُّ الطبائع المريضَة ، وتُملأُ الأرض عدلا ، كما مُلئت جورا، وتَسكن الأرنب إلى السَّبُع ، ويأنس العُصفور إلى الصَّقْر . خَيال ما أبعده من الحقّ ، وأدناه من المُحال .

٦ (وَلَسْتُ أَحْسَبُ هذَا كائِناً أَبداً فابْغِ الوُرُودَ لِنَفْسٍ ذَاتِ أَظْمَاءِ)

الأظماء : جمع ظمأ ، وهو العطش . وجمع . ظِمْء ، وهو ما بين الشُّرب إلى الشرب . وكلاهما جائز هنا .

---

[1] (١) انظر شرح البيت ٢٨ من اللزومية ١٦ ص ١٣٢ من هذا الجزء .

يقول : ألا لا يَخْدعنّك هذا الوهم ، ولا يَغُرَّنّك هذا الأمل ؛ إنما العالم على حاله : خيرٌ يُمازجه شرّ ، ونعيم يَشُو بُهُ بُؤس . فلا تُحاول له تغييراً ، ولا تَطْلب له تبديلا . ولكن إن استطعت أن تَرِدَ بنَفْسك الصادية مناهل الخير عذبةً ، وشرائعَ الفضيلة صافيةً ، فافعل فأنت الموفّق السّعيد .

اللزومية السابعة والعشرون

وقال أيضاً فى الهمزة المكسورة مع الطاء :

١ (السَّاعُ آنيةُ الحوادثِ ما حوَتْ لَمْ يَبْدُ إلَّا بَعْدَ كَشْفِ غِطَائِهَا)

الساع : جمع ساعة ، وهى الجزء من أجزاء الليل والنهار . قال القُطامىّ :

وكُنّا كالحَريق لَدَى كِفَاحٍ فَيَخْبُو ساعَةً ويَهُبُّ ساعَا

والآنية : جمع إناء ، وجمع الآنية : الأوانى. والألف فى « آنية » مبدلة من الهمزة وليست بمخففة عنها، لانقلابها فى التكسير واواً. ولولا ذلك لحكم عليه دون البدل ، لأن القلب قياسى والبدل مَوْقوف .

يقول : إنما الزمان إناء مُفعم بالحوادث ، مملوء بالعِبَر والمواعظ ، مُحجب لا ترى مافيه العيون، ولا تبلغه الظنون، حتى يزُيح ستره ويُبيح سِرَّه . وهو متّصل الحركة مُتشابه الأجزاء ، ليس بين ساعاته تباين ، ولا بين آنائه اختلاف .

٢ (وكأَنَّما هَذا الزَّمَانُ قَصِيدَةٌ ما اضْطُرَّ شاعِرُها إلى إيطائِهَا)

٣ (لَيْسَتْ لَيَالِيه مُحِسَّةً كائنٍ وُصِفَتْ بسُرْعَتِها ولَا إبْطَائِهَا)

الإيطاء فى الشعر : أن تَتفق قافيتان على كلمة واحدة معناها واحد . فإن اُتفق اللفظُ واُختلف المعنى فليس بإيطاء . وقال الأخفش : هو ردُّ كلمة قد قَفَّيتَ بها مرة ، نحو قافية على « رجل » وأخرى على « رجل » فى قصيدة ، فهذا عيب عند العرب لا يختلفون فيه ، وقد يقولونه مع ذلك .

قال ابن جنّى : ووجه استقباح العرب الإيطاء ، أنه دال عندهم على قلّة مادة الشاعر ونزارة ما عنده ، حتى يضطر إلى إعادة القافية الواحدة فى القصيدة بلفظها ومعناها ، فيجرى هذا عندهم مجرى العىّ والحَصر. وقال أبو عمرو بن العلاء : الإيطاء ليس بعيب فى الشعر عند العرب . وقال ابن سلام الجمحى : إذا كثر الإيطاء فى قصيدة مرّات فهو عيب عندهم .

وأصلُه أن يطأ الإنسان فى طريقه على أثر وطء قبله، فيُعيد الوطء على ذلك الموضع .

يقول : ما أُشبِّه الزمان فى ذلك إلا بالقصيدة الجيِّدة من الشعر قد استقامت للشاعر قوافيها وانقاد له رويّها ، فلم يجنح إلى إيطاء . وهو معتدل السير ليس له استقرار ، وليس يوصف بسرعة ولا بُطء ، وليس يملك إنسان رياضته ، ولا يستطيع أحد أن يحمله على أن يمضى حثيثاً أو متريّثا . ذلك شأن الزمان وهذه صفاته ، كلها لازمة لطبعه، ملائمة لمزاجه ، ليس لأحد أن يغيِّر فيها أو يبدّل منها .

٤ (والمِصْرآنَسُ مِنْهُ خَرْقُ مَفَازَةٍ أَنِسَ الدَّليلُ بقَافِهَا مَعَ طَائِهَا)

المصر ، فى كلام العرب : كل كُورة تُقام فيها الحدود ويُقسِّم فيها الفَىْء والصدقات من غير مؤامرة للخليفة. والمفازة : البرية القفر . وقيل: هى من الأرضين ما بين الرِّبع من وِرْد الإبل ، من الغبّ من وِرْد غيرها من سائر الماشية . وقال ابن شميل: المفازة : التى لا ماء فيها و إذا كانت لليلتين لاماء فيها فهى مفازة، وما زاد على ذلك كذلك . وأما الليلة واليوم فلا يعد مفازة . قال ابن الأعرابى : وسميت مفازة لأن من خرج منها وقطعها فاز . وأراد بالقاف مع الطاء : القطا ، وهو طير. وقد سبق التعريف به[١] .

(١) انظر شرح البيت ١٤ من اللزومية الأولى ص ٦٠ من هذا الجزء

يقول : فأمّا المكان ، فأحقُّه أن يأنس إليه العاقل ويرغب فيه الحكيم تلك الصحراء المُقفرة ، والبيداء المُوحشة ، يأنس فيها الدليل فى ظلمة الليل إلى القطاة، وفى ضوء النهار إلى لمعان الآل . هـذه الفلاة المُوحشة الغامرة آنس من المدينة الآهلة العامرة ، تلك يخلو فيها الحكيم إلى نفسه مُغتبطاً بخيرها مُصلحاً لشرّها ، لا يسمع فيها أذاة ولا لغوا ، ولا يَرى فيها مُنكراً ولا عيباً ؛ وهذه يُقيم فيها العاقل على أشد النارَيْن حرًّا ، وأعظمهما شرًّا : فإما أن يشهد مصرع الحق ومقتل الفضيلة بين يدى الباطل والرذيلة ، ويظلّ معقود اللسان مضطرب الجنان ، رغبةً فى رضا الناس ورهبة من غضبه ؛ وإما أن ينصر الحق المغلوب ويؤيّد الفضيلة المقهورة ، فيلقى ما شاء الجهلُ من أذاة ، ويقاسى ما أحبّ الغى من ألم ، دون أن يظفر بحاجة أو يصل إلى غاية .

٥ (وسِهَامُ دَهْرِكَ لا تَزَالُ مُصِيبةً صُرِفَتْ بِإِذْنِ اللهِ عن إِخْطَائِها)

الإخطاء ، من أخطأ السهم الغرض ، إذا لم يُصبه ، ومثل «أخطأ» فى ذلك خطىء .

يقول : فى هذا الزمان تعيش ، وفى هذه المدينة تحيا ، ليس لك من هذا بُدّ . مَكانٌ قَلق ، وزمان نَزِق ، ولكنه صائب الرّمية لا يطيش سهمه ، ولا يخطىء نَصْله .

٦ (إِنَّ المَوَاهِبَ كُلَّها عَارِيّةٌ ومِنَ السَّفَاهَة غِبْطةٌ بعطائِهَا)

العاريّة ، منسوبة إلى العارة ، وهو اسم من الإعارة . تقول : أعرتُه الشىء أعيره إعارة وعارة. كما قالوا : أطعته إطاعة وطاعة، وأجبته إجابة وجابة. وهذا كثير

فى ذوات الثلاث، منها : العارة ، والدارة ، والطاقة، وما أشبهها . وقال الجوهرىّ : العاريّة ، بالتشديد ، كأنها منسوبة إلى العار ، لأن طلبها عار وعَيب ، وأنشد :

إنما أنفُسنا عاريّة والعوارىّ قَصارٌ أن تُردّ

يقول : فإن كان فى هذه الحياة ما يسرّ ، من مواهب تُعلى القدر ، وتُبعد الصيت ، فما أحسب هذا إلا غُروراً بالباطل وافتتاناً بالزّور . فإنّ تلك المواهب عاريّة مردودة ، ودَين لا بُد أن يُقضى. ولن يَستردّ منك هذه العاريّة، ولا يَتقاضى منك هذا الدين ، إلا الموت . وحسبك بالموت موقظاً للنائم ، ومنبهاً للغافل .

الهمزة الساكنة

اللزومية الثامنة والعشرون

وقال أيضاً فى الهمزة الساكنة مع الباء :

١ (ما خَصَّ مِصْرًا وَبأٌ وَحْدَهاَ بَلْ كائِنٌ فى كُلِّ أَرْضٍ وَبأْ)

مصر ، تُذكّر وتؤنّث ، وتُصرف ولا تُصرف . وفى قوله تعالى : « اهْبِطُوا مِصْرًا » قال سيبويه : بلغنا أنه يريد مصر بعينها . وقال أبو إسحاق : فيه وجهان ، جائز أن يُراد بها مصر من الأمصار ، لأنهم كانوا فى تيه ، وجائز أن يكون أراد مصر بعينها ، فجعل مصرًا اسماً للبلد ، فصرف لأنه مُذكّر . ومن قرأ « مصر » بغير ألف أراد « مصر » بعينها كما قال : (ادخلوا مِصْرَ إنْ شَاءَ الله آمنين) ولم يصرف لأنه اسم المدينة ، فهو مذكّر وسُمِّى به مؤنث .

والوبأ : الطاعون ، بالقصر ، والمد والهمز . وقيل : هو كل مرض عام . وفى الحديث : « إن هذا الوباء رجز » . وجمع المَقصور: أوباء . وجمع الممدود: أَوْبية ، وظاهر أنه أراد بهذا الوبأ الذى نزل بمصر ما كان أيام ولاية المستنصر بالله أبى تميم معدّ الفاطمى، الذى بقى فى الخلافة نحواً من ستين سنة . فقد تولاها وهو ابن سبع سنين سنة ٤٢٧هـ . وتوفى سنة ٤٨٧ هـ . وفى ذلك يقول أبو المظفر : « وعاش المستنصر سبعاً وستين سنة وخمسة أشهر فى الهزاهز والشدائد والوباء والغلاء» . وقبل أبى العلاء تعرضت مصر غير مرة لألوان من الوباء .

وعاصر أبو العلاء جُزءاً من هذه الحِقْبة ، حقبة المستنصر . إلا أنه مات قبل أن تبلغ الأيّام شدتها فى آخر عهد المستنصر ، ولعله يشير فى عجز البيت إلى

الطاعون الذى حل بشيراز ، ثم واسط و بغداد والبصرة والأهواز وغيرها سنة ٤٢٦ هـ. ، ومن قبله الطاعون الذى حل ببلاد الهند والعجم وغزنة وخراسان وجرجان والرىّ وأصبهان ، وامتد إلى الموصل والجزيرة و بغداد سنة ٤٢٣ هـ .

يقول : لقد طالما تحدَّث الناس وامتلأت كُتب التاريخ بما اختصت به مصر من وباء، يغير على أهلها حيناً بعد حين ، و يفتك بهم آناً بعد آن. حتى أصبحت هذه الشُمعة لمصر كأنها طبيعة لا تبرح ، وصِفة لا تزول . ولا يشاركها فيها بلد آخر من البلاد . خطأ كبير ووهم فاحش ؛ فإنه لم تخْل مدينة من المُدن من وَباء مُغيرٍ أو داء فاتك ، وأية محلّة خَلَت من الموت ؟ وأى منزل برىء من الرَّدى ؟ وهل تعرف أشدّ من الموت داء ؟ وأخوف من الرّدى وباء ؟

٢ (أَنبأَنَا اللُّبُّ بلُقْيَا الرَّدَى فالْغَوْثَ مِنْ صِحَّةِ ذَاكَ النَّبأْ)
٣ (هَلْ فَارِسٌ والرُّومُ والتُّرْكُ أو رَبِيعَةٌ أوْ مُضَرٌ أَوْ سَبأْ)
٤ (ناجِيَةٌ فى عِزٍّ أَمْلاكِهَا أَنْ يُظهِرَ الدَّهْرُ لَهَا ما خَبأْ)
٥ (ومِنْ سَجَايَا نَبْلِه أَنَّهَا كُلُّ قَتِيلٍ قَتَلَتْ لم يُبأْ)
٦ (إنْ سَارَ أو حَلَّ الفَتَى لم يَزَلْ يَلْحَظُه المِقْدارُ بالمُرْتبأْ)

اللُّقيا ، بالضم : اسم من اللِّقاء .

والرّدى : الهلاك ، بفتح الدال ؛ و بكسرها : الهالك . والغَوْث : الاسم من « استغاث » بمعنى صاح : واغوثاه . ومثله الغواث ، بالضم والفتح . وجائز أن يكون « الغوث » اسمٌ وُضع موضع المصدر من « أغاث » . وفى حديث هاجَر أُم إسماعيل : « فهل عندك غواث » . وهو منصوب على الإغراء .

وأراد بـ « فارس » وما بعدها التمثيل بمختلف من الأجناس لا الحَصر .

و « ناجية » خبر لـ « فارس » وما عطف عليها فى البيت السابق . وهذا من الشعر المضمن ، وهو ما لم يتمّ معناه إلا فى البيت الذى بعده . قال ابن سيده : وليس بعيب عند الأخفش ، وألا يكون تضمينٌ أحسنَ . وقال ابن جِنّى : التضمين مَذْهب تراه العرب وتَسْتجيزه ، وله وجهان : أحدهما السّماع والآخر القياس . أما السّماع فلكثرة ما يَرِد عنهم من التّضمين . وأما القياس فلأن العرب قد وضعت الشعر وضعاً دلّت به على جواز التّضمين . وذلك ما أنشده صاحب الكتاب من قول الرّبيع بن ضَبُع الفَزارىّ :

أصبحت لا أحمل السِّلاحَ ولا أمْلك رأسَ البَعير إنْ نَفَرَا

والذئبَ أَخشاه إن مَررتُ به وحْدى وأَخْشَى الرِّياح والمَطَرَا

فنَصْب العرب « الذئب » هنا واختيار النحويين له من حيث كانت قبله جملة مركبة من فعل وفاعل ، وهى قوله « لا أَمْلك » يدلك على جَرْيه عند العرب والنحويِّين جميعاً مَجْرى قولهم : ضربت زيداً وعمراً لقيتُه ، فكأَنه قال : ولقيتُ عمراً ، لتجانس الجملتين فى التركيب . فلولا أن البيتين جميعاً عند العرب يجريان مجرى الجملة الواحدة لما اختارت العرب والنحويُّون جميعاً نصب «الذئب». ولكن دلّ على اتصال أحد البيتين بصاحبه ، وكونهما معاً كالجملة المَعْطُوف بعضها على بعض . وحُكم المَعطوف والمعطوف عليه أن يَجْريا مجرى العقدة الواحدة .

وأملاك : جمع قلة ، لملك ؛ والكثير: مُلوك . والسَّجايا : جمع سجيّة . وهى الطبيعة والخلق . وقيل : هى الطبيعة من غير تكلّف . والنَّبْل : السهام ، وقيل : السهام العربية . وهى مؤنثة لا واحد لها من لفظها ، فلا يقال : نَبْلة ؛ و إنما يقال : سهم ونشَّابة . وقال أبو حنيفة : وقال بعُضهم واحدتها نبلة . قال ابن منظور :

والصَّحِيح أن لا واحد له إلاّ السهم . وحُكى : نَبْل ، ونُبْلان ، وأَنْبال ، ونِبـال .

ولم يُبَأ : لم يُقْتل . يقول : باء فلان بفلان ، أى قُتِل به . و باءه به وأباءه : قتله به وصَيّر دَمَه بدمه . والمقدار : الموت . قال الشاعر :

لو كان خلفك أو أمامك هائباً بَشَراً سواكَ لهابك المِقْدارُ

وقال اللَّيْث : المقدار : اسم القَدْر ، إذا بلغ العبدُ المِقْدارَ مات .

والمُرتبأ : المرتفع ترتبئه ، أى تَعلوه وتَصْعده لترقُب مِن فوقه . والجارّ والمجرور فى موضع الحال من « المقدار » . جعل « المقدار » بمنزلة الرَّبيئة والطليعة .

يقول : لقد حدّثنا العقلُ وصدّقه التاريخ بأن الموت لنا غاية ، والحِمامَ لنا نهاية ؛ لم تَسلم منه أُمة ، ولم يَأْمن منه جيل . يَرْمى فلا يُخطئ ، ويَقْتل فلا يُباء ، ليس لأحد أن يَطْلب إليه ثأراً ، ولا أن يَقْضِى منه وِتْراً ، قد اتخذ له مَرابئ يرقُب منها صَيْدَه ، ويربأ منها . فليس يُنجى الفَتى من سهمه إقامةٌ ولا ظعن ، وليس يَحمِيه من نَصله حِلٌّ ولا رَحيل .

اللزومية التاسعة والعشرون

وقال أيضاً فى الهمزة الساكنة مع القاف :

١ (تَقْوَاكَ زَادٌ فاعْتَقِدْ أَنّه أَفْضَلُ ما أَوْدَعْتَه فى السِّقاءْ)

السقاء : جلد السَّخْلة إذا أجذع ، ولا يكون إلا للماء . وقال ابن السِّكِّيت : يكون للبن والماء .

والوطْب ، للبن خاصة ؛ والنِّحى ، للسَّمن ؛ والقِرْبة ، للماء . والجمع القليل : أَسْقية ، وأسقيات ؛ والكثير : أساقٍ . أقام الزَّاد والسقاء مقامَىْ الرُّوح والجسد .

يقول : الجِدَّ الجِدَّ فى التَّقْوى و إيثار الخير . والحرصَ الحرصَ على طهارة اليد وصفاء القلب ؛ فإن التَّقوى خيرُ مَا أحرزْته لنفسك من زاد ، وأفضل مَا ادّخرته لها من بقية .

٢ (آهِ غداً مِنْ عَرَقٍ نازِلٍ ومُهْجَةٍ مُولَعَةٍ بارْتِقاءْ)

المُهجة : دمُ القلب ، وقيل : الدم ؛ وقيل: الروح . و إلى هذا الأخير قصد أبو العلاء . ومُولعة : مُغْرَاة . يُشير إلى نُزوع الرُّوح للخَلاص من أَسر الجسد . وطابَق بين « النزول » و « الارتقاء » . والأول للجسم ، والثانى للرّوح . وأراد بـ « غد » يوم الموت . وجعل العرق النازل للشدّة . يشير إلى ما يعانى الجسم عند سكرة الموت .

أو لعله أراد إلى حالَىْ الجسم والروح مع الموت ، فذاك يَسيل مُسْفِلاً ، وتلك تنزع مُصَعِدة .

يقول : أوه ، كم يملأ قلبي الفزع ، وكم يملكه الهلع حين أذكر الغد ، ذلك اليومَ الذى نبَّئونا به ، وخوّفونا إيّاه . يوم يتصبب العرق تصبُّبَ الماء ، ويوم تذوب الأكباد وتبلغ القُلوب الحَناجر . لقد أُذْهَل حينما أذكر ذلك اليوم ، وأرى ما عَلِق بنفسى من الشرِّ ، وما ران على قلبى من السُّوء .

٣ (ثَوْبِىَ مُحْتَاجٌ إلَى غَاسِلٍ وليْتَ قَلْبِى مِثْلَه فى النَّقَاءْ)

أراد بـ « الثوب » الجسد. وقد يكون الخبر على وجهه ، وهو الإفادة بدَنس الجسم وعَوزه إلى ما يَغسل عنه أدرانه . كما قد يكون ألقاه لغرض التعجُّب من غَسل جسم الميت ، وكانت الروح بذلك أولى ، ولكن أنَّى السبيلُ إلى ذلك .

يقول : لقد يحتاج الثَّوب تلبسه إلى غاسل يُزيل دَنسه ويردّه نقيًّا نظيفاً ، ولو أن لقلبى من النقَّاء والصفاء ما لهذا الثَّوب الذى يَكْدر ويَصْفو ، ويَدْنس ويَنْظَف ، لحمدتُ العاقبة ، ولرجوتُ حُسْنَ المآب .

٤ (مَوْتٌ يَسيرٌ مَعهُ رَاحَةٌ خَيْرٌ مِنَ اليُسْرِ وطُولِ البَقَاءْ)

اليسير : الهين، وقد لا يراد بالوصف تخصيص حال من حالات الموت بالتفضيل، وإنما هو لاستغراق أحوال الموصوف . فكأنه قال : الموت يسير . كما قد تُراد حال من أحوال الموت تُفارق عليها النفسُ مُطمئنةً بما عملت ، مستريحة لما قدّمت .

واليُسر : ضدّ العُسر ، وهو خَفْض العيش والغِنى .

يقول : ما ألذَّ الموتَ اليسير تَتْبعه الراحةُ الباقية ، وما أعذب مَذاقَه . لقد أُوثره على العيش الرَّضىّ والبال الهنِىّ ؛ ذلك لا يشوبه كَدر ولا يناله تنغيص ، وهذا عُرْضة لما ينبغى أن يحذر العاقلُ من خَطْب الزمان .

٥ (وَقَدْ بَلَوْنَا العَيْشَ أَطوارَه فَمَا وَجَدْنَا فيه غيْرَ الشَّقَاءْ)

بلا الشيء يبلوه : جرَّبه واختبره . والأطوار : الأحوال والضروب ؛ الواحد : طَوْر .

يقول : لقد بَلَوْنا العيش أطواره ، وحلبنا الدَّهر أشْطُره ، فلم نَبْلُ إلا مُرًّا ، ولم نلق إلا شرًّا ، ولم نَشهد غيرَ الشقَّاء .

٦ (تَقَدَّمَ النَّــاسُ فيا شَوْقَنَا إلى اتِّباعِ الأَهْلِ والأَصْدِقَاءْ)
٧ (ما أَطْيَبَ المَوْتَ لشُرَّابِهِ إنْ صَحَّ للأَمْوَاتِ وَشْكُ الْتِقَاءْ)

تقدّم : سبق . و « يا شوْقنَا » ، التركيب للنُّدْبة ، والمُراد إظهار اللّهفة والتحسُّر .

والشُّرَّاب : جمع شارب ؛ يعنى الذين يذُوقونه و يتجرَّعونه . ووشْك التقاء ، بالفتح: أى سرعة التقاء. وتُضمّ فيه الواو وتكسر. ومثله: وُشْكانه، بالفتح والضم.

يقول : لقد تقدّم آباؤنا وأصدقاؤنا فسبقونا إلى الموت رائقاً أو رَنِقاً ، فكم يذيبنا الشوقُ للقائهم ، و يملكنا الحِرْص على جيرتهم ، ولكن هل تَصْدُق الأنباء ، وتُوفى المواعيد ، و يكفُل لنا الموتُ لِقاءَ الأحبَّاء ، وجيرةَ الأخلاّء ؟ كم أستَلِذُّ الموتَ وأَستعذبه ، وكم أطلبه وأتمنّاه ، لو أن لتلك المواعيد من الصحّة حَظًّا ، ومن الصدق نَصيباً .

اللزومية المتمة الثلاثين

وقال أيضاً فى الهمزة الساكنة مع الفاء :

١ (أَنْفَرَدَ اللهُ بسُلْطَانِهِ فَمَا لَهُ فِى كُلِّ حَالٍ كِفَاءْ)
٢ (ما خَفِيَتْ قُدْرَتُه عَنْكُمُ وهَلْ لَهَا عَنْ ذِى رشادٍ خَفَاءْ)

الكِفاء : النَّظير والمثيل . قال حسَّان بن ثابت :

* ورُوح القُدس ليس له كِفاء *

أى جبريل عليه السلام . وفى حديث الأحنف: لا أقاوم من لا كِفاء له، يعنى الشيطان . ومثل «الكفاء» : الكفِىء ، والكُفء ، والكُفُوء . وهو فى الأصل مصدر من « كافأ » بمعنى ماثَل . والاسم : الكَفاءة ، والكَفاء . قال الشاعر :

فأَنْكحها لا فى كَفاء ولا غِنًى زيادٌ أضلَّ الله سَعْىَ زِيادِ

وقال الزجَّاج فى قوله تعالى : (ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد) أربعة أوجه ، القراءة منها ثلاثة : كُفُوًا ، وَكُفْئًا ، وكِفئًا ؛ وكِفاء ، بكسر الكاف والمد ، ولم يُقرأ بها .

والرّشاد : نقيض الضلال ، وهو إصابة وجه الأمر والطريق .

يقول : تبارك الله مُنفردًا فى سلطانه ، مستبدًّا بعظمته وجبروته ، ليس له من عباده كفءٌ ولا من خلقه شريك ، لا تخفى قدرته ولا تغمُض قوته . وكيف تخفى القدرة القاهرة على ذى حظّ من عقل ، أو تعزُب القوة المسيطرة عن ذى نصيب من رشاد !

٣ (إنْ ظَهَرَتْ نَارٌ كما خَبَّرُوا فى كُلِّ أرْضٍ فَعَلَيْنَا العَفَاءُ)

٤ (تَهْوِى الثُّرَيّا ويَلِينُ الصَّفَا مِنْ قَبْلِ أنْ يُوجَدَ أهْلُ الصَّفَاءْ)

النار ، مؤنَّثة وقد تذكّر . يُشير إلى ما ذكر فى أشراط الساعة من ظهور نار فى كل الأرض .

والعفاء : التراب ، وأيضاً الدُّروس والهلاك وذهاب الأثر . وقال الليث : ويقال فى السبّ : بِفِيه العَفاء ، وعليه العفاء . وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كان عندك قوت يومك فعلى الدُّنيا العفاء » . وقال زُهير :

تَحَمَّلَ أهلُها منها فبانُوا على آثارِ مَن ذَهَبَ العَفَاءُ

قال أبو عُبيد : هذا كقولهم ؛ عليه الدَّبَار ، إذا دعا عليه أن يُدبر فلا يرجع .

والثريا ، من الكواكب . وقد مرّت[1] . والصفا : جمع صفاة ، وهى الحجر الصَّلد الضخم لا ينبت شيئاً .

يقول : أى قُساة القلوب ، وجُفاة الطباع ، لقد ظهرت لكم الآية بينة ، وقامت عليكم الحجَّة ظاهرة ، وأنتم مع ذلكم تُجادلون فى الحق ، وتُسابقون إلى الباطل . تنتظرون بإيمانكم ، ما منّتكم الأساطير من خوارق العادة وكواذب المنى ، ناراً تظهر من كل أرض ، وتحشر الناس من كل صَوْب . هنالك تُؤْمنون ويومئذ تصدّقون. لقد ضلّتْ الأحلام ، وجارت العقول ، وكَذَبت الآمالُ من اغترّ بها ، وتعلّق بأسبابها .

أيها الناس ، ما تنتظرون بإيمانكم ، وما تتربَّصون بإصلاح أنفسكم . لقد أصبح اليأس منكم حقًّا ، والرجاء فيكم حمقاً ، ولقد أصبح لين الأحجار وسُقوط الكواكب وبطلان حركة الفلك أيسر من أن يوجد فيكم الأصفياء ، أو يكون منكم أهل الخير الصالحون .

---

(١) انظر شرح البيت الخامس من اللزومية ١٦ ص ١٢١ من هذا الجزء .

٥ (قَدْ فُقِدَ الصِّدْقُ ومَاتَ الهُدَى واسْتُحْسِنَ الغَدْرُ وقَلَّ الوَفَاءْ)

٦ (واسْتَشْعَرَ العَاقِلُ فى سُقْمِهِ أَنَّ الرَّدَّى مِمَّا عَنَاهُ الشِّفَاءْ)

عناه الأمرُ يَعْنيه : شغله وأهمّه . قال الشاعر :

لَا تَلُمْنِى عَلى البُكَاءِ خَلِيلِى إنَّهُ مَا عَنَاكَ قِدْماً عَنَانِى

يقول : لقد فُقد فيكم الصِّدْق ، وطُمِست بينكم أعلامُ الهُدى . ولقد حُبِّب إليكم الغَدْر ، وقَلّ بينكم الوفاء . ولقد اغتذت نفوسُكم بالشرِّ ، وارتوت بالرَّذيلة ، حتى أصبح العاقل الحكيم يعتقد أن ليس له من علّته بكم شِفاء ، ولا من مُصيبته فيكم بُرء ، إلاّ الموت المُريح .

٧ (واَعْتَرَفَ الشَّيْخُ بأَبْنَائِهِ وكُلُّهُمْ يُنْذِرُ مِنْه انْتِفَاءْ)

٨ (رَبَّهُمُ بالرِّفْقِ حَتَّى إذَا شَبُّوا عَنَا الوَالِدَ مِنْهُمْ جَفَاءْ)

النَّذر : أن تُوجب على نفسك شيئاً . جعل انتفاءهم من الآباء مما أَوْجبوه على أنفسهم فلا يَرْجعون فيه . يقال : نَذرت أنذُر ، بضم العين فى المُضارع وكسرها ، وقد يكون من : أنذر يُنذر ، بمعنى أعلم ، أى إنهم يظهرون انتفاءهم من آبائهم ولا يُخفونه ، وهو أعق العُقوق .

وربّ الوالدُ ولدَه ، يرُبُّه رَبّاً : ربّاه . ومثلها : ربَّبه تَرْبيباً وتَربِةً . و « ربّب » أبلغ .

والجفاء : غَلظ الطَّبع وترك الصِّلة والبِرّ ، يُمدّ ويُقْصر . قال الأزهرىّ : « الجفاء» مَمْدود عندالنحويّين ، وما علمت أحداً أجاز فيه القصر . وفى الحديث: « الحياء من الإيمان . والإيمان فى الجنة . والبَذَاء من الجفاء . والجفاء فى النار »

والجفاء يكون فى الْخِلقة والْخُلق . و يقال . جفوتُه جفوةً ، مرة واحدة ، وجفاء كثيراً ، مصدر عام .

يقول : أجل ، لم أر ألأم منكم طبعاً ، ولا أدنأ منكم أصلا ، ولا أدنى منكم إلى المَيْن ، ولا أحرص منكم على كفر النعمة وجُحود الصَّنيعة . أولئكم الآباء يُنفقون عليكم صَفْو حياتهم ونضْرة شبابهم ، ويُبْلُون فيكم جدَّة أيامهم ؛ حتى إذا أدركهم الهَرم، وآن لهم أن يتقاضَوْا منكم دَيْنهم، ويُثابُوا بما أحسنوا إليكم من صَنيع ، جزَيتموهم عُقوقاً ، ولقَّيتموهم جُحوداً وكُفْراً . يجدُون اعترافهم بكم لذَّة ، وترَوْن بَراءتكم منهم نِعْمة .

٩ (والدَّهْرُ يَشْتَفُّ أخِلَّاءَهُ كأنَّما ذَلِكَ مِنْهُ اشْتِفاءْ)

الاشتفاف : التقصِّى فى الشُّرب . قال عبد الله بن سَبْرَة الجُرشىّ :

ساقيتهُ الموتَ حتى اشتفَّ آخِرَه فما استكان لِمَا لاَقى ولا ضَرَعَا

أى حتى شرب آخر الموت ، و إذا شرب آخره فقد شربه كُلَّه . وفى حديث أم زَرْع : « و إن شَرِب اشتفّ » . أى شرب جميع ما فى الإناء . و يَشتفّ أخلّاءه . أى يأتى عليهم جميعاً ، كما يأتى الشاربُ على ما فى الإناء .

والضمير فى « أخلّائه » للشيخ ، ويجوز أن يكون للدهر ، وكأنه على هذا الأخير أراد أن يجعل الأبناء كالدهر غَدراً بالأخلاء ، و إمعاناً فى الاشتفاء .

والاشتفاء : افتعال من : شفاه الله يشفيه . أصله فى الأجسام ونُقل إلى شفاء القلوب والنفوس . والمعنى هنا على التَّوجيهين جائز .

يقول : لسَاء ما كافأتُم الحسنة وشكرتم المعروف ، ولساء ما جزَى الدهرُ

أولئك الآباء برحمتهم قسوة ، وبرأفتهم غِلْظة ، وبدَّلهم من بِرّهم عُقوقاً .
ولو أنه إذ أنزلهم منكم هذا المنزل القَلق ترك لهم الأخلَّاء ، وأبقى لهم على
الأَصفياء ؛ لكان لهم عنكم سَلْوة . ولكنه يَخْترم أصدقاءهم ، ويشتفّ
أحبّاءهم ، كأنما هو يشتفي بذلك من علّة معضلة ، وداء عَياء .

فصل الألف

هذا الفصل يحتمل وجهين، أحدهما أن يكون على ما رتَّبتُ، والآخر أن يكون الرويّ ما قبل الألف وتكون الألف وصلا .

اللزومية الواحدة والثلاثون

قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله التَّنوخى فى الألف مع الضاد :

١ (قَضَى اللهُ أنَّ الآدَمِىَّ مُعَذَّبٌ إلَى أنْ يَقُولَ العَالِمونَ بِهِ قَضَى)

٢ (فَهَنِّئْ وُلَاةَ المَيْتِ يَوْمَ رَحِيلِهِ أَصابُوا تُراثاًواسْتَراحَ الَّذِى قَضَى)

قضى: حكم وأمر وحتم، ومنه قولهُ تعالى : (وقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إلّا إيّاه) .

وقضى،أيضاً : صَنَع وعَمل وقَدَّر . ومنه قولهُ تعالى: (فَقَضَاهُن سَبْعَ سَمَوَاتٍ).

و بالمعنيين تستطيع تفسير « قضى » الأولى فى البيت . و « به » أى الآدمىّ . والعالمون به ، المُحسّون به من أهل وعُشَراء . و« قضى » الثانية ، بمعنى مات. و « إلى أن يقول العالمون به قضى » أى إلى أن يُعلن هؤلاء موته ، و يُشيِّعوه إلى رَمْسه .

وولاة الميت : الذى يلون أمره ، يعنى أهلَه والأقربين ومَن إليهم تؤول شئونه. والتراث : ما يخلِّفه الرجل لورثته . والتاء فيه بدل من الواو . وفى حديث الدعاء : « و إليك مآبِى ولك تُراثى » .

وفى اتفاق « القافيتين على كلمة واحدة، وبمعنى واحد، إيطاء، وقد تقدم شرحه[1] .

يقول : لقد قَضَى الله على الإنسان أن يَقْضِى حياته تَعِباً مَكْدوداً ، ويُمضى أيّامه مُعذَّباً شقيًّا ، فما يزال به العذاب والألم حتى يَستنقذه منهما الموت ، ويُريحه

(١) انظر شرح البيت الثانى من اللزومية السابعة والعشرين ص ١٧٥ من هذا الجزء .

من شرِّهما الفناء ، إذ ذاك يَطْمئنّ بعد القَلق ، و يَسْعد بعد التَّعس ؛ و إذ ذاك يستحقّ أنْ تُهنّئه بما أفاد من راحة ، وما انتهى إليه من سكون . هنئه بالراحة والسكون ، وهنِّئْ أولياءه بالغِنى والثَّروة ، من تُراث كسبوه ، ومالٍ استولَوْا عليه . ما أجلّ الموتَ ! فقد ضَمِن الخير للأموات والأحياء على السواء .

اللزومية الثانية والثلاثون

وقال أيضاً فى الألف مع الراء المُمالَة :

١ (أَقِيمِى لَا أَعُدُّ الْحَجَّ فَرْضاً عَلَى عُجُزِ النِّساء ولَا العَذَارَى)

أقيمى ، الخطاب لجِنْس المرأة . والأمرُ هنا على بابه . فقد اُنعدم الأَمْن على العِرْض ، وليس دون المال والحياة . ومن لم يأمن على نفسه فلاحجّ عليه .

وحتَّى مع الأمن فقد اشترُط أن يكون مع المرأة زوجها أو مَحرمها أو نِسوة يوثق بهن، اثنتان فأ كثر . فالإقامة هنا، التى هى الأمر بالقعود عن الحج ، مُقيّدة ، وليست مطلقة . والعُجُزُ ، بضمتين : جمع العجوز من النساء ، ومثله : العُجْز ، بالضم ، والعجائز . والعذارى : جمع عذراء ، وهى البكر لم تُمسّ .

يقول : أيتها المتهيئة للحج العازمة عليه ، ألْقِى عن مطيّتك رَحْلَها ، وخَفِّضى عنها ثِقلها ، وأَقيمى هادئةً مطمئنّة ؛ فما أحسب الحجّ عليك فرضاً ، وما أعدُّه منك مطلوباً .

٢ (فَفِى بَطْحَاءِ مَكَّةَ شَرُّ قَوْمٍ ولَيْسُوا بِالْحُمَاةِ وَلاَ الغَيَارَى)

بطحاء مكة : هو مَسِيلُها الواسع الذى فيه دِقاق الحَصى ، يريد مُنبطحاتها . وقُريش البطاح ، هم الذين ينزلون أباطحها . وقريش الظواهر ، هم الذين ينزلون ما حولَ مكة .

والغَيارى ، بفتح أوله وضمه : جمع غيران ، وهو الشديد الغَيرة. ومثل الغيران: غَيور ، والجمع غُيُر . وامرأة غيرى وغيور ، والجمع كالجمع . وقال الجوهرى : امرأة غَيور ، ونِسْوة غُيُر ؛ وامرأة غَيرى ، ونسوة غَيارى .

يقول : أقِيمى ، ما أَرى لك أن ترْحلى إلى بَلَد جمع الله فيه أشرار النّاس ، وأسكنه أوشابَهم ، وأقلَّهم عن الأعراض ذِياداً وللأحساب حِماية ؛ فسَقةٌ لا يعرفون العفّة ، وأنذال لا يَسْتشعرون الغَيْرة .

٣ (وإنَّ رِجالَ شَيْبَةَ سَادِنِيها إذَا رَاحَتْ لِكَعْبَتِها الْجَمارَى)
٤ (قِيَامٌ يَدْفَعُونَ الوَفْدَ شَفْعاً إلَى البَيْتِ الْحَرَامِ وهُمْ سُكَارَى)

شيبة ، هو ابن عثمان بن طلحة بن عبد الدّار بن قُصىّ الحَجبىّ ، نِسبة إلى حجابة البيت . وكانت السّدانة واللّواء لبنى عبد الدار ، فأقرّهما النبى صلى الله عليه وسلم لهم فى الإسلام . والسّادن : خادم الكعبة ، و بيتِ الأصنام أيضاً . والجمارى : الجماعات المُحتشدة .

و « قيام » خبر « إن » فى البيت السابق ، وهو من التضمين فى الشعر[١] . والشَّفع : الزوج .

يقول : أقيمى ، إلى من تحجّين ؟ لقد قام بين يدى هذا البيت الحَرام سَدَنته وحُجّابه ، فَجَرةً مُستهتَرين ، سكارَى ما يفُيقون من السُّكر ، ولا يَفْرُغون من المجُون ، لا يرْعَون لهذا البيت حقّاً ، ولا يحتفظون له بذمّة .

٥ (إِذَا أَخَذُوا الزَّوائِفَ أَوْلَجُوهُمْ وَلَوْ كَانُوا اليَهُودَ أَوِ النَّصارَى)

الزوائف : ردىء الدَّراهم . جعل ما يأخذونه زائفاً ، للتقليل من شأنه والتهوين من قَدره . وأولجوهم ، أى أجازوهم وأنفذوهم .

---

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٢٧ ص ١٨١ من هذا الجزء .

يقول : إنما الطّواف والحجّ إليه تجارة لهم يَربحون منها المال ويُفيدون بها القُوات ، فما يُبالون إذا ملأتْ أيديهم صِحاحُ الدراهم وزوائفُها ، أطوّفوا بهذا البيت أهلَه أم أعداءَه !

٦ (مَتَى آداكِ خَيْرٌ فافْعَلِيهِ وَقُولِي إنْ دَعَاكِ البِرُّ آرَى)

آداكِ خير ، أى توفّرت لك أسبابهُ وفاضت بين يديك وسائلُه . يقال : آداه مالهُ ، إذا كَثُر عليه فغلَبه ، وقريبٌ من قول أبى العلاء قولُ الشاعر :

إذَا آدَاكَ مالُكَ فامْتَهِنْه لجادِيه وإن قَرِعَ المُراحُ

أى فاض عن حاجتك ، وزاد عن مطالبك .

وآرى ، كلمة فارسيّة ، بمعنى ، نعم ، ومَرْحى ، وحقًّا ، وتكون بمعنى « لا » أيضاً .

يقول : دَعى الحج وأمثاله من تلك الأعمال التى يدلّ ظاهرُها على التنسك ، ويَشهد باطنُها بالتهتّك . دَعيها وافعلى الخير خالصاً من كل رياء ، بريئاً من كل نِفاق . دَعِيها وأجيبى دعوةَ البِرّ إذا دعاكِ سرًّا أو جهرًا ، لا تنتظرى على ذلك أجراً ولا تبتغى به ثواباً . أَطعِمى القانعَ والمُعْتَرَّ ، وتعهّدى البائِس بالمعروف ، وخُذى نفسك بمكارم الأخلاق ومحاسن الخِلال ؛ فذلك أنفع لك وأجْدَى عليك مما لجّ النّاسُ فيه من باطل وزُور .

٧ (فَلَوْ قَبلَ الغُوَاةُ عَرفْتِ كَشْفِى مِنَ الْكَذِبِ المُوَّهِ ما تَوارَى)

« لو قبل الغواة » ، أى سكت المُبطلون عن تَشويه الحق وإحقاق الباطل .

وكَشْفى ، أى ما أُظهر ممَّا لا مُواربة فيه ولا مُداهنة . والتَّمويه : التَّلبيس وإظهار الباطل فى صورة الحق . و« ما تَوارى » : استتر واختفى . أى عرفت حقِّى من باطلهم ، ولم يُغَمَّ عليك .

يقول : أجل ، إنهم ليلجّون فى باطل ، ويحرصون على زُور . ولو قد كان منهم إصغاء إلى نُصح ، أو إجابة إلى رشد ، أو انتفاع بموعظة ؛ إذاً لرأيتِ كيف أُزِيل باطلهم عن الحق ، وأُجْلى غيَّهم عن الرشد ، وأُمّحى ضلالُهم عن الهدى . ولـكنها قلُوب لا تفقه ، وعُقول ضعيفة لا يقوِّمها رُشد ، ولا ينفعها إصلاح .

٨ (وَلا تَثِقِي بِمَا صَبَغُوا وصَاغوا فَقَدْ جاءَتْ خُيُولُهُم تبارَى)
٩ (جَرَتْ زَمَناً وتَسْكُنُ بَعْدَ حِينٍ وأقْضِيَةُ المُهَيْمِنِ لا تُجَارَى)

الصبغ للثياب : تلوينهـا ، والصياغة للحلى : سَبْكها . يريد : تغييرهم الـكلام وتزويره . تقول : فلان يَصْبغ الكلام ويصوغه ، أى يغيّره ويزوّره . وهو استعارة . وفى الحديث : « أكذبُ الناس الصبّاغون والصّواغون » .

قيل : أراد الذين يرتبون الحديث ويصوغون الـكذب . وقيل : أراد الذين يَصْبغون الـكلام ويصُوغونه ، أى يغيّرونه ويَخْرُصونه . وقيل : هم صبّاغو الثياب وصاغة الُحلىّ ، لأنهم يَمْطُلون بالمواعيد الكاذبة . وفى حديث أبى هريرة: « رأى قوماً يتعادَوْنَ فقال ، ما لهم ؟ فقالوا : خرج الدّجّال . فقال : كِذْبة كذبها الصبّاغون » . أى اختلقها الـكذّابون . وفى بعض النُّسخ: « صنعوا » مكان « صبغوا » وهى فى المعنى ؛ إذ الصُّنْع : الَخلْق . وتبارى : أى تتبارى . والتَّبارى : أن يَصْنَع كل واحد مثل ما صَنع صاحبُه .

والأقضية : جمع قَضاء ، وهو الُحكم . و« لا تُجارى » ، أى لا يُجرى معها، فهما جارَوْها فهى غالبتُهم على أمرهم ونافذةٌ فيهم .

يقول : ألا لا تَثِق بما يدعون إليه ، فإنما هى خَيل تجرى إلى الباطل ، وحَلْبة تَسْتبق إلى الضلال ؛ لقد جرت فى باطلها حيناً ، واستبقت إلى ضلالها آناً ، ولا بُدَّ لجِرائها من انقطاع ، ولاستباقها من غاية ، ولقُوّتها من نَفاد . إنهم ليُجارُون قَضاءَ الله ، ولكن هذا القضاء لا يُجارَى ؛ وإنهم ليبارون قَدَره ، ولكنّ هذا القدر لا يُبارَى .

١٠ (لَعَلَّ قِرانَ هَذَا النَّجْمِ يَثْنِى إلى طُرُقِ الهُدَى أُمَماً حيَارَى)

١١ (فَقَدْ أَوْدَى بِهِمْ سَغَبٌ وَظِمْءٌ وأَيْنُقَهُم بِمَتْلَفَةٍ حَسَارَى)

١٢ (وَمَا أَدْرِى أَمَنْ فَوْقَ المَهَارَى أَلَبُّ إذَا نَظَرْتُ أَمِ المَهارَى)

القِران فى الكواكب : أن يصحب كوكبٌ كوكباً ويَقْترن به . وقديماً رتّبت العربُ على اقتران النجوم آثاراً كثيرة . وأودى به الشىء : ذهب وأهلكه.

والسغب : الجوع ، وقيل : هو الجوع مع التعب . وربما سُمِّى العطش سَغَباً ، وليس بمُستعمل . والظِّمء : العطش ، الاسم من ظمِئ يظمأ . وهو أيضاً ما بين الشُّربين والوِرْدين : وقيل : ذلك فى ورد الإبل . والأَينُق ، من جُموع ناقة ، الياء فيه عِوَض من الواو فى «أونق» فيمن جعلها «أيفلا» . ومن جعلها «أعفلا» فقدّم العين مُغيّرةً إلى الياء ، جعلها مبدلة من الواو . فالبدل أعمّ تصرُّفاً من العِوَض ، إذ كل عِوَض بَدَل ، وليس كل بَدل عِوَضاً .

والمَتلفة : المهواة المشرفة على تَلَف . وحَسارى : قد أَعْيت وكَلَّت ، جمع حَسْرَى ، وهى أيضاً جمع حَسِير ، للذكر والأنثى .

والمهارَى ، مخفَّفة الياء ، والمهارِىّ ، والمَهارِى ، كلُّها جمع مَهْرِيّة ، وهى

الإبل المَنْسوبة إلى مَهْرة بن حَيدان ، أبو قبيلة ، وهم حىٌّ عظيم . وألبّ : أعقل ، فِعله: لبّ يلِبّ ، بوزن فرَّ يفِرّ .

يقول : ألا أيها النّجم الشارق ، والكوكب المتلألئ ، ألم يأْن لك أن تهْدى إلى سواء السبيل أمماً جائرة ، قد أخطأت القَصْد ولم توفَّق للهُدى ؟ فهى فى تيهٍ من البَيْداء عَريض ، لا تعرف له وجهاً ولا تَنْتهى فيه إلى مَدى . قد بلغ منها الجهْد وشفّ أينقَها الإعياء ، لقد حِرْتُ فى أمرها وفى أمْر أيْنقُها . فما أدْرى أيّهما أهْدَى سبيلاً ، وأقوم طريقاً ؟ النُّوق أم رُكّابها ، والإبل أم أصحابها ؟

١٣ (أَتَتْهُمْ دَوْلَةٌ قَهَرَتْ وعَزّتْ فبَاتُوا فى ضَلَالِتها أُسَارَى)

١٤ (وظَنُّوا الطُّهْرَ مُتَّصِلًا بقَوْمٍ وأُقْسِمُ إنّهُمْ غَيْرُ الطَّهَارَى)

الدولة ، بالفتح والضم : العُقْبة، فى المال والحرب، سواء ؛ وقيل: الدولة، بالضم، فى المال ؛ والدولة، بالفتح ، فى الحرب . وقيل : بالضم ، فى الآخرة ؛ و بالفتح ، فى الدُّنيا. يريد أَنهم أَصابوا من دنياهم عزًّا وسلطاناً فأغواهم . وظاهر أنه يريد « بالقوم » : معاشر العلماء الذين كثيراً ما يَنْعَى عليهم.

يقول : قد غلبهم المضلّون على أمرهم فى الدِّين والدنيا ، وصَرفوهم عن رُشدهم فى كل شىء، فهم مستذلون لدولة عزّت عليهم واستبدّت بهم ؛ يصفونها بالعصمة ، وينعتونها بالطُّهر . وأُقسم ما هى بالمَعصومة ولا الطاهرة ، وما هُم عن ذلك بغافلين .

١٥ (وما كَرِيَتْ عُيُونُ النَّاسِ جَمْعًا وَلَـكِنْ فى دُجُنَّتِها تَـكَارَى)

١٦ (لَهُم كَلِمٌ تُخَالِفُ مَا أَجَنُّوا صُدورُهُمُ بِصِـحَّتِه تَمَارَى)

كرِى الرجُل يكرَى كرًى : إذا نام. والدُّجنّة : الظُّلمة والضَّمير فى «دُجنّتها» للناس، نظر إلى اللفظ . وتكارى، أى تتكارى . والتكارى : التَّناوُم والتغافل ، مَقيس لم تَذْكُرْه المعاجم بهذا المعنى ، و إنما ذكرت نظيره فى مَعْنى الاستئجار .

والكلم : جمع كلمة ، ولا يكون أقل من ثلاث كلمات . أما الكلام ، فاُسم جنس يقع على القليل والكثير . وأجنُّوا : ستروا وأخْفوا . وتمارى ، أى تتمارى . والتمارى : الشَّك والكذب .

يقول : إنهم ليعلمون مِن هذه الدولةِ دَخيلتَها ، ومن أولئك القادة خَبيئتهم ، و إنّ نفوسهم لتتحدّث بذلك وتُطيل فيه ؛ ولكن ألسنتهم عن النُّطق معقودة ، وأفواههم عن البَوْح به مَكْمومة ، وما عَقَد ألسنتَهم ولا كَمَّ أفواهَهم إلاّ خَوَر العَزْم ، وضَعْف النَّفس ، وكَذِب الأخلاق .

اللزومية الثالثة والثلاثون

وقال أيضاً فى الألف مع الراء المُمالة :

١ (إذَا قِيلَ لَكَ اُخْشَ اللَّـــهَ مَوْلَاكَ فقُلْ آرَى)

٢ (كَأَنَّ الأَنْجُمَ السَّبْعَـــةَ فى لُعْبَـــةِ بُقَّارَى)

٣ (خُـــزَامَى وأَقَاحِىُّ وصَفْراءِ وشُـــقَّارَى)

٤ (ومَنْ فَوْقَ الثَّرَى يَصْغُـــرُ فِى أَجْزَاءِ مَنْ وَارَى)

آرى ، بمعنى نعم ، كلمة فارسية . وقد مرت قريباً[1] . ويريد بـ«الأنجم السبعة» الكواكب السيَّارة ، وهى : زُحل والمُشترى والمرّيخ والشمس والزُّهرة وعُطارد والقمر . وقد نظمها المقريزى فى بيت واحد وهو :

زُحَلُ شَرَى مِرِّيخَه من شَمْسه فتزاهرتْ بعُطاردَ الأقمـــار

و«لعبة بُقَّارى»، يريد لعبة للصِّبيان، وهى كومة من تُراب وحولها خُطوط . وقيل هى أن يأتوا إلى موضع قد خُبِىء لهم فيه شىء ، فيضربون بأيديهم بلا حَفر يطلبونه. وقال الجاحظ : هو أن يجمع الصبى يديه على التراب فى الأرض إلى أسفله ، ثم يقول لصاحبه : اشْتِه فى نفسك . فيصيب ويخطىء . وعرّفها البَطليوسى فى الاقتضاب، وابن سيده فى المخصّص ، والبَلوىّ فى ألف باء ، بما يقرب من هذا. وذكر الرّاغب فى محاضراته بأنها جَمع تُراب يُقْطع نِصْفين، ويقال: خذ أيّهما شئت. وكلّهم أجمع على أنها بوزان «السُّمَّيْهى» إلاّ أنّ ابن منظور استطرد فقال : وجاء بالشقَّارى والبُقَّارى ، أى الداهية ، أو بالكذب. ذكر ذلك فى مادتى «بقر» و «شقر» ، ولم

(١) انظر شرح البيت ٦ من اللزومية ٣٢ ص ١٩٥ من هذا الجزء .

يعرض للبِمّارى بجديد معنى ، غير أن زاد لها التَّخفيف لغة فيها وفى « الشقارى ».

والخُزامَى : نبت طيّب الريح ، الواحدة خُزاماة ، وهى خِيرِىّ البَرّ . وقال أبو حنيفة : هى عُشبة طويلة العيدان ، صغيرة الورق ، حمراء الزهرة ، طيبة الريح ، لها نَور كنَور البنفسج . قال : ولم نجد من الزَّهر زهرة أطيب نفحة من نفحة الخزامى ، وأنشد :

لقد طرقتْ أمُّ الظِّباءِ سَحابتى وقد جَنحت للغَوْر أُخرَى الكواكِبِ
بريح خُزامَى طَلَّةٍ من ثِيابها ومن أَرَجٍ من جيّد المِسْك ثاقِبِ

والأقحوان ، من نبات الرَّبيع مُفرَّض الورق دقيق العيدان ، له نَوْر أبيض كأنه ثغر جارية حَدَثة السن . وهو القُرّاص عند العرب ، والبابونج والبابونك عند الفرس . وزنُه أُفعلان ، الهمزة والنون زائدتان . واحدته : أُقحوانة . ويجمع على أقاح . وقد حُكى « قُحْوان » ، ولعله على الضرورة .

والصفراء : من نبات السَّهل والرمل ، وقد تنبُت باَلجلَد . وقال أبو حَنيفة : الصَّفراء نَبْت من العُشب، وهى تَسطَّح على الأرض ، وكأن وَرقها ورق الخس ، تأكلها الإبل أكلاً شديداً .

والشقّارى ، نِبْتة ذات زُهيرة شُكَيْلاء ، وورقُها لطيف أغبر . تُشبه نِبْتَتُها نِبْتة القَضْب ، وهى تُحمد فى المَرعى ولا تَنْبُت إلا فى عام خَصيب . وقال أبو حنيفة : تَنْبُت فى الرَّمل ،ولها ريح ذَفِرة، وتُوجد فى طَعم اللبن . وقيل : هى نَبْت له نَوْر فيه حُمرة ليست بناصعة ، وحبُّه يقال له : الِخمْخِم .

وكأنّ أبا العلاء شاكل بين ألوان هذه النَّباتات والنُّجوم . فزُحل مَلْحوظ فيه الاحمرار ، والزُّهرة البَياض ، والمُشْتَرى الصُّفْرة . جعل الأنجم فى ظُهورها واختفائها كالحجارة فى تلك اللعبة تندسّ فى التراب ويُكشف عنها . وإن كان ذكر العدد ، وهو السبعة ، للتَّقْييد لا للتمثيل ، دون التفات إلى العدد ، فقد

أفاد قولُ أبي العلاء مزيداً في وصف اللّعبة ، وهو أن الحجارة الملعوب بها فيها كان هذا عددَها .

و « واري» ، أي أخفي وسَتر . يريد أن من احتوت عليهم الأرض ،وشملهم بطنُها، يُربي على مَنْ فوقها.

يقول : أجِبْ إلى تَقوى الله والإذعان له ، لا تَعدل به شيئاً ، ولا تَجْعل له نِدًّا ، فكل ما سواه باطل لا نَصيب له من الحق ، وهالكٌ لا حظّ له من الخلود . إنما أنجُم العالَم العُلْويّ ، وإن عظّمها الناسُ وهامُوا بها ، لُعبة لا تَلْبث أن تتكشّف عن خَطَل الذين فُتنوا بها ورَغبوا فيها . وإنما هذا العالم السُّفْلي ، وما فيه من ألوان النّبات على اختلافها ، وأنواع الحيوان على تباينها ، وأصناف الجماد على افتراقها ، صُوَر ليس لها بقاء ، وظلال ليس لها ثبات ؛ وإنما هذا الإنسان المُدِلّ بعقله ، التيّاه بشكله . مثال لتلك الأجزاء الفانية التي ضَمّها التُّراب ، وواراها الثّرى .

٥ (وأَصْبَحْتُ مَعَ الدُّنْيَا أُدَارِيهـا كَمَنْ دَارَى)
٦ (إِذَا بَارَأَهَـا قَوْمٌ فَقَلْبِي حُبَّهـا بَارَى)
٧ (وما يَرْهَبُنِي جَارِ يَ إِنْ نَاضَلَ أَوْ جَارَى)
٨ (وَمَا عِرْسِيَ حَوْرَاءُ وَلَا خُبْزِيَ حُوَّارَى)

داراه : لاينَه ورفُق به ، وأصلُه من « دريتُ الظبي » ، أي اختلتَ له وختلته حتى تصيده . و « بارأها قوم » ، أي برئوا إليها وبرئت إليهم ، وخلص كلٌّ من الطرفين من حقّه على الآخر . يقال : برئتُ إليك من حقك ، إذا أديتُه إليك وخلصتُ منه . أو لعله من المبارأة ، بمعنى المفارقة ، تقول : بارأ

الرجل شريكَه ، وذلك إذا فارقه . وأصله من الأول ، ومنه : بارأ الرجل المرأةَ ، والكرىّ ، مبارأةً وبِراءً ، إذا صالحهما على الفِراق . و « بارى » إما من المُباراة ، بمعنى المجاراة والمسابقة ، أى إنه يعارض الدنيا فى حُبّها ، وليس إلاّ حِرْصُها على أن تضُمّه إليها ، ويكون المعنى : إذا ساءَ الناسَ الموتُ فكرهوه وحاولوا الفرار منه ، فإنى مُرحِّب به ساع إليه . ويجوز أن يكون من « المُبارأة » بمعنى المفارقة، ويكون المعنى : إذا قلاها قوم فإنِّى قاليها ومُبْغِضها .

وعلى الأول فالُحبُّ منها إليه ، وعلى الثانى فالحبّ منه إليها .

ويَرهبنى ، إما من « رهب » بمعنى خاف ، أو من « أرهب » بمعنى أخاف . والمُناضلة : المُغالبة والمُباراة فى الرَّمى . والُمجاراة: المجادلة والمُناظرة. والمعنى على الأول : فَلْيأمن جارى جانبى إذا أراد أن يعزّ ويبزّ ، فإنى زاهد فى الحياة .

وعلى الثانى : فليعلم جارى أنِّى لا آبَهُ لجبروته وجاهه ، فإنى لا أُقيم للدُّنيا وَزْناً .

والعِرْس ، بالكسر : الزّوج ، للذكر والأنثى ، والجمع لهما : أعراس ؛ والمثنَّى : عرسان ، لأنَّ كل واحد منهما عِرسٌ لصاحبه . قال عَلْقمةُ يصف ظَليماً :

حتى تَلافَى وقَرْنُ الشَّمْس مُرتفعٌ أُدْحِىَّ عِرْسَيْن فيه البَيْضُ مَرْكومُ

أراد بـ« العرسين » الذكر والأنثى . والمُراد فى بيت أبى العلاء هنا : المرأة .

والحوراء : التى بعينيها حَور ، وهو أن يشتد بياضُها وسوادُ سوادها ، وتستديرَ حدقتُها ، ويَرقَّ جَفْنُها ، ويَبيضَّ ما حولها .

والُحوَّارَى ، من الخبز والدقيق ، الخالص الذى يُنقَّى من لُباب البُرّ .

وليس ملزوم النَّفْى فى الجملتين على السواء ، فملزوم الأولى ، وهو غير الحوراء ، منفىّ أيضا ، فإذا صدف المرء عن الحَسْناء فهو بالصُّدوف عن الشَّوهاء

أقدر . ذلك إلى ما عُرف عن أبي العلاء من أنه عاش في هذا زاهداً . وأما ملزوم الثانية ، وهو غير الحوارى ، فثابت ، إذ لا حياة لغير طَاعم .

يقول : ألَا فلْنزهد في الدنيا ، ولتصرفْ عنها أمَلاك ، ولْتُدارِها كما يُدارى الإنسانُ عدوًّا لا بُدَّ له من جيرته ، وخَصْماً لا مَنْدُوحة له عن عِشرته . لقد داريتُها كُلَّ المُداراة ، وزَهِدْتُ فيها كُلَّ الزُّهد ، فما آبهُ لصُروفها ، وما أحْفل بخُطوبها ، وما أُعْنَى بلذّتها . لقد لا ينتُ أهلها كلَّ المُلاينة ، ورَفقت بهم كل الرِّفْق ، فما تزْدهيني منهم صَوْلةُ الصائل ، ولا جَور الجائر . لقد نزلتُ لهم عمَّا يَتنافسون فيه ويَسْتبقون إليه من لذّات الحياة ، فما أحتبس في بيتي حَوْراء ناعمة ولا حسناء فاتنة ، ولا أتخذ على مائدتي شهي الطَّعام ولذيذ المآكل ، إنما هي لُقيمات تقيم الأوَد ، وتُمسك الرَّمق إلى حين .

اللزومية الرابعة والثلاثون

وقال أيضاً فى الألف مع الراء المُمالَة .

١ (سَرَيْنَا وطَالِبُنَا هاجِعٌ وعِنْدَ الصَّبَاحِ حَمِدْنَا السُّرَى)

السُّرى : سَيْر الليل كُلّه . سريتُ سُرًى ومَسْرى ، وأسريتُ، بمعنى ، وذلك إذا سِرْتَ بالليل . والهاجع : الذى ينام ليلاً . هجع يهجع هُجوعاً : إذا نام بالليل خاصة ؛ وقيل : إذا نام فى الليل وغيره . وقد يكون الهُجوع بغير نَوْم . قال زُهير بن أبى سُلْمى :

قَفْرٌ هجعتُ بها ولستُ بنائم وذِراعُ مُلْقِية الجِران وِسَادِى

وعجز بيتُ أبى العلاء من المثل : «عند الصباح يَحمد القومُ السُّرى ». يُضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة . قال المَيدانى : وأول من قاله خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر وهو باليمامة : أن سِرْ إلى العراق. فأراد سلوك المفازة. فقال له رافع الطائى : قد سلكتُها فى الجاهليَّة ، هى خمس للإبل الواردة ، ولا أظنك تقدر عليها ، إلاّ أن تحمِل من الماء . فاشترى مائة شارف فعطَّشها ثم سقاها الماء حتى رَوِيَتْ، ثم كنَّبها وكمّ أفواهها ثم سلك المفازة، حتى إذا مضى يومان وخاف العطش على الناس والخيل ، وخشى أن يذهب ما فى بطون الإبل ، نحر الإبل واستخرج مافى بُطونها من الماء، فسقى الناس والخيل ومضى. وفى ذلك يقول خالد:

عند الصَّباح يَحمد القوم السُّرى وتَنجلى عنهم غَيابَاتُ الكَرَى

يقول : جدّى أيتها الآمال فى تضليل العقول وتسفيه الأحلام ، واجتهدى فى التغرير بالناس ، منتهزةً غفلة الحق عنهم و إبقاء الموت عليهم . اجتهدى فى هذا وجدّى فى ذاك ، فقد بلغتِ الأمْر الذى أردته ، وأدركتِ الغاية التى ابتغيتها ، واستقاد لك الناس فسرَوْا فى ظُلمة الباطل يترسّمون خَطْوك ، ويتنوّرون نارك ، حتى إذا ما انْمَحتْ هذه الظُّلم ، وأدْبر ذلك الليل ، وبدا صباح الحق أبلجَ وضّاحًا ، حمدوا السُّرى ، واطمأنوا إلى غاية ليس بينها وبين ما كانوا يؤمّلون إلا ما بين الموت والحياة من الاختلاف .

٢ (بَنُو آدمٍ يَطْلُبُونَ الثَّرا ءَ عِنْدَ الثُّريَّا وَعِنْدَ الثَّرَى)

٣ (فَتًى زَارِعٌ وفَتًى دَارِعٌ كِلا الرَّجُلَيْنِ غَدَا فَامْتَرَى)

٤ (فَهَذَا بِعَيْنٍ وزَاىٍ يَرُوحُ وذَاكَ يَؤُوبُ بِضَادٍ وَرَا)

٥ (وعَامِلُ قُوتٍ ذَرَا حَبَّهُ وَخِدْنُ رِكَازٍ ضَحَا فَاذَّرَى)

الثريا : نجم ، وقد مرّ[1] . وأقام «الثريا» و«الثرى» مثلين للكثرة الكثيرة التى تفوت العد ، كما قد يكون أقام الأولى للجاه والرفعة ، والثانية للعين والنّشب . وأرجع « الدارع » للأولى، و « الزارع » للثانية، على التقسيم دون الترتيب .

والدارع : ذو الدرع ، على النسب ، كما قالوا : لابن ، وتامر . فأما قولهم : مدرَّع ، فعلى وضع لفظ المفعول موضع لفظ الفاعل .

والأصل فى «الامتراء» : استخراج الحالب اللّبن من الضّرع بحيلة وتلطّف . وكذلك الرّزق يعوزه الترفّق والتدبّر . و « بعين وزاى » أى عزّ . والرواح : السير بالعشىّ . راح يرُوح رَواحاً . نقيض : غداً يغدو غدوًّا . ومثله « الإياب » على رأى من قال : إنه لا يكون إلاّ مع الليل . ذلك الأصل فى الفعلين : « الرواح

---

(١) شرح البيت الخامس من اللزومية ١٦ ص ١٢١ من هذا الجزء .

والإياب ». وأراد أبو العلاء مطلق الرجوع والانصراف عن الشيء. وأراد « بضاد وراء » أي ضر، وهكذا عقبي الساعين، بين عزّ وضُر.

و«عامل قوت»، أي ساع لما يقُوته ويقُيم أوَده. وذَرَا الحبّ يَذْرُوه: نثره. شبّهه بذَرْى الريح للتُّراب، فمع كليهما البعثرة والتّشتيت.

والخدن: الذي يكون معك في كل أمر ظاهر و باطن.

والرِّكاز: كنوز الأرض من ذهب وفضة. وقيل: هو الدَّفين من ذلك.

وخِدْن الرِّكاز: المولَه بالذهب والفضة المَفْتون بجمعهما. وضَحا، أي برز وظهر. والضَّمير المستكنّ فيه « للرّكاز». واذّرى، أي تبدّد وتشتّت، الأصل فيه: ازدرى، قُلبت « تاء الافتعال » دالا، وهي تُقلب دالا، إذا وقعت بعد دال أو ذال أو زاي. ويجوز في نحو « اذ دكر » قلب الذال دالاً، أو الدال ذالاً، فتقول: ادّكر، واذّكر، ومثلها: اذّرى؛ ويجوز أيضاً: ادّرى.

يقول: إيه يا بني آدم، ما أطولَ آمالَكم! وأقصر آجالكم! ما أشدّ طمعكم! وأقلّ نُجْحكم! إنكم لتطلبون الثَّروةَ من نجوم السماء، وغُضُون الأرض، وإنكم لتسلُكون إليها مختلف الطُّرق، وتَذْهبون فيها شَتّى المذاهب، ثم لاتؤوبُون إلاّ باليأس والقُنوط. قَدْكُمُ من هذا الجهل فإنه ضائع! قَطْكُم من هذا الجدّ فإنه لَغو! ذلكم زَارِع يَقْلب الأرض ليستخرج أثمارَها، وهذا دارع يُغيرُ بقوّته على الحُصون والقِلاع؛ والسَّعىُ من الرجلين ضَائع، والحظُّ فيهما متحكِّم. فربما عاد الدَّارع ذليلا بعد العزة، وآبَ الزارع فقيراً بعد الثَّروة، وحَكَمَ الحظ فأمضى: حَكَم لهذا حَبَّاتٍ من الشَّعير يُقِمْنَ أوَده، ولذلك شَذَراتٍ من تِبْرِ الأرض ووَرِقها يَقْضين حاجَه ويَفْضُلن عليه.

٦ (وكُورُكَ فَوْقَ طَوِيلِ المَطاَ وسَرْجُكَ فَوْقَ شَدِيدِ القَرَا)

٧ (ويُجْرِى ذَفارِيَها جِــــدُّها بِمِثْلِ الظَّـلَامِ إذا ما جَرَى)

٨ (كأَنَّ بُصاقَ الدَّبَى فَوْقَها إذَا وَقَدَتْ فِى الأُنُوف البُرَا)

٩ (وذَلِكَ مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِها يُضَاعِفُه حَرُّ يَوْمٍ جَرَى)

الـكور، بالضم : الرَّحل، وقيل : الرحل بأداته . والجمعُ: أَكوار وأَكْوُر . والـكثير: كُوران وكُؤور. والمَطا : الظَّهر ، لامتداده . والسَّرْجُ : رحْل الدابة ، والقَرَى: الظهر . وقيل: وسطه. وتَثنيتُهُ: قَرَيان ، وقَروان. والجمعأَقْراء ،وقِرْوان. قال الهُذلى : يصف الضَّبُع :

إذا نفَشَتْ قِرْوانَهـا وتَلفَّتت أَشَبَّ بها الشُّعْرُ الصُّدورِ القَراهبُ

أراد « بالقراهب » أولادها .

ويُجرى: يُسيل . والذَّفارى: جمع ذِفرى ، وهى العظم الشاخص خلف الأذن. وقيل : هى من لَدُن المَقذّ إلى نصف القَذال ، من النّاس ومن جميع الدّواب ، وهى أول ما يَعرق من البعير . وجِدُّها ، أى متابعتها السَّير واجتهادها فيه . و بـ«ـمثل الظلام » ، أى بعرق مثل الظلام ، وذلك لأُختلاطه بالغبار . والدَّبَى: الجرادُ أصغر ما يكون ، والنَّمل . ويُضرب المثل ببصاقه لكل ما دَقّ وضؤُل ، فى كثرة وانتشار .

ووَقدت : أى كان لها مثل وَقْد النار لَسْعاً وضُرًّا . والبُرَى : جمع البُرَة ، وهى الحلْقة تكون من صُفْر أو غيره ، تُجعل فى لحم أنف البعير . يُشير إلى ما يطفو على جَسدها من زَبَد ، وقد حثَّها على السير وَقْدُ البُرى فى أنوافها ، ثم حرُّ الأنفاس والقَيْظ ، اللذين ذكرهما فى البيت التاسع .

وجَرى ، أى امتدَّ وانْتَشر ، وقد يكون المراد : جرت فيه وسارت . و بين كلمة « جرى » هنا و « جرى » السابقة ، إيطاء ، وقد مرّ شرحه(١) . وهو هنا جائز على رأى من يُبرّره حين يختلف معنى الكلمتين المتفقتين لفظاً . و « يجرى » الأولى ، فيها معنى السَّيلان ، وهذه فيها معنى الجَرْى والسَّير .

يقول : أشدُد أيها الجاهد فى طلب الثَّروة رَحْلكَ على ما شئتَ من عَنْس طويلة المَطَا ، شديدة القُوى ، أوْ ضَعْ سَرْجَك على ما أحببتَ من طِرْفٍ أيِّدٍ شديد القَرَى ؛ ثم اجهد ناقَتك فى الأسفار ، وفَرسك فى الإغارات ؛ وعُدْ بهما كليلتَيْن قد أنضاهما الجدّ ، وأكلَّهما الحدّ ؛ وقد سال عليهما من عرقهما مثلُ الظُّلمة السَّحماء ، وانتشر على جسميهما بُصاق الدَّبى . لا تَستطيعان حركة ولا تُعطيان نائلا . قد ذهب الأَيْن بجدّهما وحدّهما ، وقد ذهب بما فيك من قوة ، ومحا ما فيك من نشاط . افْعل ما شئْتَ من ذلك ، فلن تعود إلّا بالخيبة ، ولن ترجع إلا بالإخفاق .

١٠ (تَلُومُ عَلَى أُمِّ دَفْرٍ أَخَاكَ ... وَرَاءَكَ إنّ هَوًى قَدْ وَرَى)

١١ (عَهِدْتُك تُشْبِهُ سِيدَ الضَّرَاءِ ... ولَسْتَ مُشَابِهَ لَيْثِ الشَّرَى)

١٢ (تَدِبُّ فإِنْ وُجِدَتْ خُلْسةٌ ... فَيَا لِلسُّلَيْكِ أوِ الشَّنْفَرَى)

أُم دَفْر، من أسماء الدواهى. وقيل: هى الدنيا. و بكليهما يتّجه المعنى: و«الوراء» يكون لخلف ولقدّام ، وقد جاء مَقصوراً فى الشعر . قال الشاعر :

تَقَـــاذفه الرُّوّاد حتى رمَوْا به ... ورا طَرَفِ الشَّام البلادَ الأباعدَا

و«وراءك»، أى تقدَّم أو تخلّف ، على المعنيين. ووَرى ، أى اضطرم واشتعل،

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية الثامنة ص ٨٧ من هذا الجزء . وكذلك شرح البيت الثالث من اللزومية ٢٧ ص١٧٥ .

من : ورى الزَّند يَرِى ، إذا اتقد . وإذا كانت « أم دَفْر » هى الدنيا فكأنه يقول: تَلوم على حُب الدنيا أخاك، فأَقْبل عليها إقبالَه ، فقد ولَعتَ بها وَلَعه . وإن كانت « أم دفر » هى الداهية، فكأنه يقول : تَلوم على الهَلع من الداهية أخاك، فأحجم إحجامَه ، فإن تعلقَك بالحياة تعلقُه .

وعهدتُك ، أى خبرتُك وعرفتُك . والسِّيد : الذئب ، وقد يُسمَّى به الأسد . والضَّراء : الشجر الملتفّ فى الوادى ؛ وقيل : ما وراءك من أرض فهى الضَّراء ، وما وراءك من شجر فهو الخمَر . يُشير إلى المَثل : « هو يدبّ له الضَّراء ويمشى له الخمر » . أى خاتَله ومكر به وخدعه . وهو من طباع الذئاب . والشَّرى : موضع بعينه تُنسب إليه الأُسد .

والدَّبيب : أن تمشى رُويداً على هِينة لم تُسرع ، وهكذا يفعل الخاتل . والخُلْسة : النُّهزة والفُرصة . والسُّليك ، هو ابن عُمير بن يثربىّ السعدىّ التّميمى . والسُّلكة: أُمه، وإليها يُنسب ، فاتك عدَّاء شاعر جاهلىّ. والشَّنْفرى ، هو عمرو ابن مالك الأزدى، من خُتّال العرب وعدّائيهم . شاعر جاهلىّ يمانىّ. وهوصاحب لاميّة العرب ، التى مَطلعها :

أقيموا بنى أُمِّى صُدورَ مطيّكم فإنّى إلى قوم سواكم لأَمْيَلُ

و« يا» ، هنا، للاستغاثة، و«لِلسُّليك»، بلام مكسورة، إذ هو المُستغاث لأجله. والمستغاث به محذوف للعموم والكلام على إظهار الأسَى والترحّم ، أى أين منها السُّليك والشَّنفرى ! وهما من المعدودين فى هذا المَيدان .

يقول : لمن أنصح ! وبمن أهيب ! وعلى من ألوم ! لن يَنفع النُّصح ولن يُجدى الزجر ولن يُفيد اللوم ، غريزةٌ فى الناس ثابتة ، وطبيعة عليهم حاكمة ؛ فُطِرُوا على حُبِّ الدُّنيا ، ووَرِثوا عن آبائهم الغُلوَّ فيه . لا تعذُل أخاك فى هذا العشق، ولا تَلُمه على هذا الُحب ، فكلاكما فيه سواء، ورثتماه عن آبائكما، وورّثتماه

أبناءكما. إنما أنتما فيه أشبه بالذئاب خُبثاً وسُوء نيّة، منكما بالأُسود شجاعةً وصدق إقدام. والدنيا خادعة ماكرة، ومحتالة ماهرة، تَدِبّ دبيبَ الشَّيخ، وتَدْرج دُروج الطِّفل، حَذِرة مستأنية، حتى إذا لمحت مَطمعاً، أو توسّمت فريسة، فدع مهارة السُّليك وتفوّق الشَّنفرى فى الكرّ والفرّ، وفى الاختلاس والنَّدْل، وفى سوء الخلق وفساد الضمير.

١٣ (هو الشَّرُّ قَدْ عَمَّ فِى العَالَمِينَ أَهْلَ الوُهُودِ وأَهْلَ الذُّرَا)

الوُهود: جمع وهد، وهو الهوّة تكون فى الأرض. جمع مَقِيس فى فَعْل، كقَلْب وقُلوب. ولكن المعاجم أهملته. والذُّرى: جمع ذِروة، وهى من كل شىء أعلاه.

يقول: لقد علّمَتْكم فأحسنت تعليمكم، وغذتكم فأحسنت غذاءكم؛ فليس فيكم مَن هو من الشر برىء، ومِن دَنَس الرذيلة نقىّ، سواء فى الشر والرذيلة أهل السهل والجبل، وسكّان الوِهاد والذُّرا؛ لا يردّهم عنه رادٌّ، ولا يَردعهم عنه رادع.

١٤ (لِيفْتَنَّ فِى صَمْتِهِ نَاسِكٌ إِذَا افْتَنَّ فِيمَا يَقُولُ الوَرَى)

افتن، جاء بالأفانين وتوسّع وتصرّف. والوَرَى: الخلق؛ تقول العرب: ما أدرى، أى الورى هو؟ أىْ: أىّ الخلق هو؟ قال ذو الرّمة:

وكائنْ ذَعرْنَا مِن مَهاةٍ ورامحٍ بلادُ الوَرَى ليستْ له ببِــلادِ

وقال ابنُ جِنِّى: لا يُستعمل «الورى» إلا فى النَّفى. والذى سوَّغ لذى الرّمة استعمالَه، أنّه فى معنى المنفىّ، كأنه قال: ليست بلاد الورى له ببلاد.

يقول : ألاَ لو أنصفَ الحكيمُ نفْسَه لطلب الصمتَ وسكن إليه ، ولافتنّ فيه افتنانَ الجاهل المَغرور فى النطق بما فى الحياة من زُخْرف، وما فى العالم من أسماء.

١٥ (فَكَنَّوْا صَبُوحِيَّةَ الشُّرْبِ أُمَّ لَيْلَى ومَكَّةَ أُمَّ القُرَى)

١٦ (وقَالُوا بَدَا المُشْتَرِى فِى الظَّلَامِ فَيَا لَيْتَ شِعْرِىَ ماذَا اشْتَرَى)

الكُنية ، على ثلاثة أوجه : أحدها أن يُكنى عن الشيء الذى يُستفحش ذِكْره ، والثانى أن يُكنى الرجل باُسمٍ توقيراً وتَعْظيما ، والثالث أن تقوم الكنية مقامَ الاسم فيُعرف صاحبُها بها كما يعرف باُسمه . والفِعل : كَنَيت ، وكَنوت ، وأكنيت، وكنّيت .

قال الليث : أهل البصرة يقولون : فلان يُكْنى بأبى عبد الله . ويقول غيرهم : فلان يُكنى بعبد الله .

وقال الجوهرى : لا تَقُل : يُكْنى بعبد الله . وقال الفَرّاء : أفصح اللُّغات أن تقول : كُنِّىَ أخوك بعمرو . والثانية : كُنّى أخوك بأبى عمرو. والثالثة : كُنِّى أخوك أبا عمرو .

والصَّبوحيّة : نسبة إلى الصَّبوح . وهو ما يُشرب بالغَداة فما دون القائلة ، والتأنيث على إرادة الخمر ، والأعرف فيها التأنيث . وأُم ليلى : من أسماء الخمر . وليلى : النَّشوة . فكأن الخمر أُم النَّشوة وأصلها . وسُمِّيت « مكة » أم القرى، لأنها تَوسَّطت الأرضَ فيما زعموا ؛ وقيل : لأنها قِبْلة الناس يَؤُمّونها . وقيل : لأنها كانت أعظم القُرى شأناً. وكل مدينة هى أُم ما حولَها من القُرى. و«المُشترى»: أحد الكواكب السَّبعة السيّارة ؛ قيل: سُمِّى بذلك لحُسْنه، كأنه اشترى الحُسْن لنفسه ؛ وقيل: لأنه نَجْم الشِّراء والبَيع، ودليل الرِّبح والمال . و«ليت شعرى» ، أى

ليت عِلْمى ، أو ليتنى علمت . وعن الكِسَائىّ : ليت شعرى لفلان ما صَنع ! وليت شعرى عن فلان ما صنع ! وليت شعرى فلاناً ما صنع ! وفى الحديث : « ليت شعرى ما صَنع فلان ! » ، أى ليت علمى حاضرٌ أو مُحيط بما صَنَع ، فحذف الخبر .

يقول : إيه أيتها العُقول الضالَّة ! ضَعِى ما شِئْتِ من الأسماء ، فلن تُجْدِى عليك شيئاً . سَمُّوا الخمر أُم لَيْلى ، وسَمُّوا مكة أُمّ القُرى . فما أنتم فى ذلك إلاَّ كاذبون . ما أرى الخمر وَلَدت ليلى ، وما أعرف مكةَ ولدت القُرى . سمُّوا هذا النَّجم الطالعَ فى السماء بالمُشترى ، فما أنتم فى ذلك إلاّ مُختلقون . فهل تُنْبِئوننى ماذا اشْترى هذا النجْم وماذا باع ؟ كلاّ ، إنْ هى إلا أسماء سمَّيْتُموها أنتم وآباؤكم ، لا تَعْلمون لها مَصدرًا ، ولا تُريدون بها غاية .

١٧ (وَتَرْجُو الرَّبَاحَ وأَيْنَ الرَّبَاحُ ونَعْتُكَ فِى نَفْسِكَ الْخَيْسَرَى)

الرَّباح والرِّبْح والرِّبَح : النَّماء فى التجارة . والعرب تقول للرّجل ، إذا دخل فى التجارة : بالرَّباح والسَّماح . والخَيْسرى : الخاسر ، وهو الذى ذهب ماله ، الياء فيه زائدة . وفى بعض الأسجاع : بِفِيه البُرَى ، وحُمَّى خَيْبرى ، وشَرُّ ما يُرى ، فإنه خَيْسرى .

وهى أيضاً بمعنى الضَّلال والهلاك ، كالخَسار والخَسارة . و « نعتك فى نفسك . . » أى إن الخسار من دَيدنه . وظاهر أنه يُشير إلى الآية الكريمة : (والْعَصْرِ إنَّ الإنْسانَ لَفِى خُسْرٍ) .

يقول : أنتظروا الرِّبح فلن تربحوا إلا الخُسران ، وأَمَّلوا الظَّفَر فلن تَظْفروا إلا بالخَيْبة . أنخدعوا بالأسماء ، فإن ضَعْف عُقولكم لم يُعْدِدْكم إلاّ لذلك ، ولم يُهيئكم إلاّ له .

١٨ (عَذِيرَىَ مِنْ مَارِدٍ فَاجِرٍ تَقَرَّأَ والمُخزِيَاتِ ٱفْتَرَى)

العذير : النَّصير والعاذر ؛ يقال : عذيرَك من فلان ، بالنَّصب ، أى هاتِ من يَعْذِرك . وعَذيرى مِن فلان ، أى من يعذرنى، فَعيل بمعنى فاعل . ونصبه على إضمار : هلمَّ معذرتك إيّاى ، أو معذرتى إياك . والمارد : العاتى الشَّديد . وقيل : الذى بلغ الغاية التى تخرجه من جُملة ما عليه صِنْفُه . وتقرّأ : تَنسَّك وتفقّه .

يقول : عَذِيرى من هذا المارد الغالى فى مُروده ، أو الفاجر المُغْرِق فى فُجوره ؛ يتقرّأ ويدّعى النسك، ويتزهّد ويَنتحل الدين . وما أراه إلا مُتتبِّعاً للمُخزيات ، متطلباً للآثام ، مُستبطناً للكفر والنِّفاق .

١٩ (فَهوِّنْ عَلَيْكَ لِقَاءَ المَنُونِ وقُلْ حِينَ تُطْرِقُ أَطْرِقْ كَرَا)

٢٠ (ونَادِ إِذَا أَوْعَدَتْكَ ٱعْتَرِى فَصبْراً على الْحُكْمِ لمّا اعْتَرَى)

٢١ (ونَفْسِى تُرَجِّى كإِحْدَى النُّفُوسِ وتُذْرِى النَّوائِبُ سُكْنَ الذُّرَى)

٢٢ (وكَمْ نَزَلَ القَيْلُ عَنْ مِنْبَرٍ فعَادَ إلى عُنْصُرٍ فى الثَّرَى)

٢٣ (وأُخْرِجَ عن مُلْكِه عَارِياً وخَلَّفَ مَمْلَكَةً بالعَرَا)

المَنون : الموت ، لأنه يمُن كلَّ شىء ، يُضعفه ويَنقصه ويقطعه ، يذكَّر ويؤنث ؛ فمن أنّث حمل على المنيّة ، ومن ذكَّر حمل على الموت . والإطراق : الاسترخاء فى الجفون .

وقبل : هو السكوت عامّة . يُريد به على الحالين غمضة الموت وصَمْتته . والكرا : الكروان نفسه . وقيل : هو الذَّكر ، والأنثى كروانة .

ويقال : أَطْرِق كَرَا، إنَّك لن تُرى . يَصيدونه بهذه الكلمة ، فإذا سمعها يَلْبَد فى الأرض فيُلْقَى عليه ثوب فيصاد . ويُشير إلى المثل : أطرق كَرَا، إن النعام فى القُرى . يُضرب للمُعجب بنفسه ، كما يقال : فغُض الطَّرف .

وقال أحمد بن عُبيد : يضرب للرجل الحقير إذا تكلّم فى الموضع الذى لا يُشبهه ، فيقال له : اسكت يا حقير ، فإن الأجلاّء أولى بهذا الكلام منك . ويُشبه الكروان بالذَّليل، والنَّعام بالأعزة . ومعنى « أطرق » أى غُضّ ما دام عزيز ، فإياك أن تنطق أيها الذليل . وقيل : يضرب مثلا للرجل يُخدَع بكلام يُلطَّف له ويُراد به الغائلة . وقيل : يضرب للرجل يُتكلَّم عنده بكلام فيظُنّ أنه هو المراد بالكلام . أى اسكت فإنى أريد من هو أنبل منك وأرفع منزلة .

والوعد، فى الخير والشر. وقال ابن سِيده: فى الخير: الوعد، والعدة؛ وفى الشر: الإيعاد ، والوعيد . فإذا قالوا : أوعدته بالشر ، أثبتوا الألف مع الباء . وأنشد لبعض الرجّاز :

أَوْعدنى بالسِّجن والأَدَاهِمِ رِجْلى ورِجْلى شَثْنة المَناسِمِ

أى أوعدنى بالسجن ورجلى بالأداهم . وقال الأزهرىّ : كلام العرب : وعدت الرجل خيراً ، ووعدته شرًّا، وأوعدته خيرًا، وأَوعدته شرًّا ؛ فإذا لم يذكروا الخير، قالوا : وعدته، ولم يدخلوا الباء ، وإذا لم يذكروا الشر، قالوا : أوعدته ، ولم يسقطوا الألف . وإذا أدخلوا الباء لم يكن إلا فى الشر .

واعْترِى ، إمّا أن يكون أمراً ، من « اعترى » « يعترى » بمعنى : غَشِى وأصاب ، أى ألِمّى بى فإنى لا أخافك . وإمّا أن يكون « من عَتر الرمح يعتر » إذا اشتدّ واضطرب واُهتزّ ، وذلك حين الهياج والصَّولة ، أى توعّدى ولوّحى فإنى لا أباليك. وإما أن يكون من « العتر » الذى هو الذبح ، أى أجهزى علىّ إن شئت .

ورجِّى: توقَّع وأمِّل . قال بِشْر يُخاطب ابنتَه :

فرجِّى الخيرَ وانتظرى إيابِى إذا ما القارظُ العَنَزِىّ آبا

والازدراء ، فى الأصل : الإلقاء والطرح . قال ابنُ أحمر يصف الرِّيح :

لها مُنْخُل تُذْرِى إذا عَصفتْ به أهابِىَ سَفسَافٍ من التُّرب تَوْأمِ

أى تُسقط وتَطرح ، إذ المنْخل لا يرفع شيئاً إنما يُسقِط مادقّ ويُمسك ماجلّ . ومنه : أذرت الدابةُ راكبَها ، إذا صرعته ؛ والعينُ الدّمع ، إذا صبَّته .

والسَّكْن ، بالفتح : جمع ساكن ، كصَحْب وصاحب . والذُّرى : جمع ذِرْوة ، وهى من كل شىء أعلاه .

والقَيْل : الملك من ملوك حِمْير يتقيَّل مَن قَبْله من ملوكهم ، أى يُشبهه . والجمع : أقيال وقُيول . وقال ثعلب : الأقيال : الملوك ، من غير أن يَخُص بها ملوكَ حِمْير .

والعراء ، بالمدّ وقُصِر للشعْر : الأرض المستوية المُصْحِرة ، ليس بها شجر ولا جبال ولا آكام ، وهى فضاء الأرض . أمّا « العراء » الذى أصله القصر ، فهو الناحية ، وليس مراداً هنا .

يقول : أيها الحكيم الحازم ، أرْبأ بنفسك أن تحبّ هذه الحياة ، فما فيها خير ؛ أو تحرص على عشرة أهلها ، فما يُرجى لهم صلاح . هوِّن على نفسك لقاءَ الموت ، فإنّ خُشُونته وغِلْظته ألينُ مَسًّا من نُعومة الحياة ورقّتها . وَطِّنْها عليه وهيِّئها له ، فإنما أنت سالكٌ سبيلَ أمثالك الذين مضَوْا ، وتابعٌ نَهجَ أقرانك الذين دَرَجُوا . كم خَبَّرك التاريخ عن قَيْل دانَتْ له العُروش ، وانقادت له المنابر ! ثم أسلمته عِزَّته وقُوته إلى التُّراب ، فخالطه وفَنِىَ فيه . مضَى لم ينفعه مُلْكه ، ولم يَتْبَعه سُلطانه ؛ بل أقام فى ظُلمة قبره عارياً من كل شىء ، أعزلَ من كل سلاح ، وخلّف دولته الضَّخْمة ، وعزَّته القعْساء بالعَراء .

٢٤ (إذَا الضَّيْفُ جَاءكَ فابْسِمْ لَهُ وقَرِّبْ إليْه وَشيكَ القِرَى)

٢٥ (ولا تَحْقِرِ المُزْدَرَى فى العُيُونِ فَكَمْ نَفَعَ الهَيِّنُ المُزْدَرَى)

٢٦ (ولا تَحْمِلِ البُزْلُ تِلْكَ الوُسُو قَ إلّا بأَزْرَارِها والعُرَا)

البَسْم: أَقلّ الضحك. قال اللَّيث: بَسم يَبْسِم، إذا فتح شفتَيه كالمُكاشِر. والوشيك: السريع. والقِرَى: الضيافة. قَرى الضيفَ قِرًى وقِرَاء: أضافه. والبُزْل، بضمَّتين وسُكِّن للشعر: جمع بَزول، وهو كالبازل: البعير فطر نابُه، أى انشقّ، وذلك فى السنة التاسعة، وربما بَزل فى السنة الثامنة.

والوُسوق: جمع وَسْق، وهو العِدل، وقيل: العِدْلان. وقيل: هو الحِمل عامة. وقال الخليل: الوَسْق: حِمل البعير؛ والوِقر: حِمْل البغل أو الحمار.

والأزرار، واحدها زِرّ، وهو ما تُشدّ به الأستار والقمصان ونحوها. والعروة. مدخل الزِّر.

يقول: أُرغب فى الموت وأُبتدره بفعل الخير، ولْيكُن حظُّك من هذه الحياة الإحسانَ إلى أهلها والتطوُّل عليهم؛ أَقْرِ ضَيْفَهم إنْ نزل بك، أقْره بأول ما تَلقاه لا تتربَّص به ما ليس عندك، ولا تُكبره على ما فى يدك. لا تَزْدر شيئاً من القُوت؛ فربّ مُزْدَرًى نفع، وربَّ مُحتقر أفاد. إنّ فى هذا القوت، الذى تَمقُته وتُصغِره أن تقدِّمه إلى ضَيفك، لبلاغاً لهذا الضَّيف من جوع ربما مَزَّق أحشاءه، وتَعِلّةً له عن ألم ربما لم يُطِقْ له حملا. وأين تَقع العُرَا والأزرار بما أُوتيتْ البُزْلُ من قُوة وما مُنحت من أَيْد! ولكنّها مع ذلك مُحْتَاجة إليها لا تستطيع أن تقِلّ حِملاً، ولا أن ترفع ثِقْلا إلا بها. وليس يُحتقَر الشيء لِضعة مكانه، ولا يُعظَّم لارتفاع قَدْره؛ ينبغى أن يقدَّر ذلك بمكانه من حاجة الناس إليه، وتَوقُّف مصالحهم عليه.

٢٧ (أَجَلْ خَزَرَتْنِيَ وَثَّابَةٌ سِوَاهَا الَّتِي مَشَتِ الْخَيْزَرَى)
٢٨ (فَإِنَّ سَرَاءَ اللَّيَالِي رَمَى أَوَانَ شَبِيبَتِنَا فَانْسَرَى)

أَجل ، بمعنى نعم . قال الأخفش : إلا أنه أَحسن من « نعم » فى التصديق ، و « نعم » أَحسن منه فى الاستفهام . و« أَجل » تصديق لخبر يُخبرك به صاحبك ، فيقول : فَعل ذلك . فتصدِّقه بقولك له : أَجل . وأما « نعم » فهو جواب المستفهم بكلام لا جَحد فيه ، تقول له : هل صلَّيتَ ؟ فيقول : نعم . فهو جواب المُستفهم .

والخَزَر : النَّظَر بلحاظ العين ومُؤْخرها ، يكون خِلقة ويكون تَداهياً . والوَثْب : الطَّفر . والوثَّابة ، مبالغة منه . يريد بها الدُّنيا الكثيرة النَّزوان والعُدوان ، مع مُباغتة ومفاجأة . والخَيْزرى : مِشية فيها ظَلع وتفكّك وتبختُر ، ومثلها الخوزرى ، والخيزلى ، والخوزلى . قال عُروة بن الوَرد :

والنَّاشِئات الماشيات الخَيْزَرى كعُنُق الآرامِ أَوفىَ أَو صَرَى (١)

أَى لغير الحياة الرِّفقُ والمُلاينة . و« السّرا » : جمع سُرْوة . بالضم والكسر ، وهى السَّهم الصغير القصير ، وقيل : هى سهم عريض النَّصْل طويله . وقال أبو حنيفة : السّروة : نصْلٌ كأنه مِخيط أو مِسلة . وتجمع أيضاً على « سُرَى » بضم السِّين وكسرها . قال النمِر بن تَوْلَب :

وقد رَمَى بُسراه اليومَ مُعتمداً فى المَنْكِبين وفى السَّاقين والرّقبه

والأوان ، بالفتح والكسر : الحِين والزّمان ، ولم يُعَلّ « الإوان » لأنه ليس بمصدر .

والشبيبة : الاسم من : شَبَّ يَشُبّ ، وهو خلاف الشَّيب . وانسرى ، أى انكشف وانْتُزع ، يقال : سرَى الثوبَ ، إذا نزعه وكشفه ، فانسرى .

---

(١) أوفى : أشرف . وصرى : رفع رأسه .

يقول : أجل ، لقد بالغْنا فى حُب الدنيا و إكبارها حتى أَطمعناها فى أنفسنا ، فَشَزَرَتْنا محتقرةً لنا،ونظرتنا زارِيةً علينا، وهى أحقُّ أن تُحقر وأجدر أن تُزدرى، فليس فيها شىء يَحْسُنُ بالعاقل حرصه عليه أو رغبته فيه . لذَّاتها نائية ، وآلامُها دانية ، خيرها قليل ، وشرّها كثير، والسعادة فيها غير باقية ، والشقاء بها لا يزول . أَوَليس أجمل الأشياء فيها عصر الشَّباب الذى يحمل إلينا من اللذّات ألواناً، ومن النّعمة فنوناً ! فكيف ترى ثباتَه لنِضالها ، و بقاءه أمام نِبالها ؟ أو ليست تتَّخِذُه غَرَضا فلا تزال بِجِدَّته حتى تَبْلى ، و بنَضْرته حتى تَذْوِى، و بجماله حتى يَزُول !

٢٩ (وَنَوْمِىَ مَوْتٌ قَرِيبُ النُّشُورِ   وَمَوْتِىَ نَوْمٌ طَوِيلُ الكَرَى)

النُّشور : البعث بعد الموت . والكرى : النَّوم والنُّعاس .

يقول : نُحب الحياة ونكره الموت ، وما أعرف لشىء من ذلك سَببا . لقد عرفْنا سرَّ الحياة وضُرّها ، وأرى أنّا لا نكره الموت إلاَّ لجهلنا إياه وغَفْلتنا عنه ، وأنّنا لم نَذُق طَعْمه ولم نَبْلُ ثمره . بلى ، لقد ذُقْناه ، فما ألَذَّه ! وبَلَوناه ، فما أحلى جَناه ! وأىّ فَرْق بين الموت والنَّوم، إلاَّ قِصَرُ هذا وطول ذاك! وأىّ خلاف بين رَقْدة القبر ورَقْدة السَّرير ، إلاّ أنّ هذه راحَةٌ مؤقَّتة تَنْسخها آلامُ اليَقَظة ، وتلك راحةٌ خالدة لاَ يَنْسخها شَقاء الحياة !

٣٠ (نُؤَمِّلُ خَالِقَنَا إنَّنَا   صَرِينَا لِنَشْرَبَ ذَاكَ الصَّرَى)

٣١ (سَوَاءٌ عَلَىَّ إذا مَا هَلَكْتُ   مَنْ شَادَ مَكْرُمَتِى أَوْ زَرَى)

٣٢ (فَأَوْدَى فُلَانٌ بِسُقْمٍ أَضَرَّ   وَأَوْدَى فُلَانٌ بِعِرْقٍ ضَرَى)

٣٣ (أَبِالنَّبْلِ أُدْرِكَ أَمْ بِالرِّمَا   حِ بَيْنَ أَسِنَّتِهَا والسُّرَى)

صرينا : اجتمعنا . أى وُجدنا فى الحياة . ويُقال فيه : صَرَى ، والأصل : «صَرِى» فقلبت الياء ألفاً، كما يقال: « بَقَى » فى « بَقِى ». والصَّرى : ما بقى من من اللَّبن فتغيّر وفسد طعمه . يريد به الموت الكريه المَعيف . أو لعله شبَّه الموت به ، فى أن كُلاًّ منهما شئ لا يُؤبه له . وهو بإشارته الأولى أوفق . كما قد يراد بـ « الصرى » أيضاً كَدَر الحياة ومَرارتها .

و«شَاد مَكْرُمتى » أى أشاعها وعَرّف بها وشَهّر ورفعها، والأصل فيه للبناء . يقال : شاد البناء ، وأشاده، وشَيّده ، إذا أحكمه ورَفعه . ومن المجاز : أشاد ذِكره، و بذِكْره ، إذا أشاعه . يقال فى الخير والشر ، والمدح والذم . وأفْرد به الجوهرى : الخير . فقال : أشاد بذكره ، أى رفع من قَدره . من « أشدت » البُنيان، فهو مُشاد ، إذا طَوّلته . خصُّوا بذلك الخروجِ المجازى « أشاد » دون نظيرتَيْها : « شاد » و « شيَّد » والمُجوِّز واحد . وما هنا من مستعمل أبى العَلاء .

و« أو زَرى » ، أى : أو زارها علىّ ، والمعنى : عابنى بها وعنّفنى عليها .

وأودى : هلك ، فهو مُودٍ . وفى بعض النسخ مكان « وأودى » الثانية « وأودوى » . وأدوى ، أى مرض ، والمسموع من معانى هذه الصِّيغة : أدوى الرجل ، إذا صَحِب مريضاً . وأَدوى غيرَه ، إذا أمْرضه .

وضرا ، العِرْق ، إذا نزا منه الدَّم واهتزّ ونَعر بالدم . والسّرى ، بالضم والكسر : جمع سروة ، بالضم والكسر أيضاً . وهى أدقُّ ما يكون من نِصَال السِّهام .

يقول : ألا إلى الله الملجأ وعليه المُعتمد ، فإنّا لم نُجْمَع فى هذه الدار ، ولم نُحْشَر إلى هذه الأرض، إلا لنشرب كأس الموت كَدِرَةً أو صافيَة ، لا بُدّ منها ولا مُنْصرف عنها ، نَشْربها راغمين فنجد لها مَذاقاً واحداً لا يُغيِّره اختلاف

المادة، ولا يُبدِّله تبدُّل الأجزاء . فُلان قتله المرض ، وفُلان قتله السَّيف ، وفلان أصابه الرُّمح ، وآخَر أصماه السَّهْم . كُلٌّ قد انتهت به الحياة إلى مورد واحد، لا اختلاف له ولا تفاضُل فيه .

نشربُها راغمين وإن لم نَحْمد أثرها ، فناءٌ تامٌّ ، وسُكون خالد ، وذهول عن العالم مُقيم . رِدْ حَوْض الموت مُطمئِنًّا ، واحتَس كأسه مُستريحاً ، فلن يُؤْلِمَك بعد ذلك ذَمُّ الناس لك ، ولن يُرْضيك ثناؤُهم عليك . وأنَّى لهم أن يؤلموك أو يُرضوك، وقد فُصِمت بينك وبينهم العُرا ، وتقَطعت بينك وبينهم الأسباب .

٣٤ (فَهَلْ قَامَ مِنْ جَدَثٍ مَيِّتٌ فَيُخْبِرَ عَنْ مَسْمَعٍ أَوْ مَرَى)
٣٥ (وَلَوْ هَبَّ صَدَّقَهُ مَعْشَرٌ وَقَالَ أُنَاسٌ طَغَى وَافْتَرَى)

الجدَث : القَبر . والجمع أجداث . وقد قالوا : جَدَف ، فالفاء بدل الثاء ؛ لأنهم قد أجمعوا فى الجمع على أجداث ، ولم يقولوا : أجداف . و « مَرَى » أصله مرأى ، فخَفَّف الهمزة بعد أن ألقى حركتها على الساكن الصَّحيح قبلها ، فاجتمعت ألفان ، فحذَف إحداهما لالتقاء الساكنين . ومثلُه قول الحادرة :

* بمرًى هناك من الحياة ومَسمع *

يقول : أَقْدم ولا يهولنك ما تَسمع من أخبار الغَيب وأنبائه ، فإنما هى ظُنون مُرجّمة ، وأحاديث مَنْحولة ، لم تَنتقل إليك عن ثِقة ، ولم تَبلغك عن يَقين . هل أنبأك مَيت بما بعد الموت ؟ وهل قَصّ عليك ما لقى فى قَبره من سعادة أو شقاء ؟ ومن نَعيم أو جَحيم ؟ كلا ؛ لو أنه قام من جَدثه ، وهبّ من مَرْقَده ، فأنبأنا بما رأى، وحدّثنا بما سمع ، لاختلف ظن النّاس به ورأيُهم فيه ، ولكان منهم

المُصَدِّق له والنّاعى عليه . طبيعةٌ تلك فى الناس لا تزول ، يُؤْثرون الباطل فيتجمعون عليه ، ويَحْقِرون الحقَّ فيختلفون فيه .

٣٦ (ولم يَقْرِ فى الحَوْضِ راعى السَّوا م إلّا ليُورِدَهُ ما قرَى)

قرى الماء فى الحوض، يَقْرِيه قَرْيا وقِرًى : جمعه . وحذف المفعول ، وهو الماء ، للعلم به ، والسَّوام والسائمة ، بمعنى المال الرّاعى . وقيل : هو كل ما رَعى من المال فى الفَلوات ، إذا خُلِّى وَسَوْمَه يرعى حيث شاء . والهاء فى «يورده» للحوض وما حَوى ، مفعول أوّل . و « ما » مفعول ثانٍ ، يعنى الذى جمع من الإبل .

يقول : أجل ، إنّا لم نُجْمَع إلا لنرد هذا المورد ، كما أن راعى الإبل لم يُورِدْها الحوضَ ، ولم يَعْرِضها عليه، إلاّ لتَشرب منه وترتوى من مائه .

٣٧ (أَفِرُّ وَمَا فَرَأٌ نَافِرٌ بمُعْتَصِمٍ مِنْ قَضَاءٍ فَرَى)

الفرأ ، مهموز مقصور ، ويُمدّ : حِمار الوَحْش. وقيل : الفتىّ منها . وفى المثل: « كل الصَّيد فى جوف الفرا » لأن كل صَيْد أَقلّ من الحمار الوحشىّ ، فكل صَيد لصغره يدخل فى جوف الحِمار .

والفَرْى ، فى الأصل : القَطع والشقّ . واختُلِف ، هل هو للتَّقدير والإصلاح، أم للإفساد ؛ فقال أهل اللغة : « فرى » للإفساد، و « أفرى » للإصلاح . تقول: فرى ، إذا شقّ وأفسد . وأفراه : أصلحه ، أو أمر بإصلاحه ، كأنه دفع عنه ما لحقه من آفة الفرى وخَلله ، وقيل : أفراه : شقّه وأفسده وقَطعه . فإذا أَردتَ أنه قَدَّره وقطعه للإصلاح، قلت : فَراه . ومعنى أبى العلاء من الأول ؛ لأن الموت مُبيد مُبير .

يقول : أَقْدِم على الموت فليس لك عنه مفرّ ، ولا منه مُعْتصم ، وأنَّى لهذا الفرَأ الفتىّ ، قد اشتدّ به المَرح ، وعَظُم فيه الحِرْص على الحياة ، أَنْ يَنْجو من سَهم أرسله إليه القَدَر ، وأتاحه له القضاء .

٣٨ (أَحِنُّ إِلَى أَمَلٍ فَاتَنِى وَمَا لِلشَّبُوبِ وعَيْشِ الفَرَا)

الشَّبُوب والشَّبَب : المُسِنّ من ثيران الوحش الذى انتهى إسْنانه ؛ أو هو الذى انتهى شَباباً . وقيل: هو الذى انتهى تمامُه وذكاؤه. والأنثى، شَبوب، بغير هاء . وقال أبو عمرو : القَرْهب : المُسِنّ من الثِّيران ؛ والشَّبوب : الشابّ . وليس بيت أَبى العلاء عليه . والفَرا : الفرأ ، وهو الحمار الوحشىّ ، وسُهِّل للشِّعر . وقد مر[1] .

يقول : لا تخدعنَّكَ الآمال ، ولا تَغرنّك المُنى ، ولا يملكنَّك حبُّ الحياة ؛ فإنما هى آمال مُتَقَطِّعة بك ، وأمانى مُسْلِمةٌ لك إلى الحِمام . وأنّى يُتاح للثور الهَرِم ، قد أَفْنته السِّنّ ، وتَصرّمت عنه الأيَّام ، أَنْ يعيش عِيشةَ الفرأ النَّشيط ، ذى الشَّباب والقُوة ، وذى الحِدَّة والفُتوّة !

٣٩ (مَتَى قَرْقَرَ الهَاتِفُ العِكْرِمىُّ هَيَّجَ شَوْقًا إِلَى قَرْقَرَى)

٤٠ (وقد يَفْسُدُ الفِكْرُ فى حَالَةٍ فيُوهِمُكَ الذَّرَّ قَطْرَ السُّرَى)

٤١ (سَقَاكَ المُنَى فَتَمَنَّيتَهَا وصَاغَ لَكَ الطَّيْفَ حتَّى انْبَرَى)

القَرقرة : من أصوات الحَمام . والهُتَاف ، للحمام أيضاً ، هَتفت الحمامة تهتف . والعِكرمىّ: نسبة إلى «العِكْرمة» بالتعريف، وهى الحمامة الأُنثى. وقيل: هى الأنثى من الطَّير الذى يُقال له : ساقُ حُرٍّ . وقَرْقَرى : أرض باليمامة.

---

(١) انظر شرح البيت ٣٧ من هذه اللزومية ص ٢٢٢ من هذا الجزء .

ويُشير بالبيت إلى حديث يحيى بن طالب الحنفى ، أحدِ بنى ذُهل بن الدُّئل ابن حَنيفة . وكانت له ضَيْعةٌ باليمامة يقال لها : البَرَّة العُليا ، وكان يَشْترى غلاّت السُّلطان بقَرْقرى ، وكان عظيمَ التِّجارة وكان سَخِيًّا . فأصاب الناس جَدْبٌ . فجلا أهل البادية فنزلوا قرقرى . ففرَّق يحيى بن طالب فيهم الغَلاّت . فباع عاملُ السُّلطان أملاكَه ، وعزّه الدَّينُ فهرب إلى العراق ، وكان فصيحاً . وله فى الحنين إلى قرقَرى شعر منه :

أحقًّا عبادَ الله أن لستُ ناظراً إلى قَرْقَرى يوماً وأعلامها الغُبْرِ

ومن آخر :

ألا هَلْ إلى شَمّ الخُزامَى ونَظْرة إلى قَرقَرى قَبل المَمات سَبيلُ

ويقال إنه غُنِّى بهذه الأبيات عند الرشيد ، فسأل عن قائلها ، فأُخبر . فأمر بردِّه وقَضاء دينه ، فسُئل عنه ، فقيل : إنّه مات قبل ذلك بشهر .

والوهم : أن تَذهب إلى الشىء وأنت تريد غيرَه ، وَهَم فى الشىء يَهِم ، وأوهمتَ غيرك إيهاماً . وقد ضمّن الفعل معنى « ظَنّ » التى للرُّجْحان ، فعدّاه تَعْديتَه .

والذرّ : صِغَار النَّمل ، واحدته ذَرة . وفى بعض الأصول : « الدر » بالدال .

والقطر ، بالفتح : المصدر من : قطر الإبل يقطُرها ؛ أو هو بضمّتين وسُكِّن للشِّعر ؛ ويكون على هذه جمعاً لقِطَار الإبل . وأكثر ما تسير الإبل بالليل .

والسُّرى : السَّير بالليل . يريد مقطور الإبل ، أو قُطُرها التى تَسرى ليلاً . وكذلك النمل يسرى فى قِطار . قال أبو النَّجم :

* وأقْبل النَّمــلُ قِطَاراً تَنْقُله *

يريد أن الفكر الفاسد قد يصوِّر لك الصغير كبيراً

و « سقاك » هنا ، بمعنى جعل لك ماء . قال سيبويه : سقاه وأَسقاه : جعل له ماءً ؛ فسوّى بين « فعلت » و « أفعلت » . وأن « أفعلت » غير منقولة من

« فعلت » لضرب من المعانى . وقال غيره : « سقاه » ، بالشَّفة ، و « أسقاه » : دلّه على موضع الماء . وسقاكَ المُنى ، أى جعل لك الفكرُ الفاسدُ المُنى وِرْداً مَوْرُوداً .

والطَّيف : الخيال الذى يُلِمّ مع النَّوم . والصَّوْغ : السَّبك . ويُريد . « بصوغ الطَّيف » تجسيمَه و إبرازَه مُحَسًّا مَلموساً بعد أن كان خيالاً مُتوهَّماً . وأنبرى : عَرض وبدَا .

يقول : ما أكثر تَعَرُّض عَقْل الإنسان للزَّلل ، وأستهدافَ رأيه للخَطل ! فقد يَخدعه فيُخيِّل إليه الذَّرَّ قطر الإبل جادةً فى سُراها . كذلك يفعل الضَّعفُ بنفس الإنسان ، يَسْقيها المُنى عَذْبةً ، ويُريها الآمال مُحَقَّقة ، حتى إذا جاء وقتُ اليقظة والانتباه والحِرص على أجتناء الأثمار، لكدّ الليل وكَدْح النهار، لم يَظْفر إلاّ بألم اليأس ، ولم يَنل إلا مرارة القُنوط .

٤٢ (فَلاَ تَدْنُ مِنْ جاهِلٍ آهِـلٍ لَوِ اُنْتُزِعَتْ خَمْسُه مَا دَرَى)

٤٣ (أَبَى سَيْفُه قتْلَ أَعْـــدائِهِ وسَـافَ وَليدَتَهُ أوْ هرَى)

الآهل : الذى له زَوْجة وعِيال . وفى الحديث :« إن النبى صلّى الله عليه وسلّم أَعْطى الآهِلَ حظَّين والعَزَب حَظًّا» . وخمسه ، أى خَمس أصابعه وسافَه : ضربه بالسيف. وأقام « الوليدة » مثلا لأعزّ ما يُحبّه الإنسان و يدفع عنه. يريد أن أطماع الحياة قد تُغْرى الإنسان بالعزيز عليه ، وتصرفه عن أبغض الناس إليه . وهرَاه يَهْرُوه : ضَربه بالهراوة . وهريْته ، لغة فيها .

يقول : كم تمتلىء نفسُك أبتهاجاً ! وكم يُفْعم قلبُك سُروراً ! حين تَصوغ لك الأمالُ طَيفَ الخيال ، وفيه من حَبيبتك ما أحببتَ من دَلّ فاتن ، وجَمال ساحِر، ومن لُطف خلاَّب ، وحُسن جذّاب . وكم يُؤلمك وَخز اليأس حين تُباعد اليقظة

بينك و بين هذا الخيال ! فما تفيق من نومك إلا وقد أستيقنت بأنك قد كنت في باطل ليس له من الحق نصيب . ذلك هو نصيبك من الدنيا ، فإن شئت فازهد فيه ، و إن شئت فاحرص عليه . ولكنى أنصح لك ألا تتخذ سبيلَ الجاهل الذى لا يُفرِّق بين نَفْعه وضُرّه ، ولا يُميِّز خَيره من شره . ذلك الذى يصرف سيفه عن عدوّه ليُغمده فى رأس أَحبّ الناس إليه ، وأولاهم بالمنزلة عنده ؛ وهى ابنته التى هى جُزء من نفسه ، وقطعة من قلبه . هذا الجاهل الغافل يَغتر بالحياة فيرغب فيها ، ويَعتقد أنّ حِرْصه عليها سيعصمه من فراقها ، و إنما هو فى رأيه مُضلَّل مغرور .

٤٤ (وَتَخْتَلِفُ الإِنْسُ فِى شَأْنِهَا وَأَبْعِدْ بِمَنْ بَاعَ مِمَّنْ شَرَى)
٤٥ (مُغَنِّيَـــةٌ أُعطِيَتْ مُرْغِبًا فَغَنَّتْ وَنَائِحَةٌ تُكْتَرَى)
٤٦ (وَهَاوٍ لِيُخْرِجَ مَاءَ الْقَلِيبِ وَرَاقٍ لِيَجْنِىَ نَوْلًا أَرَى)
٤٧ (فَإِنْ نَالَ شُهْدًا فَأَيْسِرْ بِهِ عَلَى أَنَّهُ بِسُقُوطٍ حَــرَى)

الإنْس : جماعةُ النَّاس ، والجمع أُناس. والأَنَس، بفتحتين ، لغة فيه . والضَّمير فى « شأنها » للحياة ، و إن لم يمرّ لها ذكر صَريح ، فالحديث عنها . و « أبعد »: إحدى صيغتى التعجُّب ، وُضِع فيها الماضى على صورة الأمر . والباء بعدها مزيدة على الفاعل . و « شَرى » للشراء وللبيع . وهى هنا للأول . ويقول الفرّاء : للعرب فى «شروا واشتروا » مذهبان ، فالأكثر منهما أن يكون : شروا : باعوا ، واشتروا : ابتاعوا . وربما جعلوهما بمعنى باعوا . والمُرْغب : من أرغبنى فى الشىء، إذا أعطانى ما أرغب فيه وأطمع . والاكتراء : الاستئجار .

والهاوى : المُهبط ، فعله : هَوَى يَهْوِى . والقليب : البئر ما كانت ، وقيل : قبل أن تُطْوى ، فإذا طُويت ، فهى الطَّوِىّ ، والجمع : أَقْلِبة ؛ والكثير : قُلُب .

وقيل : قُلُب ، فى لغة من أنَّث، وأقْـلِبة وقُلُب، جميعاً فى لُغة من ذكَّر . وراقٍ : من رَقِى يَرْقَى ، إذا صَعِد . والثَّوْل : جماعة النَّحْل ، لا واحد لها من لفظها . وأَرَت النحلُ تأرِى أرْيا : عَمِلت العسل .

والشّهد ، بالفتح والضم : العســل ما دام لم يُعصر من شمعه ، واحدته شَهدة وشُهدة ، بالفتح والضم أيضاً ، ويكسَّر على الشِّهاد . وحَرًى : خَليق ، ومثله حَرٍ ، وحَرِىٌّ . فمن قال : «حَرًى» لم يُغيِّره عن لفظه، فيما زاد على الواحد، وسوَّى بين الجِنْسين ، أعنى المذكَّر والمؤنث ، لأنه مصدر . قال الشاعر :

وهُنَّ حَرًى ألاَّ يُثِبْنك نَقْرةً وأنت حَرًى بالنار حين تُثيبُ

ومن قال : حَرٍ وحرىٌّ ، ثنىَّ وجَمع وأنَّث .

يقول : ما أشدَّ ما أَشْهَد بين الناس من الاختلاف فى طُرق الحياة والافتراق فى سُبُل العَيْش ! هذا يَبيع وهــذا يشترى ، وتلك تُغنى وهذه تنوح ، وذاك يَهوِى إلى أعماق الأرض لِيَمْتح الماءَ من جوف القَليبِ ، وصاحبُه يَصْعد فى أجواز الجوّ ليشتار العسَل من رءوس الجبال ، أشدَّ ما يكون على نفسه حَذَراً من السُّقُوط ، وأَحْرصَ ما يكون لها رغبةً فى النجاح . والكلُّ يَنْتَهُون من مَسَاعيهم المُختلفة ، ومَسالـكهم المُتشعِّبة ، إلى غاية واحدة هى الموت ، الذى لا مُنْصرف عنه ولا شكَّ فيه .

٤٨ (نَزُولُ كَمَا زَالَ أَجْـدادُنَا وَيَبْقَى الزَّمَانُ عَلَى ما تَرَى)

الزَّوال : الذهابُ والاُستحالة والاُضمحلال . زال يزول، زَوَالا، وزَوِيلاً ، وزُؤُولاً .

يقول : ألا إننا زائلون كما زال من قَبْلنا ، فَمُقَفُّون على آثارهم ومُورِّثون الأرض مَن بعدنا .

٤٩ (نَهَارٌ يُضِيءُ ولَيْـلٌ يَجِيءُ ونَجْمٌ يَغُورُ وَنَجْمٌ يُرَى)

يغور : يَغْرُب . غِيارًا ، وغُؤُورًا . وغوَّر يغوِّر ، مثله .

يقول : الزمان على حاله نهارٌ يَمُرّ بضَوْئه ، ولَيْلٌ يكرّ بظُلمته ، ونجم يَطْلُع ، وآخَر يَهْوِي مُغوِّراً . بذلك سَبقَ القَدر ، وعلى هذا استقر القضاء .

اللزومية الخامسة والثلاثون

وقال أيضاً فى الألف والنُّون ، على رأى مَن جعل الألفَ فى هذه القافية رويًّا :

١ (حَياةٌ عَناءٌ وَمَوْتٌ عَنَى فَلَيْتَ بَعِيدَ حِمَامٍ دَنَا)

العَنَاء : الضُّرّ والنَّصَب والتَّعب . وقال أبو الهَيْثم : العَنَاء : الحَبْس فى فى شدّة وذُلّ . وقيل : عنا الرجل يَعْنُو عَناء ، إذا ذلّ لك واستأسر . وبهذا كُلِّه تتَّصِفُ الحياةُ .

وعَنَى : قَصد و نَزل ؛ يُقال : عَنَت به أُمور ، أى نزلت .

وليت: ناسخ للتمنِّى ، وما يتعلق به مُستحيل الوقوع . والحِمام ، بالكسر : قضَاء الموت وقَدَره .

وبين اللفظين « عناء » و « عنى » جناس . وإيراد الماضى إمّا أن يكون على بابه ، أى وموت نازل بنا ذُقْناه وبلوناه . وإمّا أنه أقامه مقام المضارع المضمّن معنى الاستقبال لتحقق وقوع الموت .

يقول : حياةٌ تعنِّينا آلامُها ، أو موت يعذّبنا خَوفُه ، فليت ما يؤذينا مضى ، وليت ما يُخيفنا وقع .

٢ (يَدٌ صَفِرَتْ وَلَهَاةٌ ذَوَتْ ونَفْسٌ تمَنَّتْ وطَرْفٌ رَنَا)

صَفِرت: خَلَت ، تَصفر صَفرًا . وفى التهذيب : تصفرُ صُفُورة. واللَّهاة: لَحمةٌ حمراء فى الحنك معلَّقة على عُكْدة اللِّسان . والجمع : لَهَيَات ، ولَهَوات ، ولَها، ولُهِىّ، بضم اللام وكسرها ، ولِهاء . وذَوى يذوى ذَيًّا وذُوِيًّا : ذَبُلَ وضَعُفَ .

والتمنّى : تَشَهِّى حُصول الأمر المَرغوب فيه ، وحَديث النَّفْس بما يكون وما لا يكون . وقيل : التمنِّى: سؤالَ الربّ فى الحوائج .

والطَّرْف : اسم جامع للبصر ، لا يُثَنَّى ولا يُجمع ، لأنه فى الأصل مصدر . وقال الزمخشرىّ : ولو جُمع لم يُسمع فى جمعه أطراف . ورنَا يرنُو رُنُوًّا : أدام النَّظر مع سكون الطَّرف . ومنه قولُهم للفاجرة : ترْنَى ، أى يدام النَّظر إليها ؛ لأنها تُزَنّ بالرِّيبة . وكذلك قولُهم : يابن ترْنَى ، للئيم ، وهو من ذلك أيضاً .

يقول : ما ذا أحمد من الحياة ، وإنما هى أمَل يُثْمر اليأس ، ورجاء يُغِلّ القُنوط ؟ نَفْس متمنِّية للسعادة ، وعين رانية إلى النَّعيم ، ويدٌ قد أصْفرَها الفقْر وأَخلاها الشَّقاء ، ولَهاة قد أجفَّها الظَّمأ وأذْواها الصَّدى .

٣ (ومُوقِدُ نِيرانِهِ فى الدُّجَى يَرُومُ سَناءً بِرَفْعِ السَّنَى)

الدُّجى : الظُّلمة ، وسواد الليل مع غَيْم ، وألاَّ ترَى نجماً ولا قمراً . وقيل: هو إذا ألبَسَ كلَّ شىء ، وليس هو من الظُّلمة . واحدتُها : دُجية . قال ابنُ جِنِّى : وليس من « دجا يدجو » ولكنه فى معناه . وقال غيره : هذه الكلمةُ واويَّة ويائية بتقارب المعْنَى . وقالوا : ليلة دُجًى ، وليالٍ دُجًى ، لا يُجمع لأنه مَصدر وُصِف به .

يُشير بهذا الشَّطر إلى ما عُرف عن كُرماء العرب من إشعال النَّار بالليل ليقْصِدَ إليهم العافون . والسَّناء ، بالمد : المجد والشَّرف ؛ و بالقصْر : ضوء النَّار والبرْق . ويُثَنَّى : سَنَوان . ولم يعرف الأصمعىُّ له فِعْلا . وقال غيرهُ : سَنا البرقُ : أضاء ؛ وأسْنَى النَّارَ : رَفَعَ سناها . واستناها : نظر إلى سَناها . ومن « السناء » : سَنا إلى المعالى . وسَنُوَفى حَسَبه ، أى ارتفَع . وكذلك سَنِيَ يَسْنَى .

يقول : لشدَّ ما أشهد فى هذه الحياة من تلوّن ! ولشدّ ما أرى فيها من خداع أُناسٍ يُحبون الخير ويرغبون فيه! فإذا حقَّقت أمورَهم ، وتبيَّنت أسرارَهم، رأيتَ أنَّ حُبَّهم للخير، وحِرْصهم عليه، ليس إلا تجارة كاسدة يبتغون بها الذِّكْر الطائر، والشُّهرة الكاذبة، والصِّيتَ البعيد . أَوْقدْ أيها المُوقد نِيرانَك فى جوف اللَّيل ، وأُرْفَع سَناهَا على رُءوس الجبال وشِعافها ، فقد علمتَ أنك لم تُرِد بذلك وَجْه الله ولا فعل الخير ، وإنما أحببت أن يَشيعَ حَمْدُ النَّاس لك وثناؤهم عليك .

٤ (يُحَاوِلُ مَنْ عَاشَ سَتْرَ القَمِيصِ وَمَلْءَ الخَمِيصِ وبُرْءَ الضَّنَى)

القَميص ، معروف . والتَّركيب من إضافة المصدر لفاعله ، وحُذف المَفعول للعِلْم به. أى يحاول من عاش أن يجد قَميصاً لسَتْر بدنه . وقد يكون أراد بـ «القميص» الجِلد ، لأنه يسترُ ما تحته . ثم أقامه مُقام الجسم ، لأن مَنْ سَتَره فقد سَتَر الجسم . وعلى هذا يكون التركيب من إضافة المصدر إلى مَفْعوله .

والخَميص : الضَّامر . يريد : وملء البطن الخَميص . أقامَ الوصف مقام الموصُوف لجريانه به : والبُرء : الصِّحة والعافية ؛ برِئت من المرض بُرْءًا ، وهذه لغةُ غير أهل الحجاز . وأما أهل الحجاز فيقولون : بَرَأْتَ بَرْأً . والضَّنى : المرض. وقيل: هو المرض المُخامر الذى كلما ظُنَّ أنّه قد برأ نُكِس . وهو أيضاً المريض الذى قد طال مرضُه وثبت فيه. بعضهم لا يُثنِّيه ولا يجمعه ، يذهب به مذهب المصدر ، فيقولون : رجل : ضَنًى . وقوم ضَنًى ، وبعضُهم يُثنِّيه ويجمعه : قال عوفُ بن الأحْوص الجعفرىّ :

أُوْدَى بَنِيَّ فما برَحْلِي منْهُمُ إلاَّ غُلاماً بِيئةٍ ضَنَيانِ

والمعنى هنا على الأوّل .

يقول : حقق أيها الباحثُ نظرك فى الأمور ، وأجِدّ بحثك عنها واستقصاءك لها ، تجدْ أنّ غاية ما ينال المرء من حياته إنما هو ثوبٌ يستر جسمه ، وقوتٌ يُقيم أوده ، وراحةٌ تدفع عنه الأسقام والأمراض . لقد كثُر الثمن وخسرت الصفْقة ، وبذَلنا هذا الجهد العظيم ثمناً لهذا الحظّ القليل من الحياة .

٥ (ومَنْ ضَمَّهُ جَدَثٌ لمْ يُبَلْ عَلَى ما أَفادَ ولَا ما اقْتَنَى)

٦ (يَصِيرُ تُرَابًا سَوَاءٌ عَلَيْهِ مَسُّ الْحَرِيرِ وطَعْنُ القَنَا)

٧ (وشُرْبُ الفَنَاءِ بِخُضْرِ الفِرِنْدِ كأَنَّ عَلَى آسِهِنَّ الفَنَا)

٨ (ولا يزْدَهِى غَضَبٌ حِلْمَهُ أَلَقَبُهُ ذَاكِرٌ أمْ كَنَا)

ضمّه : اشتمل عليه . والجَدَث : القبر . وقد مرّ[1] . ولم يُبَلْ : لم يكترث ، وقد مرّ أيضاً[2] . وأفاد ، تكون بمعنى «استفاد » . ومنه قولُ القتّال الكلابىّ :

* مُهلِكُ مالٍ ومُفيدُ مال *

وتكون بمعنى : أعطى غيرَه . والمعنى على الأول : واقتنى : كسب ، ومثله : قَنَاه .

وسواء الشىء : مثله . قال الزجّاج : « سواء » تطلب اثنين ، تقول : سواء زيد وعمرو ، فى معنى : ذَوَا سواء زيدٌ وعمرو ؛ لأن « سواء » مصدر ، فلا يجوز أن يُرفَع ما بعدها إلا على الحذف . تقول : عَدْلٌ زيد وعمرو . والمعنى : ذوا عَدل زيد وعمرو ؛ لأن المصادر ليست كأسماء الفاعلين ، وإنما يرفع الأسماءَ أوصافُها ، فأمّا إذا رفعتْها المصادر فهى على الحذف ، كما قالت الخنساء :

ترتَعُ ما غفَلتْ حتى إذا ادّكرتْ فإنما هى إقبالٌ وإدبارُ

---

(١) انظر شرح البيت ٣٤ من اللزومية ٣٤ ص ٢٢١ من هذا الجزء .

(٢) « « « ١٤ « الأولى « ٦٠ « « « .

أى ذات إقبال وإدبار . وقد جعلها سيبويه : الإقبالة والإدبارة ، على سَعة الـكلام. وقيل : إذا قلت «سواء علىّ »احتجت أن تُترجم عنه بشيئين : تقول: سواء سألتنى أو سكتّ عنى ، وسواء حرَمْتَنى أم أعطيتنى .

والقنا : الرِّماح . والفِرِنْد: السَّيفُ نفسُه . وقيل : وشْيُه . وقيل : جوهره وماؤه . وهو دخيل . قال جَرير :

وقَد قَطع الحديدَ فلا تُمارُوا فِرِنْدٌ لا يُفَلُّ ولا يَذُوبُ

ويجوز أن يكون أراد : ذو فرند ،فحذف المُضاف وأقام المُضاف إليه مُقامه . ومعنى أبى العلاء كما يكون من الأول يكون من الثانى. وخضر الفرند: وصف للسُّيوف. والعرب تُطلق الخُضرةَ على سواد الحَديد فيقولون : كتيبة خضراء، إذا غلب عليها لبْس الحديد . والسُّيوف والقَنا فى حُكم الشىء الواحد، لأنهما من بابة واحدة .

والآس : ضَرب من الرَّياحين ، وهو كثير بأرض العرب يَنْبت فى السَّهل والجبل ، وخُضرته دائمة أبداً ، و يسمو حتى يكون شجراً عِظاماً ، واحدته : آسة . وفى دَوَام خُضْرته يقول رُوْبة .

* يخضرّ ما اُخْضَرَّ الأَلاَ والآسُ *

جعل أبو العلاء خضرة فِرند السَّيف من خُضْرَته . والفنَا ، مقصور : شجر ذوحبّ أحمر ما لم يُكسر ، يُتَّخذ منه قرار يط يُوزن بها ، كل حبة قيراط. وقيل : تُتخذ منه القلائد . يشير إلى الدماء التى تسيل على متن السيف فتخالط خضرة فرنده .

وأُزدهاه : أُستخَفَّه وأُستفزَّه . والضَّمير فى « حلمه » يعود على « من » فى قوله قبله فى البيت الخامس « ومن ضمه جدث » . والتَّلقيب : التنابُز والتَّداعى بالألقاب ، وهو يكثر فيما كان ذمًّا . وفى التنزيل العزيز (ولاَ تَنابَزُوا

بالألْقَاب). قال الزجّاج : معناه : لايقول المسلم لمن كان نصرانيًّا أو يهوديًّا فأسْلم لَقباً يعيِّره فيه بأنّه كان نصرانيًّا أو يهوديًّا . كما قد يحتمل أن يكون فى كل لقب يكرهه الإنسان ، لأنه إنما يحب أن يُخاطب المؤمنُ أخاه بأحبّ الأسماء إليه. والكنية: على ثلاثة أوجه ، منها أن يُكنى الرجل باسمه توقيراً و تعظيما . وهى مراده هنا . وقد مرّ شرحها تفصيلا[1] .

يقول : ما أجملَ الموتَ وما ألذَّه ! وما أكفله للراحة وأنفاه للتعب ! يسكُن أحدنا القبرَ فَلا يحْفل بما أفاد من ثروة وما أقتَنى من طرائف ، يعود تُراباً لايلذّ له مَسُّ الحرير ولا يُؤذيه طَعْنُ القَنا ، ولا يؤلمه ما نال من موتٍ زُعافٍ قد حمله إليه صارمٌ صافِى الفرِنْد ، ماضِى الحدّ ، مُرُّ المذَاق ؛ ولا يَزْدهيه الغضَب ،ولا تأْخذه العِزّة إن ذمّه الناسُ أو مَدحوه ، سواء عليه سيِّئُ ذلك وحَسنُه ، وقَبيحه وجَيّدُه .

٩ (يُهَنَّأُ بِالخَيْرِ مَنْ نَالَهُ وَلَيْسَ الهَنَاءُ عَلَى ما هَنَا)

١٠ (وأَقْرِبْ لِمَنْ كَانَ فِى غِبْطَةٍ بِلُقْيَا المَنَى مِنْ لِقَاءِ المُنَا)

أراد بـ « الخير » الموت ، فهو خلَاص من عَناء الحياة فى رأيه . وقد أوضح مُراده فى الشّطْر الثانى . أو لعل المعنى على الإنكار والتهكّم ، أى ليس خير الحياة بالخير الذى يُهنَّأ به ، وإنما الخير الذى يُهنَّأ به ما بعد الموت . أو ليس فى الحياة ما يُهنَّأ به ، وإنما الهناء لما بعد الممات ، والهناء : البُلَهْنية وخفْض العَيْش . لم تذكره المعاجم ، والمَسْموع : هناءة ،وهَنَأَة، وهِنْء .

وأقْرِبْ . فعل ماضٍ وُضِع على صيغة الأمر للتَّعجُّب . وفاعله « لُقْيا » والباء فيه زائدة .

(١) انظر شرح البيت ١٥ من اللزومية ٣٤ ص ٢١٢ من هذا الجزء .

والغِبْطَة : حُسنُ الحال. وفى الحديث : «اللّهم غَبْطاً لا هَبْطا» أى نسألك الغبطة ونعوذ بك أن نَهبطَ عن حالنا . وقيل : معناه : نسألك الغبطة ، وهى النِّعمة والسرور ، ونعوذ بك من الذُّل والخضُوع .

واللُّقْيا : الاسم ، من لَقِيَ يَلْقَى لِقاء . و « المَنى » الأولى ، بالفتح ، وهى القَدَر . والثانية بالضّم : جمع « مُنْية » بالضم أيضاً ، وهى ما يَتمنّى الرَّجُل . أى إن الحَتْف يُعجل المرءَ دون استكمال أمانيه . وهو بسبيل تأكيد ما سَبق إليه فى البيت السابق من تحقير خير الدُّنيا وتَهوينه .

يقول : ألاَ من كانت قد أعجبتْه الحياةُ فإنى قد أعجبنى الموتُ . ألاَ إنَّ مَن نال الخير خَليقٌ أن يهنأ به ويُغبط عليه ، ولكنى لا أرى الحياةَ خيرًا ، ولا أعتدُّها نِعْمة .

١١ (أَعَائِبَةٌ جَسَدِى رُوحُهُ وَمَا زَالَ يَخْدُمُ حَتَّى وَنَى)

١٢ (وَقَدْ كَلَّفَتْهُ أَعَاجِيبَهَا فَطَوْرًا فُرَادَى وطَوْرًا ثُنَا)

وَنَى يَنِى : ضَعُف وفَتَر وكَلّ . وفُرَادى، بضمّ الفاء وكَسْرها : واحداً بعد واحد . وتقول العرب : قومٌ فُرادَى ، وفُرادَ ، فلا يُجْرونها ، شُبِّهتْ بثُلاثَ ورُباعَ . قالَ الفرّاء : فُرادى ، واحدها : فَرَد ، وفريد ، وفَرِدٌ ، وفَرْدان ، ولا يجوز : فَرْد ، فى هذا المعنى . وقال غيرُه : هى جمع فَرْد، على غير قياس .

وثُنا ، أى ثُناء ، مَصْروفة عن : اثنين اثنين . قال الشاعر :

ولقد قَتلتكمُ ثُنـاءَ ومَوْحَدًا وتركتُ مُرَّةَ مِثْلَ أمْسِ الدَّابرِ

يقول : لقد كثُرتْ مذاهب النَّاس فى مَصدر ما اشتملت عليه الحياة من شرّ ، فمنهم مَن حَمد المادّة وأنكر الرُّوح ، ومنهم من ذَمّ المادة وجَعلها مَصْدر

الشُّرور وعِلّة الآثام ، وزَعم الرُّوحَ بَريئاً من كُل عَيْب خالصاً من كل سوء ، والجسمَ مَصْدرَ آلامه وعلّةَ شَقائهِ . وما أرى هذه الطائفةَ من الناس إلا غالية مُغْرِبة . ما ذا فَعل الجسمُ المِسكين وماذا جَنى ؟ لقد كلَّفه الرُّوح مشاقَّ الأعمال وأنواع الآلام فاحتملها طائعاً ، وقام بها مُذْعناً ، حتَّى أدركه البِلَى وأصابه الفَناء . أجل ، لقد كلّفه الرُّوحُ من أعاجيبه ما يفُوق الطاقةَ ويتجاوز الحدَّ ، فما عَصى أمراً ولا استهان نداء . أفئن أبْلَتْه الخِدْمةُ وأفْنَتْه الطاعةُ يكون نَصِيبُه الذَّمَّ والعَيْبَ !

١٣ (يُنافِي ابْنُ آدمَ حالَ الغُصُونِ فهاتِيكَ أَجْنتْ وهذا جَنَى)

يُنافى : يُغاير ويُخالف . يقال : هذا ينافى ذلك ، وهما يَتنافيان . وأجْنى الغُصْنُ : إذا صار له جنًى يُجْنَى فيُؤْكل . قال الشاعر :

* أَجْنَى له باللوى شَرْيٌ وتَنُّومُ *

وجَنى : من جِناية الذَّنب والإثم .

يقول : لقد أخطئوا فى ذَمِّهم لِلجِسْم ، وكذبوا فى عَيبهم عليه . فما رأينا الجسم فى نَفسه إلا مَصْدرًا للخير وسبباً للنِّعمة ، وما رأينا الشَّرَّ والشقاء والغَيَّ والفساد إلاّ تابعة للحياة يَصْحبها الرُّوح .

دونَك الغُصْنَ الذى هو جِسْم صِرْف ، ليس له من العقْل والرُّوح نَصيب ، ودونَك الإنسانَ العاقل المُفكِّر ، فانظُر أيهما إلى الخير أولى و إلى الفائدة أقرب . تجد الغُصْنَ قد أعطى النَّعيم واللَّذة ، وأجنى الفواكه والأثمار ، والإنسان قد أوجد الجحيم والشقاء ، وجنى الآثام والشرور .

١٤ (تُغَيِّرُ حِنَّاؤُهُ شَيْبَهُ فهَلْ غيَّرَ الظَّهْرَ لَمَّا انْحَنَى)

يقول : لقد برئ الجسم الخالص من المَيْن والتكلف ، ومن الكذب والزُّور ، فما تبرَّأ مما هو فيه ، ولا حَرص على الرُّجوع إلى مافاته ، ولا ذَاق كذب الآمال، ولا جرَّب ضلال المُنَى .

انظُر إلى الإنسان ذى العَقل والفِكْر كيف ضَلّ عقلُه ، وصغُر فِكْره . فكَّر فى الشَّيب وقد أصابه ، وأحبّ الشَّباب وقد فاته ، فظَنَّ أن الخِضَاب يدفع عنه ما أتَى ، ويَرُدّ عليه ما فات ، ونَسِى أنّ تغيُّر اللّون واستحالته ، لا يدفعان عنه ما دَهمَه الشَّيب به من انحناء الظهر ، وانثناء المَتْن .

١٥ (إذَا هُوَ لم يُخْنِ دَهْرٌ عَلَيْهِ جَاءَ الفَرِيَّ وقَالَ الخَنَا)
١٦ (وَسِيَّانِ مَنْ أُمُّهُ حُرَّةٌ حَصَانٌ وَمَنْ أُمُّهُ فَرْتَنَى)

أخنى عليه الدّهر : أهلكه وأتى عليه . قال النّابغة :

أمسَتْ خلاءً وأمسى أهلُها احتملوا أخنَى عليها الذى أخنى على لُبَدِ

والفَرِىّ : الأمر العظيم . وفى التّنزيل العزيز فى قصّة مَرْيم : (لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) أى جئت شيئًا عظيما . والخنا : الفُحْش .

وسيَّان، بمعنى سواء . يقال : هما سيَّان ، وهم أسواء ، وقد يقال : هم سىّ ، كما يقال : هم سواء .

والحَصان من النِّساء : العَفيفة . والفرْتنَى : الأَمة ، والزّانية ، نُونه زائدة . وجعله سِيبويه رباعيًّا . وقال ابن بَرِّى : الفرْتَنَى ، معرَّفًا بالألف واللام . قال : وكذلك : الهَلوك ، والمُومسة . وقال ثعلب : فرْتَنَى :الامة .

يقول : أُنظر إليه كيف خدعته الأوضاع المختلفة والأصول المنتحلة ، فحكّمها فى نفسه وسلّطها على عمله ، مع أنه هو الذى أخترعها ولم تكن موجودة ، وانتحلها ولم تكُن معروفة ، واُتخذ منها لنفسه قُيوداً وأغلالاً تعوقُه عن الخير ، وتَثْنيه عن الكمال ، جعل فى الناس أحراراً وَعبيداً ، وفرّق بين اُبن الحُرة واُبنِ الأمة فى الحُكم ، وباعَد بينهما فى نَظر العقل . ولم أرى بينهما فرقاً : كلاهما إنسان يأكُل الطعام ويَمْشى فى الأسواق . فرّق بين المُحْصَنة والزّانية ، وَأخذ بَنيهما بحُكمهما ، فأخذ اُبنَ الزّانية بجناية أُمّه ، وربما كان خيّراً فاضلا . ومدح اُبن المُحْصَنة بطهارة أمه ، وربما كان شرّيراً آثماً .

ما أضلَّ عقلَه وأسْفَهَ رأيه وأجدره أن يتخلّص من هذه الأغلال !

١٧ (وَلِى مَوْرِدٌ بِإِناَءِ المَنُونِ ... ولَـكِنَّ مِيقَاَتَهُ مَا أَنَى)

١٨ (زَمَانٌ يُخَاطِبُ أَبْنَاءَهُ ... جِهَارًا وقَدْ جَهِلُوا مَا عَنَى)

المَوْرد : حيث تَرد من الماء ، أو وقتَ أن تَرِد إليه ، للمكان والزمان . والمعنى على الوجهين مستقيم . أى لى مكانى بين الواردين ، أو لى ساعتى . كما قد يجوز أن يكون « المورد » بمعنى « الورود » . والإناء، ممدود : واحد الآنية ، وهو ما يُرتفق به، وهو لما يُطعم فيه أعرف . أى إنه ذائق المَنُون وطاعمه، إذ له مكانُه بين الطّاعمين وحِينُه .

والمَنُون: المنِيّة . وقد مرّت[١] . والمِيقات : الوقْت المَضْرُوب للفعل ، والموضع أيضاً . وأنَى : حان ، وفى حديث الهجرة : « هل أنى الرّحيل؟ » أى حان وَقْته .

(١) شرح البيت ١٩ اللزومية ٣٤ ص ٢١٤ من هذا الجزء .

وجهاراً : أى علانية . يقال : جاهره بالأمر مجاهرة وجهارًا ، إذا عالنه . ويريد بمخاطبة الزمان أبناءه : تصرفه فيهم بأحداثه . وما عنى ، أى ما قصد إليه .

يقول : انظر إليه بَطِراً أشِراً ، يُحب الحياة ويرغب فيها ، حتى إذا طالت له أنفقها فى الزُّور والخنا ، وأمضاها فى الإثم والفجور. انظر إليه كيف نسى نصيبه من الموت حين حُجب عنه وخفى عليه ، فظن أنه خالد لن يموت ، وأنه لا يفنى ؛ حتى إذا ظهر خطؤه وبان خَطله تقطَّعَ قلبه حزناً لفراق الحياة ، وتفرّقت نفسه فزعاًمن لقاء الموت. ولو قد كان متبصّراً فى الأمور، مستقصياً لعواقبها، لكان بنجوة من هذا الفزع وذلك الحزن . انظر إليه كيف أصمَّ أُذنيه عن هذا الصوت المُرِنّ ، وكيف غفل عما يقدِّم الدهر إليه من آيات بيّنة وحُجج ناصعة ، تُظهر له غروره واضحاً ، وفُتونه جليًّا .

١٩ (يُبَــدِّلُ باليُسْرِ إعْدَامَهُ وتَهْدِمُ أَحْدَاثُهُ مَا بَنَى)
٢٠ (لَقَدْ فُزْتَ إنْ كُنْتَ تُعطَى الجِنانَ بمَــكَّةَ إذْ زُرْتَهَا أو مِنَى)

التّبديل : التَّغيير ، وإن لم تأت ببدل ، إذ الأصل فيه تغيير الشيء عن حاله . أما الإبدال ، فهو جعل شىء مكان شىء آخر . وقال ثعلب : أبدلت الخاتم بالحلقة ، إذا نَحَّيت هذا وجعلت هذا مكانه ؛ و بدّلت الخاتم بالحلقة ، إذا أذبته وسوّيته حلقة ؛ وبدّلت الحلقة بالخاتم ، إذا أذبتها وجعلتها خاتماً . ثم قال : وحقيقته أن التَّبديل : تغيير الصورة إلى صورة أخرى ، والجوهرة بعينها . والإبدال : تنحية الجوهرة واستئناف جوهرة أخرى . ومنه قول أبى النَّجم :

* عَزْلَ الأمير للأمير المُبْدَلِ *

ألا ترى أنه نَحَّى جسماً وجعل مكانه جسماً غيره .

وقد جعلت العرب « بدّلت » بمعنى « أبدلت ». ومنه قوله تعالى (أُولئك يُبدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِم حَسنَات) ألا ترى أنه قد أزال السيئات وجعل مكانها حسنات. وقول أبي العلاء هنا من هذا.

واليُسْر : ضِدّ العُسْر. والإعدام : الافتقار. أعدم الرَّجُل، وأعدمه غيرُه.

و« بمكة » أي بسبب زيارتك مكة. ومِنى، بالكسر : في درج الوادي الذي يَنزْله الحاجُّ وتُرْمَى فيه الحِجارة من الحرَم؛ سُمِّي بذلك لِما يُمْنَى به من الدماء، أي يُراق.

يقول : انظر إليه كيف خَدَعتْه أوهامُ الأقدمين، وأَضلّته أساطيرُ الأوّلين، واتخذ لنفسه شرائعَ مَكتُوبة، وطُقوساً من العبادة ظاهرة، يزعُم أنها تُدْخله الجنّة وتَعْصمه من النار. لقد فُزْتَ أيها الشقّيّ التَّعس إن صَدَقَتْك هذه الأوْهام، وصَحَّت لك هذه الوعود. فُزْتَ بالجنّة ونَعيمها، وبرِئْتَ من النَّار وجَحيمها، بزيارتك لتلك الأحجار القائمة، والأبْنية الماثلة بمكة ومِنَى.

اللزومية السادسة والثلاثون

وقال أيضاً فى الألف مع الرّاء والسين . ويجوز أن يُجعل الرَّوىّ الراء ، فيكون الذى لُزِم « سيناً » لا غير :

(بِعِلْمِ إلَهِي يُوجَدُ الضَّعْفُ شِيمَتِي فَلَسْتُ مُطِيقاً لِلْغُدُوِّ ولاَ المَسْرَى)

الإله : الله عزّ وجلّ . وكل ما اتُّخذ من دونه معبوداً : إله عند متخذه . والجمع : آلهة . وأصل « إلاه » : ولاه . فقلبت الواو همزة . ومعنى « ولاه » أن الخلق يَوْلهون إليه فى حوائجهم ويضرعون إليه فى كل ما ينوبهم ، كما يَوْله كل طفل إلى أمه .

والشِّيمة : الطبيعة . والهمزة فيها لُغَيّة ، وهى نادرة . وتَشيّم أباه : أشبهه فى شِيمته . وظاهر أنه يُشير إلى قوله تعالى فى سُورة النّساء : (وَخُلِقَ الإنْسَانُ ضَعِيفاً) . والإطاقة : القُدرة على الشيء ؛ يقال : طاق الشيء ، وأطاقه ، وأطاق عليه . والغُدوّ : نَقيض الرَّواح ، وهو سَيْر أوّل النَّهار . والمَسْرى والسُّرى ، بمعنى ، وذلك إذا سرت ليلاً .

يقول : بِعِلْم الله وقضائه خُلقتُ والضَّعْف لى طبيعة ، والعَجز فىّ غريزة ، لا أَستطيع غُدوًّا ولا رَواحا ، ولا أَقْدِر على سُرًى ولا إدلاج .

٢ (غَبَرْتُ أَسِيرًا فِي يَدَيْهِ وَمَنْ يَكُنْ لَهُ كَرَمٌ تُكْرَمْ بِسَاحَتِهِ الأَسْرَى)

غَبَر يَغبُر غُبوراً : مكث ، وذهب ، فهو من الأضداد . والمعنى هنا على البقاء والمُكْث .

والأَسير: الأَخيذ، وإن لم يُشدّ بالإسار، وهو القَيد. وقيل: هو كل محبوس فى قِدٍّ أو سجن. والأصل فى المعنى: القوة والحبس. يُشير إلى ارتهان العباد بأعمالهم فكأنهم الأسرى يرقبون ما سينالون من خير أو شر.

يقول: لقد أصبحت فى يده أسيراً بائساً، وذليلا ضارعاً، أحوج ما أكون إلى فَضْل من عَفْوه، ونافلة من كَرَمه.

٣ (أَأُصْبِحُ فِى الدُّنْيا كَمَا هُوَ عَالِمٌ وأَدْخُلُ نَارًا مِثْلَ قَيْصَرَ أَوْ كِسْرَى)

كما هو عالم، أى على حال من الحرمان والعجز، أو من الورع والزهد.

وقيصر: ملك الرّوم. وكِسْرى: ملك الفرس. قال أُبن قُتَيبة: هو بكسر الكاف ولا تُفتح. وقال أبنُ السِّيد: الفتح والكسر فيه جائزان. وأبو حاتم يختار الكسر. والمبرِّد يختار الفتح. والنِّسبةُ إليه كِسرىّ، وكِسروىّ، بكسر الكاف فيهما، ولا يُقال بالفتح فى النّسب. ضربهما مَثَلين للقُوّة والعزة، أو للتمرّد والعصيان.

يقول: ليس يَصحّ فى قضيّة العَقْل أن أقضى أيّامى فى هذه الحياة مُوثقاً مَكْتُوفاً، لا أَمْلك لنفسى نَفْعاً، ولا أدفع عنها ضُرّا، ثم أُكلَّف العَمل فى الطاعة والجِدَّ فى العبادة، حتى إذا لم آتِ ما أنا عاجزٌ عنه قِيل: لِتَدخُلِ النّار كما دخل غيرُك من العُصَاة المُفْسدين، والطُّغاة المُجْرمين، وإنّ بَيْنى و بينهم لفَرْق ما بين العاجز والقادر، أو القوىّ والضّعيف.

٤ (وإنِّى لأَرْجُو مِنْه يَوْمَ تَجاوُزٍ فَيأْمُرُ بِى ذاتَ اليَمِينِ إلى اليُسْرَى)

٥ (إذا رَاكِبٌ نالَتْ بِهِ الشَّأْوَ ناقَةٌ فما أَيْنُقِى إلّا الظَّوالعُ والْحُسْرَى)

٦ (وَإنْ أُعْفَ بَعْدَ الْمَوْتِ مِمَّا يَرِيبُنِى فَمَا حَظِّىَ الأَدْنَى وَلا يَدِىَ الْخُسْرَى)

التَّجاوز : العَفْو . تقول: اللهم تجاوز عنى ، أى اعْف. ومثلها : تَجوّز عنى. ويريد بـ « يوم تجاوز » : يوم المغفرة والعفو، وهو يوم الحساب . ويُشير بـ « ذات اليمين » إلى قوله تعالى فى سُورة الواقعة : (وَأَمَّا إنْ كانَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِين) . واليُسْرى ، أى الفلاح والخير . يُشير إلى قوله تعالى فى سُورة اللّيل : (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتّقَى وصَدّقَ بالْحسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى) وكأنه يريد الجنة التى هى من نصيب اليمين ، ثم هى يسرى لا عنت فيها ولا عسر. والشأو : الغاية والأمد . والظوالع : التى تَعْرج فى مَشْيها وتَغْمِز ، الواحدة : ظالعة أوظالع ، وَصْف للمؤنث ؛ إذ هى ممّا يَستوى فيه المذكر والمُؤنّث ، فإن كانت للمُؤنّث فعلى النّسب ، وإن كانت للمذكّر فعلى الفِعْل . وخَصّ الجوهرىُّ بها المذكّر وجَعل الأُنثى بالهاء : ظالعةً . والحَسْرى : جمع حَسِير ، الذّكر والانثى سَواء : وهى التى أصابها الإعْياء والكلال .

وأعفاه من الشىء : خلّاه عنه وطرحه . ورَابه الأَمْر : ساءه وأزْعجه ورأى مِنْه ما يكره . يريد : ما هو فى شك منه من أمر الجزاء ، فهو له قلق حائر . أى إن وثقتُ بعفو الله زال نَصَبى وعنائى .

والأدنى : الأخسّ . والُخسرى : أنثى الأخسر ، الذى وُضِع فى تجارته أو غَبِن . وصفت به اليد، إذ هى جارحة الكَسب والعمل. وعليهما الثواب والعقاب. أى لن أكون من الأدنين حظًّا ، ولا من الأخسرين أعمالا .

يقول : لئن زَعم الناسُ أنّ لهم قُوةً وقُدرة ، وأن لهم بأساً و بَطْشا ، وأنّهم قادرون على ما كُلِّفوا ، ما لِكُون لِمَا نُدِبُوا إليه ، ما أعرف إلا أنِّى عاجزٌ ضَعيف ، قد بَرِئْتُ من الحول والطَّول ، وعَجزت عن الدَّقيق والجليل . ولئن وقف الناسُ أنْفُسَهم مَوْقفَ اليأس والقُنوط ، فاُسْتَيْقنوا بسوء العاقبة ، حين اُعتقدوا فى أنفسهم القُوة ، إنِّى لكبير الأمل عَظيم الرَّجاء ، أنتظِر أن ينالنى عَفْو الله عن ضعيف عاجز ، فيأمر بى إلى جنّة حيثُ ينعم الأبرار من أَصفيائه . ذلك رجاء أَرجوه ، وأُمْنية أبتغيها ، وما أُرانى إن ظَفِرْتُ بها إلا المُوفَّق السَّعيد .

فصل الباء

اللزومية السابعة والثلاثون

قال أبو العَلاء فى الباء المَضْمومة مع العَيْن :

١ (يَدُلُّ عَلى فَضْلِ المَمَاتِ وَكَوْنِهِ إراحَةَ جِسْمٍ أنّ مَسْلَكَهُ صَعْبُ)

المسلك : الطريق . سلك المكانَ ، وسَلَكه غيرَه وفيه ، وأسلكه إياه وفيه وعليه .

ويريد بالمسلك : الحياة الدنيا .

يقول : لا تَحْقِر الموت ولا تَزْهد فيه ، ولكن أَكْبِرْه وأَسْعَ إليه ؛ فإنّه خَليق أن يكون مَطْمعاً للنَّفس الكبيرة والقَلْب المُطمئنّ . وأىّ دَليل على شَرفه وفَضْله أَوْضح من صُعوبة الطَّريق إليه ، فإننا إنما نَسْلُك إليه هذه الحياةَ ، مُحْتَملين أهوالَها ، مُتَجشِّمين خُطوبَها ، مُتجرِّعين غُصَصها ، ابتغاء راحته الدَّائمة ، ودَعَته الخالدة ، فهو كالمَجد المُؤَثَّل ، لا يُنال إلاّ بالجُهْد والمَشقّة .

٢ (أَلَمْ تَرَ أنَّ المَجْدَ تَلْقَاكَ دُونَهُ شَدَائِدُ مِنْ أمْثَالِهاوَجَبَ الرُّعْبُ)

٣ (إذا افْتَرَقَتْ أَجْزَاؤُنَا حُطَّ ثِقْلُنا ونَحْمِلُ عِبْئاً حِينَ يَلْتَئِمُ الشَّعْبُ)

تلقاك : تصادفك وتواجهك . ودون : كلمة فى معنى التحقير والتقريب . يكون ظرفاً فينصب ، ويكون اسماً فيدخل حرف الجر عليه . وقال الفرّاء : دون ،

تكون بمعنى « على » ، وتكون بمعنى عَلَّ ، وتكون بمعنى « عند» ، وتكون إغراءً ، وتكون بمعنى أقل من ذا ، وأنقص من ذا .

والثِّقْل : الحِمْل الثَّقِيل . والعِبء ، بالكسر : الحِمل والثِّقْل . والالتئام : الأُجتماع والاتّصال . والشَّعب : الصَّدْع والتَّفرُّق ، ويكون بمعْنَى الإصلاح أيضاً. وليس مراداً هنا . ويُشير بافتراق الأجزاء : إلى الموت وما معه من انحلال الجسم . وبالتئام الشعب : إلى الحياة الدنيا ، أى ما قبل الموت : وقد ذكر ذلك قبل . كما قد يكون أراد الحياة الأخرى بعد الممات ، وما وراءها من أهوال وشدائد .

يقول : أجل ، إنّ الموت لراحة ، وإن الحياة لتَعب ، وإنّ فى افتراق الأجزاء بعد الموت لتخفُّفاً من ثقل شديد ، كما أن فى التئامها تَحَمُّلا لعبء عظيم .

٤ (وأمْسِ ثَوَى رَاعِيكَ وَهْوُ مُوَدَّعٌ
ولَوْ كانَ حَيًّا قَامَ فِي يَدِهِ قَعْبُ)

أمس ، من ظروف الزمان ، مبنيّ على الكسر ، إلا أنْ ينكّر أو يعرَّف . وربما بُنى على الفتح . والنسبة اليه : إمسِيٌّ ، على غير قياس . قال الكسائىّ : وإذا أضفته أو نكّرته،أو أدخلت عليه الألف واللام للتعريف، أجريته بالإعراب.

وقال الفراء : ومن العرب من يخفض « الأمس » وإن أدخل عليه الألف واللام .

وثوى : هلك . ومنه قولُ الكُميت :

وما ضَرّها أن كعباً ثوى وفَوَّزَ من بعده جَرْوَلُ

والراعى : الذى يرعى الماشية ويحوطها ويحفظها ، صفة غالبة غلبة الاسم . وهو الوالى أيضاً . إلا أن المراد هنا الأول ، لذكره « القَعْب » آخراً ، وهو من لوازمه. وأكثر ما يُقال فى جمع الأول : رِعاء ؛ وفى جمع الثانى : رُعاة .

ولعله خصه بالذكر لطُول عنائه واتصال جَهده وتخلُّفه فى الحياة ، حتى كان مَضْرِب المَثل بذاذةً وحقارةً . وفى حديث عمر : « كأنه راعى غنم » . وفى حديث الإيمان : « حتى ترى رِعاء الشاء يتطاولون فى البُنْيَان » . فكان لذلك بالموت أهنا وأنعم .

وهو مودَّع ، أى قد تُرِك واطُّرح حيث قُبر وهو بحاله فى الدنيا أوفق . فقد مات كما عاش محقوراً . والأصل فى « التَّوديع » الترك . ومنه الحديث: « إذا لم يُنكر الناس المُنكر فقد تُودِّع منهم » . أى أُهملوا وتُركوا وما يرتكبون من المعاصى .

و « كان » تكون بمعنى مضى وتقضى ، وهى التامة ؛ وتأتى بمعنى اتصال الزمان من غير انقطاع ، وهى الناقصة . ويعبر عنها بالزائدة أيضاً ؛ وتأتى زائدة ؛ وتأتى بمعنى « يكون » فى المستقبل من الزمان ، وتكون بمعنى الحدوث والوقوع. ومن شواهدها بمعنى « يكون » المستقبل قولُ الطرِمّاح بن حَكيم :

وإنّى لآتيكم تَشَكُّرَ ما مضَى من الأمْر واستنجازَ ما كان فى غدِ

وقولُ سَلَمة الجُعفيّ :

وكنت أرى كالموْت مِن بين ساعة فكيف بِبَيْنٍ كان ميعادُه الحشْرَا

وعليه أيضاً بيت أبى العلاء هذا . كما قد تكون هنا أيضاً بمعنى « صار » .

والقعب : القدح الضخم الغليظ الجافى ، وهو بالراعى أشبه. وقال ابن الأعرابيّ : وأول الأقداح : الغُمَر ، وهو الذى لا يبلغ الريّ ؛ ثم القَعْب ، وهو قد يُروى الرجل ، وقد يروى الاثنين والثلاثة ؛ ثم العُسّ .

يشير إلى ما هو مأثور من أن الإنسان يُبعث على حاله التى قُبض عليها . وليس شىء ألزم للراعى من قَعبه .

يقول : انظر إلى هذا الراعى الكدود ، ما يَنفكّ عاملًا مجتهداً فى حياته . حتى إذا مات سكنت حركته واطمأن جسمه ، وارتاح بعد العناء . وما أحسبه لو خُيّر بين الموت والحياة ، وقد ذاق أولهما ، إلاّ مؤثراً للحمام ، ومختاراً للفناء .

اللزومية الثامنة والثلاثون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة مع النون :

١ (لِيَشْغَلْكَ مَا أَصْبَحْتَ مُرْتَقِباً لَهُ
عَنِ العَيْبِ يُبْدَى والخَلِيلُ يُؤَنَّبُ)

٢ (فَمَا أَذْنَبَ الدَّهْرُ الَّذِى أَنْتَ لَائِمٌ
ولَـكِنْ بَنُو حَوَّاءَ جَارُوا وأَذْنَبُوا)

ليشغلك ، اللام للأمْر ، وهى جازمة للمضارع بعدها . وحركة هذه اللام الكسر ؛ ويجوز تسكينها بعد الواو والفاء وثم . والتسكين بعد الأوّلين أشهر . وأكثر ما تدخل هذه اللام على مضارع الغائب . ويَقلّ دخولها على مضارع المتكلم والمخاطب .

والارتقاب : الانتظار ، ويريد بهذا الشىء المرتقب : الموت . والعيب : الوَصْمة . ومثله : العاب ، والعَيْبة .

والخَليل : المُحبّ الذى ليس فى محبته خَلل ، قد أَصْفَى المَوَدّة وأَصحَّها . مرفوع على الاستئناف . وفى رواية : « عن العيب يبدو والخليل يؤنَّب » . والتأنيب : أشد العَذْل ، وهو التَّوبيخ والتَّثريب . وفى حديث طلحة أنه قال : « لما مات خالد بن الوليد استرجع عمر . فقلت : يا أمير المؤمنين

أَلاَ أَرَاكَ بُعَيد الموت تَنْدُبنى وفى حَياتِىَ ما زوّدتَنى زادِى

فقال عمر : لا تُؤنبنى» . ومنه أيضاً حديثُ الحسن بن علىّ لما صالح معاوية ،

فقيل له : « سَوَّدْتَ وجوه المؤمنين ! فقال : لا تُؤنبنى » . كل هذا بمعنى المُبالغة فى التَّوبيخ والتَّعنيف .

وجار : ظلم وجاوز القَصْد . وما أَشبهه بقول الآخر :

يقولون الزَّمانُ به فَسَادٌ وهم فَسدوا وما فَسد الزَّمانُ

يقول : فِيم تَعيب الناسَ وتَتَتَبَّعُ زلاَّتِهم! وعَلامَ تُؤنِّبُ الصديق وتُكْثِر الإساءة إليه ! وماذا جنى عليك الدَّهر فَأَنكرتَ ؟ أو قَدَّمت لك الأيّام من الشرّ فأنت لها كارِه وعليها عائب ؟ لقد كُنْت خَليقاً أنْ تُشْغل بما أصبحتَ مُنْتظراً له من موت واقع ، ليس له من دافع ، عن تَتبّع العُيوب وتَأْنيب الأصدقاء. ولقد كُنت حَجِيًّا أن تَعرف نفْسك ، وتعترف بسيئاتها ، لا أنْ تَجهلها وتَحمل جِناياتها على الزّمان، وآثامها على الأيام . ما أَذْنب الدَّهر ، ولا جَنت الأيام ، وإنما نحنُ المُذنبون الجانون .

٣ (سَيَدْخُلُ بَيْتَ الظَّالِمِ الْحَتْفُ هاجِماً ولَوْ أنَّه عِنْدَ السِّماكِ مُطَنَّبُ)

الحتف : الموت . وجمعه: حُتوف ، ولا يُبْنَى منه فِعل . وقول العرب : مات فلانٌ حَتْفَ أنفه ، نُصِب على المصدر ، كأنهم توهَّموا « حَتَفَ » وإن لم يكن له فعل .

والسماك : أحد سماكين ، هما الأعزل والرامح. وقد مرّ [١] . ومطنَّب ، أى مشدود بالأطناب ، وهى حبالِ الأخبية . جعل البيت كأنه من شَعَر ، وإن كان يطلق على هذا وعلى غيره . أو لعله أراد بالتّطنيب : التمكين للبناء عامة ، فتوسّع .

يقول : أُنظر إلى هذا الظالم فقد غرّه سُلطانه ، وأطغاه بَطْشُه ، فظنَّ بنَفْسه

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٢٥ ص ١٦٩ من هذا الجزء .

الخُلود ، واُستَبْعد عليها الموت . و إن الموْتَ لمُدْركه أين كان ، ولو اُتَّخذ نَفَقاً فى الأرض أو سُلَّماً فى السماء .

٤ (وَقَدْ كانَ يَهْوَى الطَّعْنَ أمَّا قَنَاتُهُ
فَذَاتُ لَمًى والخِرْصُ كالنَّابِ أشْنَبُ)

القناة : الرمح .

واللّمى : سُمرة الشَّفتين واللِّثات ، يُسْتَحسن. والضّم فيه لغة . وقيل : هى لغة أهل الحجاز . والخِرص، مثلّثة الخاء : سنان الرُّمْح . وقيل: هو ما على الجُبَّة من السِّنان . وقيل : هو الرُّمح نفسه ؛ والجمع : خِرْصان. والأشْنب : ذو الشّنب ، وهو ماء ورقَّة يجرى على الثغر ، أو هو رِقَّة وَبرَد وعُذوبة فى الأَسْنان ، أو هو نُقط بيض فى الأسنَان ، وقيلَ : هو حدَّةُ الأنياب ، كالغَرْبِ تراها كالمِئْشار .

وذكروا أن رُؤْبَةَ بن العجّاج سُئِل عن الشنب وهو يأكلُ رُمَّاناً ، فأخذ حَبَّة وقال : هذا هو الشنب.

يقول : أَحبَّ الظُّلم ورَغِب فيه ، وطَلب العَسْفَ وتَهالك عليه ، فما يَنْفكُّ فيه جادًّا وعليه حَرِيصاً . لقد بُدِّل برقَّة العواطف قَسوةَ القَلْب ، وغِلْظةَ الكَبِد ، وجَفاء الطَّبع ، حتى استبْدل بما يَعْشقه الناسُ من الغَوانِى الحِسان أدواتِ الموْتِ وآلاتِ الفنَاء . إنه ليرى فى القَناة اللَّدْنة السَّمراء ، وفى سِنَانها المَخْضوب بالدّماء ، حَسْناَء فاتنة ، يَضُم إليه قدَّها الميَّاس ، ويَلْثم ثغرها الأشْنب .

٥ (ودِرْعُ حَدِيدٍ عِنْدَهُ دِرْعُ كاعِبٍ
مِنَ الوُدِّ واُسْمُ الحَرْبِ هِنْدٌ وزَيْنَبُ)

الدّرع بمَعْنييها قد مرّت [١]. والحديد، معروف. وموقع الكلمة هنا تمييز ذات للدِّرع. وهو مما يجوز جره بالإضافة. والكاعب: الجارية نَهد ثَدْيُها. ومثله: كَعاب، ومُكعب. وجمْع الكاعب: كواعب.

والود، مثلثة الواو: المودة والحب، يكون فى جميع مداخل الخير. و « من الود » فى مكان: ودًّا وهوى. فكأن ذلك قد لاط بقلبه ولا منصرف له عنه. وهند وزينب: من بين الأسماء التى شَبَّب بها الشعراء.

يقول: إنه ليهوى الحرب ويكلف بها، ويراها هنده وزينبه.

٦ (وَيَطْوِى المَلَا بَعْدَ المَلَا فَوْقَ كُورِهِ
إذَا الْعِيسُ تُزْجَى والسَّوابِقُ تُجْنَبُ)

المَلا: جمع مَلاة، وهى الفَلاة ذاتُ الحرِّ. وقيل الملا: واحد، وهو الفلاة. وقال الأزهرىّ: وأمّا الملا: المُتَّسع من الأرض، فغير مهموز، يُكتب بالألف والياء، والبَصْريّون يَكتبُونه بالألف. وطىُّ المَلا: قَطْعه ومُجاوزَته. والكور: الرَّحْل بأداته. والعِيس: الإبل تَضرِب إلى الصُّفرة. وقيل: هى البِيض مع شُقْرة يَسيرة. واحدها: أعيس. والأنثى: عَيْساء. وتُزْجَى، أى تُساق وتُدْفع. وقيل: هو السّوق اللَّيِّن. والسَّوابق: الخَيل المتقدِّمةُ فى الجَرْى السَّريعة. وتُجْنَبُ، أى تُقَاد إلى جَنْب؛ لأنّهم كانوا يَمتطون الإبل ويَقُودون الخَيل.

يقول: إنه لَيقْطع إليها المَهامه وَيتجَشّم البِيد، ويَمتطى الأَيِّد من الخيل والنُّوق، والنّاس من حوله وادعونَ مُطْمئِنُّون. إنه ليفعل ذلك كُلَّه فيزعج الآمن ويُرَوِّعُ المُطمئن، ويَملأُ الأرض شرًّا وإثْمًا. ثم أنتم بعد ذلك تَصِمون الأيّام

(١) انظر شرح البيت السابع من اللزومية الثانية ص ٦٦ من هذا الجزء.

وَصْمَته ، وتَحملون عليهـا وِزْره ، وتَسبُّونها بما كان خَليقًا أن يُسَبَّ هُو به . أَصْلِحوا أَنفسكم فقد فَسدت ، وبَصِّروا ظالمكم فقد غيّره الغُرور .

٧ (لَهُ مِنْ فِرِنْدٍ جَدْوَلٌ إنْ أَسالَهُ
عَلَى رأْسِ قِرْنٍ جاشَ بالدَّمِ مِذْنَبُ)

الفِرِنْد : وَشْى السَّيف ورَوْنقه . وقيل : هو السيف . وقد مرّ[1] . والقِرْن : مَن يُقارنك فى الشِّدة والبَطْش .

وجاش : فار ، كما تَجِيش القدر عند الغَلَيان . وكذلك يفعل الدم عند انبثاقه واندفاقه . والمِذْنب . كهيئة الجَدْول ، يَسيل عن الرَّوضة ماؤُها إلى غَيرها فيفرَّق ماؤها فيها . والتى يسيل عليها الماء مذنب أيضاً . جعل سيلان الدم من الجسم على صفحة السَّيف من ذلك .

يقول : إنه ليرى فى السَّيف قد صَفَا رونقُه ، وخَلُص جوهره ، وتلألأ الفِرِنْد فيه ، جَدْولاً من الماء نَقِيَّ الصَّفْحة . ولكنه يَنِمُّ عن صُورة الموت ، فلا يكاد يُصَبّ منه على رأسِ القِرْن قطرات ، حتى يَنْبسط منه جَدْول من الدَّم المُزبد العَبيط .

٨ (وليْسَ يُقِيمُ الظَّهْرَ حَنَّبهُ الرَّدَى قَوَامُ رُدَيْنِيٍّ وَطِرْفٌ مُحنَّبُ)

أقام الشيء وقوَّمه ، فقام ، أى اعتدل واُستقام واستوى .

وحَنَّبه : حَناه وقوّسَه . والرَّدى : الهَلاك . ومَن تَحنَّى هرماً فقد أشرف عليه

(١) انظر شرح البيت السابع من اللزومية ٣٥ ص ٢٣٢ من هذا الجزء .

وعُدّ من الهلاك. وقَوام: مستقيم معتدل . يريد « رديني قوام » وبهذا يوصف ، وإلا فلا انتفاع به .

والقَوام، أيضاً : القامة . يريد : قناة رديني . والرُّدَيْنيّ : الرُّمح ، نسبة إلى امرأة كانت تُسمَّى رُدَيْنة ، كانت هي وزَوْجُها السَّمْهرِيُّ يُقوِّمان القَنا بِخَطّ هَجَر . والطِّرْف ، بالكسر : الكريم العَتيق من الخيل . وقيل : هو الطويل القوائم والعُنُق ، المُطرَّف الأذُنين . وقيل : هو الذى ليس من نِتاجك . والجمع . أطراف وطُروف . والأنْثى بهاء . والمُحَنَّب من الأفراس : الذى فى وظيفَىْ يديه أحديداب ، وليس ذلك بالاعوجاج الشديد ، وهو مما يُوصَف صاحبُه بالشدَّة . وقيل : التَّحْنيبُ فى الخَيل : بُعْدُ ما بين الرِّجلين من غَير فَحج ، وهو مَدْح . قال أمرؤ القَيس :

فَلأْياً بِلأْيٍ ما حَمَلْنا وَليدَنا عَلَى ظَهْرِ مَحْبُوكِ السَّراة مُحنَّبِ

يقول : أرْشده إلى أنه يَمُد إلى الحياة أسْباباً سيَقْطعها الموتُ ، وأن مايدَّخر من الوَرِق والنُّضار ، وما يَحْتمل فى سَبيله من الأهوال والأخطار ، وما يَقْتنى من دُهْم الخَيْل وغُرِّها ، ومن قَوارح الإبل و بُزْلها ، لن تَدفع عنه غارةَ الأيَّام ، ولن تَرُدّ عنْه صولة الزمان . لقَد عجزتْ أن تُقيم قدَّه المُنْحنى ، وعُودَه المُنْآد ، و إنَّها عن دَفع الموتِ لأَضْيَق باعاً وأقْصر ذراعاً .

اللزومية التاسعة والثلاثون

وقال أيضاً فى الباء المَضمومة مع الدال :

١ (نَقَمْتَ عَلَى الدُّنْيَا وَلَا ذَنْبَ أَسْلَفَتْ إِلَيْكَ فَأَنْتَ الظَّالِمُ المُتَكَذِّبُ)

٢ (وَهَبْهَا فَتَاةً هَلْ عَلَيْهَا جِنَايَةٌ بِمَنْ هُوَ صَبٌّ فِى هَوَاهَا مُعَذَّبُ)

قال الجوهرى : نَقَمت على الرجل أَنقِم بالكسر ، فأنا ناقم : إذا عتبت عليه. قال الكسائى : ونقِم، بالكسر ، لغة فيه . وقال أبو إسحاق : نَقَمت على الرجل أنقِم ، ونقِمت عليه أنقَم . قال : والأجود : نَقمت أنقِم ، وهو الأكثر فى القراءة. ونَقَم الشىء ونقِمه : أنكره .

وأسلفتْ ، أى سبقتْ به إليك وقدَّمتْه . وتكذّب فلان : إذا تكلف الكذب ؛ وعليه : زعم أنَّه كاذب، ومنه بيتٌ يُعزَى إلى أبى بكر رضى الله عنه :

رسولٌ أتاهم صادقٌ فتكذَّبُوا عليه وقالوا لَسْتَ فينا بماكثِ

و « هَب » : أحسُب ، يتعدى إلى مفعولين ، ولا يستعمل منه ماض ولا مستقبل فى هذا المعنى .

والصَّبُّ : العاشق المشتاق. والأنثى: صَبّةٌ . قال سيبويه : وزن « صب » فَعِل ، لأنّك تقول : صَبِبْت ، بالكسر . استثقلُوا الجمع بين باءيْن متحرّكتين فأَسْقَطوا حركةَ الأُولى وأدغموها فى الباء الثانية . وحكى اللِّحيانىّ فيما تقوله نساء العرب ، عند التأخيذ بالأُخَذ: « صبٌّ فاُصْبَبْ إليه ، أَرقٌ فارْق إليه » .

يقول : لقدْ أكثرتَ لَوْم الدُّنْيا ، وأَطلت النّعى عليها ، وزعمتَ أنها لك

ظالمة ،وعليك جائرة ، و إليك مُسيئة . وما أرى أنها قد اقترفَتْ ذَنباً ، واُجترحت إثماً . وما أعرف أنها ظلمتك أو أساءت إليك ، إنما أنت الظالم لنفْسك المُسِيء إليها ، تُوردها مَوارد الشَّر ، وتحملها محامل السُّوء ، ثُمّ تُكلِّف الأيام ما كنتَ خليقاً أن تُكلِّفه نَفْسك، وتعِيبها بما أنت فيه واقِع .يلذُّ لك أن تتكذّب عليها وتصِفها بما هى بريئة منه . ماذا جَنَت عليك الدُّنيا وبماذا أساءت إليك ؟ كل ذَنْبها عندك أنَّها حسناء فتانة وهَيْفاء خَلاَّبة ، يَسْتَبيك حُسْنُها ، ويَسْتَصْبيك جمالُها ، فأىّ ذنب لها فى هذا الحسن ؟ وأى جناية لها فى كلَفك بها وميلك إليها .

٣ (وَقَدْ زَعَمُوا هَذِى النُّفُوسَ بَواقِياً
تَشَكَّلُ فِى أَجْسَامِهَا وَتَهَذَّبُ)

٤ (وَتُنْقَلُ مِنْهـــا فَالسَّعِيدُ مُكَرَّمٌ
بِمَا هُوَ لَاقٍ والشَّقِىُّ مُشَذَّبُ)

٥ (وماَ كُنْتَ فى أَيَّامِ عَيْشِك مُنْصِفاً
ولَـكِنْ مُعَنًّى فى حِبَالِكَ تُجْذَبُ)

الزعم : القول، يكون حقًّا ويكون باطلا . وتكون « زعم » بمعنى : كفل وضمن ، وبمعنى : قال، و بمعنى : وعد ، وبمعنى: ظن . وبيت أبى العلاء من الأول.

وتَشكَّل ، أى تَتشكَّل . وتَهذَّب ، أى تتهذب ، بمعنى تتنقَّى وتَخلص من أدرانها . ومنها ، أى من الأجسام . يُشير إلى رأى القائلين بالتناسخ. ومُشذَّب ، أى مُطرَّح مَطْرُود مُنَحًّى .

والمُعَنَّى : الذى قد تجشَّم العَناء وقاساه . عنَّاه، فتعنَّى . وقيل: المُعَنَّى : الذى طال حَبْسه ؛ ومنه قول الوليد بن عُقبة :

قطعتَ الدهرَ كالسَّدِمِ المُعَنَّى تُهَدِّرُ فى دِمَشقَ وما تَرِيمُ (١)

وتُجذَب ، أى تُقاد غير مُختار ، أى وتغلب على أمرك وتُقْهر . من قولك : جاذبته فجذبتُه ، أى غلبته فبان منّى مغلوباً .

يقول : عذيرى من أولئك الخدَّاعين للناس ، المُضِلّين للعقول ، المتكذِّبين على الأغرار . لقد زعموا لهم أن نُفوسهم خالدة ، وأنَّها لم تَهبط هذا العالمَ إلا لتُبتلَى وتُجرَّب ، مُتنقِّلة فيها من جسم إلى جسم ، مستفيدةً من هذا التنقُّل صَلاحاً لها وتَهذيباً لأخلاقها ، وأن السَّعيد من هذه الأنفس سَيلْقَى من النِّعمة واللَّذة ما لاَ سبيل إلى وَصْفه ، وأن الشَّقىّ سَيَلْقَى من الألم والنِّقْمة ما يُطهِّره من أَدْناس المادَّة وأدرانها . كلاَّ ! ما أحسب أن هذا حقٌّ ، وما أرى أنه صواب ، وما أعرف أنَّنا نَقْضِى أيَّامنا مُختارين أحراراً، نَستطيع أن نُصلح نفوسنا ونُهذبها ، ونَسلك بها إلى السعادة طريقاً مأموناً . إنما نحن عَبيد مَقهورون قد أُوثقتْ أيدينا وأرجُلنا بأغلال مَتينة وأمْراس مُحْكمة ، فنحن نَرسُف فيها مَجْذوبين إلى ما لا نُحب ، مُكْرهين على مالا نَرْضَى .

٦ (ولَوْ كانَ يَبْقَى الحِسُّ فى شَخْصِ مَيِّتٍ
لآلَيْتُ أَنَّ المَوْتَ فى الفَمِ أَعْذَبُ)

آلَى إيلاء : حَلف . والألوة ، مثلثة الهمزة ، والألِيَّة والأليَّا ، كلّه اليمين . والجمع : ألايا . قال الشاعر :

(١) وقيل : المعنى فى هذا البيت : فحل لئيم إذا هاج حبس فى العنة ، لأنه يرغب عن فحلته .

قَلِيلُ الأَلَايا حافِظٌ لِيَمِينه وإنْ سَبَقتْ مِنه الأَلِيةُ بَرَّتِ

يقول : ليس فى هذه الحياة لنا خَيْرٌ ولا سَعادة ، إنما هى الشَّرُّ الدائم والشَّقاء المُقِيم . وأُقسم لو أنّ لِلحِسِّ فى ميّت بقاءً ، وللشعور فيه وُجوداً ، لقد كُنّا أَحْرياء أن نَجِد لطَعْمِ الموت من العذُوبة ومُلَاءمة الطَّبْع ما لا نَجِده فى الحياة .

اللزومية المتمة الأربعين

وقال أيضاً فى الباء المضمومة مع الدال :

١ (لَعَمْرُكَ ما بِى نُجْعَةٌ فأرُومَهَا
وإنِّى عَلَى طُولِ الزَّمَانِ لمُجْدِبُ)

٢ (حَمَلْتُ عَلَى الأَوْلَى الْحَمامَ فَلَمْ أقُلْ
يُغَنِّى ولَكِنْ قُلْتُ يَبْكِى ويَنْدُبُ)

العَمْر والعُمْر ، لغتان فصيحتان ، فإذا أقْسموا فقالوا : لَعَمْركَ ! فتحوا لا غَير . و « لعمرك » يرفعونه بالابتداء ويُضْمرون الخَبر . كأنه قال : لعمرك قَسَمى ، أو يَمينى ، أو ما أحْلِفُ به . والنُّجعة : المَذْهب فى طلب الكلأ فى موضعه . وما بى نُجعة ، أى ليس فىّ قوة أو رغبة على الذّهاب للانتجاع . ورام الشىء يَرُومه رَوْماً ومراماً : طلبه . والمُجْدِب : الذى أصابه الجدبُ ، وهو المَحْل ، نَقِيض الخِصْب . وفى حديث الاُسْتسقاء : « هلكت المَواشى ، وأجدبت البِلاد » . أى قَحطت وغَلت الأسعار .

وحملك الشىء على الشىء : ذهابك مَذْهبه وجعلك إياه منه . والأَوْلى : الأقرب والأَدْنَى . و « على الأولى » أى على أقرب الأمور من الحق وأدناها من الصواب . والنّدب : البكاء على الميت وتَعديد محاسنه . ولم يُقيِّده ابنُ سِيده ببُكاء . أو هو من النَّدْب للجِراح ، لأنه احتراق ولَذْع من الحزن .

يقول : لَعمْرك ! مالى فى هذه الحياة أمل أسْمو إليه ، ولا رجاء أَطْمع فيه ، ومالى فيها راحة أَبْتغيها ، ولا لذّة أُكلِّف نفسى لها العَناء ، وإنّى على طول الأيام

واُختلافها ، وعلى بقاء الدَّهر وخُلوده ، لَمُجْدِبٌ مِن كل خير ، بَرِىء من كُل صالحة . وما أرى أنّ لشىء فى هذه الحياة حَظًّا من سُرور ، ولا أنّ فى هذه الدُّنيا مَصْدراً لابتهاج ، إنما هى حُزن قد ضَرب أَطْنابه ، ومدَّ رُوَاقه على كل شىء . ألم تر إلى المَغْرورين المفتونين كيف يُسمُّون صِياح الحمام غِناء وتَغْريداً ، وقد كان خليقاً أن يُسمَّى بُكاء و إعْوالا .

٣ (وذَلِكَ أَنَّ الحادِثاتِ كَثِيرَةٌ وغَالِبُهنّ الفَظُّ لا المُتَحَدِّبُ)

حادثات الدهر : أموره المنكرة ، شبه النوازل . ومثل « الحادثة » فى ذلك : الحدَث ، والحُدْثي ، والحدَثان ، وهى هنا لعموم ما يحدث. وغالبهن ، أى القاهر فوقهن ، إما بشدته وعنفه ، أو بكثرته وشيوعه . وهو من سابقه .

والفَظّ : الغَليظ الخشن الجافى . ويريد به : الفادح الباهظ . والمُتَحَدِّب : المتعطف الحانى ، وهو كذلك : المتعلق بالشىء الملازم له . وهو من الأول . يريد ما كان من أمور الحياة رخاء هيناً ليناً .

يقول : فإنّ حوادث هذه الحياة كثيرة ، ومعظمها على الناس فظ غليظ ، وأقلها الحدب الشفيق . فما أَجْدَر أصواتَ هذه الحمائم أن تكون بكاءً على المكروبين، ورثاءً للمنكوبين !

٤ (وكُلٌّ أَدِيبٌ أىْ سَيُدْعَى إِلَى الرَّدَى
مِنَ الأَدْبِ لا أَنَّ الفَتَى مُتَأَدِّبُ)

أَديب : فَعيل بمعنى مفعول ، من : أَدَب القوم يأدِبهم أَدْباً ، إذا دعاهم إلى طَعامه . وهو ممّا أغْفلته المَعاجِم . وأكبر الظنّ أنّ أبا العلاء يُؤوّل إليه اللفظ

المعروف . والرَّدى : الهلاك . جعله المأدبة التى سيطعم منها كلٌّ طاعم .

و « لو أن الفتى متأدب » دفع لما قد يَهِمه المتوهم من أن المراد بالأديب ، من : أدُب ، بما يدعوه إلى المحامد وينهاه عن المقابح .

يقول : وكيف يَنْعم الإنسان بحياة ، أو يسعد بلذّة ! وهو لا يرى حوله إلا أديباً إلى مأدبة الموت، مدعوًّا إلى مائدته ، مُكْرهاً على أن يغشاها ويتزوّد منها .

اللزومية الواحدة والأربعون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة مع الراء :

١ (لَعَلَّ أُنَاساً فِى المَحارِيبِ خَوَّفُوا
بآىٍ كَنَاسٍ فِى المَشَارِبِ أَطْرَبُوا)

المحاريب : جمع محراب ، وهو صَدْر البَيْت وأكرم موضع فيه . وهو أيضاً : صدر المسجد وأشرف موضع فيه ، والقِبْلة . ومُراد أبى العلاء «بالمحاريب» المساجد عامةً ، من إطلاق الجزء على الكُل ، أو خَصّ تلك الأماكن من المساجد لشرفها وجُنوح المُتعبّدين إليها . والآى : جمع آية ، وهى الجماعة من حُروف القُرآن . وقِيل : هى العِبْرة . وتُجمع أيضاً على : آيات ، وآياء ، وآياى . وعين « الآية » ياء . قال الشاعر :

* لم يُبْقِ هذا الدَّهْرُ مِنْ آيائِهِ *

فظُهور العين فى « آيائه » يدل على كون العين ياء ، وذلك أن وزن « آياء » أفعال ، ولو كانت العين واوًا لقال : آوائه ، إذ لا مانع من ظُهور الواو فى هذا المَوْضع . وقال سيبويه : موضع العين من « الآية » واو ، لأن ما كان موضع العين منه واو واللام ياء ، أكثر مما موضع العين واللام منه ياآن ، مثل : « شَوَيْت» أكثرُ من « حَيِيتُ » . قال : وتكون النِّسْبة إليه « آوِىّ » . وقال الفرّاء : هى من الفعل : فاعلة ، وإنما ذهبت منه اللام ، ولو جاءت تامّة لجاءت آيِيَة ، ولكنّها خُفّفتْ .

والمشارب : جمع مَشْرب ، وهو الوجه الذى يُشْرب منه . ويكون موضعاً

ويكون مصدراً . يريد الحانات . وأطربوا ، أى فاضتْ بهم الخِفَّة فاستَخَفّوا مَن سواهم .

يقول : وَيْح الإنسان ! ما أشدَّ غُرورَه! وا كْثَر الرِّياءفيه ! ما أعظَمَ انْخداعَه بالأسْماء والأشكال ! وأقلَّ اطّلاعَه على الحقائق واعتبارَه بالمواعظ ! لقد قام منه فى المَحاريب أُناسٌ يَعِظُون ويُخَوِّفون ، ويُنْذِرون ويُبَشِّرون . ففَتنه مُقامُهم وخَدعه مَنْطِقهم . ولو أنه حَقَّق فيهم النَّظَر وأجاد عنهم البَحْث ، لما وَجد بينهم و بين أولئك الشَّرْب — يُطربون أنفسهم بالألحان ويُغذُّونها بابنة الحان — فَرْقاً ولا خِلافاً .

٢ (إذَا رَامَ كَيْدًا بالصَّلَاةِ مُقِيمُهَا فَتَارِكُها عَمْدًا إلَى اللهِ أقْرَبُ)

الكيد : الخُبث والمكر ، وكذلك الاحتيال ؛ والمعنى مستقيم بها جميعاً . وعمداً ، أى بجد ويقين .

يقول : فإنّ صلاةً لا يُراد بها إلا الكَيْد والرّياء ، لا تَنْفع صاحبها شيئاً ، ولا تُغْنى عنه قليلا ولا كثيراً . وربما كان مُعْتمدُ المَعْصيَة أقربَ إلى الله من متكلِّف الطاعة .

٣ (فَلَا يُمْسِ فَخَّارًا مِنَ الفَخْرِ عائِدٌ إلى عُنْصُرِ الفَخَّارِ للنَّفْعِ يُضْرَبُ)

٤ (لَعَلّ إنَاءً مِنْه يُصْنَع مَرَّةً فَيأْكُلُ فِيه مَنْ أرَادَ ويَشْرَبُ)

لا ، هى الطلبيّة نهياً ، أو الموضوعة لطلب الترك . وتختص بالدخول على الفعل المضارع ، وتقتضى جزمه واستقباله ، سواء كان المطلوب مخاطباً ، أو غائباً . وجزمها فِعْلَى المتكلم المبدوءين بالهمزة والنون مَبْنيَّيْن للفاعل نادر ، ويكثر

جزمهما مبنيَّيْن للمفعول . وأمسى : للتوقيت بالمساء ، وهو بالسياق أوفق ، لأن نهايةَ اليوم بحركته . وفخاراً ، أى مُدِلاًّ بنَفْسه تيّاهاً بها مُفضلاً لها . مبالغة من : فخره يَفْخُره ، إذا كان أفخر منه وأكرم أباً أو أمًّا . أو من . فخره عليه يفخَرُه ، إذا فضَّله عليه فى الفخر . وهو خبر « فلا يُمس » . و « عائد » اسمها . وعُنْصر كل شىء : أصله . والفخَّار : الخزفُ ، ومن التراب عُنْصره . يشير إلى قوله تعالى فى سورة الرحمن : (خُلِقَ الإنْسَانُ مِنْ صَلْصَال كالفخّار) . و« للنّفع يُضْرب » ، أى هذا حديث يُساق ليُفيد الناس منه عِظةً وعبرةً .

ولعل ، كلمة رجاء وطمع وشك . واللام فى أولها زائدة . وهى مع لفظ الجلالة بمعنى التحقيق .

يقول : كُلٌّ فى نفسه ضالٌّ جائِر . يَسْلك إلى الفناء المُطلق سبيلاً قد سلكها الناسُ من قَبله . هنالك فى تلك الغاية الخالدة يَسْتوى التقىّ والشقى ، ويأْتَلفُ الخيِّر والشرِّير . ألا فلتعرفوا أنفسكم أيها الناس ، ولتكفوا من غروركم ، فإنما أنتم مادّة تتشكّل أشكالا مختلفة ، وتتَصوَّر صورًا مُتباينة . لا تَفْخَروا فما أعرف لكم فى الفَخر حقًّا . إنما أنتم من الفَخَّار خُلِقْتم و إلى الفَخّار تعُودون . ألاَ رُبَّ فاخِرٍ منكم قد ملأ فَمه الفخرُ، وقد أُولع بما يُقدِّمه إليه الناسُ من المدح والثناء ، قد عاد إلى أصله ورجع إلى مادّته بعد حين ، واتخذ النّاسُ منه الآنية يبتذلونها فى الطعام والشراب ، متنقّلين بها من بلد إلى بلد ، ومن قُطْر إلى قُطْر .

٥ (وَيُحْمَلُ مِنْ أرْضٍ لأُخْرَى وما دَرَى
فوَاهاً لَهْ بَعْدَ البِلَى يَتَغرَّبُ)

درى : عرف وعلم . دريت الشىء دَرْياً ، ودِرْياً ، ودِرْية ، ودِرْيانا ، ودراية . وأدريته غيرى .

و « واهْ » تلهُّف وتَلوُّذ . وقيل : أُستطابة . ويُنوّن ، فيُقال : واهاً لفُلان !
قال أبو النَّجم :

واهاً لريّا ثم واهاً واهَا ياليتَ عَيْناها لنـا وفاهَا

قال ابن جنّى : إذا نونتَ فكأنك قلت : أُستطابةً . وإذا لم تنوّن فكأنك قلت : لا استطابة . فصار التنوين عَلَمَ التَّنكير ، وتَرْكُه عَلَمَ التَّعْريف .
وأنْشد الأزهرىّ :

وهْو إذا قِيل له وَيْهاً كُـلْ فإنّه مُواشِكٌ مُسْتَعجِـلْ
وهو إذا قيل له ويْهاً قُلْ فإنه أَحْجِ به أن يَنـكُلْ

أى إنه إذا دُعِى لِدَفْع عَظِيمة فقِيل له : يا فُلان ، نَـكَل ولم يُجب ؛ وإن قِيل له : كُلْ ، أسْرع .

والتغرب : البعد والنزوح عن الوطن ، ويكون بمعنى الإتيان من قبل الغرب .

يقال : غرّب القومُ : إذا ذهبوا فى المغرب ؛ وأغربوا : إذا أتوا الغرب ؛ وتغربوا : إذا أتوا من قبل المغرب . والمعنى على التوجيهين جائز ، فقد يجوز أن يُصنع هنا ثم ينُقل ، كما يجوز أن يصنع هناك ثم ينقل إلينا .

يقول : ويْحى له لو دَرى ما سيُصنع به ! أو عرف أنّه سيتَغرّبُ بعد موته ، فتُنقَل الآنية اُلْمتخذة من جِسْمه فى الأقطار والأقاليم ، لَماَ عُنِى بالفخر ولا هام به ، ولما كدّ نفسه وأشقاها فيما تـكَلّفه الحياةُ من آمال وأخطار .

اللزومية الثانية والأربعون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة مع الجيم :

١ (إِذَا كَانَ إِكْرَامِى صَدِيقِيَ واجِباً فإِكْرَامُ نَفْسِى لَامَحَالَةَ أَوْجَبُ)

المحالة : الحيلة ، ومنه قول أبى دُواد يعاتب اُمرأته :

حاولْت حين حرمْتنى والمرء يعجز لا المحاله

وأما قولهم : لا محالة من ذلك ، أى لابد . قال الأزهرىّ : ويقولون فى موضع « لابد » : لا محالة .

يقول : ما بالُ أُناس يوْثرون على أنفسهم فيَشْقون لِيَسْعَد النـاس ، ويَكِدُّون ليرتاح غيرُهم ، مُعتمدين على قضايا كاذبة ، مُتَمسِّـكين بقواعد شائعة ، لا يُؤَيِّدُها عقل ولا يُدعِّمها دليل. قد خَلطوا بين الحُقوق ولم يُحسِنوا تَقْدير الأمور؛ فزَعموا أن إِكرام الصديق واجب ، وأن إيثاره بالفضل حقٌّ محتوم . وذلك شيء لا شكّ فيه ، ولـكنّ إِكرام نَفْسى يَنْبَغى أن يكون أَوجبَ علىّ، وأَلْزم لى من إكرام غَيرى .

٢ (وَأَحْلِفُ ما الإِنْسَانُ إِلَّا مُذَمَّمٌ أَخُو الفَقْرِ مِنَّاوالمَلِيكُ المُحَجَّبُ)

ما : حرف نفى ، تعمل عمل « ليس » وقد تزاد الباء فى خبرها . والنفى هنا منتقض « بإلا » فبطل عملها .

والمُذَمّم : المذموم جدًّا . والمحجب ، أى الممتنع بقصره وحجابه . جعل أخا

الفقر مثلا للتبذل والامتهان ، والمليك مثلا للعزة والرفعة ، وخصه بالوصف ليكون أبعد فيما أراد .

يقول : لقد ضلَّت العقول ، وسَفُهت الأحلام ؛ وأُقْسِم ما أرى الإنسانَ إلا خليقاً بالذّمّ ، حريًّا بالعَيْب ، سواء فى ذلك الفقير المُمتهن ، والملِك ذو الجلال .

٣ (أَيَعْقِلُ نَجْمُ اللَّيْلِ أَوْ بَدْرُ تِمِّهِ فَيُصْبِحَ مِنْ أَفْعَالِنَا يَتَعَجَّبُ)

يعقل : يفهم و يميز والاستفهام هنا ليس على حقيقته ، بل هو للإنكار الإبطالىّ ، لأن ما بعد الهمزة غير واقع؛ إلا إذا أوّلنا بعض مظاهر النجم والقمر ، فيكون المعنى للتعجب .

والنجم : ما نبت على وجه الأرض ، وما طلع من نجوم السماء . فميّز ما أراد منهما بالإضافة إلى « الليل » . والنجوم فى الليل أبين ما تكون للرائى ، فكانت إضافتها إليه .

ولعله أراد بالنجم « الثريا » فهو اسم لها عَلَم . يقولون : طلع النجم ، ويريدون « الثُّريّا » . و إن أُخرجت منه الألف واللام تنكّر ، فعوّضته الإضافة هنا ما فقده .

وقد ناط العربُ بالثريا أشياء ، فزعموا أن بين طلوعها وغروبها أمراضاً وعاهات ، فى الناس والإبل والثمار . ومدة مغيبها ، بحيث لا تُبْصَر فى الليل ، نيِّف وخمسون ليلة ، لأنها تخفى بقربها من الشمس قبلها و بعدها ، فإذا بعدت عنها ظهرت فى الشرق وقت الصبح . لهذا كان إيرادها هنا أوفق .

أو لعل الرواية :« أتعقل نُجُم» . يريد « نُجُم » بضمتين ، جمع نَجْم ، فسكن للشعر .

والبدر : القمر الممتلىء قد تمّ . والتم : التمام . والضمير فيه للّيل . قال ابن شُميل : وليل التمام : أطول ما يكون من الليل . ثم قال : ويطول ليل التمام حتى تطلع فيه النجوم كلها . ويكون أبو العلاء خصّه بالذكر للتعجّب الذى ذكره فى هذا البيت ، إذ كل فعل عَجَب يُغرى بالاحتفال له ، ويجمع النظّارة حوله .

ولم يُبعد أبو العلاء ، عما ذهب إليه القُدماء ، من ربط الحياة بذوات السماء .

والتعجب : أن ترى الشىء يُعجبك تظن أنك لم ترَ مثلَه . وكذلك أفعال الأناسى عند المعرى .

يقول : ليت هذا النجم المتألق ، وهذا البدر المُنير ، يَعقِلان فيعجبا لِمَا وقَع فيه الإنسان من خَطل الآراء ، وسَفَه الأحلام .

اللزومية الثالثة والأربعون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة مع الراء :

١ (بَقِيتُ وَمَا أَدْرِى بِمَا هُوَ غَائِبُ   لَعَلَّ الَّذِى يَمْضِى إِلَى اللهِ أَقْرَبُ)

دَرى ، من ذوات المفعول والباء فى « بما » إمَّا للإلصاق ، وهو معنى لايفارقها . وإما زائدة على المفعول . ومنه قوله تعالى : (وهُزِّى إليكِ بجذعِ النَّخْلة) . وقد مرَّ على « لعلَّ » [1] شىء .

يقول : لقد قُدِّر علىَّ البقاء . وحُجب عنِّى الغَيْب، فأنا بالبقاء كَلِف ، وبما مضى جاهل . وربما كان الموت خيراً لى ، وأبقى علىّ من الحياة ، أو ربما كان موت الإنسان إدناءً له من ربِّه .

٢ (تَوَدُّ البَقَاءَ النَّفْسُ مِنْ خِيفَةِ الرَّدَى
وطُولُ بَقَاءِ المَرْءِ سُمٌّ مُجَرَّبُ)

٣ (عَلَى المَوْتِ يَجْتَازُ المَعَاشِرُ كُلُّهُمْ
مُقِيمٌ بِأَهْلِيهِ وَمَنْ يَتَغَرَّبُ)

٤ (وَمَا الأَرْضُ إِلّا مِثْلُنَا الرِّزْقَ تَبْتَغِى
فَتَأْكُلُ مِنْ هَذَا الأَنَامِ وتَشْرَبُ)

---

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٤١ ص ٢٦٤ من هذا الجزء .

الرّدى : الهَلاك . والبيت فى معنى قول لَبيد :

ودعوت ربى بالسَّلامة جاهدًا ... لِيُصِحّنى فإذا السَّلامةُ داء

وقول النَّمِر بن تَولب :

يَوَدُّ الفَتَى طُولَ السَّلامَةَ والبَقَا ... فكيفَ يَرى طُولَ السَّلامة يَفعلُ

ويجتاز : يَسلك ويجوز .

وما أشبه البيت الرابع بقول بعض المحدثين :

كالأرض لا تُطعم من فوقها ... إلاّ لكى تَطْعم مَن تُطعِمُ

يقول : لقد نُحبّ البقاء خوفاً من الموت . ولعمرى ما البقاء إلا سُمّ ناقع ، قد مُلِئَ بأنواع الأمراض ، وألوان الآفات والعلل . ولو أن البقاء على كراهيته ميسور ، والخُلود على آلامه مُتَاح . لقد كان لنا أن نرغب فيه ؛ ولكن الموت واقع ، والحِمام مَحْتُوم ، سواء فى حُكمه المُقِيم والظَّاعن ، والحاضِر والبادِى .

أجل ، إنّ الموت لواقع لا بُدّ مِنْه ، وإنما نحن فى هذه الأرض غِذاء ، تَطلُبنا على أن نكون لها طَعاماً ورِيّا ، كما نَبْتَذِل نحن غَيْرَنا لهذين الغَرَضَيْن .

٥ (وقَدْ كَذَبُوا حَتَّى عَلَى الشَّمْسِ أَنَّهَا ... تُهَانُ إذَا حَانَ الشُّرُوقُ وتُضْرَبُ)

٦ (كأَنَّ هِلالًا لاحَ لِلطَّعْنِ فِيهِمُ ... حَناهُ الرَّدَى وَهْوَ السِّنَانُ المُحَرَّبُ)

٧ (كأَنَّ ضِياءَ الفَجْرِ سَيْفٌ تَسُلُّهُ ... عَلَيْهِمْ صَبَاحٌ بالمَنَايَا مُذَرَّبُ)

يُشير بالبيتِ الأول إلى قول أُميّة بن أبى الصَّلْتَ الثقفىّ من قصيدة له :

والشَّمس تَطْلُع كلَّ آخِرِ ليلةٍ حَمْرَاءَ تَطْلُع نُورُها مُتورِّدُ
تأبَى فلا تَبْدو لنا فى رِسْلها إلاّ مُعذَّبةً وإلاّ تُجْلَد

والمُحرَّب: المُحدَّد. والمُذرَّب: المُحَدَّد أيضاً. وقيل: هو الذى سُقِىَ الذِّراب، وهو السّم، فهو أسرع فى هلاكِ مَن ضُرِب به. وفى بعض الأصول: «مُدرَّب» بالدال المهملة، أى مُعوَّد. ويجوز على هذا أن يكون صِفةً للصَّباح أو للسَّيف.

يقول: إن الإنسان لمَغْرور مخدوع، وإنه على ذلك لـكَذُوب مُفْتَرٍ، لم يَدَعْ شيئاً إلاّ تناوله بكذبه، حتى إنّ الشّمس لم تَسْلم من خَطَل أُميَّة بن أبى الصَّلْت، فزعم أنَّها لا تُشرق حتى ينالها الضَّربُ والإيذاء. لقد صَغُرت العقُول وقَصُرت الأنظار، ولقد كان حقًّا على هؤلاء الناس أن يَنْظروا إلى هذه الشمس وأمثالها من الكواكب والنُّجوم، من حيث هى عاملة على إهلاكهم، مُجِدّة فى إفنائهم، فما أرى أن هذا الهلال قد حُدِب وعُطِف إلاَّ ليكون رُمحاً يُطْعَنون به، وما أرى أنَّ هذا الصباح قد أستطال وأضاء إلا ليكون سيفاً مَسْلولاً عَلَى رءوسهم، يُورِد كلاًّ منهم حوضَ المَنون، إذا انقضى أجله وحانت مدته.

اللزومية الرابعة والأربعون

وقال أيضاً فى الباء المَضْمومة مع الهاء :

١ (أَتُذْهَبُ دَارٌ بِالنُّضَارِ وَرَبُّها   يُخلِّفُها عمَّا قَلِيلٍ ويَذْهَبُ)

أذْهَبَ الشَّىءَ: موَّهه بالذَّهب وطَلاه، فهو مُذْهب. ومثله : ذهَّبتُ الشىءَ، فهو مُذَهَّب . والنُّضار: اسم للذَّهب والفضَّة ، وقد غَلَبَ على الذَّهب . وقد يجىء نَعْتاً ، فيُقال: ذَهَبٌ نُضار. وخلَّف الشىء : جعله خلفه، يريد : ولّى عنه وتركه .

يقول : أذْهِبوا أيُّها الأغنياء دُوركم بالنُّضار الوَهَّاج ، وزَيِّنوها بما شئتم من بَديع الرِّياش ؛ فإنما أنتم عنها ذاهبون ، ولها تاركون .

٢ (أَرَى قَبَسًا فِى الْجِسْمِ يُطْفِئُهُ الرَّدَى
وما دُمْتَ حَيًّا فَهُوَ ذَا يَتَلَهَّبُ)

الرؤية ، بالعين ، وتتعدى إلى مفعول واحد ؛ وبمعنى العلم ، وتتعدى إلى مفعولين وقال ابن سيده : الرؤية : النَّظَر بالعَيْن والقَلْب .

والقبس : الجذوةُ ، وهى النارُ التى تأخذها فى طَرَف عُود ؛ وقيل : هو الشُّعلة منها . يريد بها الحياة . وجعلها « قبساً » لقصر أمدها ، فالقبس لا مدد له يذكيه فيطول وَقْده ، وكذلك الحياة إلى انحلال . والتلهُّب : التوقد والاشتعال . ويُريد به ما مع الحياة من حركة واضطراب .

يقول : ما أرَى إلا أن أجْسامَكم قَبَساً ، مهما أضاء فلا بُدّ أن يُطْفِئه الموتُ ويُخْمده الرَّدى ؛ فما النِّهاية إلا إلى حين ، وما اشتعاله إلاّ إلى مَدى .

اللزومية الخامسة والأربعون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة مع الرّاء :

١ (غَدَوْتُ عَلَى نَفْسِى أُثَرِّبُ جَاهِدًا وَأَمْثَالَهَا لَامَ اللَّبِيبُ المُثَرِّبُ)

٢ (إذا كَانَ جِسْمِى مِنْ تُرَابٍ مَآلُهُ إِلَيْهِ فَمَا حَظِّى بِأَنِّى مُتْرِبُ)

غدا عليه غَدْوًا وغُدُوًّا : بكّر ، وذلك فى أوّل النهار ، يعنى معاجلته نفسه ، وأن هذا أول ما كان منه .

وثرَّب : أنَّب واُستقصى فى اللَّوْم . وقيل : ثرّب عليه : لامه وعيّره بذنبه وذكّره به. تقول : ثربت عليهم ، وغربت عليهم ، أى قبحت فعلهم . والتبكيت، قريب منه . و« أمثالَها » مَفْعول مُقدّم للفعل « لام » أى وأمثال نفسى لام .

والمآل : الرُّجوع والمَصير. وأَتْرب : قلّ ماله ؛ وأتْرب أيضاً . استغنى وكثر مالُه ، فصار كالتُّراب ، وهذا هو الأعرف ، وهو المُراد هنا .

يقول : ما أخلق النّفس باللّوم ! وما أحْراها بالتَّثريب ! وما أَجْدر اللَّبيب العاقل والحكيمَ الحازم ، أن يَمْنحها منهما حظًّا غير مَقْطوع ، وعطاء غير مَجْذوذ ! فقد كَلِفَتْ بما فى هذه الحياة من باطل ، وحرصتْ على مالها من زينة فانية ، ونِعْمة غير خالدة . ولستُ أدرى ما الذى يَكْلَف به الإنسان من الثّروة والغِنَى، وهو يَعْلم أنّه من التُّراب خُلق ، وإلى التُّراب يَعُود . ما أَجِدُ حِرْصَ اُبن التُّراب على الغِنَى والإتْراب إلاّ حُمْقا ! وما أرى شغف اُبن الفَناء بالخلود والبقاء إلاّ سَفهاً !

٣ (وَمَا زَالَتِ الدُّنْيَا بِأَصْنَافِ أَلْسُنٍ تُبَيِّنُ عَنْ غَيْرِ الجَمِيلِ وَتُعْرِبُ)

الأصناف : جمع صنف ، بالكسر والفتح ، وهو النوع والضَّرب من الشيء. وأصناف ألسن ، أى ضُروب من القول وألوان من الكلام .

وأعْرب : أبان وأفْصح . يُقال : أعرب الشيءَ ، إذا أبانَه وأفْصحه ، وعن حاجته : إذا أبان عنها .

يقول : لقد آن للعقُول الضالّة أن تهتدى ، وللنفُوس العاقلة أن تُفيق ، وللآذان الصُّم أن تَسْمع . فما زالتْ هذه الحياة مُنذ كانتْ تَنْطق بكل لغة ، وتُعرِب بكُلّ لِسان ، مُبرهنةً على ما اشتملت عليه من شَرّ ، ومُشِيرة إلى ما شُفعت به من سُوء .

٤ (إذَا أَغْرَبَتْ يَوْمًا بِرُزْءٍ عَلَى الفَتَى فَلَيْسَتْ عَلَى نَفْسِي بِمَا حُمَّ تُغْرِبُ)

الإغراب : الإتيان بالشيء الغريب ؛ وهو كذلك غاية الإكثار ، ومنه أغرب الفرسُ فى جريه ، والرجلُ فى منطقه : إذا لم يُبق شيئاً إلا تكلّم به .

والرزء : المصيبة بفقد الأعزاء ، وهو من الانتقاص؛ يُقال : مارزأ فلاناً شيئاً ، أى ما أصاب من ماله شيئاً ولا نقص . جعل الرزء غريباً لم يعهد ، أو فادحاً بلغ غاية الفَدْح .

وحُمّ الشيء وأُحِمَّ : قُدِّر وقُضِى . وحَمّه الله وأحَمّه : قَضاه وقدّره .

يقول : لقد اُختبرتُها فأحسَنْتُ اُختِبارَها ، و بلوتُها فأَتْقنْت بلاءها . لقد أحطْتُ بأسرارها وظهرتُ على خَبيئتها ، فما أرى فيها شيئاً أُنكره أو أعجب له أو تُدْهشنى غَرابته ، على حين أرى الحَمْقَى المُضَلَّلين ، والبُلْه المغفّلين ، تَفجؤهم

منها فاجئةُ الخيرِ أو الشرّ ، لم يكن لهم بها عهد ، فيقْضُون العَجب ، و يَلجُّون في الدّهش والاستغراب .

٥ (وَجَرَّبْتُهَا أُمَّ الوَلِيدِ لِطَامِعٍ وَيَيْأَسُ مِنْ أُمِّ الوَلِيدِ المُجَرِّبُ)

أُم الوليد : من كُنَى الدَّجاجة . وتُكْنى أيضاً : أم حفصة ، وأم جعفر ، وأم عقبة ، وأم إحدى وعشرين ، وأم قُوب ، وأم نافع . وتوصف بسرعة الإقبال والإدبار . شبّه الدنيا بها لا يَعلق بها وهَمْ طامع حتى تفوته . كما تُوصف بقلة النوم وسرعة الانتباه ، والدنيا على تلك الحال قلّ أن يُطمع منها بغفلة أو غِرة .

يقول : على رِسْلكم أيها الناس ، إنما خَيْرُكم من هذه الحياة لباطلٌ وزُور ! و إنكم حين تَعْجَبون به لتُعجبون بشيء لم يَقُم على قاعدة ولم يعتمد على أصل ولا حكْمة ! إنما هي حركات حُمْق ونَزوات خَطَل ، وما يَنْبغى للعاقل أن يرجو منها خَيْراً أو يَنْتظر منها نفعاً . ما أرى دُنياكم هذه إلاّ أشد حُمقاً وأكثر خَطلا من دَجاجة ، ليس لها حِلْم راجح ، ولا عقْل صحيح ؛ قد حُرِمَتْ رزانة الحركة ووقار المِشْيَة ؛ فهي نَزّاءة وثّابة ، ونَزِقة طائشة ، تَحكُمها المُصادفة أكثر ممّا يَحْكُمها التَّدبير . فما أجْدر العالِمَ بها باليأس مِنْها ، والقُنوط من مُستقبل أمرها .

٦ (يَحِقُّ لِمَنْ يَهْوَى الْحَيَاةَ بُكَاؤُهُ
إِذَا لَاحَ قَرْنُ الشَّمْسِ أَوْ حِينَ تَغْرُبُ)

٧ (وما نَفْسٌ إِلَّا يُبَاعِدُ مَوْلِدًا
وَيُدْنِي المَنَايَا لِلنُّفُوسِ فَتَقْرُبُ)

٨ (فَهَلْ لِسُهَيْلٍ فى مَعَدٍّكَ نَاصِرٌ
إِذَا أَسْلَمَتْهُ للحَوادِثِ يَعْرُبُ)

٩ (وأَهْدَى إلى نَهْجِ الهُدَى مِنْ مَعَاشِرٍ
نَوَاضِحُ تَسْنُو أو عَوامِلُ تَكْرُبُ)

حَقَّ : وَجب ، ومثلها حُقّ ، ولكنك إذا قُلت : حُقَّ ، قُلت لك ؛ وإذا قُلت : حَقَّ ، قُلت : عليك . وإذا عَبَّرُوا بالمُضَارِع جعلوه من المَعلوم ، فقالوا : يَحقّ عليك . و « بكاؤه » فاعل الفعل « يحق » . ولاح النجم ونحوه : بدا . فإذا أومض وتلألأ، قلت: ألاح . وقال ابن السَّكّيت. ويقال للشىء إذا تلألأ: لاح يلوح لَوْحاً ولُؤُوحاً . وقَرْن الشَّمس : أوّلها عِند طُلوعها وأعلاها . وقيل : أوّل شُعاعها . وقيل : ناحيتها .

والنَّفَس: هو خُروج الرِّيح من الأنف والفم، وما الحياة إلا أنفاس . وسُهيل: كوكب . زعموا أنه كان عشَّارًا عَلَى طريق اليمَن ظَلوماً فمسخه اللهُ كَوْكباً ، ومَعدّ ، هو ابن عَدْنان، أبو العرب ؛ من « عَدّ » . أو الميم فيه أصلية ، لقولهم : تَمَعْدد ، أى تزَيّا بزىّ معدّ فى تَقشّفهم . أو تَصبَّر على عَيْشهم . ويَعْرُب : هو ابن قحطان ، أبو اليمن .

يُشير إلى هذا الزَّعم . أى هل بعيد أن العرب تنصر سهيلا بعد أن لم تَدْفع عنه اليمن ، وهو منهم ! وجعله مثلاً للإنسان لا يملك حولا من صديق بَلْه غيره .

والنهج : الطَّريق المستقيم . والمعاشر : جماعات : الناس . والنَّواضح : جمع ناضحة، وهى النَّاقة يُسْتَقَى عليها الماء. وتَسْنُو : تَسقى. يقال : سَنَت الناقةُ تَسنو ، إذا سقت الأرضَ ، والقومُ يَسْنُون لأنفسهم ، إذا اسْتقوا .

والعوامل : بَقر الحَرْث والدِّياسة ؛ وقيل : هى من البقر التى يُستقى عليها ويُحرث ، وتُستعمل فى الأشغال ؛ الواحدة : عاملة . وتكرُب : تحرث ؛ يُقال : كَرَب الأرْض يَكرُبها كَرْباً وكِراباً : قلبها للحرث ، وأثارها للزَّرع .

يقول : أيّها الكَلِف بالحياة ، المشغُوف بالبقاء ، لقد تَيَّمتْك هذه الدُّنيا واسْتأثَرت بلُبِّك ، فَهِمْتَ بها من حيثُ ينبغى أن تَصُدّ عنها ، وأنْ تستبدل ببُكاء الرَّغبة فيها بُكاءَ الرَّهبَة منها.

إنَّك لَتَهْوى العلَّة المُهْلِكة والداء المُميت ، إنَّ حركة الشَّمس من المشرق إلى المغرب ليست إلاَّ مُقرِّبة لأجَلك ، ومُقصِّرة لحياتك . فَكِّر فى أمْرك ، وأحسنْ تدْبير نفسك، تجِدْ أنَّ أنفاسَك التى تَتَنفَّسُها، وحركاتِك التى تتحرَّكها، مُسْتَلِذًّا بها ذَوْق الحياة ، مُستعذِباً بها طَعْم العيْش، لَيْست إلا مُضْنِيَةً لك ، تُباعد ما بينك وبين المَهد ، وتُقارب ما بَيْنك و بين اللَّحد . ذلك قَضاء واقع ، وحُكْم نافذ ، ليس لك مِنه عاصِم ولا نَصير .

أتُرى أن سُهيلاً ، هذا النَّجم المتلألِئ فى السماء ، الذى هو أحْرَى مِنْك بالبقاء ، وأدْنَى منك إلى طُول المدَّة ، واجِدٌ له من الحوادث نَصِيراً ، ومن الكوارثِ مَلْجأً ؟ كلاّ ! ولكنّها عُقول ضَالّة ، وأنْظار قصيرة ، ونفُوس سَبَقَتْها إلى الهُدَى تلك الإبِلُ الجادّةُ فى سَقْى الأرض ، والبقَر العامِلةُ فى حَرْثها .

١٠ (أَلَا تفرَقُ الأَحْياءُ مِمَّا بدَا لَهاَ
وقَدْ عَمَّهاَ بِالفَجْرِ أَزْرَقُ مُغْرَبُ)

١١ (وَشَفَّ بقَاَءٍ صِرْتُ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِ
أَهشُّ إِلَى المَوْتِ الزُّؤامِ وأَطْرَبُ)

تَفرق : تَفْزَع وتَجْزع ؛ فَرِق منه فرَقاً : جزِع . وحكى سيبويه : فَرِقه ، عَلَى حَذْف « من » . وحكى اللحيانى : فرق عليه : فَزع وأَشْفق .

والأزرق: الأبيض . قال ابنُ سِيده . الزُّرْقَة : البياض حيثما كانَ . والأزرق أيضاً : الشديد الصفاء .

والمُغرَب ، على صيغة اسم المفعول : الصبحُ لبياضه . أراد « مغرب أزرق » فقدَّم وأخر . وعَلَى صيغة اسم الفاعل : ما لفّ ووارى من كل شىء .

ويريد « بأزرق مغرِب » صُبحاً صافياً قد لفّ بياضه كل شىء .

وشَف ، أى رَقّ ونَحل وضَعُف ، هذا على اللزوم . و « بقاء » يريد حياةً هذه صفتها : هُزالاً ورقة وضعفاً لا غناء عندها .

وقد يكون الفعل على الخُروج ، أى وشفَّنى بقاءٌ . وحذف المفعول للعلم به . وهش للشىء يهش ، من باب فرح : ارتاح له واشتهاه .

والزؤام : العاجل السَّريع المُجْهز ، وقيل : الكريه ، وهو أصح .

يقول : عَجباً لكم أيها الناس ، لقد اطمأننتم إلى الحياة واسْتَنَمْتم إلى لذّاتها ، فما منكم إلاّ مَغْرور يملؤه الأملُ ويحدوه الرَّجاء . لقد أمِنْتم سَطْوةً لا تُؤْمَن ، وركنتم إلى مالا ينبغى أن تركنوا إليه . لقد كان حقًّا عليكم أن تَفْرَقُوا من مَطْلع النّهار ومَقْدم الليل ، وأن تُسيئوا الظَّن بحياة ما أُراها إلا مُرغِّبة فى الموت ، مُغْرية بحُبه ، مُحرِّضة عليه . قَصِّروا من آمالكم وآثروا أنفسكم بالدَّعة والراحة ، حتى تنقضى أيّامكم القَليلة .

١٢ (فَشِمْ صَارِمًا وَارْكُزْ قَنَاةً فَلِلرَّدَى
يَدٌ هِيَ أَوْلَى بالْحِمَامِ وأَدْرَبُ)

١٣ (أَفَضُّ لِهَامَاتٍ وأَرْمَى بأَسْهُمٍ
وأَطْعَنُ فى قَلْبِ الْخَمِيسِ وأَضْرَبُ)

١٤ (أَرَى مُطْعِمَ الرَّمْسِ اللَّهَمِّ خَلِيلَه
سَيُؤْكَلُ مِنْ بَعْدِ الْخَلِيلِ وَيُشْرَبُ)

شام السيف : سَلَّه وأَغْمده ، من الأضداد . وشَكَّ أبو عُبيد فى « شِمْتُه » بمعنى : سللته .

قال شَمِر : ولا أَعْرفه . وشاهده فى « السَّلّ » قولُ الفرزوق :

إذا هى شِيمتْ فالقَوائم تحتها وإنْ لم تُشَمْ يوماً عَلَتْها القَوائمُ

وشاهده فى الغَمْد قَولُ الطِرِمّاح :

وقد كنت شِمْتُ السيفَ بعد اُستلاله وحاذرتُ يوم الوعد ما قيل فى الوَعْد

والمراد هنا « الغمد» بقرينة « ركز القناة » بعده .

والصّارم : السَّيف القاطع . والرَّكز : غَرْزُك شيْئاً مُنْتَصِباً كالرُّمح .
وأدْرب : أكثرُ جُرْأة وضَراوة .

وأفَضّ : أقْوى تكسيراً وتفْريقاً . والهامات : جمع هامة ، وهى الرأس ، وتُجمع على هام أيضاً . والخميس : الجيش الجرّار . وقيل : سُمِّى بذلك لأنه خمس فِرَق : المقدِّمة والقَلْب والمَيْمَنَة والمَيْسرة والسَّاق .

والرَّمْس: القَبر؛ والجمعُ: أرْماس ورُموس واللِّهَمّ، مثل خضَمّ: العظيم الكثير الابتلاع . وَصْفٌ للمضاف إليه، وهو «الرَّمس» . واللّهَمّ أيضاً: الكثير العطاء ، فيكون وصفاً للمُضاف ، وهو « المُطْعِم » أى السخىّ فى القَتْل . « وخَليله » مفعول لـ « مطعم » . و«سيؤكل و يُشْرب » على ما لم يُسم فاعله ، أى إنه نازلٌ به مِثْل ما نزل بخَليله، شارب بالقدح الذى شَرب منه .

وفى بعض النُّسخ : « سيأْكل » . أى إن الناس بعد أن يُوارُوا خلاّنهم التُّراب عائدون إلى لهوهم ومُجونِهم .

يقول :أَغْمِدُوا سُيوفَكم وارْكِزُوا رِمَاحَكم ، ولا يَبْلُغْ منكم حُبُّ الحياة والشَّغف بها أن يَتعَجَّل بَعْضُكم مَنايَا بعض. أَرِيحُوا أَنفُسكم، لا يَقْتُل بَعْضُكم بَعْضاً ؛ فإنَّ للموت الفِطْرىّ يداً أمهرَ من أَيْديكم فى القَتْل، وحُساماً أمْضى من سُيوفكم فى الهَام ، وسِناناً أَثقبَ من أسِنَّتكم للصُّدور .

أَرِيحُوا أنفسكم من هذا العَناء ، فإن الموتَ سيُرِيح بَعضَكم من بعض . كُلّكم مَيِّت، وكُلكم تارِكٌ أصدقاءه وأخِلاَّءه ، لا يَحفِلون به ولا يأسفُون عليه ، وما هى إلا ساعةُ وَدَاعه ثم يَعُودون من اللَّهْو واللَّعب ، ومن الغىِّ والمُجُون ، إلى ما كانوا فيه .

اللزومية السادسة والأربعون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة مع الدال :

١ (إذَا أَقْبَلَ الإنْسَانُ فِى الدَّهْرِ صُدِّقَتْ
أَحَادِيثُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَهْوَ كَاذِبُ)

الإقبال : ضد الإدْبار . يريد : إذا مَضى قُدُماً إلى الرِّفْعة والعَلْياء ، وأصاب حَظًّا من مَنْزلةٍ سامية .

يقول : ما أحْرَصَ النَّاسَ على تَصْديق الغَنىّ والثِّقَة بصاحب الثّراء ، قد أقْبلت عليه الأيّامُ فأَسْبَغت عليه من النِّعمة ثوباً ضافياً خَلَّابًا ، لم يَكد يَظْهر فيه صاحبُه حتى خَلب العُقولَ والألبابَ ، فَخُيِّل إليها أن باطلَه حَقّ ، وكَذِبه صِدْق ، وضَلاله هُدًى .

٢ (أَتُوهِمُنِى بِالْمَكْرِ أَنَّكَ نَافِعِى وَمَا أَنْتَ إلّا فِى حِبَالِكَ جَاذِبُ)

٣ (وَتَأْكُلُ لَحْمَ الْخِلِّ مُسْتَعْذِبًا لَهُ وتَزْعُمُ لِلْأَقْوَامِ أَنَّكَ عَاذِبُ)

وَهمت فى الشىء ، بالفتح ، أهِم وَهْمًا ، إذا ذهب وَهْمُك إليه وأنت تُريد غيرَه ؛ وأهمت غيرى إيهاما . و بالمكر ، أى خادعاً مُحتالاً فى خُفية . والحبال : جمع حَبَل ، ما يُصاد به . قال الأزهرىّ : والحبالة . جمع الحَبَل ؛ يقال : حَبَل وحبَال وحِبالة ، مثل : جمل وجمال وجمالة . وقيل : الحبالة ، التى يصاد بها ، جمعها : حبائل . والجَذْب : المد . أى موسع لى فى وسائل الإغواء لتصيب منى مقتلا .

وقد تكون الحبال : جمع حَبْل ، بمعنى العهد والذمة والتواصل . ويكون « الجذب » هنا بمعنى القطع ، ويكون المعنى: أنه يُخيِّل له أنه على عهده ووده ، وهو يكيد له ويمكر به .

والخِل: الصديق المُختص . والجمع: أخلال. والأنثى: خِلّ، أيضًا . ويجوز فيه الضم ، والكسر أكثر . ومستعذبًا له : تعده عذبًا مستساغًا ، وظاهر أنه يشير إلى قوله تعالى فى سورة الحجرات : (ولا يَغْتب بعضُكم بعضاً . أيُحب أحدُكم أن يأكل لحم أخيه مَيتا) . وقد تكون الرواية « الخَلّ» بالفتح، وهو المهزول، والسمين ضد ، يكون فى الناس والإبل . والمراد هنا : الإبل . وكأنه ملتفت إلى ما أخذ نفسه به من العُذوف عن أكل لحوم الحيوان . وكأنه هنا يَعد فاعلَ ذلك على نقيصة ، لا يوثق به ولا يؤمن جانبه .

والعاذب ، من جميع الحيوان : الذى لا يَطعم شيئاً . وقد غَلب على الخَيل والإبل . والجمع : عُذوب ، كساجد وسُجود . وقيل : هو الذى يبيت ليلَه لا يَطعم شَيئًا ؛ أى إنه نَهِم شَرِس، و يدعى أنه عَفٌ عَلى زهادة .

يقول : حدِّثنى بما شِئت من تَضليل وتغرير ، وأوْهِمنى بما استطعت من سَطْوة وسُلْطة ، وخيِّل إلىّ أنكَ تَملك نَفْعى وضُرِّى ، وتقدر على خَيْرى وشَرِّى ؛ فإنك عندى كاذبٌ غَير صادق ، ومائنٌ غَير أمين . لقد فَقَدْت القُدرة فما تَسْتَطيع عملاً وما تقدر على شيء ، إن أنت فى الحياة إلاّ عَبْد مَقْهور مُسْتَذَلّ ، قد خُيِّل إليه أنّه قادرٌ مُختار فَعّال . لقد خَدعك الخيالُ وكذّبتْك المُنى .

أظْهِر النُّسُك والعبادة ، وأعلِن الهُدَى والطاعة ، وتجافَ بين أيدى النّاس عن نَعيم الحياة ولذّاتها ، وحدِّثنا أنّك وفىٌّ بالعُهود ، حافظٌ لغَيْب الصّدِيق، فما أنت فى ذلك إلاّ مُختلق مُنْتحل . إنّك لتَتزَهّد بين أيْدِينا عن لَحم الحيوان ، ولكنّا نكادُ نَلمس بأيْدينا قَرَمَك إلى لحم الإنسان ، ولا سيّما إن كان صديقاً أو خَليلا .

اللزومية السابعة والأربعون

وقال أيضاً فى الباء المَضمومة مع الجيم :

١ (لَا يُغبَطَنَّ أَخُو نُعْمَى بِنِعْمَتِهِ بِئْسَ الْحَيَاةُ حَيَاةٌ بَعْدَهَا الشَّجَبُ)

الغَبْط : أن تَتمنَّى مِثْل حال المَغْبوط ، من غير أن تُرِيد زَوالها ولا أن تَتحوَّل عنه . والنُّعْمَى كالنِّعمة ، و إن فَتحتَ النُّون مَددتَ ، فقلت : النَّعماء . و بئس : كلمة ذَمٍّ . فعل ماض لا يتصرف ، لأنه أزيل عن موضعه ، منقول من « بَئِس » إذا أصاب بؤساً . وهى تكون لذم الجِنْس ، والمقصود بالذات فردٌ من ذلك الجنس ، ويُسمَّى ذلك الفرد : المخصوص بالذم . و « حياةٌ » هى المخصوصة بالذم ، وهى خبر لمبتدأ محذوف ، تقديره « هى » .

والشَّجَب : الهلاك ، والحُزن أيضاً ؛ فعلُه : شَجِب يَشْجَب ؛ وأَمَّا شَجَب يَشجُب ، فالمصدر منه شُجُوب ، وهو بمعناه . هذا على اللُّزوم ، فإذا عدَّيْتَه ، فالمصدر : الشَّجْب ، وكان مَعناه الإهلاك .

يقول : ألاَ لا تَغبط مُنعَّماً بنعمتِه ، ولا تَحسد سعيداً على سَعادته ؛ فليس فى الحياة ما يُغْبط به ، ولا فى العَيْش ما يُحْسد عليه . بئست الحياةُ تَملؤها اللَّذة، وتُفْعمها النِّعمة ، ثم يَعقُبها الموتُ والهلاك !

٢ (والحِسُّ أَوْقَعَ حَيًّا فِى مَساءَتِهِ وللزَّمَانِ جُيُوشٌ ما لَهَا لَجَبُ)

الحس : الإدراك ، وأدواتُه فى الإنسان حواسّه الخمس ؛ أو هو التصرُّف من تصرُّفات المَرْء ؛ تقول : «جئنى من حسّك و بِسّك» ، أى من حيث تدركه

حاسَّة من حواسّك ، أو يدركه تصرُّف من تصرُّفك . والمعنى على التأويلين جائز، فحواس الإنسان ، وهى وسائله ، أو تصرفه وما يأتيه ، جارَّة عليه ، فيما تجرّ ، العطب والمُوبقات .

وفى مساءته ، أى ما يسوءه ، والضمير للحىّ والمساءة ، من مصادر : ساءه يسوءه . وجيوش الزمان : مُغْوياته ومُغرياته التى هى أسباب للفناء . واللجب : الصَّوت والصياح ؛ وقيل : هو ارتفاع الأصوات والجلَبة مع اختلاط ، وصوت العسكر . ونفى «اللجب» عنها، وَصْف لها بالمخاتلة تدبّ له الضرَّاء، وتمشى الخمَر .

يقول : أجل ! ليس فى الحياة شىء يُحْمَد ، فما أجد الحسّ. الذى هو أخصّ مميّزاتها وأوضح الدلائل عليها ، إلاّ مُوقِعاً لصاحبه فى السُّوء ، ومُنْتهياً به إلى المَكْروه . وكيف تُحْمد الحياة أو يُرغَب فيها ! وما أرى صاحبَها إلا غرَضاً مُسْتهْدَفاً لجيش من الزمان ، يعمل ويَجِدّ فى عمله للفناء ، من غير أن يُسمع له لَجَبٌ ولاَ صَخب .

٣(لَوْ تَعْلَمُ الأَرْضُ ما أَفْعالُ ساكِنِهَا لَكَانَ مِنْهَا لِمَا يَأْتِى بِهِ العَجَبُ)

لو ، تدل على ثلاثة أمور : الشرطية ، أعنى عَقْد السببية والمسببية بين الجملتين بعدها ، وتَقْييد الشرطيَّة بالماضى ، وامتناع السبب .

وهى بالشرطين الثانى والثالث تخالف « إن » فإنّ هذه لعقد السببيَّة والمسببيَّة فى المستقبل .

وقد تجىء « لو » بمعنى « إنْ » وذلك فى نحو « وما أَنْتَ بمُؤْمِنٍ لنَا ولَوْ كُنَّا صادِقِين) . غير أنها هنا ليست من هذا . والمضارع « تعلم » مراد به المُضى .

ثم إن الشرط متى كان مستقبلا محتملا ، وليس المقصود فرضه الآن أو فيما

مضى ، فهى بمعنى « إن » . ومتى كان ماضياً أو حالا أو مستقبلا ، ولكن قصد فرضه الآن أو فيما مضى ، فهى الامتناعية .

و « ما » فى « ما أفعال » استفهامية مضمنة معنى الحرف ، ومعناها : أى شىء . وهى هنا معلَّقة ، أى قد علّقت الفعل « تعلم » عن العمل ، والتَّعليق إبطال العمل لفظاً لا محلا .

واللام فى « لكان » لام الجواب . وتكون جواب « لو » و « لولا » وجواباً لِقَسم . و « يأتى به » : يفعله . وفى بعض الأصول « يؤتى » .

يقول : أفٍّ لِقصَرِ العقول ، وسَفه الأحلام ! لقد أَغْرقنا فى الغُرور ، وتَعلَّقنا بصغار الأمور ، حتى لو عَقَلت الأرض أو فَهمت ، فرأتْ ما نحن فيه من تركٍ للنافع ، وتَشبُّث بالضَّار ، ومن عُدُولٍ عن كِبار الأمور إلى صِغارها ، لقَضتِ العَجَب مما نحن فيه من حُمْق وسُخْف .

٤ (بَدْءُ السَّعَادَةِ أَنْ لَمْ تُخْلَقِ امْرَأَةٌ فَهَلْ تَوَدُّ جُمَادَى أَنَّها رَجَبُ)

جُمادى : أحدُ جُمادَيَيْن ، اسْمين لشَهْرين . إذا أَضَفْت قُلت : شهر جُمادى ، وشَهْرا جمادى . وسُمِّيت الأولى : جُمادى خمسة ، أى الخامسة من أول شُهور السَّنة . والآخرة : جمادى ستَّة . قال لَبِيد :

* حَتَّى إذَا سَلخَا جُمادَى سِتَّةً *

وسُمِّى « جمادى » لجمود الماء فيه ، وهو الشتاء عند العرب . قال الفَرَّاء : والشهور كلها مذكَّرة إلاَّ جُماديين ، فإنهما مؤنثان . قال الشاعر :

إذا جُمادَى مَنعتْ قَطْرَها زَانَ جِنَانِى عَطَنٌ مُعْضِفُ

ورجب : شهر ، سمّوه بذلك لتَعْظيمهم إيّاه فى الجاهليَّة عن القتال ، ولا يَستحلُّونه

فيه . وفى الحديث : « رجب مُضَر الذى بين جُمادى وشعبان » . قوله : « بين جمادى وشعبان » تأكيد للبيان وإيضاح له ؛ لأنَّهم كانوا يُؤخِّرونه من شَهر إلى شهر ، فيتحوَّل عن مَوْضعه الذى يختصّ به . وقيل له : رجب مُضَر ، إضافةً إليهم ؛ لأنَّهم كانوا أشدّ تعظيماً له من غيرهم ، فكأنَّهم اُختصُّوا به .

وفى التمثيل بمؤنث من أسماء الشهور ومذكَّر التفاتٌ لما هو آخذ فيه . وكأنه قاطعٌ بأن النساء لن يرغبن فى النزول عن أُنوثتهن ، إبقاءً لهذا الشقاء الذى ادعاه ، وهو لامتداد النسل ، فضرب لذلك مستحيلا .

يقول : نَرجو السعادة ونكلَف بها ، وإنما نَرْجو مُتَعذِّرًا ونَكلَف بمُحال ؛ وإنّما السعادة ألاَّ نُوجَد ، وقد وُجدنا ؛ وألاَّ نُخْلَق ، وقد خُلِقْنا . فما حِرْصُنا على ما لا سبيل إليه ! وما رَغْبتنا فيما لا قُدْرَة عليه ! وهل رأيت شَهرًا من الشُّهور قد ضَاق بنَفْسِه ، وأَحَبَّ أن يَسْتبدل به غيره ، فودَّتْ جُمادى لو أنَّها رجب .

٥ (وَلَمْ تَتُبْ لِخيَارٍ كَانَ مُنْتَجَبًا لَـكِنَّكَ العُودُ إذْ يُلْحَى وُيُنْتَجَبُ)
٦ (وَما اخْتَجَبْتَ عَنِ الأَقْوَامِ مِنْ نُسُكٍ وإنَّما أَنْتَ لِلنَّكْراءِ مُحْتَجِبُ)

التَّوبة : الإنابة والرجوع عن المعصية إلى الطاعة . تاب إلى الله تَوْباً وتوبةً ومتاباً . والخيار : الاسم من الاختيار . والمُنتجَب : المختار من كل شيء ؛ ومنه : انتجب فلان فلاناً ، إذا استخلصه واصطفاه اختياراً على غيره . أى لم تكن توبتك لاختيار اخترته وأثرته . وكأنه يشير إلى زمن الفتوة والصِّبا ، حين الإقلاع عن اللهو مع القدرة عليه ، لا يكون اضطراراً وإنما يكون اختياراً .

والعُود ، معروف ، وهو ما جرى فيه الماء من الشجر ، يكون للرطب واليابس ، دقّ أو غلظ . وخَص به الليثُ ما دَقّ .

ولعل هذا الأخير بالسياق أجمل ، إذ مراد أبى العلاء أن يقابل بين الشباب والشيخوخة ، والقوة والضعف .

و يُلْحى : يُنزع عنه لحاؤه ، وهو قِشْره ، لحاه يلحوه ، ومثلها : ألحاه . ويُنتجب ، أى يؤخذ قشره بعد أن يُعرَّى عنه . ومجيئه بالفعل الثانى، لمزيد معنى أراده ، وهو تأكيد التعرية ، وأنه لا أمل معها فى عودة .

يصف حال الشيخوخة التى لا رجاء معها فى عودة إلى صبا . وعندها تكون التوبة، إن كانت، عن وَهْن وقلة حيلة .

أو لعله جعل «لحو العود وانتجابه» مثلا للشىء يُقْسر عليه المرء ولا يملكه.

واحتجب : اكتنّ من وراء حجاب ، هذا أصله . والمراد : العُزلة على أى لون كانت . والنُّسك ، بالضم و بضمَّتين : العبادة والطاعة . وكل ما تقربت به إلى الله تعالى . والفرق بينه و بين الوَرَع ، أن النسك فيما أمرت به الشريعة ، والورع عما نهت عنه . والنَّكراء : المُنكَر المُسْتَقْبَح ، إمّا أن يريد ما صار إليه من حال لا صلاح معها المعاشرة والمخادنة، استتر من أجلها يتنسَّك حيث لم يجد إلى غير ذلك سبيلا ؛ وتكون اللام فى « للنكراء » للصَّيرورة ، وهى لام العاقبة ، ولام المآل ؛ وإما أن تكون للتَّعليل ، و يكون المراد : لفعل النكراء لا للعبادة احتجب .

و إما أن تكون « النكراء » بمعنى الدهاء ، ومنه : فلان ذو نكراء ، أى داهياً . يريد أن ذلك النسك دهاء منه ومواربة . وكثيراً ما يُشير أبو العلاء إلى هذا المعنى .

يقول : ألاَ إنّ الشقَّاء مَحْتوم لا مَفرَّ منه ، والشَّر موجود لا مَنْدوحة عنه ، وكُلّ ما أَظْهر الناسُ من حُب للخير أو حرْص على المعروف ، وكُلّ ما أعْلنوا من نُسك وطاعة ، أو زُهد وعِبادة ، فليس إلا ضُروباً من الرِّياء، وألواناً من

الخديعة ، ساقَتْهم إليها غَرائزهم ، وأكرهتْهم عليها طبائعُهم؛ فهم كالعُود لا يَلْحو نفسه ، وإنَّما يَلْحوه الناس .

لم يرْغبوفى الخير و إنما اضطُّروا إلى إظهاره ، ولم يكلفوا بالبرِّ و إنما أُلْجِئُوا إلى انتحاله .

لقد يَبْهرك نُسْك الناسك فتَحسبه إنما تنسَّك للطاعة ، و يُعجبك احْتجابُ الْمُحْتَجب فتَظُنه إنما احتجب للعبادة . كلاَّ ! ما تَنَسَّكَ مَن تَنَسَّك إلاَّ للخداع ، وما احْتجب من احتجب إلا لِيَخْلو بالنَّـكْراء .

٧ (قَالَتْ لِيَ النَّفْسُ إنِّى فِى أَذًى وَقَذًى
فقُلْتُ صَبْرًا وَتَسْلِيماً كَذَا يَجِبُ)

القَذَى : ما يقَع فى العين ، وما يَسقُط فى الشَّراب من ذُباب وغَيره ، وما يَلْجأ إلى نواحى الإناء فيتعلَّق به ، وما هَراقتْ النّاقةُ والشَّاة من ماء ودَم قَبْل الولد و بعده . وكُلّه مما يُمِضّ و يُعاف ويُكره . ولعله أقام « الأذى » لكل ما هو معنوى ، و « القذى » للحسى . وظاهر أنه يشير إلى ملابسة الروح الجسمَ وعنائها بهذا الجوار . أو هو مشير إلى وجوده فى الحياة ، وما يتبع هذا الوجود من ضُر وإثم . وهو ما ينعاه أبو العلاء على الآباء ، ولم يرد أن يُعنَى به الأبناء .

يقول : أيتها النَّفس الضّيقة بما فى هذه الحياة من شُرور ، المُتبرِّمة بما فى هذا الناس من آثام ، خَفِّضِى عنك ورَفِّهى عليك ؛ فتلك طبيعة الحياة ، وهذه غريزة الناس ، لا سبيل إلى تَغْييرِها ، ولا قُدرة على إصلاحهما ، ولاَ حَزْمَ إلاَّ الصَّبْر على احتمالهما ، والتجلُّد على ما يأتينا من جرائم وسيِّئات .

اللزومية الثامنة والأربعون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة مع الجيم :

١ (أَعَيَّبُونِىَ حَيًّا ثُمَّ قَامَ لَهُمْ مُـثْنٍ وَقَدْ غَيَّبُونِى إنَّ ذَا عَجَبُ)

٢ (نَحْنُ البَرِيَّةَ أَمْسَى كُلُّنَا دَنِفًا يُحِبُّ دُنْيَاه حُبًّا فَوْقَ ما يَجِبُ)

عيَّبه : نَسبه إلى العَيْب ، وجعله ذا عَيب . والإثناء والثناء ، يُسْتَعملان فى القبيح من الذِّكْر فى المخلوقين وضدّه ؛ يقال : أثْنَى ، إذا قال خَيرًا أو شرًّا . والمُراد هنا الخير . يريد ذلك الذى يندب الميت و يرثيه و يؤبّنه . وغَيَّبوه : دَفَنوه . و يقولون : غَيَّبه غَيابُه ، أى دُفِن فى قَبْره .

والبريَّة : الْخلْق ، وأصله الهمز . وقيل : إن أُخذت من « البَرى » وهو التُّراب،فأصله غير الهمز؛ومن ذهب إلى أن أصله الهمز ، أخذه من: برأ الله الخلق، أى خلقهم.وقال ابن الأثير : ولم تستعمل مهموزة،وهى منصوبة على الاختصاص.

والدنِف : الذى براه المرض اللازم المُخامر ؛ وقيل: هو المرض ما كان .يريد من شَفَّه جوى الحُب و تَيَّمه .

يقول : عجبتُ للناس يَعيبونى حَيًّا ، ويُثْنون علىَّ ميتاً ، لا يَحمدون صاحب الرأى إلا حين يَغيب عنهم شَخْصُه ، فلا يَسرّه منهم حَمد، ولا يُرْضيه منهم ثناء. ولو أنّهم أدّوْا إليه حقَّه وعرفوا له صَنيعه ، لكان له من رضاهم عنه ، وثنائهم عليه،واستجابتهم لدعائه فى حياته،مُشجِّع على النُّصْح لهم،ومُرغِّب له فى هدايتهم . ولكنّا جميعاً فى هذه الحياة مَرْضى معتَلُّون ، داؤنا حُبّ النفس ، وعلَّتُنا الحرص على الحياة ، وهذه العلَّة وذلك الداء هما اللذان يُوقعاننا فيما نكره من كُفر النِّعمة، وجُحود الجميل .

اللزومية التاسعة والأربعون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة مع الذال :

١ (أَخْلَاقُ سُكَّانِ دُنْيَانَا مُعَذِّبَةٌ وإنْ أَتَتْكَ بِمَا تَسْتَعْذِبُ العَذَبُ)

مُعذِّبةٌ : منفرة . عذَّبته عن الشىء وأعذبتُه : منعتَه وكففته . واُستعذب الشىءَ : عَدَّه عذباً سائغاً . وفى بعض النسخ : « بما يُستعذب » . والعَذَب : جمع عَذَبة ، وهى من اللسان : طرفه الدقيق . وهى كذلك من السَّوْط والسيف . ولمّا كان الطرف منها أول ما يَبدو ويَمس ، جُعل الفعل له . أو هو من إطلاق الجزء على الكل .

يقول : لا يخدعَنَّك من الناس عُذوبة الحديث ، وحلاوة المنطق ، فإنك تُعانى من أخلاقهم دون ذلك عِشْرةً مُرَّةً ، وعذاباً أليماً . إنما أخلاقهم شرٌّ لا خير فيه ، وإنما ألفاظهم زينةٌ كاذبةٌ تَنِمُّ عما دونها من كَذِب ورياء .

٢ (سَمَّوْا هِلَالًا وبَدْرًا والنَّدَى وضُحًى
وفَرْقَداً وسِمَاكاً شَدَّ مَا كَذَبُوا)

٣ (ولم يُنَطْ بِحِبَالِ الشَّمْسِ مِنْ نَظَرٍ
إلَّا لَهُ فى حِبَالِ الشَّرِّ مُجْتَذَبُ)

الفرقد : ولد البقرة . وهو أيضاً أحد نجمين يسمّيان الفرقدين ، لا يَغربان ولكنهما يطوفان بالْجَدْى . وقيل: هما قريبان من القطب . كما قيل: إنهما كوكبان

فى بنات نَعش الصُّغرى[١] . والسماك : أحد نجمين ، وقد مرّ[٢] .

يريد بها كلها مسمَّياتها بين الناس . وَيَنْعى عليهم ما تلمَّسوه للتسمية من علة.

وناط الشيء ، ينوطه نوطاً : علَّقه ووصله . وحبال الشمس : شبه نسيج العنكبوت ، تُرى فى الهواجر عند اشتداد الحر . و يسميه العرب : ريق الشمس ، ولُعابها ، والخَيْتعور . ومن نظر ، أى مقابلة ومناظرة . هذا ينظر إلى هذا ، أى يقابله ويناظره . أى من يناظر بينه و بين الشمس فيصل بينه وبينها ؛ يريد : يخلع على نفسه اسمها أو وصفاً من أوصافها . وجعل ذلك بمنزلة حبالها ، سبباً واهياً ، ووصلة لا مِرَّة لها .

وحبال الشرّ : أى حبالاته ومصايده . وقد مر مزيد عن الحبال[٣] .

ومجتذب : أى تعلّق وتَميل . جعل هؤلاء الحريصين على أن يخلعوا على أنفسهم صفات البر والتقى ، وما إليها من الصفات الطيبة ، أقربهم إلى الشر وأدناهم من السيئات .

يقول : إنهم لعشّاق أسماء وأخلاّء ألفاظ ، ليس لهم فى المعانى والحقائق نظر صحيح . فهم كذبة منافقون ؛ يسمّون النجم والهلال والفرقد والسماك ، وما لهم فى هذه التّسمية عِلّة مفهومة ، ولا باعث معقول . قد عَظُمت آمالُهم ، وصَغُرت أعمالُهم ، فتعلّقوا بأهداب الشمس ، يَبْتَغُون الخير ، و إنما يتعلقون فى الحقيقة بأسباب الشر والإفك ، ووسائل الغَىّ والفُجور .

---

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ١٦ ص ١٢٠ من هذا الجزء .

(٢) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٢٥ ص ١٦٩ من هذا الجزء .

(٣) انظر شرح البيت الثانى من اللزومية ٤٦ ص ٢٨١ من هذا الجزء .

اللزومية المتمة الخمسين

وقال أيضاً فى الراء المضمومة مع الباء :

١ (لَا تَسْـــأَلِ الضَّيْفَ إِنْ أَطْعَمْتَه ظُهْراً
بِاللَّيْلِ : هَلْ لَكَ فِى بَعْضِ القِرَى أَرَبُ)

٢ (فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ قَوْلٍ يُلَقِّنُهُ
لَا أَشْتَهِي الزَّادَ وَهْوُ السَّاغِب الحَرِبُ)

القرى : ما تُعدّه للضَّيف تَقْريه به وتُحسن إليــه . وأرب : حاجة . وفيه لغات : إرْبٌ ، و إِرْبَةٌ ، ومَأْرُبَةٌ ، ومَأْرَبَةٌ . وفى حديث عائشة رضى الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمْلَـكَـكُم لإرْبه » ، أى لحاجته . تعنى أنه صلى الله عليه وسلم كان أغلبكُم لهواه وحاجته ، أى كان يملك نفسه وهواه .

و « من » فى قوله « من قول » لبيان الجنس . يريد : فإن مثل هذا القول ، وهو سؤالك له : « هل لك فى بعض القرى أرب » . و يلقنه : يُفَهِّمه . وهو من ذوات المفعولين . الهاء المتصلة به أولهما ، وثانيهما الجملة المحكيَّة: « لا أشتهى الزاد » التى سدت مسدَّه ، وكأن التقدير والمعنى : يلقنه و يوحى إليه أن يقول : إنى لا أشتهى الزاد .

والساغب : الجائع . وقيل : لا يكون السغب إلا مع التعب . والحَرِب : الذى نزل به الحَرَب ، وهو الذى ليس معه شىء قد سُلِب مالُه كله . أى إنه مع جُوعه مُعدم لا ملجأ له إلا إليك ، ولا شىء معه مما يقوته .

يقول : لقد اُشْتمل الضعف على الناس ، حتى إنَّ أحدهم لتعرِض له الحاجة هو إليها مضطرّ وعليها حريص ، وقد سنحت لنَيْلها الفرصة ، ولكن الحياء ، وهو لون من ألوان الضعف ، يمنعه ويحول بينه و بين ما يريد .

ذلك الضَّيف يُلِمّ بك فتَقريه ظهراً ، حتى إذا أَمْسى الليل فسألته عن مَيله إلى الطعام ورغْبَته فيه ، أنكر ذلك وزعم أنه شبعان ممتلئ . و إنه فى الحق لساغب حَرِب ، وجائع لغب .

فإن كنت من أهل الإحسان إلى الناس والبرِّ بهم ، فأَزْلف إليهم إحسانك وبرَّك من غير أن تشاورهم فيه ، فإن مشاورتك إياهم فى ذلك ضارَّة لك ولهم ، تضرُّك لأنها تمنعك شيئاً تشتهيه ، وتضرهم لأنها تحملهم من الحياء والضعف على الحرمان وسوء الحال .

٣ (قَدِّمْ لَهُ مَا تَأَتَّى لَا تُؤَامِرُهُ فِيهِ وَلَوْ أَنَّهُ الطُّرْثُوثُ والصَّرَبُ)

تأتَّى : تهيَّأ . وآمَرَه : شاوره . والطُّرْثُوث : نَبْت يُؤكَل ، وهو رَمْلِىّ طويل مُستَدِقّ ، كالفُطْر يضرب الى الحُمْرة يَيْبس ، وهو دِباغٌ للمعدة . واحدتُه : طرثوثَة . وقال أبو حَنيفة : وليس فيه شىء أطيبَ من سُوقته ولا أحْلى ، وربما طال وربما قَصُر ، ولا يَخرج إلاّ فى الحَمْض . وهو ضَربان ، فمنه حُلْو ، وهو الأحمر ، ومنهُ مُرٌّ ، وهو الأبيض .

وقال أبو زياد : الطراثيث تُتَّخذ للأدوية ولا يأكلها إلا الجائع لمرارتها .

والصَّرَب ، بالفتح ، والتحريك : اللَّبَن الحَقِين الحامض . وقيل : هو الذى قد حُقِن أياماً فى السِّقاء حتى اشتد حَمضُه ؛ واحدته : صَرْبة ، وصَرَبة .

يقول: أحسن إليهم ما أُستطعت، وقدِّم إليهم ما وجدت؛ لا تُصْغر على الإحسان حَقيراً، ولا تَزْدَرِ هَيِّناً؛ فحسبُك من الإحسان إلى الجائع أنَّكَ أخمدتَ جُوعَه، وأطفأت سَغَبه. فأمَّا إلْذاذه بألوان الطعام المُختلفة الطيِّبة فشيء فوق الحاجة، تُتَحَيَّن له الفرصة، وتُتربص به الطاقة والمقدرة.

اللزومية الواحدة والخمسون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة مع الباء :

١ (قَدْ أَسْرَفَ الإِنْسُ فى الدَّعْوَى بِجَهْلِهِمُ
حَتَّى ادَّعَوْا أَنَّهُمْ لِلْخَلْقِ أَرْبَابُ)

٢ (إِلْبَابُهُمْ كَانَ بِاللَّذَّاتِ مُتَّصِلاً
طُولَ الحيَاةِ وَمَا لِلْقَوْمِ أَلْبَابُ)

الإسراف : مُجاوزة القَصْد ، ومثله : السَّرف . وقيل : السَّرف : ضد القَصْد . وحكى ابنُ الأعرابى : أسرف الرجلُ ، إذا جاوزَ الحدَّ ؛ وأسرف ، إذا أخطأ ؛ وأسرف ، إذا غَفل ؛ وأسرف ، إذا جَهل . و بكلٍّ يَستقيم المَعْنَى .

والإنْس : جماعةُ الناس ؛ وجمعها : أُناس ، وهم الأَنَس أيضاً . وقيل : الأَنس : الحىُّ المُقيمون ؛ كما قيل : إن « الأَنس » لغة فى « الإنْس » .

والدَّعوى : اسم لما تَدَّعيه ، وتكون بمعنى « الدُّعاء » وليس مراداً هنا . والباء فى « بجهلهم » للسببيَّة ، أى بسبب جهلهم . و « حتى » هنا ، إما للغاية ، أى إلى أن ادعوا . و إما للابتداء ، وهذه كما تدخل على الجملة الاسميّة ، تدخل على الفعلية ، فعلها مضارع أو ماض .

وأرباب : جمع رَبّ . ولا يُقال فى غير الله إلّا بالإضافة . وقد جاء فى الشِّعر مُطلقاً على غير الله تعالى ، وليس بالكثير ، ولم يُذكر فى غير الشِّعر . وقيل : يقال : الربّ ، بالألف واللام لغير الله . وقد قالوه فى الجاهليّة للملك . قال الحارثُ بن حِلِّزة :

وهو الربُّ والشَّهيدُ على يَوْ م الحِيارَين والبــلاء بلاء

وربُّ كل شيء : مالكه وصاحبُه ومستحقّه. والتَّخفيف فيه لغة . قال الشاعر :

وقد عَـلِم الأقوامُ أن ليس فوقَه رَبٌ غير من يُعطى الُحظوظ ويَرزقُ

وفى حديث أبى هُريرة رضى الله عنه : « لا يقُل المملوكُ لسيده ربّى » . وأما قوله تعالى : (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) فإنه خاطبهم على المتعارف عندهم ، وعلى ما كانوا يسمّونهم به .

وأما الحديث فى ضالّة الإبل « حتى يلقاها ربُّها » فإن البهائم غير متعبّدة ولا مخاطبة ، فهى بمنزلة الأموال التى تجوز إضافة مالـكها إليها ، وجعلهم أرباباً لها .

وألب على الأمر إلباباً : لزمه فلم يفارقه . وبالمـكان : أقام به ولزمه . والألباب : العقول ؛ الواحد : لُب ؛ ويُجمع على : ألْبُب ، وألُبّ ، أيضاً .

يقول : ما أجهلَ الناسَ وأشدَّهم بجهلهم غروراً ! وما أغباهم وأعْظَمهم بغَباوتهم افتتاناً ! لقد جهلوا كل شيء حتى أنفسهم ، فما زالوا لها مُـكبرين وبها مفتونين ؛ حتى وضعوها موضع الآلهة ، وأنزلوها منزل الأرباب . وإنهم مع ذلك لَمُـكِبُّون على اللذة ، مُقيمون على الإثم ، لا يمنعهم من ذلك عقل ، ولا يردعهم عنه لُبّ ، ولا تُزهدهم فيه بصيرة .

٣ (أَجْرَى مِنَ الخَيْـلِ آمالٌ أُصرِّفُها
لَهَا بِحَثِّيَ تَقْرِيبٌ وإخْبَابُ)

٤ (فِي طَاقَةِ النَّفْسِ أن تَغْنَى بِمَنْزِلِهَا
حَتَّى يُجَافَ عَلَيْهَا لِلثَّرى بَابُ)

« أَجْرى » تفضيل . أى خير من الخيل جَرْياً ، خبر مقدَّم ، و « آمال » مبتدأ مؤخَّر . وتصريف الآمال : إعمالُها فى غير وجه ، كأنه يَصرفها عن وجه إلى وَجْه . يشير بالجمع إلى كثرة أطماعه ، و بتصريفها إلى تشعب رغباته واختلاف أمانيه . و بوصفها بالجرى السريع إلى أنه لا يكاد ينفض يده من تحقيق أمل إلا إلى أمل .

والحثُّ : الإعجال فى اتصال . وقيل : هو الاستعجال ما كان . والتقريب : ضربٌ من العدو ، وهو أن يرفع الفرس يدَيْه معاً و يضعهما معاً . وهو دون الحُضْر . وفى حديث الهجرة : « أتيتُ فرسى فركبتُها ، فرفعتها تُقرِّب بى » . والإخباب ، من : أخبَّ الفرسَ صاحبُها ، إذ جَعلها تجرى الخبب ، وهو ضرب من العدْو سريع . وقيل : هو أن ينقُلَ الفرسُ أيامنه جميعاً وأياسرَه جميعاً . وقيل : هو أن يراوح بين يديه ورجليه .

وكان السياق يقضى أن يقول : تقريب وخبب . إلا أنه وضع « الإخباب » مكان « الخبب » . ولعله مما أهملته المعاجم . أو لعلّه على تأويل : أن حَثَّه لها جعلها تُلْهب نفسها . فكان ذلك منها إخباباً .

والطاقة : القُدرة . طاقَه طوقاً ، وأطاقه إطاقة . والطاقة ، اسم وُضع موضِع المصدر . وقال ابن بَرّى : الطاقة : أقصى غاية الإنسان ، وهو اسم لمقدار مايمكن أن يفعله بمشقة منه . وتَغنى : تستغنى .وأجاف البابَ : ردّه . قال الشاعر :

فجئنا من الباب المجُاف تواتُراً وإن تَقْعُدا بالَخلْف فالَخلْف واسعُ

وفى الحديث : « أجيفُوا أبوابكم » أى رُدُّوها . واللام فى « للثرى » موافقة « مِن » . و يريد « بباب من الثرى » ما يُهال عليه من التراب حين يُوارَى فى قبره .

يقول : آمالهُم أعدى من الخيل ، وأَمْضى من اليعاقيب . ولكنها إنما تعدو

بهم إلى يأس ، وتُسرع بهم إلى قنوط . ما لهم لو قنعوا بما ينالهم من رزق فقَبَعوا فى كِسْر بيوتهم ، مرتقبين زيارة الموت لهم وإلمامه بهم ! إنهم لأحرياء أن يحتجبوا فى الحياة كما سيحتجبون فى الموت ؛ فذلك أَبْقَى لهم من الشر ، وأَوْقى لهم من المكروه .

٥ (فَاجْعَلْ نِسَاءَكَ إنْ أُعْطِيتَ مَقْدِرَةً
كذَاكَ وَاحْذَرْ فَلِلْمِقْدَارِ أَسْبَابُ)

كذاك ، أى على مثل تلك الحال التى أُوصيك بها . والمقدار : القَدَر . وقد مرّ[1] . ويريد به : ما يتعرض له من الغَواية . والأسباب : كل ما يُتَوصل به إلى الغرض ، الواحد : سبب . يريد : وسائل الإغراء والفتنة .

يقول : الجدَّ الجدَّ فى أن تحمل نساءك على هذه الخُطةِ ، مُسدِلاً عليهن فى الحياة حِجاباً ، ليس أقلَّ متانةً وصفاقةً من حجاب الموت ؛ فإن الشرَّ إليهن أسرع ، وبضَعْفهن أكلف ؛ وللإثم عليهن سلطان نافذ الكلمة ، مبسوط الظلّ ، لا يعصمهن منه إلا حَبْسهن عنه .

٦ (وَكَمْ جَنَتْ مِنْ هَجُولٍ جُجِّبَتْ وَوَفَتْ
مِنْ حُرَّةٍ مَا لَهَا فِى العَيْنِ جِلْبَابُ)

كم ، هنا : خبريّة ، بمعنى كثير . وتشترك مع الاستفهامية فى : الاسميّة ، والإبْهام ، والافتقار إلى التميز ، والبناء ، ولُزوم التَّصدير . ويفترقان فى خمسة

(١) انظر شرح البيت السادس من اللزومية ٢٧ ص ١٨٠ من هذا الجزء .
وشرح البيت الثالث من اللزومية الأولى ص ٦٠

أمور . الأول : أن الكلام مع الخبرية محتمل للتصديق والتكذيب . الثانى : أن المتكلم مع الخبرية لايستدعى من مخاطبه جوابا ؛ لأنه مُخبر ، والمتكلم بالاستفهامية يستدعيه ، لأنه مستخبر . الثالث : أن الاسم المبدل من الخبرية لا يقترن بالهمزة ، بخلاف المبدل من الاستفهامية . الرابع : أن تمييز « كم » الخبرية مفرد أو مجموع ، ولا يكون تمييز الاستفهامية إلا مفرداً ، خلافاً للكوفيين . والخامس : أن تمييز الخبرية واجب الخفض ، وتمييز الاستفهامية منصوب ، ولا يجوز جره مطلقاً . خلافاً لبعضهم .

و « من » هنا ، لبيان الجنس ، وذلك لإبهام « كم » .

والجلباب : ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء ، تغطى به المرأة رأسها وصدرها. وظاهر أنه ملتفت إلى قوله تعالى فى سورة الأحزاب : (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) . وإلى قوله تعالى فى سورة النُّور : (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ) .

يقول : علَى أنِّى لا أكذبك ، لا أستطيع أن أثق بغَناء الحجاب أو نَفْعه . فكم جرَى خَلْف الحجاب من آثام ! وكم وقع دون الستر من مُنكر ! وكم خانت المحجوبةُ المقصورة زوجَها بغمز العُيون ولَحْظها ! وكم وفتْ له تلك الُحرة السافرة ، تنالُها العُيون وتَلتهمها الأنظار !

٧ (أَذًى مِنَ الدَّهْـرِ مَشْفُوعٌ لَنَا بِأَذًى
هَـــذَا المَحَلُّ بِمَا تَخْشَاهُ مِرْبَابُ)

٨ (يَزُورُنَا الخَـيْرُ غِبًّا أَوْ يُجَانِبُنَا
فَهَلْ لِمَا يَكْرَهُ الإنْسَانُ إغْبَابُ)

هذا المحل ، أى الدنيا . والمرباب من الأرَضين : التى كثر نَبْتُها .

و « بما تخشاه » متعلّق بـ « مرباب » أى مرباب بما تخشى وتخاف . يشير إلى كثرة شرور الحياة .

والغِب ، فى الأصل : من وُرود الماء ، وهو أن تشرب يوماً ويوماً لا . وهو فى الزيارة ، أن تزور يوماً وتدع يوماً أو أياماً . ومنه : زُرْ غِبًّا تَزْدَد حُبًّا . وقال الحسن : الغب فى الزيارة : فى كل أُسبوع .

وجانَبه : بعُد عنه . و « هل » ممَّا يُراد بالاستفهام بها النَّفى ، فكأن المعنى : لا إغباب لما يكره الإنسان . والإغباب : ألاّ تأتى كل يوم . ومنه : أغبّ عطاؤه ، إذا لم يأت كلَّ يوم . وأغبت الإبل ، إذا لم تأت كل يوم بلبن . يُشير إلى اتصال الأذى ، وأنه ليس كالخير فى زوراته .

وفى الحديث : « أغِبُّوا فى عيادة المريض وأرْبعوا » أى عُدْ يوماً ودع يومًا ، أو دَعْ يومين وعُد اليوم الثالث .

يقول : لا أُخفى عليك ما أرى ، إلا أن هذا الدهر علينا حَرْب ، قد أحاطنا بالأذى من كل وجه ، ورَصدنا بالشر من كل سبيل ، فليس لنا حيلة فى التخلص من شباكه ، ولا مندوحة عن الوقوع فى أشراكه . لقد أخصبت الأرض بالشر فما فيها موضع قدم إلا وهو بالإثم مليء ، فأجدبت من الخير فما يزورها إلاّ غِبًّا . ويح الإنسان ! يود أنه حين لم يقدَّر له أن يكون الخير له حليفاً ، والصلاح له أليفاً ، قُدر له أن يكون نَصيبه من الشر ونصيبه من الخير متعادلين ، ليس لأحدهما على الآخر رُجحان ، لكان احتمال الحياة عليه ميسوراً ؛ ولكنه شَرٌّ غالب ، وسُوء مُحيط .

٩ (وَقَدْ أَسَاءَ رِجَالٌ أَحْسَنُوا فَقُلُوا وَأَجْمَلُوا فَإِذَا الأَعْدَاءُ أَحْبَابُ)

١٠ (فَانْفَعْ أَخَاكَ عَلَى ضَعْفٍ تُحِسُّ بِهِ إِنَّ النَّسِيمَ بِنَفْعِ الرُّوحِ هَبَّابُ)

قُلوا : أُبْغضوا وكُرهوا غاية الكراهية · قلاه يَقْليه ، قِلًى وقَلاء ؛ ويَقْلاهُ ، لغة طيئٍ . وأنشد ثعلب :

أيامَ أُمّ الغَمْرْ لا نَقْلاها ولو نَشاء قُبِّلت عيناها

وأجملوا : أعتدلوا وأتأدوا وأحسنوا .

و « على » فى « على ضعف » للمصاحبة . أى مصاحباً ضعفاً ، فى موضع الحال من الضمير المستكن فى « فانفع » .

وهبّاب : صيغة مبالغة من « هبَّ » . ولا تنقاس فى اللازم ، وقد تجىء منه .

يقول : تلك هى كلمة الحق ، ولكن قائلها مُبغض منبوذ ، لأنه يكشف للناس عن باطلهم ، ويباعد بينهم وبين غُرورهم . والناس أعداء القول الشَّديد عليهم، ولو كان لهم نافعاً . فخليق بك إن كنت للإنسان مُحِبًّا ، وعليه مُشْفقًا ، أن تجتهد فى نفعه والبرّ به ما استطعت ، لا يمنعك من ذلك ضعف ، ولا يصرفك عنه فُتور ؛ فإن رقّة النَّسيم وفُتوره لايمنعانه أن يحمل إلى الرُّوح، من سقمه ونُحوله، صحةً وعافية ، يمتّعانه بالحياة ، وينعّمانه بطيب العيش .

اللزومية الثانية والخمسون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة مع الجيم :

١ (يَا صَاحِ مَا أَلِفَ الإعْجَابَ مِنْ نَفَرٍ
إلَّا وَهُمْ لِرُءوسِ القَوْمِ أَعْجَـــابُ)

يا صاح ، أى يا صاحب ، مُنادًى مرخَّم ، ولك فى الحاء الضَّم، على لغة من لا يلحظ الحرف الأخير ، أو الـكسر على لغة من يلحظه .

وأَلِف الشىء يألفه: لَزِمه . و « من » فى « من نَفَرٍ » مزيدة لتوكيد العُموم. وشرطُها أن يتقدَّمها نَفى أو نهى أو استفهام بهل ، وأن يكون مجرورها منكَّراً ، وأن يكون فاعلاً أو مفعولاً به أو مبتدأ . و « نفر » فاعل . والنَّفر : ما دون العشرة . ومنهم من خَصَّص فقال : للرِّجال دون النِّساء . وقيل : النَّفر : الناس كلُّهم . وقيل : النَّفر والقوم والرهط ، هؤلاء معناهم : الجمع ، لا واحد لهم من لفظهم . وقيل : النفر : هم رَهْط الإنسان وعشيرتُه ، اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصَّة ما بين الثلاثة إلى العشرة .

وأعجاب : جمع عُجْب ، وهو من كل دابّة : ما انضم عليه الوَرِكان من أصل الذَّنب كلّه . وقال اللّحيانى : هو أصْل الذّنب وعَظْمه .

يقول : إيّاكَ أن تَفْتَتن بنفْسك ، أو تَغْترَّ بما أُوتيت من فَضِيلة ، فيَدْفعك ذلك إلى التِّيه والخال ، وإلى الصَّلَف والـكِبرياء . فما أرى أصحابَ الإعجاب إلّا أعْجاب الناس وأذنابهم ، وما أعرف أهْلَ التِّيه إلا أصغر خلق الله عُقولا وأقلَّهم فَضْلا .

٢ (مالِى أرى المَلِكَ المَحْجُوبَ يَمْنَعُهُ
أَنْ يَفْعَلَ الْخَيْرَ مُنَّاعٌ وحُجَّابُ)

« أن يفعل » فى موضع النّصب على المفعولية. ومُنَّاع : جمع مانع ، والمسموع: مَنَعة ، والقَصد المشاكلة بـ « حُجَّاب » .

يقول : لا يصدُنّك عن الخير صادّ ، ولا يردّنك عنه رادّ ، فإنّ الرجل خَليق أن يَمْضى إلى غَرضه مُضِىّ السهم ، لا يعترضه حائل إلّا اخْترقه ونفَذ منه . لقد عجبتُ من أمر هؤلاء الناس ، يَقْدرون على الخير فلا يأتونه ، ويُتاح لهم البرُّ فلا ينفذون إليه . هل رأيت أَقْدر من الملوك على نافلةٍ من فَضْل ! وهل رأيتَ أنفذَ منهم إلى عارفة من نعمة ! وهل رأيت بعد ذلك أبعدَ منهم عن الإحسان ، وأعْصى منهم للمعروف ، وأطوع منهم لحجَّاب السَّوْء !

٣ (قَدْ يَنجُبُ الوَلَدُ النَّامِى ووَالِدُه فَسْلٌ وَيَفسِلُ والآباءِ أَنْجابُ)

ينجُب : يفضُل ويكرم . والنَّامى : النَّابتُ النّاشئ .والفَسْل : الرّذْل النَّذل الذى لا مُروءة له ولا جَلَد . والجمع : أَفْسُل ، وفُسول ، وفِسال ، وفُسْل . قال سيبويه : والأكثر فيه « فِعَال » وأمّا « فُعول » ففرعٌ داخلٌ عليه ، أَجْرَوْه مُجرى الأسماء ؛ لأنّ « فعالا » و « فُعولا » يَعْتَقبان على « فَعْل » فى الأسماء كثيرا ، فحُملت الصفة عليه . والفِعْل منه « فَسُل » بالضم ، و « فَسِل » وزان فَرح . وحكى سيبويه : فُسِل ، على صيغة ما لم يُسمَّ فاعله ، وقال: كأنّهوضع ذلك فيه .

وأنجاب : جمع نَجيب ، وهو الكريم الحسيب ، ويجمع أيضاً على : نُجباء ، ونُجُب .

يقول : عليك نَفْسك فأصلحها مجتهداً ، وطبَّ لها ناصحاً ، وتَعَهدها بالإرشاد ؛ لا يَقْعُدَنّ بك عن طلب الخير أنّ حَظّ آبائك منه موفور ، ولا يمنعنّك من حُبّ الإحسان أنْ أيدى آبائك منه صَفِرةٌ ؛ فرُبّ أبٍ خاملٍ أنجب ، ورُبّ أبٍ نجيب أساء النَّسل .

٤ (فَرَجِّبِ اللهَ صِفْراً مِنْ مَحارمِهِ فَكَمْ مَضَتْ بِكَ أَصْفَارٌ وأَرْجَابُ)

رَجَّبَ الله ، وأرجبه ، ورَجِبه رَجَباً ، ورَجَبه رَجْباً : هابه وعَظّمه . قال الراجز :

* أَحْمَدُ رَبِّى فَرَقًا وأَرْجَبُه *

وصِفراً ، مثلثة الصاد : خالياً . وكذلك الجميع والمذكّر والمؤنّث سواء . قال الشاعر :

ترى أنّ ما أنفقتُ لم يكُ ضَرَّنى وأنّ يَدى مما بَخلتُ به صِفْرُ

وقالوا : الجمع من كل ذلك : أصفار . قال الشاعر :

لَيْست بأصفارٍ لمن يَعْفُو ولَا رُحٍّ رَحارِحْ

وقالوا : إناء أصفار : لا شيء فيه .

وأصفار : جمع « صَفَر » ، وهو الشَّهر الذى بعد المُحرَّم ، سُمِّى صفراً ، لأنّهم كانوا يمْتارون الطَّعام فيه من المواضِع . وقيل : لإصْفار مكة من أهلها إذا سافَرُوا . وقيل: لأنهم كانوا يَغْزون فيه القبائل فيتركون من لَقُوا صِفْراً من المَتَاع . وذلك أن « صفراً » بعد « المحرم » ، فقالوا : صَفِر الناسُ منَّا صفراً .

قال ثعلب : كلهم يَصرفون « صفراً » إلا أبا عُبيدة . وإذا جمعوه مع « المُحَرَّم » قالوا : صَفَران .

وأرجاب : جمع « رَجب » ، الشهر المعروف . وقد مرّ[١] .

يقول : عليك ربَّك فرَجِّبه مُعظِّماً له ، مُقيماً لشعائره ، مُتجَنِّباً لمحارمه . لا تُؤمِّل بذلك امتداد الأجل ، ولا تَتربَّص به فُسحة العُمر ؛ فإنّ مرور الأيام وكُرور الدُّهور خَليقٌ أن يُدْنِيَك من الموت ، ويَنْتهى بك إلى الحِمام .

٥ (ويَعترِى النَّفسَ إنكارٌ ومَعْرِفةٌ وكُلُّ مَعْنًى لَهُ نَفْىٌ وإيجَابُ)

٦ (والْمَوتُ نَوْمٌ طَوِيلٌ مالَهُ أَمَدٌ والنَّوْمُ مَوْتٌ قَصِيرٌ فَهْوَ مُنْجَابُ)

يعترى : يغشى وينتاب . و « إنكار ومعرفة » : أى شك ويقين .

والإيجاب : الإثبات . يريد ما تتعرض له كل دعوة من بطلان وإثباتٍ .

والأمد : الغاية . وقال شَمِر : الأمد : أَمَدان ، أحدهما ابتداء خَلْقه ، والثانى الموت . ومن الأوّل حديث الحجّاج حين سأل الحسن فقال : ما أَمدك ؟ قال : سَنَتان من خلافة عُمر . أراد أنّه وُلد لسنتين بَقِيَتا من خِلافة عُمر .

ومنجاب : منكشف . وما أشبه هذا البيت ببيته قبلُ[٢] :

ونَوْمِىَ مَوتٌ قَرِيبُ النُّشورِ ومَوتِىَ نومٌ طَويل الكَرَى

يقول : لا يُفزِّعنَّك هذا الاسم ، ولا يَروعنّك هذا اللفظ ؛ فما أعرف خوف الناس منه وارتياعَهم له إلّا وَهما باطلًا ، وضَعفاً شاملا ؛ وما أرى أن الموتَ إلّا نوم طويل ، كما أنّ النّوم موتٌ قصير .

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٤٧ ص ٢٨٥ من هذا الجزء .
(٢) انظر شرح البيت ٢٩ من اللزومية ٣٤ ص ٢١٩ من هذا الجزء .

اللزومية الثالثة والخمسون[1]

وقال أيضاً فى الباء المضمومة مع العين :

١ (ماقَرَّ طَاسُكَ فى كَفِّ المُدِيرِ لَهُ   إلَّاوقِرْطَاسُكَ المَرْعُوبُ مَرْعُوبُ)

قَرَّ ، على ما سُمّى فاعلُه : استقرّ وثبت . والمضارع فيه بكسر العين وفَتْحها . والأول أعلى . ويكون على ما لم يُسمَّ فاعله ، بمعنى : صُبَّ وهُريق . يقال : قُرَّ يقُرّ ، بضم العين فى المضارع : صَبَّ . وعلى الثانية فالجار والمجرور « فى كف » فى موضع الحال . « والمدير له » ، أى الذى يدور به على الشَّرب . «وقِرْطاسُك» ، أى جِسمك الأملس الفَتىّ ؛ ومنه : القِرْطاس ، للجارية البيضاء المديدة القامة ؛ وللنَّاقة إذا كانت فتيّة شابة . وفى البيت جِناس غير تام .

والمَرْعوب: البضّ الممتلئ. و«مَرْعوب» ، أى قد أصابته نَفضة ورِعْدة وانخزال.

يقول : القَصْدَ القصدَ فيما تُحب من لذّة، وما تَستوفى من مُتْعة ؛ فإن عُكوفَك على اللّذات ، واستجابتك للشَّهوات ؛ لن يَزيدك إلّا خَبالًا ، ولن يُفيدك إلّا وَبالا . إنّ هذه الكأس الجميلة المُترَعة لَتَملأُ عَيْنَك جمالًا وبَهجة ، حين تَنظر إليها مستقرّة فى كف ساقيها الحسن الجميل ، ولكنك لا تكاد تحسوها حتى تملأ جِسْمك سقماً واعتلالا ، فترْعب منه ساكناً ، وتُزعزع منه هادئاً ، وتَهزل منه مُمتلِئا .

---

(١) جاءت هذه اللزومية فى بعض الأصول بعد التى تليها .

٢ (تُضْحِي وبَطْنُكَ مِثْلُ الكَعْبِ أَبْرَزَهُ
رِيٌّ ورأْسُكَ مِثْلُ القَعْبِ مَشْعُوبُ)

الكعب : الكُتلة من السمن . وكلّ شيء علا وارتفع ، فهو كعب أيضاً . وأبرزه ، أى أخرجه عن حاله الأولى . والقَعْب : القَدح الضخم الغليظ الجافى . وقد مرّ[1] .

ومَشْعوب : أى قد تصدّع وتفرّق . يريد: العَقْل ، ومقره الرأس ، وقد تَوزَّع وتَشتَّت .

يقول : إنك لَتُضحى وقد رَوّتك الصَّبوحُ فبرز بَطْنُك بين يديك ، وبان مُمْتلئاً ، ولكن ضَع يدك على رأسك فقد أصابه الصداع ، وعَبث به الدُّوار ، فانشعب كما يَنْشعب الإناء المَثْلوم .

---

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٣٧ ص ٢٤٦ من هذا الجزء .

اللزومية الرابعة والخمسون (١)

وقال أيضاً فى الباء المَضْمومة مع الراء :

١ (فى الْبَدْوِ خُرَّابُ أَذْوَادٍ مُسَوَّمَةٍ وفِى الْجَوامِعِ والأَسْواقِ خُرَّابُ)

٢ (فهَؤُلَاءِ تَسَمَّوْا بالعُدُولِ أو التُّجَّارِ واسْمُ أُلَاكَ القَوْمِ أعْرَابُ)

البدو : خلاف الحَضَر ، ومثله : البادية والبَدَاة .

وخُرَّاب : جمع خارب ، وهو سارق الإبل خاصة ، ثم نُقِل إلى غيرها اتّساعاً . وقيل : هو اللّص، ولم يُخْصص به سارق الإبل ولا غيرها . وأذواد : جمع ذود ، وهو القَطيع من الإبل ، الثلاث إلى التِّسع ، وقيل : إلى العشر ، أو خمسَ عشرة ، أو عشرين، أو ثلاثين . وقيل : الذَّود : جمع لا واحد له من لفظه . وقيل : هو واحد وجمع .

والمُسوَّمةُ : المُرْسَلة ترعى حيث تشاء . وقد مَرَّت (٢) و « العُدول » : الذين يعدلون ولا يَميل بهم الهوى ؛ الواحد : عادل و«أُلَى» جمع لا واحد له من لفظه ، واحده « ذا » للمذكّر ، و« ذِه » للمؤنث ، ويمدّ ويُقْصَر ، فإن قَصَرْتَه كَتَبْتَه بالياء ، وإن مددتَه بنَيْتَه على الكسر ، ويستوى فيه المذكَّر والمؤنث ، وتُزاد فى « ألى » اللام » ، فيُقال : أُلالك . قال الشاعر :

أُلَالِكَ قَوْمِى لم يكونُوا أُشابَةً وهَل يَعظ الضِّلِّيلَ إلاَّ أُولاَلِكَا

والأعراب : كل من نزل الباديةَ أو جاوَر البادين ، أو ظَعن بظَعنهم وانتوى

(١) جاءت هذه اللزومية فى بعض الأصول قبل سابقتها .

(٢) انظر شرح البيت الأول من اللزومية التاسعة ص ٩٠ من هذا الجزء .

بأُنتوائهم ؛ الواحد : أعرابىّ . وأمَّا من نزل بلاد الرِّيف واستوطن المدن والقُرى العربية وغيرها ، ممَّن ينتمى إلى العرب ، فهم عرب ، وإن لم يكونوا فُصحاء . والأعرابىّ إذا قيل له : يا عربىّ ، فَرِح بذلك وهَشَّ له . والعربىّ إذا قيل له : يا أعرابىّ ، غَضِب له .

يقول : لا يخدعنَّك ما أكثرَ الناسُ فيه من تفرقة بين البدو والحَضَر ، ومِن حمْدٍ لهذا وذَمٍّ لذاك . فما رأيتُ لأحدهما على صاحبه فضلاً ، وما عرفتُ بينهما فرْقاً ، إلاّ الأسماء والألفاظ .

هنالك فى البادية قام الأعرابُ يُفسِدُون ويَعيثُون ، ويَسْلبون وينْهبون ، فسمَّوهم لصوصاً وأشرارًا ، وهنا فى الحاضرة قام الحضريّون يَفعلون الأفاعيل، من غِشٍّ وخَتل ، ومن خداع ومَكْر ، ومن كَذِب وزُور ، ومن غِيٍّ وفُجُور . يفعلون ذلك فى الأسْواق والمَساجد ، تحت سِتَارٍ شَفَّاف من النُّسك والتِّجارة ، ويُسمّون أَنفُسَهم تجُارًا ونُساكا ، وما أجد لاُختلاف الأسماء قيمة ، وإنما أعرف أنه الشرّ قد رُكِّب فى جميع الطبائع ، واشتمل على جميع الأخلاق .

اللزومية الخامسة والخمسون

وقال أيضاً في الباء المشددة :

١ (نُفُوسٌ لِلْقِيَامَةِ تَشْرَئِبُّ وَغَيٌّ فِي الْبَطَالَةِ مُتْلَئِبُّ)

٢ (تَأَبَّى أَنْ تَجِيءَ الخَيْرَ يَوْماً وَأَنْتَ لِيَوْمِ غُفْرانٍ تَئِبُّ)

اشرأبّ : رفع رأسه ومدّ عُنقه . وفى حديث : « ينادى منادٍ يوم القيامة : يأهل الجنّــة ، ويأهل النار . فيشرئبون لصوته » . أى يرفعون رءوسهم لينظروا إليه .

وغىّ ، أى رجل غوىٌّ مُفسد ، وصف بالمصدر ، اجتزأ به عن الموصوف .

والبطالة ، بالفتح : اللهو والجهالة .

وقال ابن الأعرابى : هى التعطّل . ثم قال : بَطَل الأجير ، بالفتح ، يبطُل بطالة ، بالفتح والكسر ، أى تعطل ، فهو بطّال .

وهى أيضاً بمعنى الشجاعة ، تقول : فلان بيّن البطَالة : أى شجاع . وهى من هذا . كأن الأشداء يَبطُلون عنده ؛ أو كأن دماء الأقران تبطل عنده فلا يُدرك عنده ثأر ؛ أو كأنه يُبطل العظائم بسيفه . والفعل : بطُل يبطُل ، إذا صار شجاعا . وجعلها أبو عُبَيد « أى البطالة » من المصادر التى لا أفعال لها .

ومتلئب : ماضٍ لاينثنى . والأصل فى الفعل : الاستقامة والاستواء . ومنه : اتلأب الفرس : إذا أقام صدره ورأسه . قال لَبيد يصف حمارا :

فأوردها مَسْجورةً تحت غابةٍ من القُرْنتَيْن واتلأبَّ يحومُ

والهمزة فى الفعل أصل ، وهو من الرباعى « تلأب » . ووهم الجوهرى فذكره فى « تلب » .

وتأبَّى ، أى تتأبى . حذف تاء المضارعة . والتأبِّى : الامتناع . و«أن تجىء الخير» : أن تفعله . و«تئب» : تتهيأ وتتجهز . أب ، يئب ، ويؤب ، أبًّا ، وأبيبًا ، وأبابةً . وقال أبو عُبيد : أب يؤب أبًّا : إذا عزم على المسير وتهيأ . والمعنى على الوجهين واضح .

يقول : فقدتكم أيها الناس ! ما أكثر ما أنتم فيه من تناقُض ! وما أشدَّ ما أنتم عليه من تضارب ! تنتظرون الحسابَ وترجون المعاد ، وتعتقدون لكل عمل جزاءً من خير أو شر ، ثم لا يمنعكم ذلك أن تكونوا أُلّاف الغىّ وأحلاف الفجور . أعْدمتكم أيها الناس ! ما أكثر ما أنتم فيه من غفلة ! وما أشدّ ما أنتم عليه من بله ! أترجُون من ربكم الثواب ولا تقدِّمون بين يدى رجائكم الخير ! تحرصون على مغفرته وجنته ، ولا تحفلون برضائه وطاعته ! لقد طمعتم فيه مغرورين . وأيأستموه منكم مفتوتين .

٣ (فَلَا يغْرُرْكَ بِشْر مِنْ صَدِيقٍ فَإِنَّ ضَمِيرَه إِحَنٌ وَخِبٌّ)

٤ (وَإِنَّ النَّاسَ طِفْلٌ أَوْ كَبِيرٌ يَشِيبُ عَلَى الْغَوَايةِ أَوْ يَشِبُّ)

إحَن : جَمع إحْنة ، وهى الحِقْد فى الصَّدر ؛ وقد يُقال فيها : حِنَة . ومنه الحديث : « لا تجوز شهادة ذى الظَّنَّة والحِنَة » . والخِبّ : الخداع والخُبْث والنُّكْر ؛ خَبّ يخُب خَبًّا .

والغَواية : الانهماك فى الغىّ . وفى البيت لفٌّ ونشر غير مُرتّب .

يقول : ألا لا يغرركم ما يَخْدعكم به الزمان من ابتسام يَسْتهوى عُقولكم ، وخَفْض يُغريكم بالفَساد ؛ فإن هذا المُتبَسِّم لكم المُتاطِّف بكم ، لا يُضْمر لكم إلاَّ الشَّرّ ، ولا يُريد بكم إلا السُّوء .

أسيئوا الظَّنَّ به وبكُـل ما تجدون فيه من خير ، لا تنخدعو بما يجلو لـكم من مَظاهر ، وما يَضَع لـكم من أسماء ؛ فإنما هى بُروق خَلَّابة تُوهمكم الغيث ثم لا تُمطركم إلا العَذاب ؛ إنما أصدقاؤُكم لـكم أعداء ، ولـكنّهم فى الرّياء مَهرة وبالخِداع أمْلياء ؛ إنما الشر فى الناس طبيعة لازمة ، ينشأ فيه الناشئ ، ويَشُب فيه الشابّ ، ويهرم فيه الشيخ .

٥ (تُحِبُّ حيَاتَكَ الدُّنْيَا سَفاهًا وَمَا جادَتْ عَلَيْكَ بِمَا تُحِبُّ)

السفاهُ والسفاهة : خِفّةُ الحِلْمِ؛ وقيل : نقيضه ؛ وقيل : الجهل . وأَصله : الخفة والحركة . وهو قَريب بعضُهُ من بعض . يقال : سَفِه حِلْمَه ورأيه ونَفْسَه ، سَفْهًا وسفَاهًا :حمله على السفه . قال اللحيانى : هذا هو الـكلام العالى . قال : وبعضهم يقول : سفُه ، وهى قليلة .

يقول : إنما تُحبون دنيا كم حسناء فَتَّانة ، ولـكنها كاذبة الوعود ناقضة العهود ؛ تَعِدُ ولا تَفِي ، وتُمنِّى ولا تُنِيل ؛ إنكم لَتشتاقون إليها ، وتتكلفون بها ، وتجنون من حُبِّها العَلقم والصاب ، ثم لا تُثابون بهذا الشوق إلا غمًّا ، ولا تُجزون من هذا الكلف إلا حُزنًا .

٦ (وإنَّكَ مُنْذُ كَوْنِ النَّفْسِ عَنْسًا لَتُوضِعُ فى الضَّلَالَةِ أَوْ تَخُبُّ)

«مُنذ» و « مذ» لهما ثلاث حالات : إحداها : أن يليهما اسم مجرور . فقيل: هما اسمان مضافان . والصحيح أنهما حرفا جرّ بمعنى « من » إن كان الزمان ماضياً ، وبمعنى « فى » إن كان حاضراً ، وبمعنى « من » و « إلى » جميعاً إن كان معدوداً .

والثانية : أن يليهما اسم مرفوع ، مبتدآن وما بعدهما خـبر ، ومعناهما

الأمدان ، إن كان الزمان حاضراً أو مَعْدوداً،وأول المدة إن كان ماضياً . وقيل : ظرفان مُخْبرٌ بهما عمَّا بعدهما . ومعناهما : بين و بين ، مضافين ، فمعنى : ما لقيته مذ يومان ، أى بينى و بين لقائه يومان .

والثالثة : أن تليهما الجمل الفعلية أو الاسمية ، وهما حينئذ ظرفان مضافان ، إما إلى الجملة ، أو إلى زمن مضاف إلى الجملة ، أو مبتدآن على تقدير زمان مضاف للجملة يكون هو الخبر .

والعَنْس : الصخرة ، و بها شُبّهت الناقة القوية ، فُيقال للبازل الصُّلبة من النُّوق : عَنْس . قال ابن الأعرابى : لايقال لغيرها . وأراد به أبو العلاء هنا : النَّفْس الفتية القوية . والإيضاع : سير مثل الخبب ؛ وقيل : وضع البعيرُ ، إذا عدا ؛ وأَوضعته ، إذا حملته على العَدْو . وخَبّ يَخُبّ : عَدَا : وقد مر[1] .

يقول : لقد ملكتْ عليكم ألبابكم فما تعقلون ، إنكم لتَقْضُون أيامكم من الفِتْنة بها فى بحر لجُىّ أو صحراء شَاسعة ، تخبّون وتُوضِعون . ليس لكم منها مَخْلص ، ولا لشَقائكم بها شِفاء .

٧ (وإنْ طَالَ الرُّقَادُ مِنَ الْبَرايَا فَإنَّ الرَّاقِدِينَ لهُمْ مَهَبُّ)
٨ (غَرَامُكَ بالْفَتَاةِ ضَنًى وغَمٌّ وَلَيْس يَسُرُّ مَنْ يَشْتَاقُ غِبُّ)

البرايا : جمع برية ، وهى الخلق . وقد مر الكلام عليها[2] .

و «مهب» : هذه الصيغة يستوى فيها اسما الزمان المكان ، والمصدر الميمى ، وعلى كلٍّ يستقيم المعنى . وهو من : هب من نومه ، إذا انتبه . قال الشاعر :

خيّيت فحيّاها فهبّ تحلّقتْ مع النَّجم رُؤيا فى المَنام كَذوبُ

(١) انظر شرح البيت الثالث من اللزومية ٥١ ص ٢٩٦ من هذا الجزء .
(٢) انظر شرح البيت ١٩ من اللزومية ١٦ ص ١٩ من هذا الجزء .

و « أل » فى « الفتاة » للتعريف العهدى . والعهد هنا ، ذِكْرِىّ ، إذ المراد بـ «الفتاة» الحياة الدنيا ، وقد مرّ لها ذكر فى قوله قبلُ فى هذه القصيدة « تحب حياتك الدنيا[1] » . وشبّهها بالفتاة بجامع التأنيث ، وهو محطّ الغرام، ولِما يصحب كلتيهما من بَوار وتَبار .

والغبّ: أن تزور يوماً وتتخلف أياما ، وقد مر[2] . وهو فاعل الفعل «يسر» . و « مَن » مفعوله . أقام « الغب » لإقبال الدُّنيا وازْورارها ، وأنها مُزورَّة أكثر منها مُقْبلة . وفى هذا من الضَّنى والغمّ ما فيه .

يقول : اغترّوا بها ما شئتم ، واُستنيموا إليها ما أحببتم ، فإن لكم من الموت مُوقظاً سيوقظكم ، حين لا ينفع ندم أو يُفيد أسف ؛ إنه لنازل بكم ومُتصرّف فيكم ، لا يُنْجيكم منه حِصنٌ ولا تَعْصمكم منه دِرع .

٩ (لَوْ أَنَّ سَوَادَ كَيْوانٍ خِضَابٌ بِكَفِّكَ وَالسُّهَا فى الأُذْنِ حِبُّ)

١٠(لمَا نَجَّاكَ مِنْ غِيَرِ اللَّيَالِى سَنَاءٌ فَارِعٌ وَغِنًى مُرِبٌّ)

١١(وَمَا يَحْمِيكَ عِزٌّ أَنْ تُسَبَّى وَلَوْ أَنّ الظَّلَامَ عَلَيْكَ سِبٌّ)

كيوان ، هو زُحَل ، وهو كوكب من الخُنَّس . وقد مرّ[3] . وسوادُه ، أى خضرته أو صُفْرته . والعرب تُطلق السَّواد على الخُضرة والصُّفرة . والسُّهَا : كوكب صغير خَفِىّ الضوء فى بنات نَعْش الكُبْرى ، والناسُ يمتحنون به أبصارهم . وفى المَثَل : « أريها السُّها وتُرينى القمر » . يُضْرب لمن يُغالط فيما لا يخفى .

---

(١) البيت الخامس (ص ٣١٢) .

(٢) انظر شرح البيت الثامن من اللزومية ٥١ ص ٢٩٩ من هذا الجزء .

(٣) انظر شرح البيت الثانى من اللزومية ٣٣ ص ٢٠٠ من هذا الجزء .

والحِبّ ، بالكسر : القُرْط من حَبَّة واحدة . قال ابن دُريد : أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعيّ أنه سأل جَنْدلَ بن عُبيد الرّاعى عن معنى قول أبيه الراعى :

تَبيت الحَبَّةُ النَّضْناضُ منه مكانَ الحِبِّ يَسْتمع السِّرارَا

ما الحِبُّ ؟ فقال : القُرْط . فقال : خُذوا عن الشيخ فإنه عالم .

جعل هذا و ذاك ، مثلين للمَنَعَة والبأس .

والغِيَر ، من تغيّر الحال ، وهو اسم بمنزلة « القِطَع » ويجوز أن يكون جمعاً . واحدته : غِيَرة . والسناء ، بالمد : الرِّفعة ، فإذا قُصر فمعناه : الضوء . وفى قراءة من قرأ (يَكَادُ سَنَاءُ بَرْقِهِ) ممدوداً ، فليس لغة فى « السنا » المقصور ، ولكن إنما عَنى به : ارتفاع البرق ولُموعَه صُعدا .

والفارع : المرتفع العالى الهيِّئ الحسن . ومُربّ : لازم غير مفارق ، من أربّ بالمكان ، إذا لَزِمه . وفى الحديث : « اللهم إنى أعوذ بك من غِنًى مُبْطر وفَقْر مُربّ » أى لازم غير مفارق . وثبوت الغنى دليل على أصالته وكثرته .

وتُسبَّى ، أى تُبعد وتغرِّب . يريد : بُعد الموت وغربته . من : سبّاه ، إذا أبعده وغرّبه ، فتسبَّى . والوارد المسموع : سباه يَسبيه ، مخففاً . والسِّبّ ، بالكسر : السِّتْر و « لو أن الظلام ... » . أى ولو كانت الأيام أهْنأ لك تُظلّك بِظلِّها .

يقول : اتخذوا من سواد زحل خضاباً لأيديكم ، واتخذوا من السُّها أقراطاً فى آذانكم ، وابلغوا ما شئتم من الرِّفعة ، أو اسمعوا ما يُرْضيكم من الثناء والحمد ؛ فذلك لن يَرُدَّ عنكم بأس الموت ، ولن يدفع عنكم جيشَه .

أين أنتم من ذلك ! وهل بلغتم من القوة وشدة الأيد ما بلغتْ هذه النجومُ

الطالعة ، والكواكب المنيرة ؟ إنها لن تستطيع أن تمتنع على الحَيْن ، ولا أن تَسْتعصى على الفناء ، أفتقدرون أنتم على مالا تقدر عليه ؟

١٢(أَرَى جُنْحَ الدُّجَى أوْفَى جَنَاحَاً وَمَاتَ غُرَابُهُ الجَوْنُ المُرِبُّ)

الدُّجَى : الظلمة ؛ واحدتها : دُجْية . وجنح الدُّجى ، بالضم والكسر : جانبها وأوَّلُها ، وقيل : قطعة منها نحو النِّصْف . وأوفى : أتمّ وأكمل . وغراب الدجى : أى حُلكته . وفيه تورية مجردة . والجون : الأسود . والمُرِبّ : أى المُسِفّ المتدانى لتكاثفه وثقله . ويريد « بموته » : انهزامه وفناءه ، أمام جيوش النهار ، أى إن ظلامه ، مهما اشتدت حلكته ، فهو إلى انقشاع .

وقد يكون « الغراب » على الحقيقة . قال الجاحظ : « وغراب الليل غرابٌ ترك أخلاق الغربان وتشبَّه بأخلاق البوم ، فهو من طير الليل » . يريد أن الليل بدجنّته ، وقد ضربها مثلا للجنة ، غير محمى ما أجنّ ، وإن أمعن فى الخفاء .

يقول : أرأيتُم إلى ذلكم اللَّيل الفاحِم قد ضَرب على الأرض بجرانه ، وطَبَّق عليها بأَقْطاره ، إنه لأوفى من الغراب جناحاً ، وأشدّ منه سواداً ، وأرحب منه بالطيران باعاً . ومع ذلك لم يمْنَعه وفاء جناحه، وشدّة سواده ، وقُوّته على الطيران ، أن يَخْضع للقدر ويُذْعن للقضاء ، فيموت كما ماتَتْ قبله اللَّيالى ، ويمضى كما مضت السِّنُون .

١٣(فَمَا لِلنَّسْرِ لَيْسَ يَطِيرُ فِيهِ وَعَقْرَبُهُ المُضِبَّةُ لا تَدِبُّ)

يريد بـ« النَّسر » كوكبين فى السماء معروفين ، على التَّشبيه بالنَّسر الطائر . يُقال لكل واحد منهما: نَسر . والعقرب : بُرج من بُروج السماء ، وله من المنازل: الشَّولة،

والقَلْب ، والزُّبانى . وفيه يقول ساجع العرب : « إذا طلعت العقرب ، حَمِس المِذْنب ، وقَرّ الأشيب ، ومات الجُنْدَب » . والمُضبة : اللازمة غير المفارقة .

وفى كل من « النَّسر » و « العقرب » تورية مرشحة ، لذكره « يطير » مع الأول و« تدب » مع الثانى ، وهما من لوازم المورَّى بهما . وضَرب « النَّسر » و « العقرب » مثلين لنجوم الليل . وفى إيراد « النسر » و « العقرب » مع « الغراب » قبلُ ، مراعاة نظير .

وأراد « بطيران النسر » ، « ودبيب العقرب » حركتيهما فى مَداريهما . أى إنه مع انقشاع الليل لا تُرى النجوم . وكذلك الأمور إلى تبدّل .

يقول : أرأيتم إلى نَسره الواقع ، إنه لأَرْحب من نَسْركم جناحاً ، وأشد منه أيْدًا ، ولكنّ الدهر قد أوقعه فما يَنْهض ، والقَدر قد قص جناحه فما يطير . أرأيتم إلى عقربه الثابتة ! إنها لأشدُّ من عقربكم قوَّة ، وأولى أن تكون أقْدر منها على الدَّبيب . ولكن القضاء قد وقفها فما تَدب ، واستلَّ حُمتها فما تصيب .

١٤(أَيَجْلُو الشَّمْسَ للرَّائِى نَهَارٌ فَقَدْ شَرَقَتْ وَمَشْرِقُها مُضِبُّ)

شرقت ، بفتح الراء : طلعت ؛ و بكسرها : غابت أوضعفت. والمشرق كما يكون من الأول يكون من الثانى . ومُضبّ . ذو ضباب . والاستفهام فى البيت إمّا على التعجب ، يريد : كيف وقد جلا النهارُ الشمس للرائى ، قد طلعت والظلمة تكتنف مطلعها ! و إمّا على الإنكار ، ومعه تصح « شرقت » على المعنيين . فعلى الأول ، يُنكر أن النهار يجلو الشمسَ للرائى ، فهى مصحوبة بالضباب فى مطلعها . وعلى الثانى ، فهو يُنكر أن الشمس يجلوها النهار ، فها هى ذى قد ذوتْ وغابتْ ، وغمها الظلامُ فى مَشرقها الذى هو كالمغيب .

يقول : أرأيتم إلى هـذه الشمس الطالعة ، يجلوها لكم النهار جميلةً وضّاءة الجبين ! إنها لأحسنُ منكم حُسْناً ، وأجمل منكم جمالًا ، وأشد منكم قوة ، وأولى منكم بالبقاء ! ولكنّ القضاء كثيراً ما يُلحّ عليها فيُخفى جمالها بما يسوق من ضباب كثيف .

١٥(وَلَمْ يَدْفَعْ رَدَى سُقْرَاطَ لَفْظٌ وَلَا بُقْرَاطَ حَامَى عَنْـهُ طِبٌّ)

سقراط : من الفلاسفة المعدودين . ولد فى أثينا سنة ٤٧٠ ق . م . وتوفى سنة ٤٠٠ ق . م .

و بقراط : من أئمة الطب ، وكانت له بالفلسفة معرفة . تزعّم الطبيعيين فى عصره ، وعاش قبل الإسكندر بنحو من مائة سنة .

يقول : أرأيتم إلى أفصحكم لفظاً ! وأهداكم خُلقاً ! وأصوبكم رأياً ! وأنفعكم حكمة ! كيف لم تنفعه فصاحته ولا هدايته ! ولم يدفع عنه صوابه ولا حكمته ! وهل أغنت عن سقراط فصاحة لسانه وثبات جنانه ؟ أو نفع بقراط طبه وحكمته ؟ أو علمه وفلسفته ؟ كلا ، إنه القضاء نازل لا مردّ له ، فلا تلتمسوا منه مخرجاً ، ولا تطلبوا منه مفرًّا .

١٦(إِذَا آنَسْتَنِى بِشَفًا صَرِيعًا فَدَعْنِى كُلُّ ذِى أَمَلٍ يَتِبُّ)

آنسه : رآه وأبصره . والشفا من كل شىء : حَرْفه وحدّه . وهو أيضاً البقية من الهلال والنهار وما أشبههما . قال العجّاج :

أو مَرْبأٍ عالٍ لمن تَشرّفا أَشْرفتهُ بلا شفًى أو بشفًى[1]

---

(١) بلا شفى : أى وقد غابت الشمس ، أو بشفى ، أى وقد تغيب منها بقية .

وعلى المعنى الأول . فالباء فى « بشفا » للظرفية . يريد : إذا أبصرتنى عند نهايتى .

وعلى الثانى . فالباء للمصاحبة . يريد : إذا أبصرتنى وبى رَمق . وهو من سابقه .

والصرع : الطرح بالأرض ، فهو مصروع وصريع . يريد مُعْيًا لا أقوى على النهوض . ويتب : يهلك . تب يتِب تبًّا . وفى حديث أبى لهَب : « تبًّا لك سائر اليوم ! ألهذا جمعتنا » . « وكل ذى أمل » ، يريد الناس عامة ، فما منهم إلا وله أمل يحدوه . وأرادهم على هذا الوصف ، ليكون الموت أبلغ عظة ، وأصرف لهم عن زينة الحياة .

يقول : إن ما أنتم فيه لغرور لا ينفع ، وأمل لا يفيد . وإن ما تبذلونه من جهد فى اتقاء الموت ، والتماس الحياة ، لحركة ضائعة ليس لها نتيجة ، وإنكم لميتون وصائرون إلى حيث لا تجدون حسًّا بلذة أو ألم ، ولا ارتياحاً لحمد أو ثناء ، ولا أشياء من خير أو شر .

١٧(وَلَا تَذْبُبْ هُنَاكَ الطَّيْرَ عَنِّى وَلَا تَبْـــلُلْ يَدَاكَ فَمَا يَذِبُّ)

الذَّب : الدَّفْع والطرد . ذبَّ يذُبّ . وهناك ، أى عند النَّزع ، والموتُ يصرعنى . وهو ما سبق إليه فى البيت السابق .

والذب ، أيضاً : الجفاف والذبول ، وفعله : ذَبَّ يذِبّ . وهو المراد فى آخر البيت . ومنه قول الشاعر :

وهم سَقَونى عَلَلاً بعــد نَهَلْ من بعد ما ذَبّ اللسانُ وذَبُلْ

والفم ، مفتوح الفاء مخفف الميم ، فى الرفع والنصب والخفض . ومنهم من يضم الفاء فى كل حال كما يفتحها فى كل حال . وأما تشديد الميم ، فإنه يجوز فى الشعر .

يقول : دعوا أجسامكم بعد الموت ، لا تحفلوا بها ولا تشفقوا عليها أن تتخطفّها الطير ، وتنوشها السباع ؛ فما ذلك بمؤذيها ، ولا بالغ منها .

اللزومية السادسة والخمسون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة مع التاء :

١ (أَقَرُّوا بِالْإِلٰهِ وأَثْبَتُوهُ   وَقَالُوا لا نَبِيَّ وَلَا كِتَابُ)
٢ (وَوَطْءُ بَنَاتِنَا حِلٌّ مُبَاحٌ   رُوَيْدَكُمُ فَقَدْ بَطَلَ العِتَابُ)
٣ (تَعَادَوْا فِى الضَّلَالِ وَلَمْ يَتُوبُوا   وَلَوْ سَمِعُوا صَلِيلَ السَّيْفِ تَابُوا)

الإقرار : الإذعان للحق والاعتراف به . يُقال : قَرَّره بالحق ، فأقرّ هو به . و « أَثْبتوه » ، أى أقاموا الأدلّة على وجوده . والواو فى « وأثبتوه » عاطفة للشىء على سابقِهِ ؛ إذ الإثبات قبل الإقرار .

ويجوز فى لام التَّبرئة ، وهى النافيـة للجِنْس على سبيل التنصيص ، إذا تكرّرت ، إلغاؤها . ولك فَتْحُ الاسمين ، ورفعُهما ، والمغايرةُ بينهما . والأمر هنا على الأخير .

وظاهر أنه يشير إلى ما عليه غُلاة الخوارج من إنكار النبوّات والكتب السماوية والتشكيك فيها .

والوطء : النكاح . ولعله يريد ما عليه الباطنية من غُلاة الخوارج ، من إباحة نكاح البنات . وفى ذلك يقول عبد الله بن الُحسين القيروانى ، من دُعاتهم : « وما العجب من شىء كالعجب من رجل يدعى العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء ، وليست له زوجة فى حُسنها ، فيحرمها على نفسه ويُنكحها من أجنبى . ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحقّ بأخته و بنته من الأجنبى » .

ورويدكم ، أى تمهلوا وترفقوا . وقد مرّ[1] . و«العتاب» : أن يذكر كل واحد من الصاحبين لصاحبه ما فَرط منه إليه من الإساءة . وأما الإعتاب ، فهو رجوع المعتوب عليه إلى ما يُرضى العاتب . و بطلان العتاب ، دليل على أن الأمر جَلّ فلم يَعُدْ يُجْدى فيه عِتاب .

وتعادوا ، أى اختلفوا وتفرقوا ، فذهب كل قوم مذهبا ، من « التعادى » بمعنى « التباعد » . وقد يكون من : التوالى والتتابع . أى مضوا فى إثر بعضهم . و«صليل» السيف : طنينه عند المقارعة . ويريد به التلويح بالشر والعنف .

يقول : عجبتُ لطائفة من الناس يثبتون الإله ويُقرّون به ، ويعرفونه ويَدينون له ، ثم يُنكرون الكُتب والنبوّة ، ويجحدون الحِلّ والحُرمة ، ويَستبيحون الإثم والمعصية . لَشدَّ ما اختلطت عقولُهم فما يُصلحها إرشاد ! ولشَدّ ما سَفُهت أحلامُهم فما ينفعها عتاب ! إنهم ليدأبون على ذلك ويلجّون فيه . لا تُصلحهم حُجّة ، ولا يَردُّهم إلى الحق بُرهان . فإذا سمعوا صليل السيف ، ورأوا بريقَه الخاطفَ للعُيون ، ورَونَقه الآخذ للأبصار ، وحدَّه الذى يبتسم فيه الموتُ ، وتقطرُ منه المنيّةُ ، عادوا إلى ما أنكروا مُقِرِّين به ، راضِين له .

عدمتُ هؤلاء الناس يخرجون على العقل ، ويخضعون للقوّة ؛ وإنّ فى أحدهما لَلنَّفعَ ، وإنّ فى الأخرى للضَّرر الشديد .

---

(١) انظر شرح البيت الأول من اللزومية ١٧ ص ١٣٩ من هذا الجزء .

اللزومية السابعة والخمسون

وقال أيضاً فى الباء المَضْمومة مع الراء :

١ (تُرَابُ جُسُومُنَا وَهِيَ التُّرَابُ   إِذَا وَلَّى عَنِ الآلِ اغْتِرَابُ)
٢ (تُرَاعُ إِذَا تُحِسُّ إِلَى ثَرَاهَا   إِيَابًا وهُو مَنْصِبُهَا الْقُرَابُ)
٣ (وَذَاكَ أَقَلُّ للأَدْوَاءِ فِيهَا   وَإِنْ صَحَّتْ كَمَا صَحَّ الغُرَابُ)

تُراب جُسومُنا ، على ما لم يُسَمَّ فاعلُه ، أى يَسوؤُها ويُزْعِجها ؛ من : رابه الأمرُ، وأرَابه ، إذا رأى منـه ما يكره . والآل : الأهل والعيال ، وأَلِفُه ، إمّا أن تكون بدلًا من واو ، أو عن هاء . وتصغيره : أويل ، وأُهيل . وقد يكون لما لا يَعْقل ، ومنه قول الفَرزدق :

نَجَوْتَ ولَمْ يَمْنُن عليك طَلاقَةً   سوى ربَّةِ التَّقْريبِ من آلِ أَعْوجَا

وولّى عنه : أعرض ونَأَى . و«اغْـتِراب»، مَصْدر واصِفٌ لموصوف مَحْذوف، أى راحِلٌ مُغْترب . أى إن الإنسان لَيَنْزعج عِنْد رُؤْية أى نازح من آلِهِ . وخَص « الآل » لأنهم به أَلْصق ، والحزن عليهم أعمق . وهو يعلم أنه من التراب، وإلى التراب يَعُود .

هذا وَجْه . وقد يكون « الاغتراب » بمعنى : فراق الموت . و « وَلَّى » أى صَرَف ونَحَّى، من « ولّاه » عن الشىء ، إذا أبعده عنه وصَرفه ، حَذف مفعوله للعلم به ، والتَّقدير : إذا ولّى الاغترابُ أحداً عن آله . يريد : إذا ذهب الموتُ بقَريب .

ووجه ثالث ، فتكون فيه « تُراب » من الرِّيبة ، وهى الشكّ ، و « الآل »

مع هذا الوجه بمعنى الشخص أو السَّراب ، والجسم مشبَّه به فى أنه وهم .
و « إذا وَلّى . . . إلخ » أى إذا أبطأ بالإنسان أجلُه . يريد أن النفس قد يُبْطِئ بها الأجل فتشكّ فى الفناء ، ومصيرها إلى التراب متيقّن ، أو أنها هباء لا تُعْيِي القَدر، و إن طال الأجل .

وثَمّ وَجه رابع ، وهو من الثالث . فأبو العلاء يَعُدّ الحياة غُربة ، فإذا وَلّت عاد الجسم إلى مادته وهى التُّراب ، وَأنّ وُجودَه فى الحياة عَناء ، وهو ما أراده بقوله : « تراب جسومنا » أى تَضْنى وَتَشْقى .

وتُراع : تفزَّع . ونَسَق الكلام : «وتراع — أى الجسوم — إذا تحِسّ إياباً إلى ثَراها» . و إلى ثراها : أى إلى التراب الذى منه كانت، و إليه تعود. و«المَنصب» : المَرْجع وحيث تَغيب الشَّمْس . و يريد به : المصير والمآل . وهو الأصل أيضاً . والقُراب ، مثلَّثة : القريب ؛ فعلى الأول ، فالمراد : دنوّ الأجل ؛ وعلى الثانى . فالمراد : أن الجسم لم يبعد بأصله عن التراب . « وذاك » أى الثرى ، أو الإياب إليه. و«الأَدواء» : جمع داء ، بمعنى السُّقْم والمَرض. و« إن صحت كما صح الغراب» ، أى و إن بقِيت شابة ولم تَصر إلى شَيب وهَرم . فإنه يُحكى أن الغراب لا يشيب أبداً. ومن عبارات التأبيد : لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب، أى لا أفعله أبداً.

يقول : عجبتُ لهذه الحياة ما نَنْفكّ بها كَلِفين فى الأمْن والخوْف ، وما نَبْرح عليها حريصين فى الحرب والسِّلم . نتّهم فيها الشِّدّة واللين ، والصَّفْو والكَدَر ؛ ونخاف عليها الموت ، و إنما أُعدَّت له ؛ ونَحْذَر عليها الحِمامَ ، و إنما وقِفت عليه . إنما الموتُ رجوعنا إلى طبيعتنا ، واستحالتنا إلى أُصولنا . لقد كُنا تراباً ونحن إلى تُراب عائدون . فما فَزَعُ الفَزِع من رُجوع لأصله ! وما حَذر الجِسْم من استحالة إلى جوهره ! ولو أنّا بلونا من الحياة حُلواً يُرغّبنا فيها ، أو

ثمراً يُحبِّبها إلينا ، لكان لنا فى ذلك العُذْر الواضِح ، ولكنَّا لا نَبْلو منها إلّا المُرّ ، ولا نَجْنى منها إلّا الشَّر .

٤ (هُمُومٌ بالهَواءِ مُعلَّقَاتٌ إلَى التَّشْريفِ أَنْفُسُها طِرَابُ)

هموم : جمع همّ ، وهو هنا : العزْم والطَّلب ؛ من همّ بالأمر ، إذا عَزم عليه وطَلبه . و بـ« الهواء مُعَلقات » يريد الإبْعاد فى الأمل ، إذ الهواء مُصْعِد . كما يريد أنها لن تتحقّق . والتَّشريف : العُلوّ ، وكأنه أراد التحليق فى جو الخيال ، وهو بالهواء أنْسب . وطِراب : نزّاعةٌ مشتاقةٌ ؛ الواحد : طرب .

يقول : هُموم يجرى بها علينا الليل والنَّهار ، وآلام تَطلعُ بها علينا الكواكب والنُّجوم ، وشُرور لا يُريحنا منها إلّا الموت . أفيَنْبغى بعد ذلك أن تكون بنا فى الحياة رغبة ، ومن الموت رَهْبة ؟ ولو أن الحياة كانت على شرورها خالدة ، وعلى آثامها باقية ، لاحتملناها مُحبِّين لها ، ولقَبِلْناها راضين بها . ولكنّها طريق منتهيةٌ بنا إلى الفَناء وإنْ لم نَطْلُبه ، وإلى الموت وإن لم نَحرص عليه .

٥ (فَأَرْمَاحٌ يُحطِّمُها طِعَانٌ وأَسْيَافٌ يُضَلِّلُهاَ ضِرَابُ)

الأرماح : جمع رُمح ، من السلاح معروف . وإذا كثُرت قلت : رِماح . والطعان للرمح ، فعله يطعُن ؛ وللقول : يطعَن . وقال الليث : كلاهما يطعُن . وتَفْليل السيف : انثلامه وكُسور فى حدّه . فلّ السيفَ يفُلّه فلاًّ ؛ وفلَّله ، بمعنى . وسيف فَليل ، وأفلّ . و« الضِّراب » : المجالدة والضرب بالسيف فى القتال .

يقول : حدِّثني بالحياة ، أى شىء هى ؟ أليست الحياةُ أرماحاً يكسِّرها الطَّعن فى الصدور ! وأسيافاً يُفلِّلها الضربُ على الهام !

٦ (تنَافَسُ فِي الْحُطَامِ وحَسْبُ شـاكٍ
طَوًى قُوتٌ وَحِلْفِ صَـدًى شَرَابُ)

تنافس ، أى تتنافس . والتنافس : التراغُب على وجه المُباراة . وقيل : هو التحاسُد والتسابُق . تنافَسْنا ذلك الأمْرَ ، وتنافسْنا فيه . والُحطام : ما تحطّم وتكسَّر من اليبيس وغيره . يريد : عَرض الدُّنيا الهيِّن . وحَسْبُ ، أى كافٍ ومُغْنٍ، من إضافة المصدر إلى معموله . والطَّوَى : الُجوع . طَوِى يَطْوَى ، طوًى وطِوًّى : خَمُص من الجوع ؛ فإذا تعمَّد ذلك قيل : طَوَى يَطْوِى . وفى الحديث: « إنه كان يَطْوى يومين » أى لا يأكل فيهما ولا يشرب . و « طوًى » هنا مفعول لـ « شاكٍ » . والقُوت : ما أمسك الرَّمق ، أى : يكفى شاكى الطوى قوتٌ . و«الحلف» : العهد ، والمُحالف أيضاً ، والثانى هو المراد هنا ، جعل التلازم بينهما فلا يفترقان عهداً . و « الصدى » : شدّة العطش ؛ وقيل : هو العطش ما كان . صَدِى يَصْدَى صَدًى ، فهو صَدٍ ، وصادٍ . أى : ويكفى حلف الصدى الشرابُ .

يقول : أليست الحياة تنافُساً فى الُحطام الهيّن الدَّنِىء ، تجمعه وتستكثر منه . وإنّ جائعنا ليكفيه أن يجد القُوت ، وإن صادينا ليُغْنيه أن يجد الرىّ .

٧ (وأَفْسَـدَ جَوْهَرَ الأحْسَابِ أشْبُ
كَمَا فَسَدَتْ مِنَ الْخَيْلِ العِـرَابُ)

جوهر كل شيء : ما خلقت عليه جبلّته . والأحساب : جمع حَسَب ، وهو الشرف الثابت فى الآباء ؛ وقيل : هو الشرف فى الفعل . وظاهر أن مراد أبى العلاء على الأول . والأشب : الخلط ؛ أَشَب الشئَ يأشِبه أشْباً : خلطه . ومنه : الأُشابة من الناس ، أى الأخلاط . ورجل مأشوب الحسب : غير محض .

والعِراب من الخيل : المُعربة ، أى التى تصهل فيُعْرف عِتقها بصهيلها ، وكذلك يُعرف الفرس العربى من الهَجين . والهجين من الخيل : الذى ولدتْه برذونة من حِصَان عربىّ . يشير إلى اختلاط أحساب الناس ، كما اختلطت فى الخيل الأجناس .

يقول : أليست الحياة مزاجاً مختلطاً مضطرباً ، لا يكاد يُصلحه قليل الخير حتى يُفْسده كثير الشرّ ، كما تفسد أنساب الخيل العراب من الخيل الهجان .

٨ (وَأَمْـــلَاكٌ تَبَحَّرُ فِى غِناهَا   وَإِنْ وَرَدَ العُفَاةُ فَهُمْ سَرَابُ)

٩ (وَقَدْ يُغْرِى أَسُودَ الغِيلِ حِرْصٌ   فَتَحْوِيهَــا الحَظَائِرُ وَالزِّرَابُ)

أملاك : جمع مَلِك ؛ وجمع « المَلْك » مُلوك ؛ وجمع « المليك » مُلَكاء ؛ وجمع « المالك » مُلّاك ومُلّاك . والأملوك : اسم للجمع .

وتبحر ، أى تتبحّر . والتبحر : الانبساط والسعة ، ومثله : الاستبحار . يقال : تبحر الرجل فى العلم والمال ؛ واستبحر : إذا اتسع وكثر مالُه . وكذلك : تبحر الراعى فى رَعْيٍ كثير : اتسع . كل ذلك من البحر ، لسعته .

والعفاة : جمع عافٍ ، وهو الذى يأتيك يطلب معروفك . و « وَرد » : جاء . والأصل فيه للماء . وقد راعى النظير بينه و بين « سراب » . والسراب : الآل . وقيل : السراب : الذى يكون نصفَ النهار لاطئاً بالأرض لاصقاً بها كأنه ماء

جارٍ . والآل : الذى يكون بالضُّحى يرفع الشخوص ويزهاها ، كالماء بين السماء والأرض . وبهما يُضرب المثل فى الشىء يُظن عنده خير ، فإذا جئته كذبك الظنُّ فيه . جعل الغنى بما يفيض عنه من برٍّ وعون ، وإلا فهو سراب ، له بريق الماء وليس له إعطاؤه .

وأغرى يغرى : أوْلع . ولا تقل « غرَّى » . وحذف المعمول بحرفه ، للعلم به ، والتقدير : وقد يغرى بالحياة الحرصُ أسودَ الغيل .

والغيل ، بالكسر : الأجمة ، والشجر الكثير الملتف . وموضع الأسد : غيل ، مثل : خِيس . ولا تدخلها الهاء . والجمع : غُيول .

وحَوَى الشىءَ يحويه ، حَيًّا وحَوَايةً ، واحتواه ، واحتوى عليه : جمعه وضمّه وأحرزه . والحظائر : جمع حظيرة ، وهى ما أحاط بالشىء ، وتكون من قصب وخشب . وقيل : إنها تعمل للإبل لتقيها البرد والريح . والزراب : جمع زَرْب ، وهى كالزريبة : الحظيرة من خشب ، تعد للغنم .

أقام الحظائر والزراب مثلين للامتهان ، فهذه للإبل وتلك للأغنام ، وهما دون السباع . ولعله يريد بهما ما يُعَدّ لسباع الحيوان بعد صيدها . ويشير إلى أنها لو آثرت الموتَ على الأسْر ، ولم تحرص على الحياة ، ما انتهى بها المآل إلى هذا الموطن الذَّليل .

يقول : أليست الحياة بُخلًا وحِرْصاً ، وشرهاً وقَرماً ! أليست الحياة أمانىَّ كاذبة وآمالًا خادعة ، ومظاهرَ مَيْن وزُور ! ما الذى يُعجبك من الحياة ؟ أيُعجبك منها أولئك الملوك المَساميح ، يخدعك منهم على البُعد اسم العظمة والُجود ، وبَسْطة العدل والإحسان ، حتى إذا جئتهم لم تجدهم إلا سَرابا ؟

أيُعجبك منها تلك الأسود الأبيّة ، ذات الأنف الحمىّ ، والقلب الذكىّ ، والمخالب النافذة ، والأظفار الحادة ، لا زال بها الحرص على الحياة والرغبة فى

لذاتها ، حتى يُبدّلها من العزة ذلاً ، ومن الحرية رقًّا ، ومن القوة ضعفاً .

ذلك مثل الرجل الحرُ،ذّى الحسب والنسب ، وذى الفضيلة والخلق ، تُفسده الأطماع حتى يعود حقيراً مهينا .

١٠(مَتَى لَمْ يَضْطَرِبْ مِنْ عَلْوُ جَدٌّ فَلَيْسَ بِنَافِعٍ مِنْكَ اْضْطِرَابُ)

الاضطراب : التحرك . افتعال من « الضرب » والأصل فيه الحركة . وعُلْوُ كل شيء : أرفعه . ومثله : عِلْوه ، وَعَلْوُه ، وَعُلَاوَتُه ، وَعالِيه ، وعاليته . يتعدى إليها الفعل بحرف و بغير حرف . وتقول : أخذه مِن عَلِ ، ومن عَلُ ، ومن عَلَا ، ومن عَلْوُ ، ومن عالٍ ، ومن مُعالٍ . ويُروى : من عَلْوَ ، ومن عَلْوِ .

والجد : الحظ والرِّزق . وفى حديث القيامة : قال صلى الله عليه وسلم : « قمتُ على باب الجنّة فإذا عامة من يدخلها الفقراء . وإذا أصحابُ الجدّ محبوسون ». أى ذوو الحظّ والغِنى فى الدنيا . ويريد « بتحرك الجد من علو » : نزول المقدار به . و « بنافع » خبر « ليس » والباء فيه مزيدة .

وكأنّ أبا العلاء هنا جبَرىّ ، من الجبريّة الذين يقولون بأنه لا قدرة للعباد أصلاً ، لا مؤثرة ولا كاسبة ، على خلاف ما تقول به القدريّة .

يقول : أتعجبك من الحياة حركتُها التى لا تقودها إلا المصادفة ، ولا يدبّرها إلا الحظّ ؟ فأنت غنىّ إن صادفك الجدّ ، وإن كنت أقل الناس للغنى استئهالا . وأنت يائس إن اخطأك ، وإن كنت أرحب الناس بالمجد ذراعاً .

١١(كَأَنَّ السَّيْفَ لَمْ يَعْطَلْ زَمَانًا إِذَا حَـلِيَ الحَمَائِلُ وَالْقِرَابُ)

« كأن » على أربعة معان : أحدها ، وهو الغالب عليها : التَّشبيه . وشرط بعضهم أنه لا يكون إلا إذا كان خبرها اسماً جامداً . والثانى : الشك والظن . والثالث : التحقيق . وأنشدوا عليه :

فأصبح بطنُ مكة مقشعرًّا كأنّ الأرض ليس بها هشامُ

والرابع : التقريب .

والمعنى هنا على الوجه الثالث ، أى التحقيق .

وعَطِل يَعْطَل ، عَطَلًا وعُطولًا ، وتعطّل : إذا لم يكن عليه حَلْىٌ ولا زينة ، والمرأة عاطل ، من غير هاء . فإذا كان ذلك عادتها ، فهى مِعْطال . هذا الأصل ؛ ويُريد بعَطل السيف هنا : إهماله وعدم إعماله ، وكأنه لا غناء عنده .

والحمائل : جمع حِمالة وحَميلة ، وهى علاقة السيف . وهى السَّير الذى يُقلّده المتقلِّد . وقال الأصمعى : حمائل السيف ، لا واحد لها من لفظها ، وإنما واحدها مِحْمَل . وقال الأزهرى : جمع « الحمالة » : حمائل ، وجمع « المِحمَل » : محامل .

والقراب للسيف . شبه جراب من أدم يضع فيه الراكبُ سيفَه بجَفْنه وسَوْطه وعَصَاه وأداته .

والمعنى : كان ينبغى ألّا يعطل السيف وقد حليت حمائله وقرابه . وكأنه يشير إلى الحظ الكثير ، يُصيب غير جدير . وما ألفته إلى قول زُهير ، وإن لم يكن فى مَجراه :

رأيت المَنَايا خَبْط عَشْواء من تُصب تُمِتْهُ ومن تُخطئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

يقول : أيُعجبك أن ترى فى الحياة أولئك المَجْدودين من أصحاب الغنى والثروة ، وأبناء المصادفة والحظ : لم يَكَد يَبْتسم لهم الدهر بعد عبوسه ، حتى

نَسُوا ماضِيهم ، وتجافَوْا عن قديمهم ، وأصبحوا كأنهم لم يُخْلقوا إلا سُعَداء مُوَفَّقين .

١٢) تَأَلَّفُ أَرْبَعٌ فِينَا فَتُذْكَى
بِهَا مِنَّا ضَغَائِنُ وَاحْتِرَابُ)

١٣) وَلَوْ سَكَنَتْ جِبَالَ الْأَرْضِ رُوحٌ
لَمَا خَلَدَتْ نَضَادِ وَلَا إِرَابِ)

تألف ، أى تتألف وتتجمع . ويريد بـ«الأربع » أى الطبائع الأربع ، وهى : المائيّة ، والترابيَّة ، والهوائيّة ، والنارية . وبعضها لبعض خَصْم .

والضغائن : الأحقاد . الواحدة : ضغينة . ومثلها : الضِّغْن ، والضَّغَن . والجمع فيهما : أضغان . والاحتراب ، إمّا من «الحرْب» التى هى نقيض السّلم ؛ وإمَّا من « الحرَب » الذى هو شدة الغضب . أى إن الشر من طبيعة المرء ، وتجمّع هذه العناصر فيه .

و« لو » حرف شرط يفيد الامتناع . وقد مر كلام عنه[1] . ونضاد : جبل بالعالية . ويُبنى عند أهل الحجاز على الكسر . وعند تميم ينزلونه منزلة مالا ينصرف . وإراب ، بالكسر : موضع ، أو جبل . وقيل : ماء لبنى رَباح بن يربوع . وكان لهم به يوم من أيامهم .

وظاهر أن أبا العلاء أراد بهما مجرد التمثيل . جعل الروح علة الفناء والتحول، وخلوّ الجماد منها خَلد وبقى .

---

(١) انظر شرح البيت الثالث من اللزومية ٤٧ ص ٢٨٤ من هذا الجزء .

يقول : ما الذى يعجبك من الحيـاة ؟ أيعجبك أنها ليست إلا رهناً باتفاق هذه الغرائز المختلفة ، وائتلاف هذه الطبائع ؟ واتفاق تلك الغرائز ما زال مَصْدرَ الشرّ ومنشأ الفساد .

أمّا إنك لو أنصفت نفسك لاستمعت لى وأصغيت إلىّ ، فما عذّبنا إلا العيش ! وما أشقانا إلّا الحياة ! وَأُقسم لو أن لهذه الجبال الراسية الشامخة أرواحاً كأرواحنا ، ونفوساً كنفوسنا ، ونصيباً من الحياة كنصيبنا ، لما كان لها أن تبقى إلا ريثما يُنيخ عليها الشر بكَلْكله ، ثم يغير عليها الموت بجيشه اللُّهام .

اللزومية الثامنة والخمسون

وقال فى الباء المَضمومة مع السِّين :

١ (دَنَا رَجُلٌ إلَى عِرْسٍ لِأَمْرٍ   وَذَاكَ لِثَالِثٍ خُلقَ اكْتِسَابُ)

٢ (فَمَا زَالَتْ تُعَانِى الثِّقْلَ حَتَّى   أَتَاهَا الوَضْعُ واتَّصَلَ الْحِسَابُ)

٣ (نُرَدُّ إلى الأُصُولِ وكُلُّ حَيٍّ   لهُ فى الأَرْبَعِ القُدُمِ انْتِسَابُ)

عِرْس الرجل : امرأتُه ، وهو أيضاً عِرْسُها ؛ لأنهما اشتركا فى الاسم ، لمواصلة كلٍّ واحد منهما صاحبه و إلْفِه إيّاه . قال العجّاج :

أَزْهرَ لم يُولد بنجْم نَحْسِ   أَنْجبِ عِرْسٍ جُبلاَ وعِرسِ [1]

والجمع أعراس . والاكتساب : الطلب والسعى . وهو خبر للمبتدأ « وذاك ». أى : وذاك الأمر اكتساب لثالث خُلق . والثالث : الوَلَد ، الذى هو ثمرة بناء الرجل وكسبه . ومنه الحديث : « أطيب ما يأكل الرجل من كَسْبه ، وولَده من كَسْبه » . قال ابن الأثير : إنما جعل الولد كَسْباً ؛ لأن الوالد طلبه وسعى فى تحصيله .

والمعاناة : المقاساة . عانى الشىء وتعنّاه ، بمعنى . وقيل : المعاناة : المُقاساة وحُسن السياسة ، والمباشرة ، والقيام على الأمر . والمعنى يستقيم عليها أيضاً .

والثقل ، بالكسر : الحمل الثقيل . والحساب : العدّ . واتصال العد باتصال النَّسل .

---

(١) أراد : أنجب عرس وعرس جبلا ، أى أنجب بعل وامرأة .

ويريد « بالأصول » : العناصر الأربعة ، وهى الماء والهواء والنار والتراب ؛ وقد مرت[1] . و « الرد إلى الأصول » معناه الموت والفناء ، فيستحيل الميت إلى تلك العناصر .

وجاز فى العدد التذكير ، وكان من حقه أن يخالف فيؤنث ، لأنه هنا وصف ، والتقدير : وكل حىّ له فى الأصول الأربع .

وانتساب : أى صلة وقُربى .

يقول : لست أدرى بما يزْهى الإنسان ويَتيه ! وعلامَ يُكبر نفسه ويغالى بها ! وإنما هو ابن شهوة باطلة ولذّة فانية ، لا يكاد يُوجد حتى يناله الفناء ، فيستحيل إلى عناصره الأولى التى منها وُجد وائتلفت أجزاؤه .

لقد دنا زوج إلى زوجة ليرضى شهوة هائجة ، ويُسكن هَوى ثائراً ، فكان التقاؤهما علة ذلك الحِمل الذى مازالت تعانى المرأة المسكينه ثقله . أخرجته إلى هذا والعالم ،فوصلت بينهو بين آبائه الأسباب ، ثم ما زال هذا الطفل يشبّ وينمو وتختلف عليه الغِيَر والأحداث ، حتى أنَى لأجزائه الملتئمة أن تتفرق ، ويعود كل منها إلى عنصره وجوهره .

فما الالتقاء لو حققت النظر ، إلا لذّة يعقبها عناء ، ثم شر يتبعه فناء .

---

(١) انظر شرح البيت ١٢ من اللزومية ٥٧ ص ٣٣٠ من هذا الجزء .

اللزومية التاسعة والخمسون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة مع الحاء وياء الرّدف :

١ (أَلَا عَـدِّى بُـكاءً أَوْ نَحِيباً فَمِنْ سَفَهٍ بُكاؤُكِ والنَّحِيبُ)

«ألا» ، هنا : للعرض أو التحضيض ؛ والعرض : طلب بلين ؛ والتحضيض : طلب بحثّ . وتختص بالفعليّة . و«عدى» ، أى اصرفى عنك . عدّاه عن الأمر ، وعدّاه : صرفه . وكذلك : عدا الأمرَ عنه ، وعدّاه . ومنه عدّيتُ عنى الهمَّ ، أى صرفته . والـكلام هنا على تأول جار ومجرور محذوف ، تقديره « عنكِ » .

و « البكاء » ، يُقصر ويمد ، فإذا مددت ، أردت الصوت الذى يكون مع البكاء ؛ وإذا قَصَرت ، أردت الدموع وخروجها .

والنحيب : رفع الصوت بالبكاء ؛ وقيل : هو أشد البكاء . وعلى الأول ، فالمعطوف والمعطوف عليه بمنزلة ماجاء فى لفظ واحد ، وهذا مما يدل عليه العطف بالواو ؛ وعلى الثانى فالمعنى : أدنى البكاء وأشده .

يقول : رفِّهى عليك وخفضى عنك أيتها النادبة المُعولة ، والثاكلة المحزونة ؛ لا تبكى هالـكا ، ولا تأسَىْ على ميت ، ولا يشغلنّـك عن نفسك البكاء والنَّحيب ، ولا الحزن والأسى ؛ فليس ذلك بنافع لك ، ولا مُجدٍ عليك .

٢ (مَحَلُّ الجِسْمِ فى الغَبْرَاءِ ضَنْكٌ وَلٰـكِنْ عَفْوُ خَالِقِنَا رَحِيبُ)

الغبراء : الأرض ، لغُبرة لونها ، أو لما فيها من الغبار . ويريد بمحله فى الغبراء : تلك الأشبار التى يوارَى فيها جسمه . والضنك : الضيق من كل شىء ؛ الذكر والأنثى فيه سواء .

و« لكن » هنا ، مهملة غير عاملة ، لأنها مخففة . ورحيب : واسع . ومثله : رَحْبٌ ، ورُحَاب . والفعل منه : رَحُبَ يرْحُب .

يقول : ما أرى أن فى الموت ما ينبغى البكاء منه أو التوجع له ؛ فلئن كان موضع الجسم فى بطن الأرض وعلى ظهرها ضيقاً ضنكا ، أو مُظلماً مُستكرَها ؛ فإن لعفو الله من السعة والضِّياء ، ما يذهب بضيقه وظلمته .

٣ (وسِيَّانِ ابْنُ آدَمَ حِينَ يُدْعَى بِهِ لِلْغُسْلِ والهِدْمُ السَّحِيبُ)

السِّيَان : المِثْلان . والواحد : سِىّ . والجمع : أسواء . وقيل : « سيان » بمعنى سواء ، ولا يستعملان إلا بالواو ، فإذا جاءت بعدهما « أو » كانت فى موضع الواو . ومنه قول الشاعر :

فسيّانِ حربٌ أو تبوءَ بمثله وقد يَقبلُ الضَّيمَ الذّليلُ المسيَّرُ

وقول أبى العلاء هنا ، على الأول .

والغسل ، بالفتح والضم ، مصدران ، من : غَسَل يَغسِل . وقيل : الغسل ، بالضم : الاسم ، والماء القليل الذى يُغتسل به ؛ و بالفتح : المصدر . والمعنى بهما لا يختلف .

والهدم ، بالكسر : الثوب الخلق المُرقَّع . وقيل : هو الكساء الذى ضوعفت رِقاعُه . والجمع : أهدام وهِدَم .

والسَّحيب : المسحوب على الأرض المتعفِّر بترابها . قابَل بين الميت وقد هِيل عليه التراب ، وبين الثوب الخلق وقد تعفر به .

يقول : ما أعرف أن بين جسم الإنسان بعد الموت و بين الثوب البالى فرقاً ، كلاهما قد فقد الحِسَّ ، وكلاهما قد جُرِّد من الحياة ، لا تُؤْذيه خشونة المسّ ، ولا يُلِذه لِينُه ورقّته .

اللزومية المتمة الستين

وقال أيضاً فى الباء المضمومة مع الراء ، وياء الرِّدف :

١ (تَرِيبُ وَسَوْفَ يَفْتَرِقُ التَّرِيبُ حَوَانَا وَالثَّرَى نَسَبٌ قَرِيبُ)

تريب ، بفتح تاء المضارعة ، من : رابه يَريبه ، ذات المفعول ، أى : أتريبك الحياةُ ، فتظن وتشك ؟ كما يجوز أن يكون بضم التاء ، من : أراب يُريب ، إذا صار ذا رَيْب ، وهو بمعنى « راب » . وعلى الأول فالجناس بين « تريب » و« التريب » تامّ ؛ وعلى الثانى ، فالجناس ناقص .

والتريب : التراب . أراد به الجسم ، لأنه منه و « يفترق التريب » أى حين يفارق الجسد وتنفصل عنه الروح .

وحوانا : جمعنا وضمنا . وأراد بـ «النسب» اجتماعنا نحن والتراب على أصل واحد . وأشار بقُربه ، إلى أنا لم نبعدعن الثرى ببِنْيتنا كثيراً ، أو إلى قرب عودتنا إليه، وأننا لا فكاكَ لنا منه. ومجيئه بالفعل «حوانا» مما يزكّى هذا المعنى الثانى.

يقول : لقد حقّ القضاء فما ينبغى لك الشك ، وتمت الكلمة فما يليق بك الرَّيب : موت واقع ، وحمام محتوم ، وجسم سترجع أجزاؤه إلى أصلها ، وتعود إلى عنصرها ؛ فإن بينها و بين الثرى نسباً قريباً ، وعُروة موثقة .

٢ (جَرَى بِفِرَاقِ جِيرَتِنَا غُرَابٌ فَمَالَ مِنْ مَقَالَتِهِم غَرِيبُ)

الجيرة : جمع جار، الذى يجاورك. وتُجمع أيضاً على، أجوار، وجيران. ولا نظير له إلا : قاع ، وأقواع ، وقيعان، وقيعَة . والغراب : طائر معروف . يشير إلى تطيُّر

العرب بنُعابه ، وأنه يصوت بالبين والبِعاد . و « جرى بفراق . . . » أى ألف ذلك ولزِمه .

و « الفعال » بالضم : ما تُصاغ عليه مصادر الثلاثى الدالة على صوت أو داء . جعل مقالتهم هذه وادعاءهم ما ادعوا على الغراب ، من التصويت والصياح والصراخ ، كأنهم فيها والغربان سواء .

يقول : أجل . لقد دعا ببيننا عن هذه الحياة غراب صادق الدعوة ، محقَّق الشؤم ؛ فقطع الشك ، وأزال الرَّيب . وما أحسب الناس أخطئوا فى شىء خطأهم فى تسميته واشتقاق لفظه من الغرابة أو الغربة . فما هو بالغريب ولا المغترب ، إنما هى حياتنا أنبأت بموتنا ، ووجودنا تنبأ بفنائنا .

٣ (غَـدا يَتَوَكَّفُ الأَخْبَارَ غِرٌّ وَصَاحَ بِبَيْنِهِمْ دَاعٍ أَرِيبُ)

غدا : بكر . والتوكف : التوقع والانتظار . وفى حديث ابن عُمير : « أهل القبور يتوكّفون الأخبار » أى ينتظرونها و يسألون عنها . وقيل : يتوقعونها ، فإذا مات الميت سألوه ما فعل فلان وما فعل فلان . وتقول : ما زلت أتوكفه حتى لقيته .

والغر : الذى ينخدع عن انقياد ولين وقلة فطنة وتجربة . فتى غرّ ، وفتاة غر . يريد به من جعل الغراب متطيَّره يلقن عنه النذر . والرواية فى بعض النسخ ، « غرا » بالنَّصب .

والبين : الفرقة والوصال ، من الأضداد . والمراد هنا الأول . والأريب : الداهية الفطن . أى : والحال أن غير الغراب ما يُعتد به وتصدُق نُذره . وقد أخذ يفصّله فى أبياته التالية .

يقول : لقد اهتدى الحكيم ، واستيقن الحازم ، ولبث الجاهل الأحمق غرًّا

يتوكف الأخبار ، و يتنسّم الأنباء . ولقد جاءه النبأ ، وقرع أذنه الخبر الحقّ ، لو يَسْمع أو يعقل .

٤ (طِعَانٌ كُلَّ حِينٍ أَوْ ضِرَابٌ يَمُوتُ بِهِ طَعِينٌ أَوْ ضَرِيبُ)
٥ (وَأَرْضٌ لَا تُحِسُّ بِمَنْ عَلَيْهَا وَلَا يَبْقَى بِهَا مِنْهُمْ عَرِيبُ)
٦ (وأَشْبَاحٌ يُخَالِطُهُنَّ غَــدْرٌ فَمَا يُرْعَى الْأَكِيلُ وَلَا الشَّرِيبُ)

الطعان : بالرماح ؛ والضراب : بالسيوف ، بِنْيتان للمشاركة . وقد أرادهما للحروب الدائرة . والطعين : المطعون بالرمح . والضريب : المضروب بالسيف . يشير إلى اختلاف أسباب المنايا والضحايا .

و « لا تحس » يشير إلى هوان الإنسان على الأرض وأنه ليس شيئاً مذكوراً، فأُمم تَمْضى وأُخرى تجىء ، وما الأرض بباكية من ذهب ، ولا آنسة بمن حَلّ . و « عريب » : أحد . ومثله : مُعرب، الذكر والأنثى فيه سواء ، ولا يقال فى غير النفى . وكلام أبى العلاء يحتمل الإشارة إلى اليوم الآخر ، أو هو من الإغراق فى وصف الهلاك .

والأشباح : جمع شبح ، وهو ما بدالك شخصه من الناس وغيرهم من الخلق . وقيل : أسماء الأشباح : ما أدركته الرؤية والحس . و يقال : هلك أشباح ماله ، إذا هلك ما يُعرف من إبله وغنمه وسائر مواشيه .

و «يخالفهن غدر» أى إن القدر لا ينفصل عنها ، فهو لها ممازج لا تفيق منه إلى رُشْد ، ولا تَرْعوى إلى صَوَاب .

والأكيل : الذى يأكل معك . والأنثى : أكيلة . وقال الأزهرى : يقال : فلانة أكيلى ، للمرأة التى تؤاكلك . والشريب : الذى يصاحبك فى الشرب .وفى

الحديث : « فلان يمنعه فى ذلك أن يكون أكيلَه وشريبَه » .

يقول : نعمِ لقد نبّأ بجلية الأمر ما يُرى فى الحياة من سر وإثم ، وما يُشهد فيها من غيّ وبغْى ، وطعان وضِراب ، يمضيان بطعين وضريب ؛ وغدر وخداع ، يذهبان بما بين الصديقين من حرمة ، ويخفران ما بينهما من ذمة . وأرض لا تعقل ولا تحس ، ولا يخلد عليها شيء . فلست أدرى بما يكون الاغترار ، وإلام يصح الاطمئنان ، إذا كان كل شيء إلى زوال ! أمَا إنّا لو حققنا النظر لأخْلق بأن نيأس ، منّا بأن نرجو .

اللزومية الواحدة والستون

وقال أيضاً فى الباء المَضْمومة مع النُّون وياء الرِّدف :

١ (إِذَا هَبَّتْ جَنُوبٌ أَوْ شَمالٌ　　فَأَنْتَ لِكُلِّ مُقْتَادٍ جَنِيبُ)

٢ (رُوَيْدَكَ إِنْ ثَلاَثُونَ اسْتَقَلَّتْ　　وَلَمْ يُنِبِ الفَتَى فَمَتَى يُنِيبُ)

الجَنُوب من الرِّياح : حارّة ، وهى تَهُب فى كل وقت . ومَهبها ما بين مَهَبَّى الصَّبا والدَّبور ممّا يَلى مطلع سُهيل . وقال الجَوْهرىّ : هى التى تُقابل الشمال ، والجمع : أَجْنُب . والشَّمال : الريح التى تهب من ناحية القُطب . وفيها لغات : شَمْل ، بالتسكين ، وبالتحريك ، وشمال ؛ وشمأل ، مهموز ؛ وشَأمل ، مقلوب . وربما جاء بتشديد اللام .

ومُقتاد ، من القَوْد ، وهو نقيض السَّوق . فالقود ، من أمام ؛ والسَّوق ، من خَلف . والجَنيب : الفرس يُقاد إلى جَنْب ، ومثلُه : المجنوب .

و «رُويد» ، بمعنى « أَرود » أى أَمهِل وتَأنَّ وأُرْفُق . إذا أردتَ بها الوعيد نَصبتها بلا تنوين . وإذا أردت المُهلة والإرواد فى الشىء فانْصب ونوِّن . وقد مَرّ شىء عنها[١] .

واُستقلّت : ذَهبتْ واُنجلتْ . وأَناب ، وناب : بمعنى ؛ يُقال : ناب فلان إلى الله تعالى ، وأَناب إليه : أَقْبل وتاب ورَجع إلى الطاعة . وقيل : ناب : لَزِم الطاعة . وأناب : تاب ورَجع .

(١) انظر شرح البيت الأول من اللزومية ١٧ ص ١٣٩ من هذا الجزء .



يقول : أُراكَ لا تسمع داعياً لشهوة ، ولا مُنادِياً للذّة ، ولا حاثًّا على غشّ ، ولا باعثاً إلى فُجور ، إلاّ لبَّيته واُستجبت له ؛ مجتهداً لا تأْلو ، وغالياً لا تنثنى . وقد كُنتَ حريًّا أن تقصر من لذَّتك ، وتُنيب إلى ربّك ، حين اُنصرمتْ عنك سِنّ الفُتوّة ، وأدركتْك سنُّ الرجولة ، فإنك إن لم تُصْلح من نفسك فى هذه السنّ ، كنتَ خليقاً ألاّ تجد للإصلاح وقتاً ، ولا إلى الهُدى سبيلا .

اللزومية الثانية والستون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة ، مع الصاد وياء الرّدف :

١ (لِسَانُكَ عَقْرَبٌ فَإذَا أَصَابَتْ سِوَاكَ فَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ تُصِيبُ)

العقرب : واحدةُ العقارب ، من الهوام ، يكون للذكر والأنثى بلفظ واحد . والغالب عليه التأنيث . وقد يقال للأُنثى : عَقْربة وعَقْرباء ، ممدود غير مصروف . والعُقْرُبان والعُقْرُبّانُ ؛ الذّكَر منها ، بتشديد الباء فى الثانية . قال ابن جنّى : ولك فيه أمران : إن شئتَ قلتَ : إنه لا اعتداد بالألف والنون فيه، فيَبقى حينئذ كأنه عُقْرُبّ ، بمنزلة طُرْطُبّ . وإن شئت ذهبت مذهباً أصْنَع من هذا ، وذلك أنه قد جَرت الألف والنُّون من حيثُ ذكرنا فى كثيرٍ من كلامهم مَجْرَى ما ليس مَوْجوداً ، على ما بَيَّنا . وإذا كان كذلك كانت الباء لذلك كأنها حرف إعراب، وحَرفُ الإعراب قد يلحقه التَّثقيل فى الوقف ، نحو : هذا خالدّ ، وهو يَجْعلّ . ثم إنه قد يطلق ويُقَرُّ بتثقيله عليه . نحو : الأُضْخَمَّا، وعَيْهَلّ. فكأن « عُقْرُباناً » لذلك « عُقْرُبٌ » ثم لحقها التثقيل ، لتصوّر معنى الوقف عليها عند اعتقاد حذف الألف والنّون من بعدها ، فصارت كأنها « عُقْرُبٌّ » ثم لحقت الألف والنون ، فبقى على تثقيله ، كما بقى « الأضْخمّا » عند انطلاقه على تثقيله ، إذا أُجْرى الوصل مجرى الوقف ، فقيل : عقربّان .

يقول : أَمْسك عليك لسانَك ، لا تُطلقه بالعَيْب ، ولا تُرْسله بالذَّنب ؛ فإنما هو عَقرب إن أرسلتَها على الناس أصابتْك قبل أن تُصيبهم ، وجَنَت عليك قبل أن تجنى عليهم .

٢ (أَثِمتَ بِمَا جَنَتْهُ فَمَنْ شَكَاهَا وَفَى لَكَ مِنْ شَكِيَّتِهِ نَصِيبُ)

٣ (أَتَى الرَّجُلَيْنِ عَنْهَا الشَّرَّ مَثْنَى كِلاَ يَوْمَيْكُمَا شَئِزٌ عَصِيبُ)

أَثِم فلان، من باب عَلِم. وقع فى الإثم، إثماً ومَأْثماً. وأثَمه الله يأثِمُه، من بابى نَصر وضَرب: عَدَّ عليه الإثم وعاقبه به وجازاه جَزاءه. والمُراد هنا الأول. وجَنَتْه: جرَّتْه من إثم وجُرم. يُريد العَقْرب، التى أقامها مُقام اللِّسان. و «شكاها»: أخبر عنها بسُوء فِعْلها. والشاكى حين يشكوها يَصِمُها بالأذى، وصاحبها بالإثم. والشكيّة: المصدر، ومثله الشَّكوى، والشِّكاية، والشَّكاة. والأسم: الشكوى.

وقد يكون «شكى» هنا بمعنى «أشتكى» أى ألِم بما أصابه منها كما يألم المريضُ من المرض. ومن ألِمَ تحرك للأذى.

و «وفى»: تم وكمل. وإذا تَمَّ الشيء أحصد وأدَّى؛ وكذلك أتضح وبان. والمعنى الأول مع المعنى الأول فى «شكاها». يريد: كأن الشاكى يكيل لك بالكيل الذى كِلْت له به، ويفيك جزاءك من الإساءة. والثانى من الثانى: أى كأن الشاكين حين يشكون يكشفون منها عن كُلوم بالغة تثير الحنق بك، والمغضبة عليك، وتهييج الشر بينكم.

و «الرجلان»: الشاكى والمشكو. و «عن» هنا، تُفيد التَّعليل. أى بسببها. ومَثْنى: مَعْدول من «اثنين» وقد مر[1]. يُشير إلى ما ينال المتخاصمين، المُبْدِى منهما والمُعيد.

وشئِز: غليظ عاتٍ. وعَصِيب: شديد وكأنه أراد بـ «اليومين»: يوم أن تنال من غيرك، ويوم أن ينال منك غيرك.

(١) انظر شرح البيت ١٢ من اللزومية ٣٥ ص ٢٣٥ من هذا الجزء.

يقول : إنك لتَنال الرَّجل بالمقالة السّيئة فتأثم بها فى نفسك ، ثم لا تأمن بعد ذلك أنْ يُصيبك منها شرٌّ يتقدم به إليك غيرُك ، سواء أ كان أقلَّ من ذنبك أو أرْبَى منه .

فأنت تَرى أن كليكما ، من شاتم ومشتوم ، ومن ذامٍّ ومَذموم ، قد أصابه الشرُّ وناله المكروه . فما أحْراك أن تَتَّقى شيئاً يسلك بك مثلَ هذه السبيل !

اللزومية الثالثة والستون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة ، مع الصاد وياء الردف :

١ (تنادوا ظاعنين غداة قالوا أصاب الأرض من مطرٍ مُصيبُ)

٢ (لعلّ شوائماً رمقت وميضاً تبيدُ وما لها فيه نصيبُ)

تنادوا : نادى بعضهم بعضاً ، واجتمعوا . ومنه قولُ المرقِّش :

لا يُبْعِد اللهُ التلبُّبَ والـ غاراتِ إذ قال الخميس نعمْ

والعَدْوَ بين المجلسين إذا آدَ العَشِيُّ وتنادَى العمْ

وتجالسوا فى النادى . و بكل يتّجه المعنى؛ إذ المراد اجتماعهم للرأى والأُهبة .

والظّاعن : الذّاهب السّارى . والفِعْل منه . ظَعَن يَظْعَن ظَعْنا وظعَنا . وقيل : الظعن : سَيْر البادية لنُجعة أو حضور ماء أو طلب مَرْبع ، أو تحوّل من ماء إلى ماء ، أو من بلد إلى بلد . هذا أصلُه . وقد يقال لكل شاخص لسفرَ فى حَجٍّ أو غزو أو مسير من مدينة إلى أُخرى . ومراد أبى العلاء على المعنى الأصلى .

وأصاب الأرضَ : صابها بصَوْب ، أى جادها بمطر . واسم الفاعل من « أصاب » ، مصيب ، ومن « صاب » : صائب . والمسموع : صيِّب .

ومن « مطر » بيان ، يخصص ما فى « يُصيب » من عُموم .

والشوائم : جمع شائم ، وهو الناظر إلى السحاب والبرق أين يقصد وأين يُمطر . والرّمق : نظرك إلى الشىء تُتْبعه بَصرَك وتتعهّده ، الفعل منه من باب نصر .

والوميض : لَمَعان البرق ، وفى الحديث : «إنه سأل عن البرق فقال : أخَفْوًا أم وميضاً» . وقال ابن الأعرابىّ : الوَميض : أن يُومض البرق إيماضةً ضعيفة ثم

يخفى ، ثم يومض ، وليس فى هذا يأس من مطر قد يكون وقد لا يكون .
و « تَبيد » : تفنى وتهلك .

يقول : جِدُّوا فيما أنتم بسَبيله من حِرْص على الآمال ، أو شَرَه إلى تحقيق الأطماع وتهالُك على حُطام الدُّنيا ؛ فما أرى إلا أن آمالكم هذه لكم مُهْلكة ، وعليكم قاضية ، ما تثق لكم بالنُّجْح ، وربما وَثقت لكم بالقنوط .

إنما أنتم رُوَّاد غَيْث ، ومُنْتجعو مَرْعَى ، قد شِمْتمُ البرق فرَجَّيتُموه ، وأمَّلتم المطر فتَتَبَّعتم مواقعه . وربما أعياكم السحابُ فلم تدركوه . وربما أخطأكم الظن فكان برقكم خُلَّباً ، وسحابكم جَهاماً .

اظفروا بما شئتم من آمالكم ، وحَصِّلوا ما أحببتمُ من أمانيكم . فما أخاف عليكم شيئاً ، كما أخاف عليكم هذه الآمال والأمانى .

٣ (وقَدْ تَنْجُو النُّفُوسُ بأَرْضِ جَدْبٍ وَيُهلِكُ أَهْلَهُ المُغْنِى الخَصِيبُ)

الجدب : المَحْل ، نقيض الخصْب . تقول : أرضٌ جَدْبٌ ، على الوصف ؛ وأرضُ جَدْبٍ ، على الإضافة . ولك مع الوصف أن تقول : أرضٌ جَدْبةٌ ، وجُدوب ؛ كأنهم جعلوا الأرض أجزاء ، فتخرج عن صورة الواحد .
و « المُغنى » أى المكان الكافى بما فيه . والخصيب : الكثير العشب فى سعة عيش ولين .

يقول : ألا رب بلدٍ مجدب قاحل قد سعد أهله بجَدْبه وقُحولته ، لم يُصِبهم أذًى ولم يَمْسَسْهُم ضُرٌ . وربّ وادٍ خصْب نَضْر ، قد كان خِصْبه على أهله وبَالا ، وكانت نُضرته لهم مَوْرِدَ هَلكة وشِرْعة فناء .

اللزومية الرابعة والستون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة ، مع الغين وياء الرِّدف :

١ (رَغِبْنَا فى الحَيَاةِ لِفَرْطِ جَهْلٍ   وفَقْدُ حياتِنَا حَظٌّ رَغِيبُ)

رغب فى الشىء : أراده ، رَغْباً ورغبةً ، ورُغْبَى ، ورَغَباً . وعن الشىء : كرهه وزهد فيه ، واللام فى «لفرط» للتعليل ، أى من أجل فرط جهل . والفرط : الغلبة ومجاوزة الحد وفرط جهل ، أى جهل غالب قد جاوز الحد . والرغيب : الواسع ، ومنه : واد رغيب ، أى ضخم واسع كثير الأخذ للماء .

يقول : نرْغَب فى الحياة ونَحْرِص عليها ، وإِنَّ الموتَ لأَحَقُّ أن نرْغب فيه ونحرص عليه .

٢ (شَكَا خُزَزٌ حَوادِثَهَا وَلَيْثٌ   فما رُحِمَ الزَّئِيرُ ولا الضَّغِيبُ)

٣ (شَهِدْتُ فَلَمْ أُشَاهِدْ غَيْرَ نُكْرٍ   وغَيَّبَنِى المُنَى فَمَتَى أَغِيبُ)

الخُزز : ولد الأرنب ؛ وقيل : هو الذكر من الأرانب ؛ والجمع أَخزّة ، وخِزّان . وزَئير اللَّيث : صِياحُه وغَضَبه ؛ وقِيل : صَوْتُه فى صَدْرِه . والضَّغيب : صوت الأرنب ، والذِّئب أيضاً . والمُراد الأول . وقيل : هو تَضوُّر الأرنب عند أَخذها . وقد اُستعاره بعضُ الشعراء لِلَّبن فقال :

كأنَّ ضَغِيب المَحض فى حاوِيائِهِ   مع التّمر أحيانًا ضَغِيب الأرانبِ

وشهدت : حضرت ، و يعنى بحضوره ، وجوده فى الحياة . والمشاهدة : المعاينة .

والنُّكر : بالضَّم ، كالنَّكراء : المنكر . وفى التنزيل العزيز : (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرا) .

وقد يحرّك ، مثل : عُسْر ، وعُسُر . ومنه قولُ الأسود بن يَعْفُر :

أتَوْنى فلم أرْضَ ما بَيَّتوا وكانوا أتَوْنى بشىءٍ نُـكُرْ

والمَنى ، بالفتح : القَدر . وبالضم والكسر : جمع مُنْيه ، ومِنْية ، بالضم والكسر أيضاً : بمعنى الأُمنية . فعلى الأول ، فالمعنى: أن القَدر قد قَضى عليه بأن يُوجد فى هذا الوجود ذى النُّـكر . وجَعل الوجود فيه تَغْييباً ، لأنه حَبْس للأرواح ، أو لأن الأحياء فيه مَغْمورون بشُروره وآثامه ، وهذا وذاك طالما يُشير إليهما أبو العلاء .

وعلى الثانى ، فالمعنى أن الأمانى غشَّت على الأفئدة والألباب ، وضربت عليها الحجاب . و « أُغيب » أى تَضمَّنى غيابةُ الأَرض وتَنْطوى علىّ ، يريد الموت . وكلُّ ما غاب فقد تبَطَّن واُختفى .

يقول : إنما الحياة شر قد آذى القوىَّ والضَّعيف . وأصاب العزيز والذليل ؛ فَضَغَبَ الأرنبُ بشَـكاته ، وزَأر الأسدُ بتألّمه ، فما أغنى عن الأول ضَغيب ، ولا دَفع عن الثانى زَئير . نُـكْر لا يُخلِّصنا منه إلا الموت ، فهل لنا إليه من سبيل ؟

اللزومية الخامسة والستون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة ، مع الياء وواو الرِّدف :

١ (عُيُوبِى إِنْ سَأَلْتَ بِهَا كَثِيرٌ وأَىُّ النَّاسِ لَيْسَ لهُ عُيُوبُ)
٢ (ولِلْإِنْسَانِ ظَاهِرُ مَا يَرَاهُ ولَيْسَ عَلَيْهِ ما تُخْفِى الغُيُوبُ)

كثير ، للمذكر والمؤنث . وقد يقال فى التأنيث : كثيرة . وعن يونس : رجال كثير ، ونساء كثير ، ورجال كثيرة ، ونساء كثيرة ؛ سوَّى بينهما . والغُيوب . جمع غَيب ، وهو كل ما غاب عنك .

يقول : لا تُحدِّثك نفسُك أن ترى فى الناس بريئًا من عَيب ، أو مُنزَّهاً من معرَّة ؛ فإن الخطأ والخَطَل ، من طبيعة الإنسان وفِطْرته . ولكنَّ ذلك لا يَنْبغى أن يحملك على أستقراء عُيوب الناس واُستقصاء سيِّئاتهم ، فربما كلَّفك الاستقراء والاُستقصاء ما يَضُرك ولا يَنْفعك ، ويُؤْذيك ولا يُرضيك . إنما لك من النَّاس ظاهرُ أُمورهم ، وجَلِيُّ أعمالهم ، وليس عليك تَبِعة باطنهم ، وخَفِيُّ غَيْبهم .

٣ (يَجُرُّونَ الذُّيُولَ عَلَى المَخَازِى وقَدْ مُلِئَتْ مِنَ الْغِشِّ الجُيُوبُ)

الذيول : جمع ذيل ، وهو من الرِّداء ما أُسْبل فأصاب الأرض . وجَرُّ الذيول : كنايةٌ عن التَّبختر والعُجْب . والمَخازى : ما لا يُستحسن مما يُسْتحى منه ويُعاب . والجُيوب : جمع جَيْب ، للقميص والدِّرع ، ويُطْلق مجازاً على القلب والصدر ، وهو المراد هنا . فتقول : فلان ناصح الجَيْب ؛ وأنت تعنى قَلْبه

وصدزه ، أى أَمِين ، وكما يقال فى الأمانة يقال فى ضِدّها ، ومنه قولُ أبى العلاء هنا .

يقول : إنهم ليُظهرون التُّقى والنُّسك ، والفَضِيلة والبرّ ، وإن ذلك ليملؤهم كبراً وتيهاً ، فيجرون الأذيال ، بالصَّلف والخال ؛ وإنما يجرُّونها على الخِزْى ، ويُسْدِلونها على الغَىّ ؛ وإن قلوبهم بالشر لَمُفْعمة ، وإنّ نفوسهم من النُّكر لَمُمْتلئة .

٤ (وكَيْفَ يَصُولُ فى الأَيَّامِ لَيْثٌ إذَا وَهَتِ المَخَالِبُ والنُّيُوبُ)

الصَّول : السَّطو والتطاول . وفى الأيام ، أى مع الأيام . ووهت : ضَعُفت . والنُّيوب ، جمع ناب : السنُّ التى خَلْف الرُّباعية . ويُجمع أيضاً على : أنياب وأنابيب ؛ الثانية عن سيبويه ، جمع الجمع ، كأبيات وأباييت .

يقول : ولكِنّى أنصح لك ألّا تُحاول لهم إصلاحاً ، ولا تُكلِّفهم لذلك تَغييراً ؛ فما هم بمُجيبيك إلى ما تُريد ، ولا أنت بقاهرهم عليه . وأنَّى يكون لك الأمر والنّهى ، أو البَأس والبَطْش ، وقد أخطأتك القوّة والسَّطوة ، وحُرِمتَ النُّفوذ والسُّلطان !

اللزومية السادسة والستون

وقال أيضاً فى الباء المَضمومة ، مع الراء وألف التأسيس :

١ (لَذَّاتُنا إِبِلُ الزَّمانِ ينالُها — مِنَّا أَخُو الفَتْك الَّذِى هُوَ خَارِبُ)

الإبل ، بكسْرتين ، وتسكَّن الباء للتَّخفيف ، لا واحدَ له من لَفْظه . قال الجوهرىُّ : وهى مؤنثَّة ، لأنّ أسماء الجُموع التى لا واحد لها من لفظها ، إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيثُ لها لازم ، وإذا صَغَّرتها دخلتْها التاء ، فقلت : أُبيلة .

وحَكى سِيبَوَيه : إبِلان . وقال أبو الحسن : إنما ذَهب سيبويْه إلى الإيناس بتَثْنية الأسماء الدّالة على الجمع ، فهو يُوجِّهها إلى لفظ الآحاد ، يريد قَطيعين .

وأقل ما يقع عليه اسمُ الإبل : الصِّرمة ، وهى التى جاوزت الذّوْد — من الثّلاث إلى خمس عشرة ، وقيل : إلى عشرين — إلى الثّلاثين .

وقال الأزهرىُّ : ويجمع « الإبِل » على آبال .

وجَعل اللذّات « إبلاً » بجامع القَطْع فى كلٍّ ، فَكما تَقطعِ الإبلُ الأقْطار ، تَقطع تلك الأعْمار . كما يصحّ أن يكون الجامع الرَّغبة فى كل . فأشْهى شىء إلى البدوىّ ناقةٌ يَقْتنيها ، واللذةُ مرغوب فيها .

والفَتْك : رُكوب ما همّ من الأمور ودَعت إليه النّفس . وقيل : الفتك : أن يأتى الرجلُ صاحبه وهو غارٌّ غافل حتى يَشُدّ عليه فيقتُله . ومثل «الفَتك» : الفِتْك ، والفُتك ، والفُتوك . والفعل من بابى : ضرب ، ونصر .

والخارب : اللِّص؛ وقيل : هو سارق الإبل خاصّة ثم نقل إلى غيرها اتّساعاً . والفِعل منه : خَرَب يَخْرُب ، يُقال : خَرب فلان بإبل فُلان خِرابة ، إذا سَرقها ، يتعدّى بالباء . وحَكى اللّحيانى : خَرب فلان ، أى صار لصًّا .

جعل اغتصاب اللذّات كالخِرابة مما لا يَحِلّ ولا يُقدِم عليه إلا الفاتكُ الغادر ، وأن العُقبى مع كُل الخُسران والتَّبار .

يقول : ما أرى أنا نتوفى لذاتنا من الأيام إلا مختلسين لها كما يختلس اللص السارق المتاع من صاحبه ، وما أرى أن لنا من هذه اللذات خيراً محققاً ، أو نفعاً متوهماً ، وإنما هو الشر الذى لا شك فيه .

٢ (وَأَرَى عَنَاءً قِيدَ يَغْشَى الْمَرْءَ مِنْ بِنْتِ العَنَاقِيدِ الَّذِى هُوَ شَارِبُ)
٣ (وَلِسَيِّدِ الأَقْوَامِ عِنْدَ حِجَابِهِ طَبْعٌ يُقَاتِلُه الحِجَى ويُحَارِبُ)

العَنَاء : التّعب والنَّصَب . وعَنَى فلان يَعْنِى ، وتَعَنّى : تعِب ونَصِب . وعنَّيته أنا ، وتعنَّيته أيضاً . وتعنّى هو العناءَ : تجشّمه .

وقِيد : من « القَوْد » الذى هو ضِدّ السَّوق ، وقد مرّ[1] . وفى استعمال « القود » هنا إشارةٌ إلى أنّ المرء يَجُرّ هذا إلى نفسه بفعله . ويَغْشى : يُغَطِّى . هذا أصلُه . وهو إمَّا يريد ما يَعُمّ الجِسْمَ من ضُر ، فلا تخْصيص . أو يُريد لَعِب الخمر بالعُقول وحَجْبها لها فكأنه أَطْلق « المرء » وأراد مكانَ العقل منه .

والعَناقيد : من النّخل والعِنَب ونحوهما . الواحد : عُنْقود ، وعِنْقاد . و بِنْت العناقيد : الخَمر ، لأنها عُصارة ما تَحمل . ولا يَخْفى ما بين « عناء قيد » و « عناقيد » من صَنْعة الجِناس .

وفى استخدامه « الذى » مُلْتفتاً إلى « العناء » دون « بنت العناقيد » نُكْتة مجازيّة ، والعلاقة المُسبّبية .

والسيّد : يطلق على المالك ، والشريف ، والفاضل ، والكريم ، والحليم ، ومحتمل أذى

(١) انظر شرح البيت الثاني من اللزومية ٦ ص ٣٤٠ من هذا الجزء .

قومه ، والرئيس ، والمقدَّم ، ويريد به هنا : المالك أمر قومه المقدم عليهم . وأصلُه من : ساد يسود ، فهو مَسْيود . فقلبت الواو ياء ، لأجل الياء الساكنة قبلها ، ثم أُدْغمت .

و « عند » كما تكون اسماً لمكان الحُضور ، فإنها تأتى أيضاً لزمانه .

والحِجاب : اسم ما احتُجب به ، وكلُّ ما حال بين شيئين فهو حجاب .

والحِجا ، مقصور : العَقْل والفِطْنة ، لأنه يمنع الإنسان من الفساد ويحفظه من التعرض للهلاك . والجمع : أحجاء .

يقول : دونك الخَمْر التى تَشْربها صارفاً بها عن نفسك الحُزن والغَمّ ، أليستْ تَجْلِبهما عليك بعد حين ! دونك لَذّةَ العزَّة والسَّطوة التى يتمتَّع بها السادةُ المُحجَّبون ، أليست مَصْدَر الشقاء والنِّقمة ، وسَبِيل الأذى والمكروه !

٤ (وَالشَّرُّ فِي الْجِدِّ الْقَدِيمِ غَرِيزَةٌ فَبِكُلِّ نَفْسٍ مِنْهُ عِرْقٌ ضَارِبُ)

لعلّه يُشِير « بالجد القديم » إلى ما كان بين ولَدى آدم : هابيل وقابيل ، حين قَتل أحدُهما الآخر . وقد يكون أراد ما رُكِّب فى طبيعة الإنسان من شر ، وهذا بعجز البيت أوفق .

والعِرْق : الأصْل . والجمع أعراق وعُروق . والضارب : النّاشب الذى قد تمكّن وأوْغل .

يقول : لا أحمد الإنسانَ فإنه شرِّير ، ولا ألُومه فإنه قَد وَرِث الشرّ عن أبيه ، وأخذه عن جده القديم .

اللزومية السابعة والستون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة مع السين :

١ (عَلِمَ الْإمَامُ — وَلَا أَقُولُ بظَنِّهِ —
أَنَّ الدُّعَاةَ بِسَعْيِهَا تَتَكَسَّبُ)

الإمامُ ، عند المُتكلمين : هو خليفة الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم فى إقامة الدِّين ، ويَجب على كافّة الأُمَّة اُتبّاعُه .

وعند المُحدِّثين : المحدِّث والشَّيخ .

وعند القُرَّاء والمُفسِّرين وغَيرهم : كلُّ مُصحف من المَصاحف التى نَسَخها الصَّحابة بأمر عثمان رضى الله عنه ، وأُرسلت إلى الأَمْصار .

والمُراد من بين هذه كُلِّها الأول . ولعلّه يُشير إلى ما كان من اُختلاف الأُمة بعد وفاةِ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى الإمامة ، وما أَعقب ذلك من انقسام ، وما كان من قول البعض بإمامة علىّ وحَصْرها فى عَقِبه . ثم ظهور طَوائف الإمامية ؛ كالزَّيديّة ، التى قالت بإمامة زَيْد بن علىّ ؛ والكَيْسَانيَّة ، التى قالت بإمامة محمد بن الحنفيَّة ؛ والباقريَّة ، التى قالت بإمامة محمد بن على ، المعروف بالباقر ؛ والنَّاووسيَّة ، التى قالت بإمامة جعفر الصادق ؛ والشّميطية ، التى قالت بإمامة محمد بن جعفر ؛ والإسماعيليَّة ، التى تَنتظر إسماعيلَ بن جعفر ، والمُوسويّة التى ساقت الإمامة بعد جَعفر إلى اُبنه موسى ، والمُباركيَّة ، التى ساقت الإمامة إلى أولاد محمد بن إسماعيل بن جعفر .

وقد اُدَّعوا لبعض أَئمتهم الحياةَ بعد الموت . ومنهم مَن يعيشون فى اُنتظارهم .

وادَّعوا لبعضهم أنه المَهدى المنتظر. وإلى ذلك يُشير قولُ كُثَيِّر:

ألاَ إنَّ الأئمةَ من قُريش ولاة الحقِّ أربعةٌ سَواء
علىٌّ والثلاثةُ من بَنِيه هُم الأسباطُ ليس بهم خَفاء
فسِبْطٌ سِبط إيمان وبِرٍّ وسِبْطٌ غَيَّبْته كَرْبلاء
وسِبْط لا يَذُوق الموتَ حتى يقُود الخيلَ يَقْدُمها اللِّواء
تَغَيَّبَ لا يُرى فيهم زماناً برَضوى عنده عَسَلٌ وماء

وقد سَبق بعضُ هذا[1].

والظَّن: شَكٌّ، ويَقين، إلاّ أنه ليس بيقين عِيان، إنما هو يَقين تَدَبُّر. فأمَّا يقين العِيان، فلا يُقال فيه إلا «عِلم». والعبارة «ولا أقول بظنّه» إطناب للتوكيد ودفع الإيهام.

والدُّعاة: مَن يَدْعون إلى هُدًى أو ضَلالة، الواحد: داعٍ. وهم، مع ما ذهبنا إليه، تلك الفرق الإماميَّة.

وتتكسَّب: تتكلَّف الكَسْب وتَناله من غير وَجْهه.

وقد يكون المُراد بلفظ «الإمام» عمومه. وكأنه يُشير إلى ما يحاط به الأئمة من زُور يُدْعى به لهم، وبُهتان يمكَّن به لسلطانهم.

يقول: ما رأيتُ كالناس يَعلم بعضهم من بعض السوء فيَغضُّون عنه ويُغضُون عليه، التماسًا لمنافعهم، واحتفاظاً بمصالحهم. فقد عَلم الأئمةُ غيرَ شاكِّين، واُستيقنوا غير ظانِّين، أن دُعاتَهم الذين يَدْعون إليهم، ويرغِّبون فيهم، لا يَنْشرون طرِيقَتهم مُخلصين، ولا يسعَوْن فى ذلك سعياً مصدرُه نَصيحة أو دين، وإنما هو كَسب العيش وتَحصيل اللّذات يدفعهم إلى ذلك

(١) انظر شرح البيت الثالث من اللزومية ٢٤ ص ١٦٣ من هذا الجزء.

ويُغريهم به ، من حيث يحتاج إليه الأئمة . فقامت بذلك منفعة الفريقين على الغِشّ والخديعة ، وعلى المكر والنِّفاق ، وكل منهم راضٍ بها مُحَبِّذ لها .

٢ (هَذَا الْهَوَاءُ يَلُوحُ فِيــهِ لِنَاظِرٍ
صُوَرٌ وَلٰكِنْ عَنْ قَلِيلٍ تَرْسُبُ)

٣ (وَالنَّاسُ جِنْسٌ مَا تَمَــيَّزَ وَاحِدٌ
كُلُّ الْجُسُومِ إِلَى التُّرَابِ تَنَسَّبُ)

لعلّه يُشير بقوله « هذا الهواء . . إلخ » إلى زَعْم السَّبئية من الشِّيعة أن عليّ بن أبى طالب حىٌّ لم يَمت ، وأنّه يُرَى فى السَّحاب .

أو أنه جعل مَقال هؤلاء وهؤلاء صوراً مُتوهَّمةً لا حقيقةَ لها .

والرُّسوب : الذهاب إلى أسفل . يريد أنها تَغيب وتخفى ولا يَبقى لها أثر . وكأنه يُشير إلى مصير الحياة بزُخرفها إلى التراب .

وتميَّز : انفصل وانفرد . وقد مرّ شىء عنه[1] . وتَنَسَّب : أى تتنسَّب ؛ والتَّنَسُّب : ادّعاء النّسب . وفى المثل : القريب من تَقرَّب لا من تَنَسَّب .

يقول : أجل ، إنهم لكذلك ، وما أُراهم مُليمين . فعلى هذه الصُّورة صاغَتْهم الطَّبيعة ، وبهذه الصِّبْغة صَبَغتهم الحياة . وهل ترَى فى الحياةِ إلاّ صُوراً تَبْدو للعَين جميلة جذَّابة ، ثم لا يكونُ إلاّ مرُّ النهار وكرُّ الليل ، حتى يَظهر باطلُها ، ويبدو فسادُها ، ويعود كل شىء إلى أصله الذى تفرَّعَ منه .

(١) انظر شرح البيت الأول من اللزومية الثامنة ص ٨٦ من هذا الجزء .

فسادٌ بعد الكون ! وعدم بعد الوُجود ! كذلك الإنسان ، ما أُراه إلاّ مُشْبِهاً لما يُحيط به من الطائشات ، فهو يَقضى أيّامه مُغترًّا بحياته ، مَفْتوناً بقوته ، ثم لا يلبث أن يَعود إلى التُّراب الذى منه خُلق .

٤ (وَالْأَرْىُ بَاطِنُـــــهُ مَتَى مَا ذُقْتَهُ
شَرْىٌ فَمَاذَا — لا أَبَالَكَ — تَلْسَبُ)

الأرْى : ما تَجْمعه النَّحل من العَسل فى أجوافها ثم تلفظه ، وهو أيضاً ما ٱلتزق من العسل فى جوانب العسَّالة . ضربه مثلاً لِلذائذ الحياة .

والشَّرْى : الحنظل ، وقيل : شجره ، وقيل : وَرقة . وهو معروف بمرارته . ضَرَبه مثلاً لمـا يعقُب اللذّةَ من أسًى وضُرّ .

و « أبالك » : كلام جَرى مجرى المثل . وذلك أنّك إذا قلتَ هذا فإنّك لا تَنفى فى الحقيقة أباه ، و إنما تُخرجه مَخرج الدُّعاء عليه ، أى أنتَ عِنْدِى ممن يستحقّ أن يُدْعَى عليه بفَقْد أبيه . وأكثر ما يُذكر فى المَدْح ، أى لا كافِىَ لك غيرُ نفْسك . وقد يُذكر فى الذمّ ، كما يُذكر فى مَعْرِض التعجُّب ، ودفعاً للعين ، كقولهم : لله دَرُّك . وقد يُذكر بمعنى : جِدَّ فى أمرك وشمِّر له ؛ لأن من له أب اتكل عليه فى بعض شأنه . وقد تُحذف اللّام فيقـال : لا أباكَ .

وتلْسَب : تلعق . فعلُه من باب « فرح » . يقال : لَسِب العسلَ والسَّمن ونحوهما ، يلْسب لَسْباً . وأما اللَّسْب الذى هو لَدْغ الحيَّة والعقرب ، فبابه : ضَرَب وفَتح .

يقول : ليس شىء من ذلك بعَجيب ، و إنما العجيب أن يَفْهم الإنسانُ حياته

كما هى ، فسيعلم أن حلاوتها الظاهرةَ ، إنما تَستبطن مرارةً خفيَّة ، كالعسل ، إن حلا للذَّوْق فإنّه لا يخلو من مرارةٍ يُحسُّها المُدقِّق المتذوِّق . ثم هو بعد ذلك بالحيـاة مَغْرور وعليها حريص ، يخدعه ظاهرُ حلاوتها عن خفيِّ مرارتها .

٥ (وَسَيُقْفِرُ المِصْرُ الْحَرِيجُ بأَهْلِهِ وَيَغَصُّ بالْإِنْسِ الفَضَاءُ السَّبْسَبُ)

أَقْفَرَ المكانُ من الكلأ والناس : خَلا . أرضٌ قَفْر . وأَرض قِفَار . تُجمع على سَعتها لتوهُّم المواضع .

كلُّ موضع على حِياله قفر . وإذا سَمَّيت أرضاً بهذا الاسم أَنَّثتَ ، فيقال : دار قفرة ، ومنزل قَفر ، فإذا أفردت قلتَ : انتهينا إلى قَفْرة من الأرض .

والمِصْر : واحدُ الأمصار . وهو كل كُورة تُقام فيها الحُدود ويُقَسَّم فيها الفَىء والصَّدقات ، من غير مُؤامرة للخليفة .

وحَريج : ضيِّق . ومثله : حَرِج وحرَج . إلاّ أن هـذه الأخيرة تُفرد ، لأنها مصدر .

وغَصَّ المكانُ بأهله يَغَصّ : ضاق وامتلأ . والإِنْس : البَشر ، الواحد : إنسىّ ، وأَنَسِىّ ، بالتحريك . والسَّبْسب : القَفر والمَفـازة . بَلَد سَبْسب ، و بلادٌ سَباسب ، كأنهم جعلوا كلَّ جزء منها سَبْسباً ، ثم جمعوه على هذا . يُريد : حيث القُبور .

يقول : ألاَ أَفيقوا أيُّها الناسُ من هذا الغُرور ، فإنَّ ما شَيَّدتم من قصور ، وما أَقمتم من صُروح ، وما رفعتُم من بُروج ، وما عَمَرتم من أَمصار ، كلُّ ذلك سيُصبح منكم خلاءً ، وسيُسْلمكم إلى هذه الصحراء المُقفرة فتَعمرون بها القَفر ، وتُؤنسون فيها الوحش ، وتَملئون منها الخلاء .

اللزومية الثامنة والستون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة ، مع الذال وياء الرِّدف :

١ (سَمَّى ابْنَه أَسَدًا وَلَيْسَ بآمِنٍ ذِئْباً عَلَيْه إذا أَطَلَّ الذِّيبُ)

أطلَّ : أشرف وأوفى بطَلَله ، أى شخصه . والذِّئب ، معروف . يُهمز ولا يُهمز ، وأصلُه الهمز .

يقول : ما أشدَّ حُمق الإنسان ! يتفاءل بالأسماء والألقاب ، لا تجلب إليه خيراً ولا تَذُود عنه شرًّا ، فيُسمِّى ابنه أسداً ، وما كان لهـذا الاسم أن يَرُدَّ عنه عاديةَ ذئب ، أو يدفع عنه غائلة مكروه . وإنما هو الغُرور وضلالُ العقول ، يُوقعان الناس فى السُّخف ، ويقذفان بهم فى الأباطيل !

٢ (وَاللهُ حَقٌّ وَابْنُ آدمَ جَاهِلٌ مِنْ شأنِهِ التَّفْرِيطُ وَالتَّكْذِيبُ)

فَرَّط فى الشىء ، وفرَّطه : ضيَّعه وقدَّم العجز فيه .

يقول : آمنتُ بأنَّ الله حقٌّ لا شكَّ فيه ، وأنَّ الإنسان على سَخفه وجهله ، وعلى غروره وباطله ، وعلى ضعفه وانحلال قُوَّته ، مُفرِّط فيما يجب عليه ، مكذِّب لما يُلقى إليه ، غُروراً منه واستكباراً .

٣ (وَاللُّبُّ حَاوَلَ أَنْ يُهَذِّبَ أَهْلَهُ فَإذا الْبَرِيَّةُ مَا لَهَا تَهْذِيبُ)

اللُّب ، العقل ، ويُجمع على : ألباب ، وألْبُب ، وألُبّ . والفعل منـه :

لَبُبْتُ أَلَبُّ ، ولَبِبْتَ تلَبّ . والبريّة : الخلق ، وأصله الهمز ، وقد تركت العرب همزه ؛ وقد مر[1] .

يقول : لقد حاول العقلُ إصلاحَه ، واُجتهد اللُّب فى تهذيبه ، فلم يكُن له أن يُفلح ، لأنه إنما حاول تغيير الطبيعه ، وتحويل العريزة ، فتكلّف بذلك مُحالاً .

٤ (مَنْ رَامَ إِنْقَاءَ الغُرَابِ لِكَىْ يرَى
وَضَحَ الْجَنَاحِ أَصَابَهُ تعْذِيبُ)

٥ (وَالدَّهْرُ يَقْدُمُ وَالمَلِيكُ مُخَالِفٌ
دُوَلًا فَمِنْهَا مُجْمِدٌ وَمُذِيبُ)

أنقى الشىء إنقاء : نَفى عنه ما يَشينُه واُسْتصفَاه . والوَضَح : البياضُ من كل شىء . ويقدُم ، من القِدَم ، الذى هو نقيض الحُدوث . الماضى مثله مَضموم العَين . والمليك : ذو الملك . يريد الله سبحانه وتعالى .

ومخالف دولاً ، أى مخالف بينها ومغاير . والدُّول : جمع دَوْلة ، والدولة : العُقْبة فى المال والحرب سواء . وقيل : الدُّولة ، بالضّم : فى المال . والدَّولة ، بالفتح : فى الحرب . وقيل : هما لغتان فيها . يريد ما عليه الناس فى الحياة .

والجُمود : ضدّ الذَّوب . ضربهما مثلين للتغاير والتخالف . والفاعل لهما هو المليك ، أى الله تعالى . يُشير إلى تباين ما فى الوجود مع كرّ الأيام . ويكون معنى البيت توكيداً لما ساقه فى البيت قبله .

---

(١) انظر شرح البيت ١٩ من اللزومية ١٦ ص ١٩ من هذا الجزء .

أو لعله يريد وَصْف ما عليه الحياةُ من تعاقُب العَواقب ، يأتى بها القَدَر ويَذْهب . وهو ما يُريده بالجمود والذَّوْب .

يقول : أفترُى العقل يَستطِيع أن يُحيل سوادَ الغُراب القاتم إلى بياض ناصع ! أمَا إنّه إن أراد ذلك لأحمقُ جاهل . ولن يكون أقلّ منه حُمقاً وجهلاً إن أراد صَرْف الإنسان عن سجية ، فكذلك خُلق محبًّا للشرّ ، مغرقاً فيه ، يسلكُ إليه السُّبل المختلفة ، ويَنْهج له المناهج المُتباينة .

اللزومية التاسعة والستون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة مع الذال :

١ (إِنْ عَذُبَ المَيْنُ بِأَفْوَاهِكُمْ   فَإِنَّ صِدْقِى بِفَمِى أَعْذَبُ)

عَذُب يعذُب : طاب وحَلا . والمين : الكَذب . مان يَمين ، فهو مائن . ورجل مَيون ومَيّان .

يقول : أغرقُوا فى المين والكَذِب ماشاء حُبّكم له ، وحِرْصُكم عليه ، واستعذابُكم طَعْمَه ، واستجادتكم ذَوْقَه ؛ فلستُ بمائلٍ عن الصِّدق ، ولا مائل عن قَوْل الحَقّ ، وهو فى فمى أعذبُ من الكذب فى أفواهكم ، وهو على لسانى أيسرُ من الزُّور على ألسنتكم ، وهو فى قلبى أجملُ من الإثم فى قلوبكم .

٢ (طَلَبْتُ لِلْعَالَمِ تَهْذِيبَهُمْ   وَالنَّاسُ مَا صُفُّوا وَلَا هُذِّبُوا)

الطَّلب : مُحاولة وِجْدان الشىء وأَخْذه . وصَفَّيتَ الشىء : خلَّصتَه مما يَشُوبه من كَدَر .

يقول : أَغْرقوا فى الضَّلال والفَساد، وأَوْضعوا فى الغَىّ والفُجور، فلذلك خُلقْتُم، وله بُرِئْتُم، لايُحاول تغييرَكم إلاَّ أَحمق ، ولا يُريد تحويلكم إلاّ أبله . لقد أردتُ بكم ذلك ، فلم ألبث أن تبيَّنْتُ من نفسى خَطَل الرأى ، وخيْبة المَسْعى .

٣ (سَأَلْتُ مَنْ خَالَفَ عَنْ دِينِهِ   فَأَعْوَزَ المُخْبِرُ لَا يَكْذِبُ)

٤ (وَأَكْثَرُوا الدَّعْوَى بِلَا حُجَّةٍ   كُلٌّ إِلَى حَيِّزِهِ يَجْذِبُ)

خالَف عن دينه : تغيَّر عنه . وأعوز ، أى لم يجد جواباً ولم يملك حديثاً . و « لا يكذب » أى حين يَصْدُق فلا يَمين . وإلا فهو مع الكذب واجد فى مَيْدان القَوْل سَعةً . وهذا ما سيذكره فى البيت التالى .

والدَّعوى : الاسم من « ادَّعى » ومثلُها : الدِّعْوة . وادَّعيتَ الشىء : زعمتَه لى ، حقًّا كان أو باطلاً .

والحيِّز : كلُّ ناحيةٍ على حِدَة . وأصلُه من الواو . ويُقال فيه : حَيْز ، بالتخفيف ، مثل هَيِّن ، وهَيْن .

ويجْذب ، على ما سُمِّى فاعلُه : يَستميل ويغْرِى . أى إنهم بدَعْواهم يريدون أن يَلْفتوا الناسَ إليهم .

يقول : انتحلوا ما شئتم من الأديان ، وابتدِعُوا ما أحببتم من المذاهب ، ثم لِيُنكر بعضُكم فيها بعضاً . لا تَتَّفِقوا منها على شىء ، ولا تنتهوا بها إلى قياس ، فإنما هو تراث أخذتموه عن آبائكم ، فلصقتم به وجمدتم عليه ؛ وما أنتم بقادرين على أن تَنْصرفوا عنه ، ولا على أن تَسْتبدلوا منه خيراً ، وما أجد عَجْزكم عن ذلك أقلَّ من عجزكم عن تأييد مذاهبكم بالبرهان ، وعَضْدِها بأدلة العقل . إنما اختلفتْ أديانُكم وافترقت مذاهبكم بحُكم التَّقليد القبيح ، لا بحكم النظر الصَّحيح . لقد أعوزنى منكم الصادق لا يكذب ، والمُنْصف لا يجور ، والأمِين لا يَخون .

اللزومية المتمة السبعين

وقال فى الباء المضمومة مع الذال :

١ (يَحْسُنُ مَرْأًى لِبَنِى آدَمٍ   وَكُلُّهُمْ فِى الذَّوْقِ لَا يَعْذُبُ)

٢ (مَا فِيهِمُ بَرٌّ وَلَا نَاسِكٌ   إِلَّا إِلَى نَفْعٍ لَهُ يَجْذِبُ)

الذَّوق ، أى الاختبار والامتحان . ولا يَعْذُبُ ، أى لا يُستساغُ ولا يُرتضى .

والبَرْ : الصادق البار .

يقول : عدمتُكم أيها النَّاس ! لقد حسُن مَنظركم وساء مَخْبركم ، لقد جَلّ منكم الظاهر و قَبُح منكم الباطن : وَجْه وسيم ، وخُلق ذميم : مَنْطق عَذْب ، وَرِياء وخِبّ ؛ تظهرون البر والنّسك ، وتَنْتحلون الدين والطاعة .

وما أعرف منكم برًّا ناسكا، ولا أرى فيكم ديناً مُطيعاً ؛ إنما أنتم فَجرة مَكَرة، وفَسقة خَونة ، أهْل غِش ورياء ، وأصحاب خبّ وخَديعة ، وطُلّاب مالٍ ودُنيا، لا طُلاب طاعة ودِين . أُفٍ لأرواحكم الخبيثة و نُفوسكم الشريرة ! لقد دَنّست أجسامكم وإنها لطاهرة ، وأفسدتها وإنها لصالحة .

٣ (أَفْضَلُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ صَخْرَةٌ   لَا تَظْلِمُ النَّاسَ وَلَا تَكْذِبُ)

يقول : عَدِمتُكم ! ما أرى إلّا أنّ الصَّفاة الصَلْدة، والصَّخرة الصّماء، أنقى صفحةً وأطهر جوهراً من أشدكم للدِّين انتحالاً ، وأعظمكم للنُّسك إظهاراً ؛ ذلك لأنها بريئةٌ من الظُّلم والجَوْر ، ومن الكذب والزُّور ، وإنكم لمُغرِقون فى هذه الرذائل ، لا تريدون عنها عُدولاً ، ولا تبغون بها بديلا .

اللزومية الواحدة والسبعون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة مع الحاء :

١ (هَذَا طَرِيقٌ لِلْهُدَى لَاحِبُ
يَرْضَى بِهِ المَصْحُوبُ والصَّاحِبُ)

٢ (أَهْرُبْ مِنَ النَّاسِ فَإِنْ جِئْتَهُمْ
فَمِثْلُ سَأْبٍ جَرَّهُ السَّاحِبُ)

الطريق ، يذكَّر ويؤنَّث. وجَمْعه على التَّذكير : أَطْرِقة ، كرغيف وأرغفة. وعلى التأنيث : أطْرُق . كيمين وأَيْمن .

ولاحِب : واضح؛ وقيل : هو الواسع المُنْقاد الذى لا ينقطع ، فاعل بمعنى مَفعول ، أى مَلحوب. لَحبتُ الطريقَ ألحَبه لَحْباً ، إذا وطئتَه ومررت فيه فأوضحتَه وبيَّنته . ومنه قولُ أم سَلَمة لعثمان رضى الله عنه : « لا تُعَفِّ طريقاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لَحَبها » .

وقد يكون على فاعليّته ، من لَحَب الطريقُ يَلْحُب لُحوباً ، إذا وَضَح ، كأنه قشَر الأرض .

والمَصْحوب : مَن تَصْحبه وتُعاشره . والصاحب : المُعاشر ، لا يتعدَّى تعدِّيَ الفِعْل ، فلا تقُول : زيدٌ صاحبٌ عمراً ، لأنهم إنما استعملوه استعمال الأسماء ، ولو استعملوه استعمال الصِّفات لجاز . والجمع : أصحاب ، وأَصاحيب ، وصُحْبان ، وصِحَاب ، وصَحْب ، وَصَحابة ، وصِحابة . ويريد بالصاحب والمَصْحوب : الدَّاعى والمَدْعوّ .

والهَرب : الفرار . هَرب يَهْرُب هَرَباً . يكون للإنسان وغيره . وأهرب : جَدّ فى الذّهاب مَذعوراً أو غير مَذعور . وهَرَّب غيره تَهْريباً . ومثلها فى ذلك أيضاً : أهْرِ به ، إلا أنها لا تكون إلا حين يَضْطرّه إلى الهرب .

والسأب : الزق للخمر ، أو للعسل . وقيل: هو الزق أيًّا كان. وجره : جذبه.

يقول : أيها الحكيم الحازم ، والذكىّ المُستبصر ، لقد وَضحت لك طريقُ الهُدى فأَنت حرىٌّ أن تَطْرُقها ؛ وظَهرت لعينك أعلامُ الرشد ، فأَنت حجىٌّ أن تَهْتدى بها . طريق آمنةٌ ليس للذُّعر فيها مصدر ، وسبيل واضحه ليس للظُّلم فيها مَوْضع . تلك هى العُزلة عن الناس ، والخلْوة إلى نفسك ، فاحرص عليها واحذر أن تُفرِّط فيها . وأعلم أن تقرُّبك من الناس وتنزُّلك إليهم يُؤذيك ولا يُرضيك ، ويَسُوؤك ولا يَسُرُّك .

٣ (يَنْتَفِـعُ النَّاسُ بِمَا عِنْدَهُ   وَهْوَ لَقًى بَيْنَهُمْ شاحِبُ)

اللَّقى : الشىء المُلْقى المَطْرُح المَتْروك . وفى حديث أبى ذرّ : مالى أراك لَقًى بَقًى[1] .

والشاحب : المَهزول المتغيِّر اللَّون . يصف الزق بعد اطِّراحه وقد يَبِس جلده وكَلَح لَوْنه .

يقول : فأَنت بينهم فى عَقلك الثاقب ، وقَلبك المُنير ، وفى عملك النافع ، وجدِّك المُفيد ! وفيما تُصيب منهم بعد ذلك من ضَرر ، وما تلقى بينهم من مكروه ، أشبه شىء بالزقّ يُحمل إليهم وفيه لهم الغذاء الذى يُنقذهم من الجوع ، أو الشراب الذى يُخلِّصهم من الظمأ ، فيشتفُّون ما فيه من خير ، ثم يتركونه لَقًى مَهيناً ، وحقيراً ذريًّا .

---

(١) بقى : إتباع له .

اللزومية الثانية والسبعون

وقال أيضاً فى الباء المضمومه مع التاء :

١ (اُصْفَحْ وَجَاهِرْ بِالْمُرَادِ الْفَتَى   وَلَا يَقُولُوا هُوَ مُغْتَـابُ)

الصَّفْح : الإعراض عن الذَّنب . صَفَح عنه يَصْفَح صَفْحًا . وجاهره بالأمر : عالَنه .

والواو فى « ولا » للتعليل ، وكذلك الواو الداخلة على الأفعال المنصوبة ، والمعنى : لئلا يقولوا . ومثلُه : (يا ليْتَنا نُرَدّ ولا نُكَذِّبُ بآياتِ رَبِّنا ونَكُونَ) . وقيل : إنَّ الصواب أنها للمعيَّة . وشرطوا أن يتقدَّمها نفى أو طلب . ويسمِّيها الكوفيون « واو الصَّرف »

والمَغتاب : الذى يقع فى غائب فيتكلم خَلفه بسوء ، أو بما يَغُمه لو سمعه وإن كان فيه فإن كان صدقاً فهو غيبة ، وإن كان كذباً فهو البَهْت والبُهتان .

يقول : أما إنّى أرى لك أن توطِّن نفسك على هذه الحياة وما فيها من حَسَن وقبيح ، مجتهدًا ما استطعت فى إصلاح نفسك وتهذيبها ، صافحاً عن المخطىء ، جاهرًا برأيك عند الحاجة ، منصرفاً عن عَيب الناس والنَّعى عليهم ؛ فإن قليل هذه الفضائل أنفع لك ، وأربَى عليك من كثير من أضدادها .

٢ (إنْ رَابنَا الدَّهْرُ بأَفْعَالِهِ   فَكُلُّنَا بِالدَّهْرِ مُرْتَابُ)

٣ (فَاعْفُ وَلَا تَعْتُبْ عَلَيْهِ فَكَمْ   أَوْدَى بِهِ عَوْفٌ وَعَتَّابُ)

الرَّيب : الشَّك والظِّنَّة والتُّهمة . رابه الأمرُ رَيْباً ورِيبةً : رأى منه ما يَريبه ويَكرهه .

وارتاب فيه : شكَّ ، فهو مُرْتاب .

وعَتَب عليه : يعْتُب : وَجَد .

وأودى : هَلك . و « به » أى فى الدهر ، أو بسببه وما يجْلب .

وعَوف ، هو عَوف بن مُحلِّم بن ذُهل بن شَيْبان، كان أبيًّا مانعاً لما فى جواره . وفيه المَثل : لا حُرَّ بوادى عَوْف .

وذلك أن عَمرو بن هِند الملك، كان طلب منه مَرْوان القرظ ، وكان قد أجاره ، فَمَنعه عَوْف وأبَى أن يُسْلمه . فقال الملك هذا المثل . أى إنه يُقهر من حَلَّ بواديه . و«عَتَّاب » لعله أبنُ وَرْقاء الرِّياحى ، كان من أبطال العرب وقادتها ، انتدبه الحجَّاج لقتال شَبيب بن زَيد، بعد أن عجز عنه . وحَميت الحرب بينه وبين شَبيب ، وكان أن قُتل فى وقعة له معه سنة ٧٧ هـ .

ضربهما مثلين للعُنف والإباء . ولا يخفى ما فى اختيار اللفظين من صنعة الجناس ، فأولهما من حروف « العفو » مع مغايرة ؛ والثانى من « العتب » مع زيادة .

يقول : عليك بالاطمئنان والتبلّد لما يأتى به الدهر من الأحداث ، وما تنوب به الأيام من النوائب ، فليس بنافع لك ضِيقُ بها ، أو كُرْه لها ، أو عَتْب عليها . إنك لخليق أن تطمئنَّ إلى كل ما فى هذه الحياة من خير وشر ، لا تَعْجب منه ولا تَضق به ؛ فإنَّ طول الاختبار خليقٌ أن يَنْفى عنك العجب ، وعدم القُدرة على الإصلاح جديرٌ أن يَنْفى عنك السآمَة .

٤ (لَوْضُرِبَ الغَاوُونَ بالسَّيْفِ لَا بالسَّوْطِ حَدَّ الْخَمْرِ ما تابُوا)

٥ (تِلْكَ مَن اُجْتَابَتْ لَهُ صُورَةً فَهْوَ لِسُخْطِ اللهِ مُجْتَابُ)

الغاوُون : الضالُّون ؛ الواحد : غاوٍ . ومثله : غوٍ ، وغَوِىّ ، وغَيَّان .
والفعل منه : غَوَى غيًّا ، وغوِى غواية . الأخيرة عن أبى عُبيد .

والحدُّ ، عند الفُقهاء : عُقوبةٌ مقدَّرة شرعاً .

والحدّ فى الخمر أربعون جلدةً . وبه يقول الشافعىّ . وقالوا : ثمانين. ثم اُختلفوا فيمن أُقيم عليه الحدُّ ثلاثاً ثم لم يَتُبْ . فقالوا : يُقتل . وقالوا: لا يُقتل . وعلى الثانى مالك والشافعىّ وأبو حَنيفة .

و «تلك» ، أى الخمر . واُجتاب : لبس . يقال : اُجتاب القَميصَ والظلامَ ، إذا دخل فيهما . قال لَبيد :

فبتلْكَ إذ رَقَص اللوامعُ بالضُّحى وأجتاب أَرْديةَالسَّراب إِكامُها[1]

ويريد بالصُّورة : هيكل الإنسان ، أى من دخلت جوفه فكان جسمه لها كالقميص .

ومجتاب: لابس ومُتَسربل . أى فقد شَمله سخط الله كما يشمل الثوبُ الجسم.

يقول : أفترى إلى الخمر كيف أُقيم على المُدْمن لها من حُدود ! وكيف أُعِدَّ لشاربها من عذاب ! فلم تُغْن تلك ، ولم يمنع هذا ؛ بل ما زال الشَّربُ عليها عاكفين ، لا يَصْرفهم عنها السَّيف بَلْه السَّوط ! وكيف وهم يَعْلمون حَقّ العِلْم أن المَيْل إليها مَدْعاةٌ لسُخْط الله ومَقْته ، ومع ذلك لم يَدَعُوها ولم يتحوَّلوا عنها .

٦ (نِمْنَا عَلَى الشَّيْبِ فَهَلْ زَارَنَا طَيْفٌ لأَصْلِ الشَّرْخِ مُنْتَابُ)
٧ (هَيْهَاتَ لَا تَحْمِلُهُ نَحْوَنَا سُرُوجُ أَفْرَاسٍ وأَخْشَابُ)

---

(١) فبتلك ، يعنى ناقة . وما أشبه صدر البيت بصدر بيت أبى العلاء .

نمنا على الشيب : أى سكنّا إليه وألِفْناه . وجعله نوماً، لأن مع الشيب الخلود إلى الراحة ، وكذلك مع النوم . والطَّيف : الخيال يجىء فى النوم . والشَّرخ : أول الشباب . و « لأصل الشرخ » أى حقيقته وجوهره لا عارض من عوارضه . ومنتاب : قاصد . يقال : انتاب الرجلُ القومَ ، إذا قصدهم وأتاهم مرة بعد مرة . وكذلك الطيف لا يُلم حتى يولِّى .

وهيهات : كلمة معناها البُعد . وقيل : هى كلمة تَبْعيد . والتاء ، مفتوحة، وناسٌ يكسِرونها على كل حال ، بمنزلة نون التثنية . فمن كسر التاء جعلها جمعاً ، واحدُه : هَيْهة ؛ ومن فتح التاء جعلها كلمة واحدة .

واتفق أهلُ اللغة على أن التاء من «هيهات» ، ليست بأصليَّة، أَصلُها هاء. وقال أبو عمرو بن العلاء : إذا وصلت « هيهات » فَدع التاء على حالها ، وإذا وقفت فقُل : هيهاه .

والسُّروج : جمع سَرج ، وهو رَحْل الدابّة . وأَقْتاب: جمع قَتَب، وهو إكاف البعير ، يريد الدواب والإبل . ولم يكن غيرها وسيلة .

يقول : ولستُ أُنصح لك بالابتعاد عن شىء كالسآمة ، فإنها حمق . ولو صبر هذا السَّئِم الملول لانْصرف عنه ما يكره ، ولمّا يؤذ نفسه بأَلم الضَّجر والضِّيق ؛ فإن الدهر مُسرع فى حركته لا يبطئ ، وماضٍ فى طريقه لا يعود . ها أنت ذا قد وخطك الشيب، أفتراك تستقبل الشباب ؟ كلا ! إنك لتعلم أن لا سبيل لك إليه . فحرىّ بك أن تعلم أن غير الشباب مثله ، يمضى به الدهر فلا يردّه ولا يُبقى عليه .

اللزومية الثالثة والسبعون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة مع اللام :

١ (إيَّاكَ وَالْخَمْرَ فَهِيَ خَالِبَةٌ   غَالِبَـــةٌ خَابَ ذَلِكَ الْغَلَبُ)

٢ (خَابِيَةُ الرَّاحِ نَاقَةٌ حَفَلَتْ   لَيْسَ لَهَا غَيْرَ بَاطِلٍ حَلَبُ)

٣ (أَشْأَمُ مِنْ نَاقَةِ الْبَسُوسِ عَلَى النَّاسِ وَإِنْ يُنَلْ عِنْدَهَا الطَّلَبُ)

إيّاكَ والخمرَ ، من صيغ التَّحذير ، والأول من اللفظين على النّصب بِعاملٍ واجب الحذف ، والثانى معطوف عليه ، ويكون الكلام جملة واحدة ، والتقدير : إيَّاك باعد من الشر والشرّ منك. فكلٌّ منهما مُباعد من الآخر . وبه قال السيرافى وابن مالك وابن عُصفور . وذهب ابن خَروف إلى أن الثانى منصوب بفعل آخر مُضمر ، والتقدير : إياكَ باعِد من الشر وأُحذر الشر ، ويكون الكلام جملتين .

وخالبة : سالبة للعقل ذاهبة به . فِعْله من بابَىْ : نَصر وضَربَ . والغَلَب : القَهْر ، ومثلُه : الغَلْب ، وأولهما أفصح . ويقولون : لمن الغَلَب والغَلَبة ؟ ولم يقولوا : لمن الغَلْب ؟

والخابية : الُحبّ — الجرَّة — وأصله الهمز ، لأنه من « خبأ » إلا أنه تُرِك همزه . والراح : الخمر ، اسم لها .

والحفْل : اجتماع اللبن فى الضرع . حَفَلَت الناقةُ تحفِل ، حُفُولاً وحَفْلاً .

والحلَب ، بالتحريك : اللبن المَحلوب ، سُمِّى بالمصدر . والباطل : اللَّهو والجهالة .

والبَسوس ، هى بنت مُنقذ التَّميميّة ، خالة جَسَّاس بن مُرّة بن ذُهل الشَّيبانى .

نزلت بجسّاس ، وكانت لها ناقة يقال لها : سَرَاب . فرعتْ فى حِمَى كُليب . فرماها بسَهم . فنهض جساس إلى كُليب فقتله. فهاجت الحربُ بين بَكر وتَغلب و بَقيت أر بعين عاماً . فضُرب بها المَثل فقيل : أشأم من البَسوس .

والضمير فى « عندها » للراح . و يشير إلى ما يتصف به الشَّرْب من بَذْل و إِسماح وعَطاء ، وقد قالوا : إنما سميت الخمر : راحا ؛ لأن شار بها يرتاح للعطاء و يخف . وقد تردّد ذلك على ألسنة الشعراء . من ذلك قول مُتمِّم بن نُويرة :

ولقد سبقتُ العاذلاتِ بشَرْبةٍ ريّا وَراوُوقى عظيم مُترَعُ(١)

وقال الشاعر :

* والخمر مشتقة المعنى من الكرم *

يقول : إياك والخمر فإنها خالبة للعقول ، غالبة للألباب . ساء ذلك الغَلب ! وساء ما يَلْقى الناس منه !

إنما خابيةُ الخمر ناقةٌ قد حفَلت ولكن بالباطل ، ودَرّت ولكن بالزُّور ، وأنجبت ولكن الشرّ ، فهى أشأم على الناس من حَرْب البَسُوس، و إن أنالتك فى أول أمرها لذةً ، وأشعرتك عند مُعاقرتها براحة .

٤ (يَا صَالِ خَفْ إنْ حَلَبْتَ دِرَّتَهَا أَنْ تَتَرَامَى بِدَائِهَا حَلَبُ)

٥ (أَفْضَلُ مِمَّا تَضُمُّ أَكْؤُسُهَا مَا ضَمِنَتْهُ العِسَاسُ وَالْعُلَبُ)

يا صالِ ؛ يريد : يا صالح ، فرخَّم . ولك فى اللام الكسْرُ ، على لغة من يَنظُر إلى الحرف المحذوف ؛ أو الضم على لغة من لا ينظُر إليه . وهذا من لَعِب أبى العلاء بالألفاظ والمعانى . فإنه لما ذكر الناقة استطرد . وقصّة صالح عليه السلام

(١) الراووق : ناجود الشراب الذى يروق به فيصفى .

وناقته مع قومه ثَمود وعَقرهم لها مَعْروفة . وأراد أبو العلاء أن يُشاكل باللفظ لتوفّر المُلابسات، ولم يُرد إلى القِصّة ذاتها .ثم لا يخفى ما فى هذا الاختيار من نكتة لما فى معنى « صالح » من الصلاح وهو إلى الامتثال بالأمر أسرع وأطوع .

والدرّة : اللبن إذا كثُر وسال . والضّمير هنا فى «درّتها» يعود إلى « الناقة» التى أقامها مقام الخابية .

وترامى ، أى تترامى . وذلك أن يرْمى بعضُهم بعضاً . ولعله يريد شُيوع شُربها الذى هو داء ، فيُعدى الناسُ بعضُهم بعضاً . أو لعلّه يريد ما يكون لها من سَوْرة فشرّ يتقاذف به الناس .

وحَلَب : المدينة المعروفة بالشأم ، و بينها و بين « حلب » فى البيت السابق جناس تام . قال ياقوت : « وهو بلد قليل الفواكه والنَّبيذ إلا ما يأتيه من بلاد الرُّوم » . ومَعرّة النعمان ، بلد أبى العلاء ، منه قريب .

وقد يكون أبو العلاء خَصّ « حلب » لِما ذكر ياقوت ، فضَربها مثلًا لقلّه ما يُحمل من الخمر إليها .

والعِساس : جمع عُسّ ، وهو القدَح الضخم يُروى الثلاثة والأربعة والعدّة، ويجمع على : عِسَسَة ، أيضاً .

والعُلَب : جمع عُلْبة ، وهو القدح الضخم من جلود الإبل ؛ وقيل : من الخشب خصته كتب اللغة بالحلْب . وكأنّ « العس » للشرب .

يقول : الحذرَ الحذرَ أن تَحلب هذا الضَّرع الحافلَ أو تَمْريَه ؛ فإنى أخاف عليك أن ينالك داؤه ، ويُصيبَك شرُّه الذى لا شفاء له .

إنّ ما أعطتْك الطبيعة من شَراب نقىّ مُفيد ، لخيرٌ لك منها ، وأجْدى عليك من سَوْرتها . و إن فى اللبن تَفيض به الأقداحُ والعُلَب ، للذّةً فى الذّوق ، وصِحّةً للجسم ، وبُعداً عن الضرر . ليس للخمر منه شىء . فارغب فيه واحرصْ عليه .

اللزومية الرابعة والسبعون

وقال أيضاً فى الباء المَضمومة ، مع الجيم :

١ (مَنْ لِيَ أَلَّا أُقِيمَ فِي بَلَدٍ   أُذْكَرُ فِيهِ بِغَيْرِ ما يَجِبُ)

٢ (يُظَنُّ بِيَ الْيُسْرُ والدِّيَانَةُ وَالْـــعِلْمُ   وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا حُجُبُ)

حُجب : جمع حِجاب ، وهو كل ما حال بين شيئين ؛ ولا يُجمع غيره .

يقول : لقد ضِقْتُ بالناس وكَرهت الإقامة فيهم والثَّواءَ بينهم ، حين أحسنوا بى الظنّ ، وكان خليقاً أن يسوء ، وأجادوا فىّ الرأى ، وكان جديراً أن يَفْسد .

ظنُّوا بى العلم ، وما أدرى أنِّى منه على شىء ؛ وظنُّوا بى الدِّين، وما أَجد أنّ لى منه حظًّا ؛ وظنُّوا بى اليُسر ، و إن بينى و بينه لحجاباً مستوراً .

٣ (كُلُّ شُهُورِى عَلَيَّ وَاحِدَةٌ   لَا صَفَرٌ يُتَّقَى وَلَا رَجَبُ)

صفر : الشهر الذى بعد المحرم . قيل : سمى بذلك لأنهم كانوا يغزون فيه القبائل فيتركون من لَقَوْا صفراً من المَتاع . قال ثعلب : كلهم يصرفون « صفراً » إلا أبا عبيدة ، فإنه قال : لا ينصرف . و إذا جمعوه مع « المحرم » قالوا : صَفَران . والجمع : أصفار .

ويتقى ، على ما لم يسم فاعله : يُحذر و يصان منه . وأصله : « اوتقى » والتاء فيه تاء الافتعال ، فأدغمت الواو فى التاء وشدِّدت .

ورَجب ، سمَّوه بذلك لتعظيمهم إيّاه فى الجاهليّة عن القتال فيه . والجمع : أرجاب . و إذا ضمُّوا له « شعبان » . قالوا : رَجَبان .

يقول : أجل لقد سئمت الإقامة فى هؤلاء الناس ، وتمنيت لو بُدلت منهم قوماً آخرين ينسوننى ولا ينكروننى ، وينكروننى ولا يعرفوننى .

٤ (أَقْرَرْتُ بِالْجَهْلِ وَادَّعَى فَهْمِى قَوْمٌ فَأَمْرِى وَأَمْرُهُمْ عَجَبُ)

العَجَب : إنكار ما يَرِدُ عليك لقلة اعتياده ؛ وجمعه : أَعْجاب . وقال الجوهرىُّ : لا يُجمع « عَجَب » .

يقول : لقد أقررتُ بالجهل واعترفتُ به ، فأبوا إلّا أن يكذِّبوا هذا الإقرار ، ويَنْبِذوا هذا الاعتراف ، ويعتقدوا فىَّ الفَهم والمعرفة ، كأنهم أعلمُ بى من نَفْسِى ، وأدرى بدَخِيلتى منى .

٥ (وَالْحَقُّ أَنِّى وَأَنَّهُمْ هَدَرٌ لَسْتُ نَجِيباً وَلَا هُمُ نُجُبُ)

الهَدَر : ما يبطُل من دمٍ وغيرِه . هَدَر يَهْدِر ، بالكسر ؛ ويَهْدُرُ ، بالضم ، هَدْراً وهَدَراً .

والنّجيب : الفاضل النّفيس ، والكريم الحَسِيب أيضاً . والأول بالمعنى ألصق .

يقول : لو أنهم عرفوا الحق أو طلبوه لاعترفوا بأنى لستُ شيئاً ، وبأنهم مثلى ليسوا شيئاً ، كُلُّنا هَدَر ليس لنا من العِلم حظ ، ولا من المعرفة نَصيب .

٦ (وَالْحَالُ ضَاقَتْ عَنْ ضَمِّهَا جَسَدِى
فَكَيْفَ لِى أَنْ يَضُمَّهُ الشَّجَبُ)

٧ (مَا أَوْسَعَ الْمَوْتَ يَسْتَرِيحُ بِهِ الْ
جِسْمُ الْمُعَنَّى وَيَخْفِتُ اللَّجَبُ)

الحال : الساعة التى هو فيها . يريد : الحياة ؛ يذكَّر و يُؤنَّث . و« كيفَ لى »، أى كيف السَّبيل إلى ما أريد .

وَالشَّجب : الهلاك ؛ شَجِب يَشْجَب شَجَباً ؛ إذا هَلك .

وَ« ما أَوسع الموتَ » إحدى صِيغتى التعجب . وَثانيتُهما : « أَوسعْ بالموت» وَالمُعَنَّى : المَحبوس المُضيَّق عليه . جَعل الحياة قَيداً له وَأَسراً . وَكثيراً ما يُشير أبو العلاء إلى هذا .

وَ يَخفت : يسكتُ و يَنْقطع . واللَّجب : الصوت والصِّياح والجَلَبة .

يقول : لقد ضاقت بى الحياةُ، على ما فيها من خير وشرّ، أن تَضُم هذا الجسد الضعيفَ الزَّرىّ . فمن لى بالموت ، فما أُراه إلّا أقدرَ على الاستئثار به والاستيلاء عليه .

أجل ، لقد كرهتُ هذه الحياةَ حين اختلفتْ علىّ أجزاؤها مُتشابهةً ، وَتقاذفتْنى آناؤها متماثلة ؛ فما أعرف بين أيامها فرقاً ، ولا أجد بين شُهورها فَصْلا؛ وما أرى من شرّها خَلاصاً إلا الموت ، فإنه أرحبُ لنا داراً ، وأوسعُ لنا منزلاً ، وأضمن لأجسامنا المُتْعبة بالراحة ، ولأصواتنا الصَّاخبة بالخفوت .

اللزومية الخامسة والسبعون

وقال أيضاً فى الباء المضمومة ، مع الباء وياء الرِّدف :

١ (مَا الثُّرَيَّا عُنْقُودُ كَرْمٍ مُلَاحِيٍّ وَلَا اللَّيْلُ يَانِعٌ غِرْبِيبُ)

٢ (وَنَأَى عَنْ مُدامَةٍ شَفَقُ التَّغْرِيب فَلْيَتَّقِ المَلِيكُ اللَّبِيبُ)

الثُّريا : من الكواكب ، سُمِّيت لغزارة نوئها ؛ وقيل : لكثرة كواكبها ، مع صِغَر مرآتها ، فكأنَّها كثيرةُ العدد بالإضافة إلى ضِيق المحلّ . وقد مرت[1] .

والكَرْم : شَجر العِنب ؛ الواحدة : كَرْمة . وقيل : الكَرْمة : الطَّاقة الواحدةُ من الكَرْم ؛ وجمعها : كُروم . وفى حديث أبى هُريرة عن النبىّ صلّى الله عليه : « لا تُسمُّوا العِنب الكَرْم ، فإنما الكرم الرجل المسلم » . قال الأزهرى : وتفسير هذا والله أعلم : أنّ الكَرَم الحقيقىَّ هو من صِفة الله تعالى . ثم هو من صِفة من آمن به وأسلم لأمره . وهو مَصدرٌ يُقام مُقام الموصوف ، فيقال : رجل كَرَم ، ورجلان كَرَم ، وامرأة كَرَم . لا يُثنَّى ولا يُجمع ولا يؤنّث ؛ لأنه مَصدر أُقيم مُقام المنعوت ، فخفَّفت العرب « الكَرْم » وهم يُريدون كَرَم شجرة العِنب ، لما ذُلِّل من قُطوفه وكَثُر من خَيره فى كُل حال ، وأنه لا شَوْكَ فيه يُؤذى القاطف . فنهى النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم عن تَسميته بهذا الاسم ، لأنه يُعتصر منه المُسكر المَنهِىّ عن شُربه .

قال أبو بكر : ويُسمَّى الكَرم كَرْماً ، لأن الخمرة المُتَّخذة منه تَحُث على

(١) انظر شرح البيت الخامس من اللزومية ١٦ ص ١٢٠ من هذا الجزء .

السَّخاء وَالـكرم . والمُلَاحيّ : العِنب الأبيض فى حَبه طَول . قال الشاعر :

وَمن تَعاجيب خَلْقِ الله غاطِيةٌ يُعْصَر منها مُلاحِيٌّ وَغِرْبيبُ

وقال الجوهريّ: المُلّاحى ، بالضَّم وتشديد اللام . قال أبو حنيفة : وهى قليلة . قال أبن سيده . إنما نَسبه إلى المُلّاح ، و إنما المُلّاح فى الطَّعم .

واليانع : الناضج ، وهو أيضاً : الأحمر من كل شىء ، وثَمر يانع ، إذا لَوّن و بالمعنيين يتجه الـكلام . والجمع : يَنْع . مثل : صاحب ، وصَحْب .

والغِرْبيب : ضرب من العنب بالطائف شَديد السَّواد ، وهو أرق العِنَب وأجوده وأشده سواداً .

وَنأى : بَعُد . والمُدامة : الخمر ؛ قيل : سُمِّيت مُدامةً ، لأنه ليس شىء يُستطاع إدامةُ شُربه إلّا هى . وقيل : لإدامتها فى الدَّن زماناً حتى سكنت بعـد ما فارقتْ .

والشَّفق : بقيّة ضوء الشمس وحُمرتها فى أول الليل ، تُرى فى المغرب إلى وقت العشاء الأخيرة . و يقول بعضُ الفقهاء : الشَّفق : البياض ، لأنّ الحمرة تذهب إذا أظلمت ، و إنما الشفق البَياض الذى إذا ذهب صُلِّيت العشاء الأخيرة . ومراد أبى العلاء على الوجهين جائز . فـكما توصف الخمر بهذا توصف بذاك .

والتّغريب : المَيل إلى ناحية المغرب ، يريد : الغُروب .

يقول : أغرقُوا أيها الناس فيما أنتم فيه من أكاذيب التّشبيه وأباطيل الخيال ؛ فما ذلك إلا ضَرب من سخف العُقول ، ولونٌ من طُغيان النُّفوس وفساد القلوب .

لقد شبه شعراؤكم الثريَّا بعُنقود المُلاحية ، والليلَ بالعناقيد السُّود ؛ وشَبَّهوا أُصفرار الشَّفق بأُصفرار المُدام . وما صَدقوا فى شىء من ذلك ولا وُفقِّوا ، و إنما

هم كذبة مضلِّلون . وما أحرى ذا اللُّب أن يدَع طريقَهم، ويَعدل عن نَهجِهم ، وَيتَّقى الله الذى أحقَّ الحقّ وأبطل الباطل !

٣ (طَالَ لَيلٌ كأَنَّمَا قَتَلَ الْعَقْـ ـرَبَ ساطٍ فَغَابَ عَنْها الدَّبِيبُ)

العَقْرب : برُج من برُوج السماء وقد مرّ [1] . و « ساطٍ » ، من : سَطا يسطُو ، إذا بَطش .

والدَّبيبُ : المَشْى على هِينَة ، وهو بالعقرب أنسب . وعلى مثل هذا المعنى دار الشُّعراء .

يقول : لقد طال علىَّ ليلُ هذه الحياة المُظلمة ، فليس بمُصبِحٍ ولا مُنجَلٍ ، كأنَّ كواكبه قد مُنعت من الحركة ، ووقفت عن السَّير ، وكأنَّ عادياً عدا على عَقربه فقتلها ، فهى لا تجد على الدَّبيب قُوة ، ولا على المَسير أيْدا .

٤ (سَلكَ النَّجْدَ فِى قِطَارِ المَنَايَا قَطَرِىٌّ وَنَجْدَةٌ وَشَبِيبُ)

النَّجد : قِفَاف الأرض وما غَلُظ منها وأَشرَف وارتفع واستوى . شبَّه به الحياة ، وجعل سُلوكه كسُلوكها عناءً ووُعورة وكدًّا .

والقطار : أن تشَد الإبل على نَسَق ، واحداً خلف واحد . وكذلك المَنايا مَوصولة الحَبْل يمضى ميّت فى إثر ميت .

وقَطرىّ : هو ابن الفُجاءة المازنى أبو نَعامة ، من رُءوس الأزارِقة . كان طامّةً كُبرى ، وصاعقة من صواعق الدُّنيا فى الشَّجاعة والقوة . وله فى المَهالبة

---

(١) انظر شرح البيت ١٣ من اللزومية ٥٥ ص ٣١٦ من هذا الجزء .

وقائع ، وكان شاعراً مُفَوَّهاً . ومن شعره البيت السائر :

أقول لها وقد طارتْ شَعاعاً من الأبطال وَيْحُكِ لا تُراعِي

وكانت وفاته سنة ٧٨ هـ .

ونجدة هو ابن عامر الحَرُورىّ الحنفى ، من بنى حنيفة . كان رأس الحَرُوريَّة . وإليه تنسب الفرقةُ المسمَّاة بالنجدية . وكان مقتله سنة ٦٨ هـ .

وشَبيب ، هو ابن يزيد بن نُعيم بن قيس ، أبو الضحاك الخارجى . من الثائرين على بنى أمية . قال الجاحظ فى وصفه : كان يصيح فى جنبات الجَيْش إذا أتاه فلا يُلْوى أحدٌ على أحد . وإليه تنسب الفرقة الشَّبِيبيَّة ، مات غرقاً سنة ٧٧ هـ .

يقول : أجل ، لقد طال هذا الليلُ وإنى إلى انكشافه بالموت لشيِّق ، وعلى انجلائه بالحيْن لحريص ، وكيف لا أشتاق إلى شيء له خُلقتُ ، وإليه مضى الناسُ من قَبلى ، ولا سَبيل إلى اتقائه ، ولا طريق إلى الاعتصام منه .

فهل مَضى قطرىّ بن الفُجاءة ، ونَجدة بن عامر ، وشَبِيب بن يَزيد ، وغيرهم من ذوى البطش والقوة ، وأهل اليأس والسطوة إلّا إليه !

٥ (شَبَّ فِكْرُ الحَصِيفِ ناراً فَمَا يحْـ ـسُنُ يَوْمًا بِعَاقِلٍ تَشْبِيبُ)

٦ (أَيْنَ بُقْراطُ والمُقَلَّدُ جالِينو سُ هَيْهَاتَ أَنْ يَعيشَ طَبيبُ)

شَبَّ : اتَّقد واشتعل . لازمٌ ومُتعد : شَبّت النارُ ، وشبَّها هو . والحَصِيف : الجَيِّد الرأى المُحكم الفعل . والفِعل : حَصُف حَصَافة . والتَّشْبيب : النَّسيب بالنِّساء فى الشعر ، وذلك أن تُرقِّق أوَّله بذكر النساء .

وبقراط : طبيب فيلسوف . وقد مرّ التعريفُ به[1] .

(١) انظر شرح البيت ١٥ من اللزومية ٥٥ ص ٣١٨ من هذا الجزء .

وجالينوس ، حكيم فيلسوف ، كان إمامَ الأطبَّاء فى عصره . قال المسعودىّ:
كان جالينوس بعد المسيح عليه السلام بنحو مائتى سنة .

يقول : ما أكثر غَفْلتنا عن الحقّ ! وما أجدرنا أن نُشغل بحق هذا الوجود عن باطله ! لقد شبّ فكرُ العاقل الحصيف ناراً تتوقّد ، ولظًى يستقر ، وما مادّة هذه النار وهذا اللظى إلا هذه المخلوقات يمتحنها و يتقصاها ، فما يظهر له من أمرها إلّا ما يَصرفه عمّا فى هذه الحياة من لذّة باطلة ، وما فى العيش من نعمة كاذبة .

أجل ، لقد استأثر الموتُ بأهل القُوة والبطش ، كما استأثر بأهل الحكمة والطبّ ، فلم يسلم عليه بقراط ، ولم يَنْج منه جالينوس . وكيف يَنْجو من الموت طبيبٌ ! أو يَسلم عليه حكيم !

٧ (سُبِّبَ الرِّزْقُ لِلأَنَامِ فَمَا يَقْـطَعُ بِالْعَجْزِ ذَلِكَ التَّسْبِيبُ)

يقال : هو يَقْطع بهذا الأمر ، أى قد انتهى إلى صوابه فهو يَجزم به . و « ما يقطع بالعجز ذلك التَّسبيبُ » أى لا يصح أن يكون هذا التسبيبُ مما يَجعلنا نَستكن و نَرضَى بالحياة عجزاً وخنوعاً .

يقول : إنَّا نَعتذر عن حُبّنا للحياة بعد استيقاننا بالموت ، وسَعْينا إليها بعد سَعْيه إلينا ، بأنَّا لم نجدّ ولم نتْعب ، ولم نتجشّم الخُطوب والأهوال إلّا لنحصِّل الرزقَ ، فنتقصىَّ به حظّنا من حياة لا بُد من احتمالها ، وعَيش لا بُد من الصَّبر عليه .

٨ (وَجَرَى الْحَتْفُ بِالْقَضَاءِ فَمَا يَسْـ ـلَمُ لَيْثٌ وَلَا غَزَالٌ رَبِيبُ)

الحتف : الموت . وجمعه : حتوف . ولا يبنى منه فِعل . وقول العرب : مات فلان حَتْف أنفه . أى بلا ضَرب ولا قَتل . وقيل : إذا مات فَجأة . نصب على المصدر ، كأنهم توهّمو « حَتف » وإن لم يكن له فِعل .

و « بالقضاء » أى بما قُدّر . والرَّبيب : مَرْبوب مُربَّى . يريد وَصْفه باللّين والضعف ، فهو فى كَنَف من يُربّيه .

يقول : كلا لقدجَرى القضاء بالحياة كما جرى بالموت، فَضمن لنا أرزاقاً مقدَّرة، كما عيَّن لنا آجالاً مكتوبة ، فليس فى الوجود ما يقطع رِزْقاً مَوصولاً ، كما ليس ما يُؤخر أجلاً محتوماً . كل مَرزوق ليس لرزقه عنه انصراف ؟ وكُل هالك ليس لهلاكه عنه عُدول . لن يفقد الحياة من الجُوع غنى ولا فقير ، كما لن يَمتنع عن الموت ليثٌ كاسر أو غَزال ناعم .

٩ (يَطَّلِعُ الْوَافِدُ الْمُبَغَّضُ وَالْعَيْـ ـشُ إِلَى هَذِهِ النُّفُوسِ حَبِيبُ)

١٠ (خَبَّبَتْهَا عَلَيْهِ نُكْدُ الرَّزَايَا فَنَبَا عَنْ قُلُوبِهَا التَّخْبِيبُ)

يُريد بـ « الوافد » اليوم ، وجعلَه مُبغَّضاً لما يَحمل من أرزاء ومتاعب .

وخبَّب : أَفسد . يقال : خَبَّب فلان على فلان صديقَه : إذا أفسده عليه وخدعه .

والضَّمير فى « خَبّبتها » للحياة ، أو الأيام واللَّيالى ، الملحوظة من السّياق . و « عليه » أى على الإنسان ، وهو كذلك ملحوظ .

والضمير فى « قلوبها » للنفوس أى الأشخاص . والتخبيب : الخداع والغش . يصف الناس بأنهم أغرار مخدوعون

يقول : لقد غَلَونا فى الغُرور ، وأَغرقنا فى العَجز والبَله ؛ حتى إنّ الدّهر لَيُقدِّم إلينا كُل يوم من أيامه ما يُبغضنا فى العَيش ، ويُنَفِّرنا منه ، فما يزيدنا ذلك إلا حبًّا له ، ورغبةً فيه ، غافلين عما نحن فيه من الغبن والانخداع .

إلى هنا ينتهى الجزء الأول

من

شرح لزوم ما لا يلزم

يتلوه إن شاء الله

الجزء الثانى وأوله : « الباء المفتوحة »



فهرست القصائد

الجزء الأول

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

الصفحة